عزة شرارة بيضون

الرجولة وتغيّر أحوال النساء

(دراسة ميدانية)

المركز الثقافي العربي

عزّه شرارة بيضون

الرجولة
وتغيّر أحوال النساء

٢٠١/٤١٢

٤٧ب /

عزّه شرارة بيضون

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت: ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم: (٧١)

الرجولة وتغيّر أحوال النساء

(دراسة ميدانية)

المركز الثقافي العربي

٢٠١٤١٢

٤٧ ب

عزّه شرارة بيضون

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٢٢
ترخيص رقم : (٧١)

الرجولة وتغيّر أحوال النساء

(دراسة ميدانية)

المركز الثقافي العربي

الكتاب

الرجولة

وتغيّر أحوال النساء

تأليف

عزّه شرارة بيضون

الطبعة

الأولى، 2007

عدد الصفحات: 336

القياس: 17 × 24

الترقيم الدولي:

ISBN: 9953-68-180-5

جميع الحقوق محفوظة

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 2303339 ـ 2307651

فاكس: 2305726 ـ 2 212+

Email: markaz@wanadoo.net.ma

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 01750507 ـ 01352826

فاكس: 01343701 ـ 961+

www.ccaedition.com

Email: cca@ccaedition.com

الإهداء

إلى أحمد

شكر

أقدّم جزيل الشكر للجامعة اللبنانية التي دَعَمَت، مالياً، تنفيذ الشق الميداني من هذه الدراسة في إطار برنامج «دعم الأبحاث في الجامعة اللبنانية»،

للدكتورة مي بيضون، الاختصاصية في الإحصاء الإحيائي ،

للدكتور فيصل يونس، من أساتذة علم النفس في جامعة القاهرة،

للدكتور يعقوب قبّانجي، أستاذ العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية،

للدكتور جان مراد، أستاذ العلوم الاجتماعية في الجامعة اليسوعية،

للدكتور شبيب دياب، رئيس مؤسسة «ديموغرافيا»،

. . . لهؤلاء جميعاً، امتناني للمساعدة القيّمة التي قدّمها كلّ واحد منهم من ميدان اختصاصه.

للأساتذة الجامعيين، للصديقات من «تجمّع الباحثات اللبنانيات»، للطلاب والطالبات في الجامعات اللبنانية، للمحققين والمحققات. . . الشكر لإسهاماتهم الأساسية في هذه الدراسة.

المقدّمة

النساء يتغيّرن... لكن ما هو حال الرجال؟

«إن خلقَ امرأة جديدة يتطلّب، بالضرورة، خلقَ رجل جديد»

(Sheila Rowbotham, 1972)

النساء يتغيّرن.... فهل تغيّر الرجال؟

النساء يتغيّرن؛ والصورة التي يحملنها لذواتهن علامة على ذلك التغيّر. فهن، وإن ثابرن على تماهيهن بالنموذج الأنثوي المرغوب اجتماعياً، لم يكتفين به؛ بل تجاوزْنه إلى دائرة الذكورة فاكتسبْن سمات الرجال ولعبْن أكثر أدوارهم[1]. وتعي النساء عندنا قصور التعبيرات الثقافية عن اللحاق بذلك التغيير؛ لذا، تجدّ طليعتهن في العمل على جعل هذه التعبيرات متساوقة ومتناسبة مع واقعهن المستجدّ[2].

النساء يتغيّرن؛ لكن ما هو حال الرجال؟

هل رافق تبدّل أحوال النساء تعديلاً في هويات الرجال؟ كيف ينعكس ذلك التبدّل في تصوّرهم لذواتهم؟

وهل تشبه الصورة، التي يرسمونها لشريكتهم، صورة المرأة التي تحملها هي لذاتها؟ أم إنهم ما زالوا يرغبون في شريكة أكثر شبهاً بـ«الأنثى الأزلية»؟

ما هي مواقفهم حيال التمييز اللاحق بالمرأة في مجتمعاتنا؟ وما هو مدى مناصرتهم لقضاياها؟

هل هم، أخيراً، راضون عن الأدوار الذكرية التي صاغتها لهم ثقافتنا الاجتماعية، أم إنهم يشعرون، كما تشعر النساء، بوطأة تقييداتها عليهم؟

---

(1) ما نقوله محصّلة دراسة ميدانية لنا أجريناها منذ حوالي عشرين عاماً، (بيضون، 1988).

(2) أنظر، مثلاً، (الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية، 2004)، و (Baydoun, 2001).

مسوغات التساؤل

هذه تساؤلات متضمّنة في المشهد الجندري[3] العام. لكنها تطفو على سطح التعبير في المداولات الكثيرة عندنا حول «قضية المرأة»، حيث تتكرر مقولة مفادها: أنه يستحيل إزالة التمييز ضد المرأة عندنا ما دام الرجال غافلين عن آثار ذلك التمييز السلبية على مجتمعاتنا، وعليهم أيضاً. بل، ما داموا خائفين على «مكتسباتهم»، تلك الرشوة البائسة، التي يقدّمها لهم الترتيب الجندري الأبويّ القائم. وهو ترتيب يوفّر لهم شروط تتويجهم أسياداً على رعايا «طبيعيين» - النساء- مقابل خضوعهم، هم، للنظام الأبوي الذي يرعى الترتيبات الهرمية عامّة، والجندرية خاصّة، بشراسة فريدة. وتمثّل هذه الترتيبات إحدى أهمّ دعائم بقاء ذلك النظام في «صراعه من أجل البقاء» في وجه التبدّلات الحضارية كلّها، (Burke and Cast, 1997).

الجندر و«صناعته»

لكنها تساؤلات يشرّع لطرحها، أيضاً، ومن منظور نفس-اجتماعي، واقعة أن الهوية الجندرية gender identity- أي اليقين الثابت الذي يختزنه الواحد منا بأنه ذكر أو بأنها أنثى، وبحسب الحالة... هذه الهوية تنتمي لطائفة الهويات النفس- اجتماعية؛

(3) نسبة إلى الجندر، تعريب للمصطلح gender بالإنكليزية، وهو نقش في بداية السبعينات من القرن الماضي من أجل التمييز بين الجنس البيولوجي للشخص - [redacted] - وبين المستوى النفساني/ الاجتماعي/ الثقافي لهويته الجنسية/ البيولوجية تلك. هذا المصطلح من أكثر المصطلحات شيوعاً في الأدبيات النفس- اجتماعية الأجنبية، لكن الباحث العربي يجد نفسه مضطراً، في كلّ مرّة يلجأ فيها إلى استخدامه، لتقديم تعريف له. خصوصاً أن بعض الباحثين يترجمون المصطلح gender بـ«النوع الاجتماعي»، أو «النوع الجنسي»، أو «الجنوسة» إلخ، فلم يستقرّ في اللغة العربية، بعد، على لفظ واحد وحيد.

والجندر، تعريفاً، هو الوجه الاجتماعي والثقافي للانتماء الجنسي البيولوجي. ويتمثّل بالمعاني التي يتضمّنها انتماؤنا لجنس الذكور أو لجنس الإناث، وبالقيم والأحكام الملحقة بهذه المعاني. المخلوق البشري يولد ذكراً أو أنثى، (في أغلب الحالات باستثناء الخُنثى hermaphrodite)، وهذا هو «جنسه». لكن تتم تنشئته ليصبح فتى أو فتاة ومن ثمّ رجلاً أو امرأة، وهذا هو «جندره» his or her gender. هذا، ويمثّل الجندر واحداً من المبادئ المنظّمة للحياة الاجتماعية، وآلية لتوزيع السلطة والموارد بين الناس. ويستعمل المصطلح صفة لكلمات أخرى، أو مضافاً إليها: منها المقاربة الجندرية للتنمية مثلاً، دراسات جندرية، الحساسية الجندرية، العمى الجندري، المنمّط الجندري، الاتجاهات الجندرية إلخ.

وهذه ليست متشكّلة لدى الفرد على نحو نهائي. وإذ يجزم أكثر المحللين النفسيين، مثلاً، بأن هذه الهويّة تتشكّل بفعل التنشئة على الأدوار الجندرية في سنوات الطفولة الأولى لتصبح ثابتة و«أبدية» وجوهرية لهويتنا الإنسانية، نجد كثيراً من السوسيولوجيين غير واثقين من نهائية التشكّل المذكور. فالجندر، من وجهة نظر هؤلاء، ليس مكوّناً ثابتاً ومستقراً نحمله معنا في تفاعلاتنا، بل هو يتشكّل من خلال تفاعلاتنا وبواسطتها. الجندر ليس وجهاً من كينونة الفرد، بل هو ما يصنعه الفرد في سياق التفاعل العلائقي مع الآخرين، ومع الجنس الآخر بشكل خاص.

صحيح أن الجندر gender مركّب[4] construct ثقافي- اجتماعي يظلل عملية التنشئة الاجتماعية في كل مراحلها ويحكم أوجه تجلياتها، وأننا نولد في نظامه السابق لوجودنا، فيفرض علينا الخضوع لترتيباته وتراتباته؛ إلا أن تجسيد وجوده مرهون، هو أيضاً، بالأفراد أنفسهم الذين يعيدون إنتاجه في جزئيات سلوكهم اليومي، وفي تفاعلاتهم مع الآخرين، وفي اتجاهاتهم وخياراتهم، في قبولهم أو في نقضهم لترتيباته. فالأشخاص «يصنعون الجندر» في عملية تفاوضية لا تهدأ؛ أي إن الجندر ليس ما يتمّ «فعله» بنا فحسب، بل إن الجندر هو ما «نصنعه» نحن بأنفسنا؛ وذلك لأننا نقوم، على الدوام، بخلق، وإعادة خلق» هوياتنا الجندرية في سياق تفاعلاتنا مع الآخرين وفي إطار المؤسسات الاجتماعية التي تضمّنا، (West and Zimmerman, 1987).

وصناعة الجندر مسار لا يتوقّف بل يرافق مراحل حياتنا كلّها. والسلوك الجندري المناسب هو استجابة لمعايير مستدخلة أو سمات شخصية بدرجة أقلّ، ربّما، من كونه استجابة تخضع، باستمرار، لتفاوض مع الآخرين الذين يفرضون علينا وجوب السلوك بطريقة مناسبة: ذكرية أو أنثوية بحسب الحالة. إن فهم «صناعة» الذكورة (أو الأنوثة)، تتطلّب إبراز العناصر الأدائية من الهويّة، أمام جمهور مشاهد. (Kimmel, 2004, 503).

---

(4) مركّب construct: وحدة افتراضية تفيد في تأويل ظاهرة أو ظواهر نفسانية. والمركّب، تماماً كالمفهوم، لا يقوم في الواقع المادي، إنما تتمّ صياغته ذهنياً. من الأمثلة على المركّب، «الذكاء». فالذكاء غير خاضع للملاحظة المباشرة، لكن طبيعته ودرجته، (عال، متوسّط، منخفض، مثلاً)، يمكن استنتاجها من الأداء على قياسات الذكاء، وغيرها من السلوكات المتساوقة مع تضمينات الذكاء. ويرى رِبِرْ أن الطريقة الأقلّ إثارة للالتباس حول ماهية المركّب هي بتناوله وكأنه مرادف غير دقيق لـ«المفهوم»، من حيث استواء الاثنيْن تكوينيْن فكريّيْن. لكن ما يميّز المركّب عن المفهوم كون الأوّل متعدد الأبعاد والمكوّنات بدرجة أكثر تعقيداً من الثاني. ويستنتج السيكولوجي وجود «المركّب» حين يسعه صياغة علاقة بين عدّة مواضيع أو أحداث مرتبط بعضها ببعض» (Reber, 1995).

ما نحاول قوله هو أن تساؤلاتنا تنطوي على مسلّمة مفادها: أن تحوّلاً في هويات النساء المعاصرات من شأنه أن يُحدث تحوّلاً في هوّيات الرجال المعاصرين الذكرية، وفي خياراتهم لشريكاتهم، ضمناً؛ وذلك في سياق «صناعة الجندر» القائم، أساساً، في التفاعل العلائقي بين الرجال والنساء غير الباقيات على أحوالهن.

وتتضمّن تساؤلاتنا في تعاقبها، أيضاً، افتراضاً مفاده أن التعديل في الهويات الجندرية يرتبط بالاتجاهات النفس- اجتماعية؛ بحيث إن التوجّه الداعم للمرأة وقضاياها، كذلك رفض الأدوار الذكرية التقليدية قدراً... هذا الرفض وذلك التوجّه مرتبطان، على الأرجح، بهويات يتراجع فيها الخضوع الصارم للمنمّطات الجندرية الأبوية المتعارضة إلى حدّ التضاد، والمسوّغة للتمييز القيمي بين المرأة والرجل.

«روح العصر»

والتساؤلات، هذه، هي من «روح» هذا العصر. فالتحوّلات التي شهدها العالم الصناعي كان من أبرزها تحول غير مسبوق في مكانات النساء وأدوارهن الاجتماعية... هذا التحوّل أحدث «اضطراباً» لدى الرجال. وحيث كانت حركة تحرر المرأة- في موجتها الثانية التي امتدّت على عقدي الستينات والسبعينات من القرن الماضي- التعبير السياسي الاجتماعي، في ذلك العالم، عن التحوّل المذكور، فإن ارتدادات هذه الحركة لدى الرجال هناك وقعت، تباعاً، في كلّ الأشكال: الهادئة والصاخبة، الداعمة للمرأة والمناهضة لها، بل والمنكفئة على الذات أيضاً؛ وانتشرت تجليات هذه الحركة في التعبيرات الثقافية والاجتماعية كلّها، النخبوية والشعبية- في الأكاديميا كما في السينما، في البرامج الانتخابية السياسية كما في الإعلام، في حلقات «رفع الوعي» المحصورة في عدد المتحلّقين فيها، وفي «مظاهرة المليون» الأميركية[5].... سواء بسواء.

---

(5) هي المسيرة التي دعي للمشاركة فيها الرجال الأميركيون الأفريقيون من أجل لفت الانتباه لأوضاع هؤلاء الرجال، وهي بلغت ذروتها في مهرجان واشنطن دي سي في تشرين الأوّل (أكتوبر) من العام 1995، وقد تكلّم فيه عدد من الناشطين الرجال، أساساً. وحيث قدّر عدد الذين شاركوا فيها، وغالبيتهم العظمى من الأميركيين الأفريقيين، بما بين 600 ألف وأكثر من مليون؛ وقد دعا إلى المشاركة بها القائد الإسلامي لويس فارّخان؛ وقد رفعت المسيرة شعارات لا تختلف كثيراً عن الشعارات التي رفعتها الحركة المسيحية الرجالية، حيث طلب إلى الرجال أن يستعيدوا أدوارهم في حماية نسائهم وأطفالهم، وأن ينبذوا العنف ضد أسرهم. والقراءات في هذه المسيرة صنّفتها ضمن الجندر التقليدي الرافض للتغيّرات في أدوار النساء والمعبّر عن الخواف من المثليين، (Whitaker, 2004).

وعالمنا نحن، العالم غير الصناعي (أو الثالث، أو عالم الجنوب، أو العالم في طور التنمية، بحسب التسمية)، يشهد تحوّلاً، هو الآخر، يمثّل استجابة لعولمة تنحو نحو توحيد العوالم، بل تفرض بعض مواضيع تلك الاستجابة وأشكالها، فرضاً. ولعلّ المواثيق الدولية التي وقّعتها دول العالم غير الصناعي من علائم ذلك الفرض. فالدولة اللبنانية، مثلاً، قد وقّعت «اتفاقية إزالة جميع أشكال التمييز ضد المرأة». صحيح أن الحركة النسوية[6] عندنا كانت، منذ الخمسينات من القرن الماضي، تناضل، ضمناً أو صراحة، في سبيل المساواة بين المرأة والرجل؛ لكن هذه الحركة كانت محصوْرة الانتماء في نُخب هامشية في تكوينها الاجتماعي والثقافي؛ وقد أسهم في هامشية تكوينها ذاك، استطالة الحروب اللبنانية لعقد ونصف، وهو ما حوّر أهدافها وأسهم في افتقادها للزخم والشمول الذي ميّز الحركة النسوية الغربية، أو حتى بعض الحركات النسوية في العالم غير الصناعي، (بلدان أميركا اللاتينية أو الهند مثلاً).

أي إن التوقيع الذي وضعته الدولة اللبنانية على «اتفاقية إزالة جميع أشكال التمييز ضد المرأة» جاء عبارة عن «هديّة» قدّمها المجتمع الدولي لنساء العالم، ونحن منهن، مختصراً بذلك، مسالك متعرّجة محتملة، وواضعاً في أفق حركاتها النسوية أهدافاً تفصيلية، بل أجندة يسع الدول ومجتمعاتها الاهتداء بها في سبيل إحقاق المساواة بين النساء والرجال فيها. فتكون الدولة اللبنانية قد وقّعت هذه الاتفاقية في «غفلة» من المجتمع الأعمّ، وفي استعجال لوتيرة نضال الحركة النسائية عندنا. بل إن هذه الأخيرة باتت، والدولة معها، في موقع يمكن نعته بـ«اللاهث» في السعي نحو تطبيقها. إذ سرعان ما استوت «اتفاقية إزالة جميع أشكال التمييز ضد المرأة»، مظلّة جامعة انطوت، في إطارها، خطط وبرامج مؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني المعنية بشؤون المرأة اللبنانية[7].

ما سبق من الكلام قيل من أجل مقارنة ردود فعل الرجال عندنا على الحركة

---

(6) نستخدم تعبير «الحركة النسوية» لنصف كتلة واسعة من النساء اللواتي يَعِين التمييز اللاحق بالمرأة في الأنظمة الأبوية، واللواتي يعملن، معاً، في منظمات حكومية أو غير حكومية في نشاطات هادفة ومتفرّقة، هادئة غالباً وصاخبة أحياناً، ساعيات إلى تمكين النساء، وإلى إزالة التمييز اللاحق بهن وإلى إحقاق المساواة بينهن وبين الرجال في مؤسسات المجتمع كافة.

(7) انظر برامج الهيئات النسائية التحالفية: «الشبكة النسائية اللبنانية»، «اللقاء الوطني من أجل إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة»، أو المنفردة (تقارير سيداو الرسمية وتقارير الظل).

النسوية اللبنانية بردود فعل الرجال في البلدان الصناعية على الحركات النسوية هناك. وذلك في إطار مبدأ «أن لكل فعل ردّ فعل مناسباً في الشدّة». إذ إن الحركات الرجالية التي انطلقت في الغرب الصناعي، وفي الولايات المتحدّة خاصّة، جاءت بمثابة ردّ فعل على الحركات النسوية التي شملت فئات نسائية واسعة، وكانت بالغة التأثير في بنى المجتمع السياسية والقانونية والثقافية. الحركة الرجالية الغربية، إذاً، ردّ فعل متناسب في حجمه وشدّته للحركة النسوية الغربية. من هنا، فإن غياب حركة رجالية «صريحة» ومنظّمة، عندنا، يبدو متناسباً مع ضعف إحساس الرجال عندنا بوقع تأثير الحركة النسوية عليهم.

على أن عزو ذلك الضعف إلى تراجع تأثير الحركة النسوية يصف بعض الوضعية، لا كلّها. فالبعض الآخر متضمّن في خصوصية هذه الحركة عندنا. فهذه نمت في رحم الأحزاب اللبنانية وتحت مظلّتها الإيديولوجية، رافعة شعار «مشاركة» المرأة الرجل في بناء المجتمع ، لا «منافسته» ولا حتى الصراع معه، بل قابلة بمشاريعه لذلك البناء، ومنخرطة في مسارها. ويتمثّل غياب الصراع، مثلاً، في التحفّظات التي أبدتها الدولة اللبنانية على الاتفاقية المذكورة والتي تؤكد، في جوهرها، النأي عن المسّ بأسس النظام الأبوي/ الطائفي[8]، وتحرص على التوازن القائم في النظام السياسي الطائفي عندنا.

معارضة النساء عندنا للنظام الجندري التمييزي معارضة مسالمة ، تنحو لتحقيق غاياتها بهدوء، وتنتهج أسلوباً يتسم بالرويّة ويعمل على تحقيق مكتسبات في مجالات غير خلافية سياسياً أو طائفياً: في العلم والعمل والصحّة والنشاط الاجتماعي والتمثيلي وفي المجال التشريعي القانوني المدني. وكلّها تؤتي ثماراً في تحوّلات جزئية تراكمية توفّر، من حيث المبدأ، شروطاً لتحوّلات نوعية. ومن تجلّيات هذه التحوّلات ما ذكرناه في مطلع هذا الكلام من تعديل في الهويّة النسائية عندنا.

وإذا كان الرجال لم ينتظموا صراحة، على منوال ما شهده الغرب الصناعي، داعمين للحركة النسوية أو معترضين عليها، فهم يعبّرون عن اتجاهاتهم هذه في مواقعهم المختلفة: في الأحزاب والنقابات والمنظمات غير الحكومية حيث يعلنون صراحة عن دعمهم الكامل أو المشروط لقضاياها، كما هي الحال في الأحزاب العلمانية، أو يجعلون اعتراضهم عليها على لسان النساء في تلك الأحزاب كما هي الحال في

---

(8) بضعة بنود من المادة 16 من اتفاقية سيداو.

الأحزاب الطائفية، الإسلامية منها أساساً، أو حتى بتجاهل تام لتلك القضايا في برامجهم المعلنة، (بيضون، 2002).

لكن يبقى ردّ فعل الرجال الأكثر بلاغة في أمرين وفي موقعين: في الموقع العام، ويتمثّل بالقبول، بل برفض المسّ، بقوانين الأحوال الشخصية المذهبية التي تجعل من النساء اللبنانيات «مواطنين» من الدرجة الثانية. وفي مواقعهم الخاصّة، في العنف المنزلي الذي يمارس على النساء وعلى البنات، والذي بات في مجتمعنا على درجة من الشيوع بحيث لزم رسم استراتيجيات وصياغة خطط وبرامج، واستحداث هيئات ومنظمات من الدولة والمجتمع للتعاون في سبيل التعامل معه، وتوفير سبل الحماية والوقاية لضحاياه، ونشر ثقافة مناهضته، والعمل على سنّ التشريعات الرادعة له، (الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية، 2006).

ومن تجليّات ما أسميناه بـ«روح العصر» بدايات لطرح المسألة الرجالية في التعبيرات الثقافية والإعلامية عندنا. ففي أيلول الفائت، مثلاً، كتبت جريدة الحياة اليومية(9)، في مطلع الصفحة التي تحمل عنوان «أسرة»... كتبت تمهيداً تسوّغ فيه مباشرتها الاهتمام بالرجل، «للرجل ، الأخ والأب والزوج فسحة في ملحق الأسرة». في هذا التمهيد، تبرز الرغبة في إضاءة جوانب من المسائل الرجالية المتعلّقة بالجندر في المجال الخاص، والتي بدأت تتلمّس طريقها في فضاء وسائل التعبير الثقافي عندنا، والإعلام أهمّها. في الصفحة المذكورة إيحاء لوجهة طرح هذه المسائل تتمثّل بصورة ذراع لذكر راشد، مضمومة اليد، مطويّة ومرفوعة بالطريقة المعهودة من أجل إبراز وتكثير عضلات الكتف والزند، وقد كتبت تحتها العبارة: «ليس بالعضل وحده يحيا الرجال». وتخترق المقالات القصيرة المعدودة جوانب من المسألة الرجالية تناولت، أساساً، أسباب غياب المسألة عن الطرح العام، وقوامها مفهوم سائد للرجولة يتمثّل بضرورة الحفاظ على صورة الرجل القوية المحصّنة ضد الضعف والبكاء، وضد الاعتراف بالمرض، على أشكاله، وضد الميل إلى الشكوى من المشاكل العاطفية. لكن بعض الرجال شكوا، من جهتهم، وفي مقابلات أجريت معهم، من تقصير الإعلام في طرح مشكلة الرجل. ووضع بعضهم اللوم على طغيان الحركة النسوية المصابة بـ«متلازمة الصراخ الطفولي»، العاملة على افتعال خصومات مع الرجل. ويقابل ذلك

---

(9) جريدة الحياة اليومية، في 7/9/2006، ملحق «أسرة»، صفحة 16.

«ظاهرة معاداة النسوية» لمجرّد «الرغبة في الاختلاف في وجهات النظر». لكن، وفي ما يتجاوز هذا السجال المعهود، هناك تلويم صريح للنساء لاستوائهن منافسات حقيقيات للرجال على العمالة، ولكونهن مسؤولات عن بطالة الرجال المتزايدة في عالمنا العربي.

وفي نشرة وزّعت مع الجريدة اليومية الفرنسية «لوريان لو جور»[10]، أصدرتها مجموعة DES de Journalisme، من الجامعة اللبنانية، باسم RIJAL، انشغال بمسألتين: الأولى تتمثّل بالنزعة السائدة بين فئة من الرجال لـ«تأنيث» شكلهم الخارجي؛ وفي النشرة مقابلة مع أحد أبرز نجوم التلفزيون الذي يصف نفسه بـ«التقليدي»، والذي يصرّح بأن التأنيث المذكور يمثّل ابتعاداً عن القيم الذكرية الحقيقية، والثانية هي مسألة بروز المرأة في مراكز قيادية في العالم وعندنا؛ هذا الموضوع كتب تحت عنوان استفزازي «إنهن يسلبننا أمكنتنا!».

وتقدّم إحدى المحطات الفضائية برنامجاً باسم «آدم»، موجّهاً للرجال، «يحكي مع الرجل كرجل»، وذلك، «لأننا نحن الرجال لدينا نقص في داخلنا، لا أحد يكلّمنا ونحن لا نكلّم أنفسنا، ولا يمكن أن نتكلّم مع بعضنا، لا نخرج ما في داخلنا. لا أحد سألنا مرّة لماذا نبكي؟ ما هو إحساسك وكيف عليك أن تحسّ به. لا أحد لفت انتباهك إلى ضرورة التحدّث مع زوجتك وكيف تربّي ابنتك؟ الدور للمرأة وللأم . . . نحمّلها المسؤولية ونغيّبها عن الرجل. يضعون له الرياضة والأخبار والبزنس. . . . إن (البرنامج المذكور) مساحة للرجل ليشاهد ويعبّر. . .». هذا الاقتباس الطويل من مقابلة معدّ البرنامج التلفزيوني المذكور يبرر فيه، استجابة لسؤال المحاور، أسباب إطلاق برنامج خاص بالرجل على الشاشة الصغيرة[11].

هذه أمثلة من الصحافة المكتوبة القريبة في الزمن. وبمقدار ما يعكس الإعلام انشغالات الناس، أو بعض فئاتهم، بمسألة معيّنة، يسعنا الاستنتاج أن المسألة الرجالية في طريقها إلى الطرح الأعمّ استجابة لهواجس تتجاوز اهتمام المثقفين والباحثين. ولعلّ الاهتمام الذي نشهده بمسألة الرجولة، أو أزماتها، يعزز ادّعاء مي غصوب من أن هذه المسألة ليست «إشكالية مستوردة»، بل هي، بالضرورة، من المسائل التي يطرحها عالمنا

---

(10) بتاريخ 14/ 6/ 2006.

(11) مقابلة مع «أيمن زيود: آدم مساحة لحواء لتفهم الرجل»، الدليل (جريدة النهار اليومية البيروتية)، 22 أيلول 2006.

المتزايد في العولمة، إضافة إلى التغيّرات التي أحدثتها النسوية في ذلك العالم؛ وذلك في تقديمها للمؤلّف المشترك الرجولة المتخيلة الذي حررته مع إيما سنكلير ويب، (غصوب، 2002، 7).

وطرحُ الإعلام المذكور كان قد سبقه اهتمام الأكاديميين والباحثين بالمسألة كما يستدلّ من بعض إصدارات[12] ومؤتمرات[13] تناولت مسألة الذكورة في إطار الاهتمام بالجنسانية اللبنانية والعربية، عموماً، وهي من بعض مراجع هذا الكتاب. والثقافة النخبوية- الرواية والشعر والسينما، مثلاً، كانت، وكما ينبغي لها أن تكون، السبّاقة إلى التقاط أزمة الذكورة ومخاض إعادة تعريفها في عالمنا المتغيّر؛ (Abdel- Malek, 2004; Katawi, 2004).

من رحم تساؤلات سابقة

تساؤلاتي، أخيراً، هي امتداد تلقائي لتساؤلات نجمت عن نتائج بحث سابق نفّذته منذ عقدين - أواسط الثمانينات - حاولت فيه رصد بروز «هويّة نسائية جديدة» لدى الشابات الجامعيات عندنا، وبعض خصائصها النفسية والاجتماعية ،(بيضون، 1988). فتكون تساؤلاتي الحالية محاولة مكمّلة، تهدف إلى رصد بعض ملامح الهوية الرجالية المعاصرة لدى الشباب الجامعي اللبناني. وإذ أتناول الموضوع من منظور نسوي، فإنني أحاول أن أتلمّس، وإن بطريقة غير مباشرة، حساسية هذه الفئة من الرجال للتبدّلات في أحوال النساء؛ وذلك في مكوّنات ثلاثة من هوياتهم: في تصوّراتهم لشريكتهم المستقبلية وفي اتجاهاتهم نحو المرأة وقضاياها، وهما مكوّنان صريحا الصلة بهويات النساء المعاصرات؛ أما المكوّن الثالث فهو صورة الذات الجندرية، بوصفها كشافاً للمدى الذي يقوم فيه هؤلاء بالتماهي بالذكورة والأنوثة المرغوبين اجتماعياً في محاولة

(12) خصصت مجلّة الرائدة Al-Raida التي تصدر باللغتين العربية والإنكليزية عن «معهد دراسات المرأة في العالم العربي» التابع لـ«الجامعة اللبنانية الأميركية» في بيروت، عدداً خاصاً بـ«الذكورة»؛ واعتمد «تجمّع الباحثات اللبنانيات» «الذكورة» محوراً لكتابه السنوي الثاني عشر باحثات الذي يصدر في أواخر 2007.

(13) في مؤتمرين متتاليين عن «الجنسانية في العالم العربي» قام بتحضيرهما مركز الأبحاث السلوكيّة في الجامعة الأميركية في بيروت ومركز الشرق الأوسط في كلية سانت أنطونيز في أكسفورد- انكلترة، في العامين، 1999و 2004 أفردت حلقة لـ«الذكورة» في الأوّل وأكثر من مداخلة في الثاني. صدرت أعمال مختارة من أعمال الثاني في كتاب، (Khalaf and Gangnon, 2006).

لرصد مدى «التلاقح» النفسي بين النساء والرجال الموجودين معاً في أدوار ومكانات متشابهة؛ وذلك للبحث في الأنماط الرجالية بحسب التصنيف النفسي الجندري، الأكثر حساسية لتبدّل أحوال النساء... ويرسو هذا البحث على قاعدة تنوّع خلفيات انتماءاتهم الطائفية والاجتماعية التي يتميّز بها مجتمعنا اللبناني.

نعود إلى سؤالنا... هل يتغيّر الرجال مع تبدّل أحوال النساء؟

كحاله مع كلّ سؤال يفرضه توالد التساؤلات بعضها من بعض، وتُبرز أهمية طرْحه حيوية الإشارات الدالّة على استواء موضوعه ظاهرة راهنة الأهمية، لا يلبث الباحث عن إجابات أن يجد نفسه محاطاً بـ«فضوليين» كثر التقطوا، مثله، الإشارات المكتظّة في فضاء العيش المشترك ذاتها، وهم ماضون في رصد تجلّيات هذه الظاهرة، من ميادين ومنظورات تنوّعت بتنوّع زوايا اهتماماتهم.

وفي ميدان علم النفس الاجتماعي، ميدان هذه الدراسة، أفرزت محاولات البحث عن هويات الرجال المعاصرين وترابطاتها ميداناً فرعياً أُطلق عليه اسم «علم نفس الرجال»، هو أحد الميادين الفرعية في «الدراسات الرجالية». ويؤرّخ الباحثون لبدايات «الدراسات الرجالية» غير الرسمية بانطلاق حركة المرأة في موجتها الثانية؛ وهي عرفت ازدهاراً في الثمانينات والتسعينات، ومع «استرداد» الرجال لها. ومن علائم هذا الاسترداد وذلك الازدهار نشر عشرات الكتب المعنية بالموضوع بقلم باحثين رجال، واستحداث عدد من الدوريات العلمية المتخصصة، إضافة إلى تناول موضوع الذكورة في الدوريات العلمية بتواتر ملحوظ، غير معروف سابقاً(14)، وذلك في الغرب وحده؛ وبعض هذه الدراسات سيأتي ذكرها في سياق هذا النصّ.

وأما في بقية العوالم، فإن طرح «المقاربة الجندرية للتنمية» التي أطلقتها الأمم المتحدة ومنظماتها في سياق التنمية البشرية المستدامة، والتي شملت أهدافها الالتفات إلى الرجال وإلى أثر علاقات القوى القائمة بينهم وبين النساء في التنمية المذكورة، أبرز ضرورة دراسة «الذكورة» أو «الرجولة»، إلخ. بحسب التسمية المعتمدة ومفاعيلها في

(14) يبرر وايتهيد، في مقدّمة كتابه «الرجال والذكورات»، ضرورة حصره الموضوع الذي يتناوله في الدائرة التي اختارها وتجاهل ما وراءها، بكون مراجعه تضخّمت حتى قاربت السبع مائة! صحيح أن بعضها لم يكن مرتبطاً بموضوع «الذكورة» مباشرة ، لكن أكثرها كان كذلك، (Whitehead, 2002, 2).

الاجتماع والاقتصاد والسياسة... أي في كلّ مكوّنات التنمية البشرية.

لكن ما معنى أن يُقال إن النسوية، (الغربية أو الأميركية خاصّة)، والمقاربة الجندرية، كانتا، كلٌّ في مجال تأثيرها، القوّة الدافعة لإنشاء «ميدان الدراسات الرجالية»؟ أليست الدراسات كلّها رجالية؟ ألا تنطلق بمجملها من مواقع الرجال لتثبّتها، ولتعزز رؤاهم وهيمنتهم ؟ أليس الرجال هم الفئة الكليّة الحضور في هذا العالم، مركزه وجوهره... الإنسان الكوني؟ ألا يتعرّف الرجال على ذواتهم بوصفهم كذلك وبأن النسوية ما كانت إلا طلباً للإفساح للنساء في مجال من ذلك الحضور؟

يرى وايتهيد أن الوجود في المركز، لا يتضمّن المنظورية visibility. بل قد يعني، مفارقة، عكس ذلك تماماً. والأرجح أننا نغفل عن رؤية ما هو كليّ الحضور، فلا ننظر إليه بعدسة نقدية. هذه العدسة هي، تحديداً، ما وفّرته الحركة الفكرية الموازية لحركة تحرر المرأة؛ فهي دفعت بالرجال لأن ينظروا إلى ذواتهم، وإن بتردد، بعين نقدية، بحيث ما عاد بإمكانهم أن يختبئوا خلف إيديولوجيات غامرة، ولا أن يحْتَموا في ثنايا خطاب مهيمن. صحيح أن كثير من الرجال ما زالوا يختبئون خلف إيديولوجيات غامرة ويحتمون في ثنايا خطاب مهيمن، لكن كثيرين منهم، أيضاً، باتوا يجدون ذلك الاختباء وهذا الاحتماء، هما من تعبيرات الاتجاهات الدفاعية المشكوك بجدواها- في أقلّ تقدير- في التعامل مع المستجدات التي رافقت حركة تحرر المرأة وتداعياتها، (Whitehead, 2002, 5).

هذا الكتاب

هذا الكتاب هو بمثابة استعراض لدراسة ميدانية[15] في علم النفس الاجتماعي؛ وهي، أي الدراسة موضوع هذا الكتاب، تنتمي لطائفة الأبحاث الترابطية correlational research، بالمعنى الأعمّ للتعبير» (Goodwin, 1998, 270). ونحن، وفي عرضنا لهذا التقرير، لم نهتدِ بالمسار الكلاسيكي المعروف. بل إننا كتبنا بطريقة ندّعي أنها

(15) بحثنا الميداني بمثابة بحثين ميدانيين: واحد تمهيدي، وثان رئيسي. التمهيدي أجري في خريف 2004 وتألّفت عيّنته المناسبة من 359 مفردة من الطلاب والطالبات الجامعيين/ المدرسة الحربية، أما الرئيسي فأجري في شتاء وربيع 2005، وتألّفت عينته الممثّلة من 1401 مفردة من كلّ الجامعات اللبنانية المعترف بها رسمياً. وقد استخدمت نتائج البحث التمهيدي في صياغة أدوات البحث الرئيسي.

«ودودة للقارئ غير المتخصص»، محافظين، على الدوام، على المنحى العلمي الذي اتبعنا في تصميم دراستنا الميدانية وفي تنفيذها ؛ ففي هذا النصّ يجد القارئ «تعريفاً بالمصطلحات» و«عرضاً للمشكلة»، واستعراضاً لـ«الدراسات السابقة»، وتعييناً لـ«المجتمع والعيّنة»، ووصفاً تفصيلياً لإنشاء «الوسائل والأدوات» البحثية المعتمدة. يجد القارئ، أيضاً، جداول بيانية في متن النص أو في ملحقاته، وتعييناً للمعالجات الإحصائية للمعطيات، وتحديداً للدلالات الإحصائية للنتائج... ويجد بالطبع «نقاشاً للنتائج» وربطاً لها بـ«الأسئلة»، أو «الفرضيات» المضمرة، غير الصريحة، التي طرحَتْها الدراسة وحاولت الإجابة عنها... لكنه لن يجد حيّزاً، أفرد خصيصاً، لكلّ العناوين التي يتوقّع قارئ الدراسات الميدانية وجودها، ولا «احتراماً» لإلزامية تعاقبها- كما هي الحال في نصّ أكاديمي. بل إن القارئ سوف يجدها، كلّها وحيث تبرز الحاجّة «الروائية» لكتابتها ، في مسار العرض.

نحاول في هذا الكتاب معالجة السؤال الرئيس- عنوان المقدّمة،

وذلك بالإجابة عن أسئلة فرعية ثلاثة:

كيف يرى الشاب اللبناني ذاته؟

من هي فتاة أحلامه؟

ما هي معتقداته حول المرأة والرجل وأدوارهما؟

وذلك، من أجل رصد بعض الأشكال التي تأخذها هويّة الشباب اللبناني المعاصر:

صورته لذاته على بُعدَي الذكورة والأنوثة،

ملامح الصورة التي يحملها لشريكته المستقبلية،

اتجاهاته نحو أدوار المرأة والرجل في مجتمعاتنا.

ذلك كلّه، للبحث في درجة تجاوزه للمنمّطات الجندرية(*) gender stereotypes الأنوثة والذكورة المرغوبتين اجتماعياً،

(*) المنمّط الجندري gender stereotype: ترسيمة schema، أو تمثيل معرفي مجرّد، للسمات والمميزات النفسانية والفيزيائية والأخلاقية إلخ التي تُعزى للنساء أو للرجال. هذه الترسيمة هي، عادة، مبالغة في التعميم بحيث إننا نفترض أن كلّ امرأة أو كلّ رجل يتصف بهذه الميزة أو تلك السمة التي تمّ إسنادها للمرأة أو للرجل، بحسب الحالة.

ولتعيين بعض مواقفه حيال المنمطات والمعتقدات وضوابط السلوك التي تطاول أدوار ومكانات النساء والرجال في مجتمعنا -أي، ما ندعوه بـ«اتجاهاته الجندرية»[16]،

ومقارنة أحوال الشبّان في هذه المكوّنات من هوياتهم: صورتهم لذواتهم، ملامح صورة شريكاتهم، اتجاهاتهم الجندرية، مع أحوال الشابات فيها.

إن مقارنة أحوال النساء والرجال هي القاعدة التي تتأسس عليها الدراسات في علم نفس الجندر، (بل في الدراسات الجندرية، عامّة)، وهي في أساس بناء قياسات هذه الدراسات. وقد قام الباحثون، غالباً، بمعالجة الذكورة والأنوثة معاً، متوسّلين المقارنة بينهما سبيلاً لتعريف الواحد منهما. من هنا، فإن مواقع الذكور/ الرجال من المتغيّرات التي تطرحها أية دراسة في علم نفس الجندر، إنما يتمّ، في الغالب، بالمقارنة مع مواقع الإناث/ النساء منها. ويتمّ ذلك، إما بطريقة مباشرة، أو بطريقة مركّبة، وبحسب المسألة المطروحة؛ ونوضّح ما نقوله بما يلي:

إن مقارنة الفئتين في اتجاهاتهما الجندرية، مثلاً، . . . هذه المقارنة تتمّ مباشرة، ويسعنا استنتاج توافقهما أو اختلافهما حول معتقد، أو مجموعة من المعتقدات، بعينها. لكن مقارنة صورة الذات الجندرية للفئتين، (درجة تشبّع هذه الصورة ببُعدَي الذكورة والأنوثة) . . . هذه المقارنة هي أكثر تعقيداً. وذلك لأن إنشاء البعدين المذكورين، وكما سنرى لاحقاً، يتمّ وفق عملية مركّبة من المقارنة والتصنيف، يليها تعيين مواقع بإزاء أبعاد ومصنّفات، عيّنت، هي الأخرى، على قاعدة التصنيف الأولى.

أجزاء الكتاب

يقع الكتاب في أجزاء ثلاثة، بحيث يجيب كلّ واحد منها عن الأسئلة الفرعية الثلاثة. وقد اتبعنا في كتابة كلّ جزء الخطّة نفسها:

حاولنا وضع المسألة المطروحة في السياق البحثي الأعمّ الذي أحاط بمعالجتها، في علم النفس الاجتماعي خاصّة، واستعرضنا، من ثمّ، الدراسة الميدانية التي نفّذناها:

---

(16) تتمثّل «الاتجاهات الجندرية» بمعتقدات تتناول مكانة المرأة ومكانة الرجل في مجتمعنا، كما تتناول الأدوار التي يلعبها كل منهما بالتناغم مع المكانة المذكورة، وتتضمّن هذه المعتقدات وجوب الالتزام بأنماط من السلوك، دون غيرها. وتنطوي هذه جميعاً (أي المكانة، الأدوار، السلوكات)، على قيم معيارية، وجهة الصواب والخطأ، وحدودهما.

بدءاً بالطريقة المتبعة في إنشاء الأداة المستخدمة، مروراً بكتابة النتائج الإحصائية الناجمة عن معالجة المعطيات الأوّلية التي حصّلنا من حقل الدراسة الميدانية، وانتهاء بنقاش هذه النتائج البسيطة منها والمركّبة. . . وذلك من أجل الإجابة عن السؤال المطروح في ذلك الجزء.

في الجزء الأوّل، وهو بعنوان «في مرآتي الذكورة والأنوثة»، باشرنا، في الفصلين الأوّل والثاني منه، باستعراض «أزمة الذكورة» مدخلاً للنقاش الدائر حول الهويات المتحوّلة للرجال المعاصرين، والسُّبُل التي اختطتها الحركات الاجتماعية، في البلدان الصناعية خاصّة، في التعامل مع بروز الهوية النسائية الجديدة، محاولين رصد تعبيرات ثقافية متناثرة في بلادنا عن استجابات شبيهة بذلك البروز؛ وهي التعبيرات التي وثّقتها الدراسات القليلة عندنا.

ثم عرضنا بعد ذلك، في فصل لاحق، لـ«نظرية الأندروجينية» وقياساتها، وقمنا باستعراض لمسار إنشاء «استبيان صورة الذات الجندرية»، أي لمراحل تطبيق الاختبار التمهيدي ومعالجة معطياته الأوّلية التي سمحت بتعيين ملامح النموذجين الذكري والأنثوي المرغوبيْن اجتماعياً، وعيّنت سلالم «الذكورة» و«الأنوثة» و«الذكورة- الأنوثة» في «استبيان صورة الذات الجندرية».

وفي فصل أخير من هذا الجزء، قمنا باستعراض نتائج البحث الميداني الرئيسي المتعلّق بصورة الذات الجندرية. ورسمنا، استناداً إلى نتيجة بحثنا الميداني، الخريطة الجندرية للشباب الجامعي اللبناني، مجتمع هذا البحث، (انظر في الفصل السادس من الجزء الأوّل تسويغاً لاختيار ذلك المجتمع في دراستنا الميدانية)، محاولين رصد التشابه والتباين بين الفئات المدروسة: النساء والرجال، المسيحيين والمسلمين، الأصغر سنّاً والأكبر سنّاً، مرتادي الجامعات الخاصّة ومرتادي الجامعة الرسمية، طلاب الكليات الاجتماعية والإنسانية وطلاب الاختصاصات العلمية والتقنية، المراتب الاجتماعية الأعلى والأدنى، أولاد الأم العاملة في مهنة خارج منزلية وأولاد الأم العاملة في المنزل، الساكنين في مناطقهم التي ولدوا فيها (الثابتين) والساكنين في مناطق لم يولدوا فيها (المتحرّكين) إلخ.

في الجزء الثاني «فتاة الأحلام وفارس الأحلام: الشريك في التصوّر»، الذي يطمح للإجابة عن السؤال الثاني، (من هي فتاة أحلامه؟) نمهّد للموضوع في فصل أوّل بعرض

الاهتمامات البحثية في مسألة اختيار الشريك، من منظورات مختلفة. أما الفصل الثاني فخصصناه للدراسة الميدانية الرئيسية: نتائجها ونقاشها بحسب تغيّراتها المتأثّرة بعوامل مختلفة، من تصوّر الذات الجندرية للجنسين، أساساً، إلى العوامل الديمغرافية والاجتماعية، بدرجة ثانية.

الجزء الثالث والأخير يتناول «المعتقدات نحو المرأة والرجل» للإجابة عن السؤال الثالث المطروح (ما هي اتجاهاته (الشباب) نحو أدوار المرأة والرجل في مجتمعاتنا؟)؛ وحيث إن التمييز أو التعصّب ضد المرأة ليس غريباً تماماً عن التداول في الدراسات النفس اجتماعية العربية، فإن «العدائية ضد الرجل» ما زالت موضوعاً غير مطروق، في حدود علمنا. ونحن تناولنا كلاً من الموضوعين في فصل مستقلّ؛ تلاهما، في فصل ثالث، استعراض تفصيلي لمسار إنشاء الوسيلة البحثية التي اعتمدنا لقياس «الاتجاهات الجندرية» - القبول أو الرفض للمنمّطات والأفكار وضوابط السلوك إلخ السائدة حول المرأة والرجل. الفصل الأخير من هذا الجزء مخصص لنتائج البحث الميداني الرئيسي حول الموضوع، ومحاولة إبراز العوامل النفسانية والاجتماعية المؤثّرة في تصنيف الرجال والنساء بين منفتح على التحوّلات الجندرية، وبين رافض للاعتراف بها.

ونختم أخيراً بإلقاء نظرة بَعْدية على بحثنا بمجمله، تتجاوز حدود الدراسة الميدانية، دون إهمالها، لنرى مواقع الرجال والنساء بعضهم بإزاء بعض، لعلّنا نفلح في تعيين مجالات وحدود «تغيّر» الرجال، مع تبدّل أحوال النساء في مجتمعاتنا.

كيف تقرأ هذا الكتاب؟

للقارئ المتخصص في علم النفس الاجتماعي، وفي علم نفس الجندر خاصّة، كلّ هذا الكتاب!

لكن القارئ غير المتخصص الذي لا «يستسيغ» الإحصاء، أو لا «يؤمن» به وسيلة ناجعة في جلاء الحالات النفسانية والنفس- اجتماعية... هذا القارئ يسعه «القفز» عن فصل أو اثنين، وعن بعض الأقسام، والحواشي، من بعض الفصول، وهي قدّمت بإيجاز شديد، على كلّ حال؛ ولا ضرورة للإشارة إليها فهي تفصح عن ذاتها.

الجزء الأوّل

في مرآتي الذكورة والأنوثة
(الثوابت والتحوّلات)

«الاكتشاف الأوّل لحركة تحرر المرأة، خلال مسارها، (سيكون) أن الرجال ليسوا أحراراً»
(Germaine Greer, 1970)
(مفكّرة نسوية)

«ما أروع أن تكون امرأةً في هذا العالم المشغول بخصوبته»
(محمّد سويد، 2006)
(سينمائي لبناني)

الفصل الأوّل

أزمة في الذكورة

تسمية وحيدة لمظاهر كثيرة

لعلّ واحداً من أهم المدارات التي تناولها الباحثون في حقل «الدراسات الرجالية» كانت البحث في ما اصطلح على تسميته بـ«أزمة في الذكورة»، والتي باتت مظاهرها ملموسة في كلّ ألوان الطيف الوجودي للرجال، بدءاً بالممارسات العامّة، (وأحد تعبيراتها، مثلاً، الحركة الرجالية المعروفة بـ«الشعري - الأسطوري» Mythopoetic)، وانتهاء بالاتجاهات الخاصّة، (المبثوثة في شكاوى الرجال على أرائك المعالِجين النفسيين، مثلاً)، مروراً بكل أشكال التعبيرات الثقافية، الصريحة منها والضمنية.

يقول لانسكي: «من الولايات المتحدة، وحتى أستراليا، إلى البلدان الأوروبية إلى اليابان. . . في كل هذه البلدان تمّ تشخيص حالة الرجال بأنها مأزومة. . . هناك أزمة في الهوية. . . بل إن هذه الأزمة بدأت تطلّ برأسها في البلدان النامية. . .»، (Lansky, 2001).

ومن تجليّات هذه الأزمة استواء الذكورة باعثة على الألم في حياة الرجال، لا مصدراً للقوة، كما ينبغي لها أن تكون. ويرى كِمِل، الباحث في شؤون الجندر، أن ذلك ناجم عن واقعة أن القواعد التي أُنشئت للرجولة باتت تلائم قسماً ضئيلاً من الرجال، وأنها غير مناسبة لأكثرهم. «فقلّة ضئيلة منهم يسعها أن تفاخر بأنها الشجرة الأصلب. . . . الأوفر جرأة والأكثر عدوانية». إن صورة الرجل المعاصر قد هبطت بطريقة درامية، قياساً على الذكورة ومعانيها السابقة، (Kimmel, 2004).

يرى إيستهوب، في دراسته التحليلية لأوجه التعبيرات الشعبية الثقافية للذكورة

وأساطيرها، بأن «الذكورة في أزمة»، وبأن مصدر هذه الأزمة يتمثّل بأنه ما عاد بمقدور هذه الذكورة أن تكون «غير منظورة» invisible - الشرط الضروري لديمومتها، ولضمان استمرار هيمنتها. وبأن مجرّد الكلام عنها يشكّل تهديداً للأسطورة المحيطة بها. والرجال المعاصرون، وإن اختار بعضهم ألاّ يخضع لسطوة هذه الأسطورة المبثوثة في التعبيرات الثقافية، لا يسعهم العيش خارجها تماماً بسبب هيمنتها الشاملة وانتشار تأثيراتها، (Easthope, 1992).

لكن ما هي مظاهر هذه الأزمة؟

هي، وكما دعاها لانسكي، «أزمة في الهويّة»، تتمثّل بـ«اندحار الذكور» أمام الإناث؛ ويلخّص لانسكي أسباب ذلك الاندحار بـ«الطريقة التي قامت بها المكتسبات النسائية الاجتماعية والاقتصادية بنسف هويات الذكر التقليدية وأدواره»، في حين كانت هذه الأدوار وتلك الهويات، في توهّم الذكور، غير قابلة للاهتزاز؛ هناك أولاً، برأي لانسكي، الإعالة- فالرجل لم يعد المعيل الحصري للأسرة. هناك أيضاً الدور الإنجابي- الذي بات متاحاً للنساء بفعل تطورّ وسائل منع الحمل وتقنيات إمكانية حصوله بدون الذكور. هناك، ثالثاً، تطوّر شعور القوة والثقة بالذات لدى النساء - وتراجعهما لدى الرجال، (Lansky, 2001). فبدا وكأن إقصاء النساء عن المجالات التي اعتُبرت رجالية في الأنظمة البطركية لم تكن عبثاً، بل شرطاً ضرورياً لازدهار هوية الرجال، ورافعة لذكورتهم؛ وعلى العكس من ذلك، فإن «اقتحام» النساء لهذه المجالات أحدث اضطراباً، لا يمكن إغفاله، في هوياتهم الجندرية- في إحساسهم بذكورتهم، (Eakin, 2000). لقد بدا الرجال بطيئي التأقلم مع هذه التغيرات. «فالجهد الذي وضعوه من أجل تحقيق ذكورتهم كان كبيراً»، لا يمكن التخلّي عن ثماره بسهولة، (Lansky, 2001).

وترى إيكِنْ بأن الرجال المعاصرين باتوا مهتمين بأجسادهم أكثر بكثير مما كانوا منذ خمسين سنة، مثلاً؛ ويتمثّل ذلك الاهتمام بميل قهري لممارسة الرياضة، كما بتضخيم أجسادهم باللجوء إلى عقارات من البروتيين والستيرويد والتستوستيرون والفياغرا، وكل ما يجعل ذكورتهم بارزة تعويضاً عن شعورهم بالضعف وضآلة «الحجم»؛ وتؤكّد الكاتبة أن هذا من علامات «أزمة الذكورة»، وتستند إلى بوب وزملائه في كتابهم عقدة

أدونيس، لوصف الميل القهري المذكور بأنه تعبير عن «ذكورة مهدّدة» جعلت من أجسادهم فسحة يسعهم، عبرها، استعراض ذكورتهم[1] (Eakin, 2002).

هذا، ويرى الباحثون في علم نفس الجندر بأن تنشئة الذكور في ظلال النظام الأبوي تهدف إلى جعلهم يتماهون مع النموذج الافتراضي للذكورة: لأن يكونوا أقوياء، عدوانيين، توكيديين، ومنطقيين... ولأن يكونوا، بدرجة أساسية، المعيلين الحصريين لأسرهم؛ لكن تحقيق رجولتهم/ ذكورتهم يعتمد أيضاً، وفق هذه التنشئة، على قمع مشاعرهم وإخفاء ضعفهم وهشاشتهم واتكاليتهم... أي نفي كل ما يشير إلى «أنوثتهم». هكذا، فإن الرجال الذين نشأوا في المجتمعات الأبوية على نفي الأنوثة من هوياتهم، وعلى تبجيل ذكورتهم، يعيشون، حالياً، مشاعر الاختلاط والحيْرة بسبب تراجع حصرية الأسباب التي أفضت سابقاً إلى فخر واعتزاز آبائهم: الذكورة في نسختها البطريركية/ الأبوية. فالواقع الحالي، ومتطلّبات شراكتهم مع النساء المعاصرات يعرّضانهم لأشكال من الضغوط لم يتهيّأوا لها؛ إذ تعيّن عليهم أن يلتزموا بعلاقات ما عادوا يشكّلون مرجعيتها الحصرية ولا يملكون كل مفاتيحها. إن «أزمة الذكورة» تتمثّل، من هذا المنظور، بانهيار بعض من أهم قوائمها، فمكانة «المُعيل الحصْري»، مثلاً، لم يقابلها تقدّم فعلي في دور الشريك الأَسَري الذي فرضه تبدّل مكانة النساء وأدوارهن. والفخ الذي يجد الرجل المعاصر نفسه فيه يتمثّل بكونه غير مهيّأ لخسارة امتيازات مكانته وأدواره التي منحه إياها تماهيه مع الذكورة الأبوية. وهو لا يملك، في الوقت نفسه، الدافعية لتبنّي الأدوار الجديدة التي نجمت عن شراكته الجديدة مع النساء، (Horroks, 1994).

---

(1) هذه الظاهرة تتجاور مع ظاهرة تبدو مضادة تُعرف بـ«تأنيث الرجال»؛ وهذه تتمثّل بميل هؤلاء للعناية بأجسادهم وبلباسهم على الطريقة «الأنثوية». ويرعى ذلك الميل ويعززه التسويق التجاري لمستحضرات ومستلزمات وثياب إلخ، باتت من الضروريات بعد أن كانت غير معروفة. وفي تحقيق لرصد اتجاهات الرجال في المملكة المتحدة نحو استخدام هذه المواد الاستهلاكية، مثلاً، صرّح الرجال المستجوبون بأنهم مستعدون لاستخدام منتجات كانت تعتبر في السابق «أنثوية»، وذلك بدرجات متفاوتة، بحسب أعمارهم، ومهنهم، واتجاهاتهم (تقليدية- غير تقليدية)، شرط ألا تكون مسيئة لـ«القيم الذكرية»،
"Factfile: Reaching the Feminine Side of Men" (Marketing week, London: jan 27, 2005, p38).

يضاف إلى ذلك، وجود أزمة تواصل بين النساء والرجال ناتجة عن التغييرات البنيوية الأساسية التي طاولت أدوار النساء في الخمسين سنة الماضية ودخولهن بأعداد، تكاد أن تصبح مساوية لأعداد الرجال، إلى سوق العمل وشيوع ظاهرة الدور المزدوج لديهن، بعد أن كانت أدوارهن محصورة في الأدوار الأسرية. وقد قامت النساء بإدماج القيم، والأخلاقيات المتعلّقة بالحب والأسرة والعناية، مع قيم جديدة كالاستقلالية وضرورة التمهين، بحيث أصبحت الإنجازات الخارج أسرية جزءاً من تعريفهن لذواتهن. . . بالمقابل، فإن غالبية الرجال لم يتبنّوا تغييرات شبيهة في تصوّراتهم لذواتهم، ولا زالت غالبيتهم متمسكة بالتعريفات السالفة والإيديولوجيات القديمة للذكورة. وهم ما زالوا يضعون عملهم وإنجازاتهم الفردية في مرتبة أعلى من الحميمية والانخراط في الحياة الأسرية. وهم يتعرّضون لضغوط جديدة تتمثّل بضرورة الالتزام بالعلاقات التي يقيمونها مع النساء، وبالتعبير عن مشاعرهم الدخيلة، وبالمشاركة في العمل المنزلي كي لا تضطر المرأة للعمل بدوام ثان كامل، وبدمج الجنسانية مع الحب، وبكبح عدوانيتهم وعنفهم. وكلّ هذه الأمور تقوّض أسس الذكورة التقليدية، وتتجاهل إيديولوجيتها. إن أزمة التواصل هذه تتجلّى في الارتفاع الكبير في معدّلات الطلاق في المجتمعات الصناعية، خاصّة، حيث يحق للمرأة المبادرة بالطلاق. ويلي ذلك الطلاق حربٌ يشنّها الاثنان من أجل الحصول على حضانة الأطفال؛ هذه الحرب تربحها النساء، في العادة، الأمر الذي يجعل أزمة التواصل أكثر حدّة وأكثر مرارة، (Levant, 2001).

ويرى وايتهيد أن بذور الأزمة تنغرس في المراحل الأولى من اختلال التنظيم الذي انتاب المجتمعات الصناعية. والذكورة التي كانت ثابتة وملموسة، بدأت تتعرّض للاهتزاز. وكان السيكولوجيون قد عبّروا، في بداية الخمسينات، عن «أزمة في الذكورة» حين أشار بعضهم إلى أن تنشئة الذكور الاجتماعية لم تعد ثابتة ولا ملموسة، بل باتت مخترقة بالشك؛ وذلك حين طُلب إلى الذكور إظهار السمات الانفعالية- سمات الأنوثة التقليدية- والحفاظ، في الوقت نفسه، على الوظائف الوسيلية «الطبيعية»، (Whitehead, 2002, 17).

الحروب وازمة الذكورة

هذا، ويجد البعض بأن تحليل خطاب الإدارة الأميركية بعد هجمات 11 أيلول،

يشير إلى أنها لا تعلن «الحرب على الإرهاب» فحسب، إنما تخوض، بالتلازم، حرباً داخلية للدفاع عن الذكورة التقليدية، (Okun, 2002). وتُحيل إيكِنْ الوضع الماثل حاضراً إلى التاريخ الأمريكي، غير البعيد، للتسويغ للحروب الاستعمارية. فغاية هذه الحروب لم تكن غائبة تماماً، برأيها، عن أذهان الذين أشعلوها؛ ومن هؤلاء روزفلت الذي أعلن عن تدهور قومي في الذكورة لتبرير الانخراط في مشروع التوسّع الامبريالي في القرن الماضي» (Eakin, 2000). بل إن بعض الكتّاب الأميركيين في موضوع الذكورة صنّفوا الوحشية التي اتسمت بها الانتهاكات ضدّ الأسرى العراقيين في سجن أبو غريب تحت عنوان «أزمة في الذكورة » الأميركية، (Enloe, 2004).

وفي بلادنا الموبوءة بأنماط الحروب المختلفة، مثلاً، يلجأ الشبان إلى السلاح والعنف من أجل إعادة توكيد هويتهم الذكرية المهددة(2). وحين لا يكون السلاح متاحاً، كما كانت حالة الفتيان الفلسطينيين إبّان الانتفاضة الأولى، يصبح هؤلاء موضوعاً سهلاً للضرب الوحشي على أيدي جنود الاحتلال الإسرائيلي، وتصبح آثار الضرب والتعذيب على أجسادهم «طقوس عبور إلى الرجولة». لكنها طقوسية فردية، لا تشارك فيها الجماعة كما هي حال الطقوس عادة، لأن الجماعة، في هذه الحالة، لا يسعها حماية أفرادها. وتُمسي آثار الضرب والتعذيب علامة تعميد هؤلاء الفتيان «رجالاً»، ممهّدة لهم تبوّؤ مواقع القيادة في أُسرهم ومحيطهم المحلّي. وتنطوي هذه الرجولة على خرق قواعد التراتب الاجتماعي، إذ يصبح الفتيان أعلى مرتبة من آبائهم لأنهم يصبحون حماة هؤلاء الآباء، بدل أن يكون الآباء حماة أولادهم. ويعيد فعل تلقّي الضرب إنتاج سلطة الرجل على أسرته، النساء فيها خاصّة. «وقد شكت زوجات شابات وشقيقات فلسطينيات أن أزواجهن وأشقاءهن يعودون من التحقيق والاعتقال بسطوة متجددة تعبّر عن نفسها في محاولات لفرض السيطرة على حراكهن»، وعلى أسلوب لباسهم، وعبر فرض التحجّب عليهنّ. وقد صرّحت زوجات هؤلاء، ولاحظت ناشطات وباحثات اجتماعيات، أيضاً، تصاعد وتيرة العنف الأسري، لأن الرجال الذين يتعرّضون للضرب «يعودون إلى بيوتهم ويمارسون العنف بحق النساء»، (بيتيت، 2002).

وتجد لويد أن «التائبين» من الإسلاميين في حرب الجزائر الأهلية الأخيرة، أو

---

(2) انظر، مثلاً، سيرة يوسف بزّي الذاتية نظر إلي ياسر عرفات وابتسم: يوميات مقاتل، دار الكتب للنشر، بيروت، [illegible]

الأفغان العائدين من حروبهم ضد «الكافرين»، مثلاً، يُعامَلون من قِبَل أقرانهم بوصفهم أبطالاً، على الرغم من أن موضوع بطولاتهم يتمثّل بالوحشية التي مارسوها على أعدائهم، من كلّ صنف، وبأفعال اغتصاب نساء هؤلاء، (Lloyd, 2004).

من جهة ثانية، فإن ارتباط الحروب بالذكورة تجعل من الرجال أنفسهم ضحايا. فيتم طعن هؤلاء الرجال في ذكورتهم، عبر وضعهم في موقع المتلقي للعنف والانتهاك الجنسي خاصّة. فانتشار صور الانتهاكات الجنسية للرجال في سجن أبو غريب العراقي، لا يستثير الأسى والتعاطف مع الرجال الذين تعرّضوا للتعذيب النفسي والجسدي على أيدي جلاديهم فحسب، إنما يؤشر، بفصاحة، إلى الإذلال المعنوي الكبير الذي أصاب ذكورة العراقيين من جرّاء الاحتلال، (Jones, 2004).

وفي كلامنا اليومي، وعلى سبيل المديح، يُنعت الرجل المحارب بالرجولة. وقد تمّ نعت رؤساء الدول الذين رفضوا مسوّغات إشعال الحرب في لبنان في صيف 2006، مثلاً، بـ«أشباه الرجال»[3]، وأطلق على الحرب نفسها، من قبل نافخي النار فيها بـ«اختبار لرجولة الأمّة»[4]. وفي معرض تحليل «ثقافة الحداد الموؤود»، يقول كاتب لبناني محللاً أسباب منع اللبنانيين من الحداد على قتلاهم- شهداء حرب تموز- إن من «يعجز عن حبس دمعته، تسقط رجولته»[5].

والروائيون اللبنانيون كانوا السبّاقين لالتقاط الصلة الطردية القائمة بين انتهاج العنف وامتهان دور المقاتل، من جهة، وبين الشعور باختلال الهوية الذكرية والوقوع تحت سطوة الأنوثة، من جهة ثانية. ومن هؤلاء من تماهى مع الأنوثة تجنّباً للعنف الخارجي، ثم عاد ورفضها بسبب أثرها التدميري على هويته الذكرية، (Katawi, 2004).

---

(3) وردت العبارة في خطاب بشار الأسد، رئيس الجمهورية السورية، أنظر مثلاً، جريدة النهار اليومية البيروتية في 17/ 8/ 2006.

(4) نقلاً عن عصام الخفاجي في مقالته «تأمّلات في جاذبية الموت للمهزومين»، جريدة الحياة اليومية (تيارات)، 27/ 8/ 2006.

(5) محمّد سويد، «الحداد الموؤود»، الملحق، جريدة النهار اليومية البيروتية، 27/ 8/ 2006. هذا، وكانت معاني «دموع السنيورة - رئيس مجلس الوزراء اللبناني» موضوعاً لسجال بين مناصريه الذين استلهموا شرعية دموع رجال عظماء من التاريخ، وبين معارضيه الذين أبرزوها علامة على الضعة والتخاذل، (أنظر، مثلاً، جريدة النهار البيروتية، 26/ 9/ 2006).

تجذّر الأزمة

إذا كانت الحروب ذات الصلة المتجاذبة الوقع من وقود أزمة الذكورة، يسع المرء استنتاج زوالها بزوال تلك الحروب. لكن بعض الباحثين يرون بأن أزمة الرجولة في المجتمعات الحديثة ليست طارئة، بل هي متجذّرة في بنية المجتمع الصناعي الحديث الذي حرم الأطفال الذكور من آبائهم وشجّع هيمنة الأمهات ؛ فنتج عن ذلك «ذكورة مؤنّثة»، قامت بتعزيزها لاحقاً شريكات وزوجات «خاصيات». بل إن النظام المؤسسي العالمي قمع الرغبات الذكرية العميقة المتمثّلة بـ«الرجل المحارب» المبرمج جينياً ليكون كذلك! (Rhode, 1997, 231).

أما هورروكس فيرى أن أزمة الذكورة لم تنشأ بنتيجة ظرف تاريخي، بل هي موجودة، بالقوّة، في تكوينها الناشئ عن موقعها في النظام البطريركي؛ فـ«الذكورة البطريركية تعطب الرجال»، وهو ما كانت التحليلات الجندرية قد أهملته، برأي هورروكس، لأنها انشغلت بالآثار المدمّرة التي أحدثتها اللامساواة الجندرية على النساء. صحيح أن معاناة النساء في ظل النظام البطريركي تفوق معاناة الرجال أضعافاً، لكن هذا لا يعني أن آثار الجندر البطريركي على الرجال ضئيلة . فالهوّة التي تفترضها الثقافة الاجتماعية الغربية بين العقلانية والانفعال، تدفع بالرجال لاعتناق دورَي الفاعل والمفكّر على حساب دور المُنفعل. وهو ما يجعل قدرات الرجال العلائقية قاصرة، ويفضي بهم إلى العزلة وإلى المبالغة في «الدماغية» cerebral. ويتم تدريب الرجال ليصبحوا «مغاوير» للبطركية؛ أي لأن يمارسوا العنف لا ضد النساء فحسب، إنما ضد الرجال الآخرين، وضد الأعداء في «دواخلهم». وينطوي ذلك على توحّش الرجال الجسيم وتجريدهم من صفاتهم الإنسانية. ومن مفاعيل ذلك استواء الرجال أنفسهم مواضيع كمّ هائل من العنف على أشكاله، لعلّ أكثره بروزاً يتمثّل بالقتل والانتحار؛ وتتجلّى في الحروب أبهى صورة للمازوشية الذكورية حيث يصبح الموت في سبيل الوطن هدفاً أسمى.

وهشاشة الجندر الذكري تجعل الذكورة هوية غير مريحة لرجال كثيرين. ذلك لأنها، جزئياً، وبرأي هورروكس، بمثابة دفاع ضد الهوية الأنثوية. من هنا، فإن تواطؤ الرجال مع البطركية الجندرية، وتبنّيهم دور القمع الذي يوليهم النظام البطريركي مهام القيام به، أفراداً وجماعات، إنما يبتُرُ الرجال نفسانياً؛ فالذكورة «المناضلة» هي تعنيف للذات وتدمير لها. وحين يكره الذكور النساء فإنهم، واقعاً، يكرهون ذواتهم.

ولا ننسَ، يقول هورروكس، أن النساء يُمسكن بزمام الأمور في مجالات حياتية ملموسة ونافذة، يخشاها الرجال، وترمي الهيبة في قلوبهم. وتغفل الدراسات الجندرية موضوع سلطة النساء على الرجال، لكن الدراسات الانثروبولوجية تظهره؛ وهو يطفو، تلقائياً، على سطح العلاج النفسي. هذه السلطة تستمدها النساء، أوّلاً، من وظيفتهن الأمومية، ومن انفعاليتهن الظاهرة، ومن جنسانيتهن وقدراتهن الإنجابية، ومن كونهن، أخيراً، تذكيراً مستمراً للأنوثة المقموعة داخل الرجل، والتي يسعى أكثر الرجال لدحرها وتدميرها، (Horrocks, 1994).

الأزمة من منظور نفساني

من منظور نفساني، ليست «أزمة الذكورة» التي يعيشها الرجال المعاصرون، ولِيدة الظروف الواقعية حصراً؛ بل إن بذورها كامنة في الآلية التي ترعى تشكّل الهوية الجندرية في طفولة الذكر. ويجمع الباحثون في علم نفس الجندر، على تباين مذاهبهم، على أهمية الاختلاف في تشكّل الهوية المذكورة. فمن منظور التحليل النفسي، مثلاً، تبدأ اللحظة الحاسمة في مسار هذا التشكّل عند إدراك الفروق الجسمانية بين الجنسين، وتتبلور مع تداعي سلسلة ردود الفعل النفسانية على هذا الإدراك، (Mitchel, 1974). ومن منظور «العلاقة بالموضوع» Object Relation Theory، يبرز التفرّد والتمايز individuation عن الأم - موضوع التعلّق الأولي- والعمليات النفسانية المرافقة لهما محوراً رئيسياً في انبناء الذكورة لدى الصبي الصغير، (Chodorrow, 1979).

وإن كانت المدارس النفسانية الأخرى، لم تجعل للهوية الجندرية موقعاً محورياً في تشكّل الشخصية، كما فعل التحليل النفسي، مثلاً، ولم تُولِها الأهمية ذاتها في نظرياتهم حول الشخصية، إلاّ أنها تبنّت، دون مراجعة، «بداهة» تعارض الأنوثة والذكورة، وضرورة التنافر بين الأنوثة والذكورة شرطاً ملازماً لتشكّل هوية جندرية سويّة. والقياسات النفسانية المعتمدة في ميادين علم النفس، والتي تتضمّن البُعد الجندري هي مثال مهم على ذلك؛ فهي جعلت «الأنوثة» و«الذكورة» على بُعدٍ واحدٍ ذي قطبين متضادين unidimentional opposite bipolar بحيث يغدو الابتعاد عن الأنوثة شرطاً ملازماً لتحقيق الهوية الجندرية لدى الذكور، ولا تتحقق أنوثة الإناث إلا بنفي ذكورتهن، (Constantinople, 1973).

هذا الانشغال بالاختلاف والتعارض يترافق لدى الذكور، مع تبخيس لقدر الأنثى والأنوثة. وهو تبخيس يجد «ضروراته»، وفيما يهمنا هنا، في أمرين متلازمين يتمثل أوّلهما بضرورة تحطيم العلاقة والتماهي مع عالم الأم «المدهش والساحر» شرطاً ضرورياً للولوج إلى عالم الرجال، و«استحقاق» الانتماء لعالمهم؛ والتغلّب، ثانياً على الشعور البدائي الباعث على الرعب من الأم الكليّة القدرة في أوالية نفسانية طفولية، تُحيل كل ما هو مخيف إلى بَخِس دونيّ. أي إن تبخيس جنس الإناث السائد في المجتمعات الأبوية عامّة، ما هو إلاّ تعميم لتبخيس قدْر الأم، سعياً لاحتواء الخوف الذي تبعثُه في الطفل، ورغبة بنفي اعتماديته عليها، وإحساساً بالحسد تجاهها، والشعور بالتهديد من جبروتها، (Dinnerstein, 1976)؛ والتبخيس المذكور يملك وظيفة محورية في الاقتصاد النفسي للذكر الصغير تتجاوز، برأي الباحثين المنظّرين للمسألة، ملاحظة الواقع المُعاش في الأنظمة الأبوية، بل لعل هذا الأخير من بعض نتائجها. فهو يؤشّر إلى سعي محموم يبذله الطفل لكبت أنوثته الخاصّة- أو كل ما يشير إلى شَبَهِهِ بأمّه- في سبيل تحقيق ذكورته. إن تحقيق الذكورة يُعاش من قِبل الطفل، وانسجاماً مع فكره الطفولي الذي يصنّف الأمور عل أبعاد أحّادية مزدوجة القطب. . . يعاش عبر نفي أنوثته - المضادّة لذكورته؛ فيؤدّي به ذلك، وفي عملية دفاعية، إلى المغالاة في إنكار أنوثته، وتبخيس وكُرهِ كل ما يرتبط بها: الأم-الأنثى الأولى والنموذج الأوّلي prototype لأنوثته الخاصة به. هذا التبخيس لا يلبث أن يتعمم على جنس الإناث كافة لأنهن يجسّدن، في الواقع الماثل أمامه، ما يمقته في نفسه؛ وذلك في أوالية نفسانية مألوفة في حياتنا النفسية هي الإسقاط. ومن مظاهر هذا الإسقاط العنف عامة - والعنف ضد النساء خاصة- تجسيداً مبالغاً فيه عن الذكورة في أكثر مظاهرها فجاجة واستعراضية.

إن لحظة تشكّل نواة الهوية الذكرية تنتمي إلى فترة الطفولة الأولى، لكن مسار تشكّلها يبقى قيد التحقق في سنوات الرشد؛ وعلى التمثّلات المحيطة بها أن تخضع، ككل التمثّلات الطفولية، لتجريب وفحص مستمرّين على محكّ الواقع المُعاش من أجل إعادة ملاءمتها معهما (الواقع والمعاش)، ومن أجل إعادة استيعابها في البنية المعرفية الأكثر رشداً- الأكثر رقيّاً والأكثر سواء- من منظور نفساني. لكن هل إن ذلك حتمي الحدوث؟

في الوضعيات العلاجية

يرى فوغل وزملاؤه، وكلّهم محللون نفسيون، في كتابهم المشترك علم نفس الرجال: منظور تحليلنفسي، أن المعطيات الهائلة التي تجمّعت من الأبحاث التي لاحظت سلوك الأطفال بعد فرويد، ومن الدراسات التي تناولت المرض النفسي والأشخاص المثليين و«المنحرفين»، ومن العثرات الكثيرة التي تعترض مسار تحقيق الهوية الذكرية إلخ، تشكّل، كلّها، متناً ثميناً يسمح بتوضيح المسار الذي يتبعه الذكور من أجل تحقيق ذكورتهم. هؤلاء المحللون النفسيون، (وعددهم أربعة عشر)، تناولوا نواحي مختلفة من علم نفس الرجال مستندين إلى تراث التحليل النفسي، أولاً، وإلى مقاربات، أكثر حداثة تقع على تخومه وتستوحي تحليلاته. نتكلّم عن نظريات «العلاقة بالموضوع»، «علم نفس الذات»، و«الانفصال- التفرّد» وغيرها. لكن إسهامهم في هذا الكتاب قام، أساساً، على خبراتهم العيادية، وتحليلهم لحالات محدودة من الرجال قاموا بالتماس التحليل النفسي لديهم علاجاً لاضطراباتهم النفسية.

وقام المؤلّفون بفحص هُوامات fantasies هؤلاء الرجال وواقعهم، تمنياتهم ومخاوفهم، صراعاتهم ودفاعاتهم الواعية وغير الواعية. هذا الفحص سمح لهؤلاء بوصف بعض المهام النمائية developmental التي يتعيّن على كل الرجال تحقيقها، والمشاكل التي تعترض تحقيق هذه المهام والمساومات العُصابية التي يلجأ إليها بعضهم، وصولاً إلى تحديد الوسائل التي يعتمدونها، هم ومحيطهم، من أجل حماية ذكورتهم. وفحص هؤلاء، أخيراً، بعض المآزق التي يجد الرجال أنفسهم فيها في الزمن المعاصر الذي يشهد تغييرات متسارعة في المعايير وفي المثالات الجنسية.

هذا، وقد خلُص الباحثون/ العياديون إلى النتيجة التالية: «إن مشكلة الرجال هي النساء». وذلك لأن الذكورة تُعرّف، غالباً، بالعلاقة مع النساء، وبالاختلاف عنهم. فالذكور في طفولتهم، كما في رشدهم، يعتمدون على النساء؛ وهو ما يغذي إحساسهم بالهشاشة حيال «تهديد» واعٍ، أو لاواعٍ، صادر عن هؤلاء. فيتعيّن على الرجال أن يتصارعوا، لا مع سطوة النساء الواقعية والمشوّهة بالتخييلات فحسب، إنما أيضاً مع صفات ونزوات تعتمل في دواخلهم. هذه الصفات هي، وفق تصوّراتهم، خاصّة بالمرأة. فالمرأة، من هذا المنظور، ليست مشكلة بسيطة قائمة بذاتها. هي تتخطّى ذلك، بفعل تعيينها من قبل الرجال، ممثّلة رمزية لكل ما هو غير مقبول، محتقر، منبوذ ومرفوض في شخصيتهم.

لماذا؟ يجيب الباحثون عن هذا السؤال بالتذكير أن أكثر ما يسمّى ذكورة أو أنوثة، إنما هو مشترك بين النساء والرجال؛ لكنه أُعطي معنى جنسياً لأسباب مختلفة. فالأنوثة تمثّل، في المجتمعات الغربية، خاصة، كلّ ما هو طفلي، اتكالي، لاعقلاني، نزوي، عجز، خواء ونقص. بل إن الرجل قد أسقط «البدائي» في داخله -الرغبات والمخاوف البدائية التي تعتمل بداخله- على المرأة. فتكثّف عندها كل ما يكرهه في نفسه. لذا نجد أن الرجال، وفي غمرة صراعهم مع هذه القوى البدائية وفي محاولة السيطرة على طبيعتهم، ومن أجل تثبيت تفوّقهم عليها- أي، من أجل تحقيق رجولتهم- فإنهم «محتاجون» لأن يُخضِعوا المرأة - التجسيد الحيّ لكل ما يتعيّن عليهم أن يخضعوه في ذواتهم، (Fogel et al, 1996).

الذكورة، بعدسة المحللين النفسيين، إذاً، انبناء صراعي دفاعي مطبوع بالخبرات الطفولية الأولى، ويشترك في اختبارها كل الرجال بفعل تكوين طفولي كَوْني تشترك فيه كلّ المجتمعات الأبوية المعروفة. وفوغل وزملاؤه المحللون النفسيون أصغوا، في الوضعيات العلاجية، لرجال أخفقوا في تحقيق ذكورتهم المرتجاة، ومعاناتهم هي، وكما هي حال العوارض النفسي وفق التحليل النفسي، تعظيم لمرات عديدة لمعاناة الرجال الأسوياء؛ لذا فإن حجم معاناة ملتمسي التحليل النفسي آية بيّنة على معاناة «الأسوياء»، ومؤشّر على تشبّث هؤلاء بأوهام طفولتهم العُظامية paranoiac، بديلاً للتجريب الواقعي المذكور سابقاً.

في تعبيرات الثقافة الشعبية

وإن كانت الوضعية العلاجية هي الوسيلة المعرفية الأهم في ميدان التحليل النفسي، إلا أنها ليست الوحيدة. فإيستهوب، مثلاً، استلهم النظرية الفرويدية الكلاسيكية وتعديلاتها في المدرسة اللاكانية، (نسبة إلى المحلل النفسي الفرنسي لاكان)، والنسْوية التحليلنفسية، ليقوم باستعراض التصوّرات ذات الصلة بالجندر، والمبثوثة في الثقافة الغربية الشعبية عامة، والإعلام المعاصر منها بخاصة. وهو قام بذلك سعياً لتحليل أسطورة الذكورة- كما يسميها- في تعبيراتها المختلفة. ويجعل الكاتب لنفسه هدفاً يتمثّل بنزع القناع عن الذكورة، وتعرية دوافعها للاستئثار بالدور الذي تدّعيه لنفسها، وتقديمها لذاتها بوصفها «الإنسان» والمعيار النهائي الشامل، مصدر الوجود المنظّم لاجتماع الناس.

ويبحث الكاتب في أفلام السينما، في الإعلان، البوسترز posters، في الأخبار التلفزيونية أو الصحافية، في الروايات، في المسلسلات التلفزيونية الرائجة، في الأغاني الشعبية، في الصور الفوتوغرافية، في قصص المجلات والجرائد، في الشرائط المتحرّكة، وفي غيرها من التعبيرات الثقافية الشعبية عمّا يعزز الذكورة في صيغتها السائدة. وهو يقصر اهتمامه على الثقافة الاجتماعية الغربية المعاصرة، الأميركية والبريطانية خاصة. فيقوم باستعراض معالم مختارة من تلك الثقافة، مسترجعاً، أحياناً، رموزاً من ماضيها الذي ما زال مؤثّراً فيها،(تمثال دافيد لمايكل أنجلو، رسم للمسيح. . . .). وحيث تحتل أفلام السينما ونجومها المساحة الأكبر مثل سوبرمان وبات مان ،أبطال أفلام الوسترن والحروب، أشخاص الإعلانات للسجاير وللبيرة، أبطال المسلسلات التي تستمر سنوات عديدة، إلخ. ولا ينسى أن يعالج أيضاً رموز الأنوثة «المناسبة» لهذه الذكورة، والمكمّلة لها بالطريقة ذاتها.

وقد توصّل الكاتب لأن يثبت أن تعريف الذكورة إنما يتحقق عبر الطريقة التي يحاول الرجل فيها أن يتعامل مع أنوثته، ومع اشتهائه الرجال الآخرين- مع الجنسية المثلية الكامنة فيه. هذا، وتسعى الأشكال والصورة المبثوثة في الثقافة الشعبية لأن تثقل كاهل الرجل المعاصر بفكرة وجوب كونه رجلاً على الدوام، وبكونه مدعواً للتعرّف على ذاته في «أسطورة الذكورة» المتمثّلة في هذه الأشكال وتلك الصور، والتي تدّعي للذكورة صفات: الطبيعية، السواء، الشمول، الثبات؛ وهو ما يجعل الرجال مضطرين لضبط كل ما يهدد هذه الصفات من الداخل، (عبر قمع أنوثتهم ورغباتهم المثلية)، ومن الخارج، (عبر قمع النساء ووضع حدود صارمة لتطلّعاتهم)، (Easthope, 1992).

من هذا المنظور، يبدو كره النساء إزاحة لكره الذكر لأنوثته الخاصّة، وحيث إن كره أنوثته وسيلة تحقق نفيها عنه، الذي يتناسب، بدوره، مع صلابة انبناء ذكورته. وكلّما كانت المرأة، التجسيد في الواقع لما يكرهه في ذاته، مغيّبة وغير منظورة، كان مطمئناً إلى صلابة ذكورته. وعلى العكس من ذلك، فإن بروزها في الواقع يُمسي تهديداً له. في هذا السياق، يبدو صعود النساء في زمننا المعاصر بمثابة «الحادث المفجّر» الواقعي لأزمة بنيوية كامنة. وحيث إن كمون هذه الأزمة يقوم على توازن متحقق بين ذكورة الرجل وأنوثته؛ هذا التوازن بدأ يهتز في الواقع بفعل تراجع دونية النساء وخضوعهن، وهو ما أطلق التداعيات النفسانية والسلوكية الذكرية- أزمة في الذكورة.

من منظور ثقافي- اجتماعي

من المنظور الثقافي الاجتماعي، فإن الهوية الذكرية، (والأنثوية، طبعاً)، ليست اشتقاقاً بسيطاً للبيولوجيا، ولا تأخذ شكلها بنتيجة صراع داخل- نفسي في مساحة المثلّث الأوديبي، فحسب؛ بل إن للثقافي وللاجتماعي موقعاً محورياً في تكوينهما. والشكل الذي تأخذه هذه الهوية، وإعادة إنتاج ذلك الشكل، تحكمهما طبيعة الصراع المفروض في الوضعية الخاصة من أجل البقاء. ولعلّ تقسيم العمل بين دائرتي الإنتاج وإعادة الإنتاج، الذي يكاد أن يكون سمة ثابتة في كل المجتمعات. . . . ذلك التقسيم لعلّه أهمها، (Gilmore, 1990).

يتناول غيلمور الطريقة التي يقوم بها الناس في مختلف ثقافاتهم الاجتماعية بإدراك الذكورة واختبار الرجولة. ويتبنّى الكاتب تعريفاً للرجولة هو «ببساطة، الطريقة المحبّذة التي ينوجد فيها الراشد الذكر في مجتمع معيّن»، ويحاول الإجابة عن السؤال التالي: لماذا يُعتبر «الرجل الحقيقي» في مجتمعات كثيرة حالة غير مستقرّة، غير مؤكدة، بل «جائزة» يتطلّب الحصول عليها صراعاً مستمراً؟ لماذا تقوم كثير من المجتمعات برسم صورة للرجولة عصيّة على الإدراك، قائمة على الاستبعاد عبر ممنوعات وطقوس وخبرات ومهارات من التحمّل خاصّة بها؟

ويقوم الكاتب بمقاربة للموضوع من زاوية أنثروبولوجية ثقافية متقيّداً بتراثها القائم على دراسة الحالات. ويقدّم أمثلة من ثقافات اجتماعية متفاوتة في درجة تحضّرها، وبالاستناد إلى معطيات حقلية أتنوغرافية، مستلهماً، أحياناً، الأساطير والحكايات التي أنتجتها تلك الحضارات، وفي أحيان أخرى نتائج باحثين درسوا ثقافات اجتماعية شبيهة.

ويستعرض الكاتب مقوّمات الذكورة في حوض البحر المتوسط (الأندلس، جزيرة كريت اليونانية، صقلية الإيطالية، المغرب. . . .)، المكان الجغرافي الأقرب لبلادنا من المجتمعات الأخرى المدروسة. ففي الأندلس وكريت، مثلاً، يجد الكاتب أن متطلبات أن «يكون» المرء «رجلاً» تتمحور حول الأفعال التالية: عليه أن يكون براغماتياً، مبادراً، مشاركاً ناشطاً في المجال العام محققاً فيه إنجازات ملموسة، باحثاً عن الشهرة والمجد والمغامرة بعيداً عن أمان واستقرار الدائرة الأسرية. عليه، باختصار، أن يكون شغوفاً بـ«المجال العام»، بارزاً فيه، خاضعاً لقوانينه.

ويقوم الكاتب بمقارنة التسميات التي تطلقها بعض بلدان البحر المتوسط على الذكورة «الحقّيقية»: الماشيزمو machismo في أسبانيا، الماتشو maschio في إيطاليا و«الرجولة» في المغرب؛ وهي تسميات تطلق لتصف عدوانية هؤلاء ، في مغازلة النساء بخاصة، الجسارة في السلوك، الفجور الجنسي،(يستثني الكاتب البلدان الإسلامية في حوض البحر المتوسط من هذه الصفة)، من أجل نشر ذرّيتهم- بوصفها الدليل الملموس على فحولتهم الجنسية. ولا تكتمل الرجولة بالإكثار من الذريّة، بل يتعيّن على الرجال الحقيقيين أن يقوموا بإعالة هذه الذرية، بوصفها المكوّن الرئيسي الآخر للذكورة. هذه الإعالة تنطوي على التضحية والتفاني في العمل، مهما كان حقيراً، لتحقيقها . وتلي سمتّي الإخصاب والإعالة صفة الشجاعة الجسدية والأخلاقية ومواجهة التهديدات للدفاع عن العائلة وشرفها، وتحقيق إنجازات منظورة في هذا المجال. (العائلة استبدلت في المجتمعات الأكثر تطوّراً في حوض البحر المتوسط بالتجمعات المهنية، مثلاً). والسمة المتضمّنة في كل ما سبق تتمثل بالقيام بالذات autonomy والاستقلالية شرطاً ضرورياً تسمح بالانطلاق لتحقيقها، حيث إن الفصل التام بين الجنسين في عالمين مختلفين تماماً- كما هو الحال في المجتمعات الإسلامية، مثلاً- هو تمهيد أساسي لتحقيق الاستقلالية المرجوّة.

بعد استعراضه لأوصاف الذكورة في ثقافات اجتماعية مختلفة من أصقاع العالم، يتوصّل الكاتب إلى الاستنتاج بأن فرضيته بشأن شمولية الذكورة ليست صحيحة تماماً. فالأمثلة المضادّة من بعض الثقافات الاجتماعية تنفي كون الذكورة بنية عميقة أو بدائية archetype(*) تخترق سطح الثقافات كلها لكنها، بالتأكيد، منتشرة في أكثريتها الساحقة. فأكثر هذه الثقافات الاجتماعية ترى إلى الذكورة اختباراً يتعيّن على كل ذكر اجتيازه تحت طائلة التهديد بحرمانه من هويّته الإنسانية. وبأن الذكورة تنطوي على هجومية تؤهّل صاحبها للتنافس الذي تفرضه قلّة الموارد. ولمّا كانت أكثر هذه الحضارات ترسم نموذجاً للرجل حاملاً أعباء إنجاز مهام الإخصاب وحماية الأتباع وإعالتهم فإنه يقع، تبعاً لذلك، في دائرتَي الخطر: الخارجية (الطبيعة، ساحة

(*) أرخيتايب archetype: مكوّن من اللاوعي الجماعي. ويمثّل الأفكار والصور اللاواعية، الموروثة والمتراكمة في لاوعي الناس الجماعي المشترك في مسار تطوّر البشرية حول موضوع معيّن (الله، الذكورة والأنوثة، الأم، إلخ).

المعركة. . .)، والداخلية (النكوص باتجاه الطفولة، الاحتماء بالنساء وفقدان الاستقلالية. . .)، (Gilmore, 1990).

من منظور تاريخي سياسي، يبيّن كِمْبرِل في كتابه أسطورة الذكورة موقع الرجال ومسار وصولهم إلى مواقعهم الحالية. وهو يشير إلى أن العمل في المصانع دفع بالرجال إلى ترك بيوتهم وأطفالهم وراءهم للعمل لساعات طويلة، وأن ذلك أدّى بهم إلى خسارة مزدوجة: إذ باتوا مستلبين حيال عائلاتهم أولاً، وحيال بعضهم بعضاً للضرورة التي يمليها التنافس في ما بينهم، ثانياً. ويرى الكاتب أن التنافس القائم بين الرجال ليس سمة ذكرية طبيعية (نشوئية)، إنما سلوك تكيّفي فُرض على الرجال بسبب التوقّعات التي تجعل منهم فاشلين، إن هم لم يسعوا ليكونوا معيلين ناجحين لأسرهم. فالرجال ليسوا، بالضرورة، آلات وضعت على هذه الأرض- كما تصوّرهم تايلر[6]، وهم ليسوا مواضيع للذبح بواسطة آلات الحروب. . . . وهم ليسوا، أخيراً، مستهلكين يلهثون خلف «الرواتب الأعلى»، الأمر الذي يعزز الاستلاب بوجهيه المذكورين، (Bruce, 2003).

أزمة في الذكورة عندنا؟

هذا وتوفّر الدراسات التي أجريت في بلادنا العربية حول الذكورة وصفاً وتحليلاً لبعض أحوالها في أيامنا. هذه الدراسات تتناول الموضوع من منظور جندري؛ لذا، فإن السياقات الثقافية والتاريخية والسياسية المحيطة بالذكورة حاضرة بقوّة. وفي عدد دورية الرائدة الخاص بالذكورة، الصادر العام 2004، أبحاث ومطالعات تشير إلى تباين الذكورات وتعدُّدها في مختلف البلدان العربية التي أجريت فيها هذه الأبحاث. وفيها تبرز الخصوصية الثقافية لتعيين مظاهر تلك الأزمة ووجهة تشكّل الذكورة البديلة وصيغها المستجدّة.

هذا، ويُجمع الباحثون في موضوع أزمة الذكورة عندنا على أن العوامل الأكثر تأثيراً في إبراز هذه الأزمة وتعميقها هي:

أوّلاً: تداعيات آثار العولمة الاقتصادية وتأثيراتها المباشرة على الأنظمة المحلية والهيكليات التنظيمية للمؤسسات التي أفضت إلى بطالة بنيوية، غير طارئة بين الناس،

(6) إشارة إلى فريدريك تايلر، رائد «الإدارة العلمية» Scientific Management الذي عمل لجعل العامل / الإنسان «آلة فضلى» للإنتاج.

وبين الرجال بدرجة أولى. والظاهرة الأكثر تعبيراً عن هذه البطالة في بلادنا العربية هي ظاهرة «ساندي الحائط» les hitiste في الجزائر- هؤلاء الشباب الذين لا مكان لهمْ في هذا العالم، لا لدى أُسرِهم التي لفظتهم إلى الشارع، ولا في المجال العام، مجال الذكور الافتراضي، بامتياز» (Lloyd, 2004). وحيث إن الإعالة هي الركيزة الأساسية لمفهوم الرجال لذكورتهم، فإن البطالة لا تسلب الرجال السلطة التي توفّرها لهم قدرة الإعالة على أسرهم فحسب، بل مفهومهم لذواتهم ومشاعرهم بالقيمة الذاتية، (حجازي، 2005).

ثانياً: يرتبط العامل الثاني بالعامل الأوّل، ويتمثّل بخرق «المجال الأسري الخاص» الذي أحدثته ثمار الحداثة، ويتعزز بتأثيرات العولمة الثقافية المتعاظمة. هذا المجال- حصن الرجل الأخير- الذي مارس فيه الرجل، مدعوماً بقوانين الأحوال الشخصية، سلطة مطلقة بطريقة جعلته بمنأى عن تحدّيات تأثيرات «العام» وحتى أمد ليس ببعيد. لكن التغيير الجذري المتمثّل بتقدّم وضع المرأة في التعليم، وتزايد ظاهرة تقاسمها والرجل عبء الإعالة، لم يسلب هذا الأخير حصرية وظيفة الإعالة هذه فحسب، بل سلبه سلطة حماية «نسائه»، وما ينطوي ذلك على حق مراقبتهن وشروط تقييد حركتهن وإمكانية ضبط جنسانيتهن. وتتقلّص إمكانية هذه الحماية وذلك التقييد، إلى حدّ أدنى بفعل الهجرة الداخلية (من الأرياف إلى المدن)، ولضرورة الهجرات الخارجية.

والجدال العام الذي دار حول «ختان الإناث» في مصر على خلفية تداعيات مؤتمر السكان العالمي في القاهرة العام 1994، يعبّر عن حالة قصوى من الخرق المذكور. فحيث تمثّل ممارسة ختان الإناث التعبير الأقوى عن الرغبة بضبط جنسانية الإناث في خدمة الإعلاء من ذكورة الرجال، فإن النقاش الكوني حولها كان بمثابة «فضح» علني لهشاشة تلك الذكورة غير القائمة بذاتها، بحيث بان على الملأ أنها ترتكز، بدرجة غير قليلة، على إلغاء شهوة النساء، أو خفضها في أقلّ تقدير؛ هذا الخفض، أو ذلك الإلغاء، يتمّ رفقاً بفحولة الرجل؛ فهذه الفحولة إذ تتحقق عبر قمع جسد النساء، فإن اكتفاءهن الجنسي يصبح سهل التحقيق ولا يتطلّب فحولة «كبيرة». لقد بدا، في خضم النقاش المذكور، وكأن سلطة الرجال، ومن بعض ركائزها خضوع النساء، لا تعتمد على هيبة الرجال ولا على فحولتهم الذاتية، إنما وبدرجة أولى، على قمع النساء بالعنف الممارس على أجسادهن ، وعبر تشويه أعضائهن التناسلية، (Jhonson and Green, 2004).

ثالثاً: وكما كان صعود المرأة الاجتماعي محرّكاً لأزمة الذكورة في الغرب ومن

بعض وقودها، فإن صعود النساء عندنا كان ذا أثر شبيه. فإذ يتمّ تعريف الذكورة على خلفية التفاوت والاختلاف مع الأنوثة، تبرز أهمية الحفاظ على هذا التفاوت وذلك الاختلاف. من هنا، انصبّ اللوم على الحركات النسائية العربية المتأثّرة بالإيديولوجيات الغربية، وجرى اتهامها بالسعي لإلغاء ذلك التفاوت وهذا الاختلاف. وتحمل الحركات الإسلامية لواء ضرورة تثبيت التفاوت المذكور؛ وهي تجتمع، على تباينها، على قمع النساء. فهي تجد في صعودهن عندنا تعبيراً عن غزو الغرب الثقافي، وتعبيراً صارخاً عن ولوج هذه الثقافة إلى عقر دارهم، وكاشفاً عن هيمنة هذه الثقافة عليهم، وتراجع فعاليتهم أمامها. من هنا، فإن قمع النساء بمثابة استرداد لبعض تلك الهيبة المسلوبة. ويتمّ ذلك تحت ستار «الفضيلة» و«التبتّل» بما هما طريقة في الحياة بمتناول الفقراء والمحرومين، خاصّة، من إنعامات الحياة الغربية المعاصرة. فتبدو الذكورة، من هذا المنظار، منشغلة بمهام السيطرة أكثر مما هي مدفوعة بالإنجاز- ذكورة دفاعية في أفضل الأحوال، (Conway- Long, 2004).

رابعاً: مع هجرة الرجال العرب التي تزداد تعاظماً مع الحروب ومخلّفاتها، تبرز مظاهر إضافية لـ«أزمة في الذكورة» خاصّة برجال مجتمعاتنا، باتت تجد طريقها إلى التوثيق في الدراسات العبر- قومية trans- national. هذه الأزمة تتعلّق بالشعور بفقدان السلطة التي وفّرتها لهم معايير الذكورة التي تربّوا عليها، وحيث إن استعادة هذه السلطة مجدداً تفترض الخضوع لمعايير خاصة بالمجتمعات الجديدة، لا يملك هؤلاء شروط حيازتها.

في استعراض الباحث الأنثروبولوجي حاج، مثلاً، لـ«حالة عادل» - المقاتل مع «القوات اللبنانية» في الحرب الأهلية سابقاً والمهاجر إلى الولايات المتحدة من لبنان، حالياً - نتعرّف على نموذج من تجليّات هذه الأزمة: العجز في الأداء الجنسي. هذا العجز، يراه حاج تعبيراً عن مشاعر من الدونية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تنتاب عادل تجاه زوجته وأهلها، (الأعلى في السلّم الاجتماعي، والذين هاجروا إلى الولايات المتحدة قبله فباتوا مواطنين مستقرين؛ فهو مواطن أميركي بـ«فضل إنعماتهم»)، وعن لاحيلة helplessness في مواجهة المعايير والقوانين الأميركية التي تُمعن في تمكين النساء والأولاد وفي التدخّل في «المجال الخاص» الذي يفترض أن يكون مجال سلطته المطلقة. ويجد حاج أن عادل يعيش غربته، بل تهميشه، بوصفهما «نقصاً»/ تأنيثاً/ سلباً لذكورته. ويحيل التعبير عن تلك الغربة بالعجز الجنسي إلى محورية «القضيب»

وانتصابه، (لا الفالوس phallus)، في الممارسات الثقافية في الوسط المحلّي الريفي حيث تمّت تنشئته على ذكورة غير مناسبة في المحيط الجديد الذي يسبغ على الذكورة معاني تتجه لأن تكون رمزية. وهو ما يجعل المعاني الفجّة والمباشرة للذكورة التي تربى عليها عادل غير صالحة لتدبير أموره في هجرته، (Hage, 2006).

خامساً: لا نعتقد أن بعض الباحثين يبالغون في تشخيصهم لأوضاع الرجال في البلدان العربية المحتلّة حين يشيرون إلى «أزمة في الذكورة». ففي انكسار الجيش العراقي، مثلاً، في بضعة أيام، (وكان يُقال بأنه «الجيش الرابع» في العالم)، وفي أسر «الرئيس» ذي الهيبة الذي رمى الرعب في قلوب العراقيين لعشرات السنين، ناهيك عن انتشار الصور الفوتوغرافية على مرأى العالم بأسره، لتفضح الإذلال غير المسبوق، الذي تعرّض له الرجال العراقيون في الأسر في قلب ذكورتهم،(في جنسانيتهم، وعلى يد امرأة!)... في كلّ ذلك إصابة بالغة لتلك الذكورة. ولعلّ العنف الأعمى الذي يجتاح العراق من المحاولات الغاضبة لاسترداد بعضها، في مجتمع ينتمي لطائفة «مجتمعات الشرف» المعروفة بتعرّضها لانجراح في ذلك الإذلال بدرجة، لا يسع الباحث الغربي فهم عمق أثرها، (Jones, 2004).

أزمة وهمية ام ازمة مرتجاة؟

في كل ما سبق، يبدو الرجال وكأنهم ضحايا:

هم ضحايا المجتمع الصناعي الذي حرمهم من آبائهم وسلّط عليهم أمهاتهم،

أو ضحايا المجتمع المعاصر وإعلامه المهيمن الذي فرض عليهم نماذج ذكرية عزيزة التحقق،

وهم ضحايا النظام البطركي الذي رسم لهم أنموذجاً للذكورة ذا كلفة نفسانية كبيرة،

أو ضحايا «شرط وجودهم الإنساني» الذي يضعهم في طفولتهم تحت السطوة الغامرة للجنس «المضاد» الذي يتعيّن عليهم رفضه، والانسلاخ عنه،

هم ضحايا حركة تحرر المرأة التي رفضت خضوع النساء- الشرط الضروري لتحقيق ذكورتهم وتألّقها!،

وهم، في بلادنا خاصّة، ضحايا العولمة التي اجتاحت حياتهم المستقرّة، وخرّبتها حين أعادت هيكلتها وفرض حاجاتها، صعبة التحصيل عليهم،

وهم، هنا أيضاً، ضحايا الحروب التي أنهكتهم وسلبتهم هيمنتهم بجعلهم قليلي الحيلة، أشبه بالإناث، متلقّين سلبيين لإملاءات جلاديهم وإهاناتهم...

على أن خطاب «الرجال في أزمة»، أو ما يماثله «الرجل الضحية» لا يحظى بقبول شامل. بل إن بعضهم يرى أنه خطاب قد صيغ من أجل الانقلاب على الإنجازات الملموسة التي حصلت عليها النساء، في أيامنا الحاضرة؛ أي تلك المسائل المتعلّقة بالمساواة في التشريع والسياسة عامّة؛ ويعبّر وايتهيد، مثلاً، عن قلقه من أن يجد هذا الخطاب طريقه إلى السياسات الاجتماعية وصولاً إلى سلب النساء ما حصّلنه بنضالهن على امتداد الخمسين سنة الماضية، (Whitehead, 2002, 64).

ويرى وايتهيد بأن «أزمة الذكورة» هي أزمة وهمية؛ فهو يجد صعوبة في القبول بأن الرجال من العرق الأبيض، أو الأنكلوساكسون من الطبقة الوسطى الذين يملكون النسبة الأكبر من الموارد في العالم الرأسمالي، والذين يسيطرون على الإعلام، والذين يحتلّون الأحزاب السياسية المهيمنة، ويملكون المؤسسات العابرة للقارات....من الصعوبة بمكان اعتبار هؤلاء في أزمة! فإذا كان هؤلاء واقعين في أزمة ناجمة عن أنه ما عاد جائزاً لهم تعنيف النساء والأولاد والأرض والحيوانات والرجال الآخرين..... في هذه الحالة- يقول وايتهيد- «إنها، بالفعل، أزمة مرتجاة!».

في مواجهة الأزمة

سواء كانت «أزمة الذكورة» طارئة بمواجهة النسوية أو ناتجاً للنظام الاقتصادي الاجتماعي المعاصر، أم كانت بنيوية - متأصّلة في بنية الذكر النفسية أو بنية البطريركية، سواء كانت فعلية أم وهمية، فقد اتخذ وعي وجودها، والتعامل معها، أشكالاً متفاوتة، تمثّلت في حركات سياسية واجتماعية، تنبئ شعاراتها بمُعاشات ومنظورات متباينة للذكورة المعاصرة ولأزمتها المفترضة، ضمناً. هذه كانت الأكثر تبلوراً في المجتمع الأميركي. ويستعرض كْلاتِرْباو منظورات ستّة تناولت الواقع السياسي والاجتماعي للرجال الأميركيين المعاصرين هي: المحافظ، الداعم للنسوية، حركة حقوق الرجال، الروحي، الاشتراكي، الأقلّوي (الملوّنين والمثليي الجنسية). وهي منظورات اجتماعية- سياسية متداخلة، أحياناً، لكنها متواجهة، غالباً. وهو إذ يفرد لكل واحد من هذه المنظورات فصلاً خاصاً من كتابه **منظورات معاصرة للذكورة: الرجال والنساء والسياسة**

في المجتمع المعاصر، فإن الروح السجالية بين هذه المنظورات تخترق الفصول جميعاً، خاصة وأن أكثرها طوّر حججه بمواجهة نظريات النسوية وممارساتها.

ويهيمن على المعالجات من المنظورات الستة المعروضة، المنحى التحليلي لعلاقات القوى القائمة- أو المتخيّلة- بين النساء والرجال في المجتمع الغربي المعاصر. من المنظور المحافظ، أولاً، يستعرض الكاتب تيارين: الأخلاقي والبيولوجي. والتياران يتفقان على أن هيمنة الرجل السياسية والاجتماعية هي ناتج طبيعي وتلقائي لكونه يلعب دورين أساسيين هما: دور الحامي ودور المعيل الناتجين، بدورهما، عن مسار نشوئي طويل يحكمه الاصطفاء الطبيعي. هذا، ويعارض المحافظون كل الاتجاهات المحبّذة لتغيير الأدوار الاجتماعية للنساء والرجال. فـ«الأخلاقيون» منهم يجدون أن للذكورة التي أنشأها المجتمع وظيفة ضرورية لبقائه تتمثّل بترويض الطبيعة البربرية للذكور، فيمسي العمل على تغييرها إطلاقاً لعنفهم وفجاجتهم. فيما يجد «البيولوجيون» أن ذلك التغيير هو بمثابة معاندة للجبلّة الموروثة؛ لذا فإن ذلك التغيير يعمل عكس التطوّر النشوئي للجنس البشري.

أما المنظور الداعم للنسوية فيرفض الادعاء القائل بأن الذكورة التقليدية ضرورة أخلاقية، أو حتمية بيولوجية. فالذكورة، من هذا المنظور، بناء اجتماعي ثقافي أنشئ ليُرسي هيمنة الذكر ولترسيخ امتيازاته، وحيث إن هذه الامتيازات وتلك الهيمنة تتأسسان على قهر النساء وقمعهن في إطار النظام البطريركي. وتتم، من هذا المنظور، مراجعة الذكورة من أجل تنزيهها عن التنافسية والعدوانية والهرمية وعن بغض النساء، وتوسيع حدودها التي تسجنها في أدوار وتمنع عنها انطلاقها وتفتحها. هذا المنظور يستلهم النسوية في النظرية والممارسة.

ويؤكد الباحثون العاملون في إطار منظور التيارات المنضوية في «حركة حقوق الرجال» على أن الأذى الذي تلحقه الذكورة بالرجال هو أبلغ أثراً من الأذى الذي تُلحقه بالنساء. وهم يرون أن النسوية قد أطلقت تعصّباً جنسياً جديداً جعل الرجال ضحايا، لأنه أطلق مشاعر ذنب لديهم وصوراً سلبية عن ذواتهم، من جراء جعلهم مسؤولين عن اتجاهاتهم الجندرية التي ترسّخت لديهم بفعل تنشئتهم الاجتماعية، لا تبعاً لخيار واعٍ من قِبَلهم.

يتأسس المنظور الروحي الذي يعرضه الكاتب على قناعة مفادها أن الذكورة مشتقة من أنساق عميقة لاواعية لدى الإنسان، وأن هذه الأنساق تتجلّى في الطقوس والأساطير

والتعابير الثقافية الشعبية والنخبوية المختلفة. والمفكرون الذين تبنّوا هذا المنظور يعتقدون أن الرجال المعاصرين قد فقدوا الصلة مع الأرختايب الذكري والأنثوي معاً؛ وهو ما أدّى إلى كبح نموّهم، ومنع عنهم اكتشافهم لذواتهم الحقيقية. وذلك بعكس حال النساء المعاصرات المنضويات في تيارات حركة تحرر المرأة، أو اللواتي قطفن ثمار التغييرات في الاتجاهات النفس اجتماعية التي أحدثتها.

ويعرض الكاتب للذكورة من منظور اشتراكي بوصفها واقعاً اجتماعياً تأخذ أشكالها ومعانيها في بنى طبقية واقتصادية محددة. فللذكورة، من هذا المنظور، تعبيرات متباينة وليست واحدة وحيدة؛ وذلك تبعاً للطبقة والعرق والبنية الرأسمالية. وحيث إن ثمن الذكورة يتمثّل بالاستلاب الذي تحدثه علاقات الإنتاج في المجتمع الرأسمالي.

وفي حين أن النقاش الدائر حول الذكورة يفترض ذكورة معيارية عامّة، يقدّم الكاتب منظوراً أقلّوياً - جماعات خاصة - للتذكير بأن مفهوم الذكورة المتداولة قد صيغ على مثال الرجال من العرق الأبيض، من الطبقة الوسطى، وذوي الجنسية الغيرية. فيما تأخذ الذكورة لدى رجال من العرق الأسود، أو من المثليين ، أو من الطبقات الدنيا ، مثلاً، معاني وتضمينات مختلفة؛ ما يجعل الكلام عن «الذكورة» بصيغة المفرد غير دقيق وغير ملائم للواقع. ويشير الباحثون « في هذا الصدد، إلى مكوّنات في الذكورة غفلت عنها المعالجات للمسألة هي وظيفة «فوبيا المثلية» homophobia، ودور التعصّب العرقي في تشكيل الذكورة البيضاء وغيرها من الأمور التي تبدد فكرة وحدة الذكورة، وتؤكد القول بتباين أشكالها، (Clatterbaugh, 1990).

إن تعدد الاستجابات لـ«أزمة الذكورة» - ونفي وجودها يندرج في إطار تلك الاستجابات- هو واحدة من علامات المنحى الذي اتخذه أكثر الباحثين في معالجة الموضوع. هؤلاء باتوا يفضّلون الكلام عن «ذكورات»- جمع «ذكورة»- للدلالة على تعدد أشكالها الذي يتمثّل في فروق فردية بين الرجال، وتباين تجليّاتها، بحسب الأزمنة والأمكنة؛ إن اللجوء إلى مصطلح الجمع، بدل المفرد، للكلام عن الذكورة، هو تأكيد على أنها تكوين اجتماعي ثقافي وتاريخي، وعلى أنها تتغيّر تبعاً لتغيّرات الإثنية والطبقة والجنسانية إلخ، وينزع عنها، تالياً، صفة الطبيعة والأصولية.

... الذكورات، هذه، هي موضوع الفصل التالي.

الفصل الثاني

ذكورة أم ذكورات؟

الذكورة... ماهيتها [1]

الذكورة، إذاً، ذكورات متعددة. وتعدّدها كان محجوباً، وحتى وقت قريب، بإيديولوجية أصولية مهيمنة تسوّق لذكورة وحيدة أصلية، قوامها افتراضات راسخة حول «طبيعة الأمور» التي تجعل من البيولوجيا قدراً جنسياً، (Philaretou and Allen, 2001). بل إن الإيديولوجية الأصولية للذكورة، وبسبب هيمنتها تلك، كانت «مغيّبة»، وهي غيّبت نسخاً أخرى من الذكورة. وحيث إن النسوية كانت العامل الحاثّ على التنبّه لتعددها، فإن الانكباب على تفكيك الذكورة والنظر إليها، بحسب سياقاتها، ما لبث أن احتلّ مساحة واسعة على الساحة الفكرية والثقافية.

يرى وايتهيد أن التنوّع الحالي في تعبيرات الرجولة الجديدة، كما نشهد في أشخاص النجوم المعاصرين (السينمائيين، الرياضيين، السياسيين، إلخ) والنماذج المتناثرة للرجال العاديين- الرجل الداعم للنسوية أو المنتسب للحركة الرجالية المناهضة للنسوية أو الشيخ المسلم أو ربّ المنزل أو الملحد إلخ..... كل واحد من هؤلاء هو «حقيقي» في السياق الثقافي الذي يعيش فيه، لكن أحداً من هؤلاء لا يسعه التقاط جوهر «الذكورة المعاصرة» على نحو مجرّد. وذلك بسبب غياب شكل نهائي ومحدد، أو موصوف ومعياري يسع الذكور التمثّل به. صحيح أن الإعلام يزخر بصور يسعها أن

---

(1) يقدّم بلِك تعريفاً للذكورة بأنها رسائل ثقافية محدّدة عاكسة للاتجاهات والسلوكات والأدوار المناسبة للذكور، والتي جرى إنشاؤها اجتماعياً؛ هذا الإنشاء construction الاجتماعي يتأثّر بمميّزات الاقتصاد وتوزيع الثروة في مجتمع ما، وهو دالّة البيئة السياسية، والقاعدة المؤسسة للأمّة: تاريخها وحاضرها، (Pleck, 1981).

تكون ملهمة لـ«الذكورة التامّة»، لكن هذه الصور هي بالنسبة لأكثر الرجال «بلاستيكية» وغير ملموسة. لذا يرى وايتهيد أن التكلّم عن ذكورات «ما بعد الحداثة» أمر مناسب لواقع الحال، هو تعبير يسمح لنا بالاعتراف بتأثير العولمة على الطرق التي يسع فيها الذكر أن يكون رجلاً، ويسمح أيضاً بإبراز تنوّع الذكورات بحسب الطبقة والعرق والدين والجنسانية، (Whitehead, 2002, 16).

وتسوّق الإيديولوجيات الذكرية المعاصرة لذكورات متنوّعة. ففيما تُعرِّف الإيديولوجية الأصولية الأدوار الجندرية وتوزّعها على دائرتَي الذكورة والأنوثة التقليديتَيْن، جاعلة الهوية الذكرية في مقام أعلى، فإن الإيديولوجية الـ«ما بعد حداثية» تسوّق لعلاقات إنسانية مساواتية، وتدعو إلى إلغاء البناء التفضيلي للأدوار والهويات الجندرية المحمول على نظريات الحتمية البيولوجية أو الاجتماعية... وهي تدعو، بدل ذلك، إلى نمط من الوجود أندروجيني(*) الوجهة. وحيث تتأسس الإيديولوجية الذكرية التقليدية على قاعدة افتراضات من «بداهة الأمور» المتمثّلة بسطوة البيولوجيا وقَدَرِيّتها، فإن الأفكار المتبنّاة في إيديولوجية «ما بعد الحداثة» تُنسج من البناء الاجتماعي، وتدعو إلى النظر في الاختبار الإنساني ككلّ، في سياق مركّب من التاريخي والاجتماعي والثقافي، (Philaretou and Allen, 2001).

لكن تعبير «الإيديولوجية الذكرية» يأتي في الخطاب السائد، غالباً، بصيغة المفرد ويحيل السامع إلى التقليدية منها. فهي تُملي ما ينبغي أن يكون عليه الذكر، وما ينبغي ألا يكون عليه، وتحدد له مواضيع التماهي المناسبة وتستبعد تلك غير المناسبة، بالتناغم مع مثال ذكري من الجماعة المرجعية، وابتعاداً عن مثال سلبي من خارج الجماعة، (Wade, 2001).

ويرى تولسون أن الذكورة، وفق الإيديولوجية التقليدية، إنما هي وعد بحيازة السلطة. وهو وعد يتوسّط كوكبة من المميزات الذكرية التقليدية: السلطة، توكيد الذات، التنافس، العدوانية والقوة الجسدية، (Tolson, 1970, 8). وهذه مميزات يثبت الباحثون مَهالِكْ وزملاؤه استدخالها لدى الرجال في المجتمعات الصناعية، مثلاً. ففي

(*) الأندروجينية النفسانية هي تكامل الذكورة والأنوثة، معاً، في الفرد الواحد. والأفراد الأندروجينيون يصرّحون، لدى وصفهم لذواتهم، عن مستويات عليا من سمات الذكورة والأنوثة؛ وهو ما يجعلهم قادرين على التأقلم والتصرّف بشكل متوافق مع وضعيات حياتية واسعة الاختلاف.

دراسة ميدانية أجراها هؤلاء، تبيّن أن التوافق مع الذكورة يعني التوافق مع عوامل حددت، اختبارياً، بسمات تتمحور حول توفير شروط الحصول على السلطة الموعودة: السعي للربح، الضبط الانفعالي، الاستعداد للمخاطرة، الهيمنة، السيطرة على النساء، حيازة مكانة مرتفعة إلخ، (Mahalick et al., 2001).

لكن أكثر الباحثين في الهوية الرجالية يؤكّدون أن الذكورة إنما تتحقق وتتأكد عبر المثال السلبي. فهي، في شق منها على الأقلّ، استبعادية لأنها عبارة عن تضافر مثال ذكري مرغوب فيه مع مثال أنثوي غير مرغوب فيه، (Kilansky, 2003). لكنها، برأي آخرين، رفضٌ لكلّ المركّبات الجندرية الأخرى، الأنوثة والخنوثة خاصّة، بالدرجة الأولى (Lacuane, 2005). فتشكُّل الهوية الذكرية ليس «عملية تطوير لسمات وميول وأدوار بعينها. إنه، بالأحرى، عملية إزالة سمات فطرية تتمثّل بالميل للارتباط والاتصال والتعبير والحميمية»، (Philaretou and Allen, 2001). . . . وتتشكّل الذكورة، أيضاً، عبر إحداث طلاق بين الطفل الذكر ومشاعره، بتشجيع الاقتصاص من الذات، وكره الأنوثة والضعف، «فإذا أنت (الذكر) أبديت اهتماماً، فإنك سوف تخسر، أما حين تظهر وكأنك غير مهتم، فإنك رابح لا محالة»، (Ruby, 1998). بل إن بعضهم يرى أن الذكورة تقوم على مبدأ الإقصاء؛ فالذكورة الأميركية، مثلاً، تأسست تاريخياً على إقصاء آخرين: السود، المهاجرين وأخيراً، وليس آخراً، النساء. فيعرّف الرجل الأميركي ذاته على أساس «ما ليس هو» what is not؛ فذكورته هي ما ينأى به عن الأنوثة، ويميّزه مختلفاً عنها. وهي، إضافة إلى ذلك، مجمل ما يميّزه عن الأعراق المختلفة عن جماعته المرجعية (Wade, 2001). والذكورة ضد التوجّهات الجنسية الأخرى، الجنسية المثلية، أساساً، وكلّ ما يشبهها في تمثّلاته الذهنية من خنوثة وغيرها، (Lacuane, 2005)؛ فهي تنطوي، في صياغاتها المفاهيمية، على التوقّعات ذات المترتبات السلبية منها مناهضة الأنوثة: فوبيا المثلية، التقييد الانفعالي، «الجلافة» والعدوانية[2]، (Wade, 2001).

---

(2) يصف لاكوان في دراسته المونوغرافية لرجال عاملين في مواقع / ورشات بناء مختلفة من ولاية فكتوريا (أستراليا) حيث كان فيها ملاحِظاً مشارِكاً participant observer لأغراض بحثه . . . يصف سلوكات وتبادلات تشير إلى انشغال هؤلاء بتأكيد جنسانيتهم وهوياتهم الجندرية عبر تباهيهم بالتحرّش الجنسي بالنساء، وفي إعلانهم عن ممارسات واتجاهات تبخيسية بحقهن، وحيث إن اندماجهم الاجتماعي في محيطهم الذكري ذلك يتوسّط سلوكات عدوانية تتمثّل بإقدام أرعن، بالمخاطرة بحياتهم، الإكثار من تناول الكحول، التنافس على القدرات الجسدية، التباهي بأحجام الأعضاء التناسلية وبالقدرات الجنسية الفائقة إلخ، (Lacuane, 2005).

ويُسنِد وايتهيد إلى فرويد قوله بأن الذكورة السويّة هي نتيجة السيطرة على الرغبات الجنسية البدائية، وإخضاعها للضغوط الحضارية في سبيل «الخير العام»؛ ويتساءل وايتهيد كيف يكون الخير «عامّاً»، إذا قتل أكثر من خمسين مليوناً (ضحايا الحروب المختلفة في القرن العشرين) من الناس على أيدي ذكور «أسوياء»؟ (Whitehead, 2002, 23). لكن غوتز ترى بأن الآلام التي تجرّها الحروب على الرجال إنما هي محاكاة لآلام النساء أثناء الوضع، فلا يستحق الرجال ذكورتهم إذا لم يعانوا تلك الآلام، (Goetz, 1991).

من جهة ثانية، يشير بعض الباحثين إلى أن تنشئة الذكور في المجتمعات البطركية تتمّ ليعتقدوا بأنهم أسياد، وبأن قوتهم غامرة، وبأنهم ذوو سلطة كامنة في ذكورتهم سيتسنى لهم ممارستها لاحقاً. هي وعد فارغ ورشوة ثقافية من أجل تأمين التزام الذكور الاجتماعي وخضوعهم للترتيب البطركي، (Tolson, 1970, 46). وهي وَهْمٌ، لأن أكثر الرجال يتمتّعون، واقعاً، بسلطة محدودة. لذا، فهم يلجأون إلى الهيمنة والتسلّط وإحداث مسافة انفعالية مع الآخرين لتكوين صورة عن ذواتهم توحي بأنهم أقوياء. غير أن هذا التكوين الثقافي الاجتماعي لقوّة الرجل تلحق به الأذى. وذلك لأنه يعمل على كبح إمكاناته للحصول على شبكات الدعم الاجتماعي الضرورية، وتجمّد قدراته على حَضْن الآخرين ودعمهم، وهي تُحدّ من أشكال تعبيراته الجنسانية، وتولّد لديه قلقاً جنسياً، وميولاً لأذى الآخرين جنسياً. . . . إن الهويات الذكرية المتشكّلة هشّة، لأنها هوية مقموعة الإمكانات (Philaretou and Allen, 2001).

وتسود في الثقافات الاجتماعية، عامّة، مثالات للذكورة تصف ذكور الجماعة المسيطرة؛ هذه الجماعة تفرض تلك المثالات نمطاً ، يصطلح على تسميته بـ«الذكورة المهيمنة»[3] المتمثّلة بـ«الشكل المثالي للأطباع» التي يتعيّن على الذكور التشبّه به في ثقافة اجتماعية معيّنة. هذا المثال لا يتطابق مع أطباع وأوضاع الرجال عامّة، إنما مع

(3) يقدّم كونيل وصفاً للذكورة المهيمنة متكئاً على المعنى الذي صاغه غرامشي لـ«الهيمنة»؛ وهي تشكيلة من الممارسات الجندرية التي تجسّد الإجابة الراهنة على مسألة شرعية البطريركية، وتؤمّن مسوّغات وشروط سيطرة الرجل ودونية المرأة. والهيمنة هذه بحاجة لأن تماثل بين المثال الثقافي والقوة المؤسسية: كبار رجال الأعمال ،الجيش، الحكومة. . . كلها استعراض مقنّع للذكورة لم تهز سطوتها النسوية ولا الرجال «المنشقون» عن النظام البطريركي. وعلامة الهيمنة ليست القوة أو العنف العاريين، إنما الإعلان عن حيازة ناجحة للسلطة، (Conell, 1987).

أطباع وأوضاع عدد ضئيل منهم. «إن خطاب الذكورة المهيمن قد انبنى على مثال حيوات 5% من الرجال في العالم- في أبعد تقدير- في مكان ما، في لحظة معيّنة في التاريخ... مع ذلك، فإن الأكثرية منهم تتواطأ لدعمه وللإبقاء عليه مثالاً يحتذى»، (Cliff, 1999)، وتجتمع على إعلاء مبادئه. فالتعريفات المعيارية للذكورة تصطدم بواقع مفاده أن كثيراً من الرجال لا يوفّون المقاييس المفروضة لتحققها، وخاصة في ما يطول إلى الهيمنة- مكوّن أساسي لها- لأن قلّة من الرجال يمارسون تلك الهيمنة بكلّ أبعادها، وإن كان أغلبية الرجال يربحون من فرضها مثالاً لأنهم يستفيدون من القسمة البطريركية العامّة؛ والفائدة التي يجنيها الرجال تتمثّل بالإخضاع الشامل للنساء، خاصّة وأنها تُقدّم لهم دون التوتّرات والمخاطر والأثمان التي يُحدثها الوقوف في الصف الأمامي من جنودها- هم، بتعبير كونِلّ، «مهيمنون كسالى»[4]. وهو، تحديداً، ما يجعل أكثر الرجال متواطئين مع مشروع الهيمنة البطريركية[5]، (Conell, 1987).

هذا، ويرى وايْتْهيد أن الذكورة غير موجودة بيولوجياً، لا في الدماغ ولا في الجينات؛ إنها مجرّد وهم. فهي ليست «كياناً» يسعنا لمسه أو رؤيته مهما كان

(4) هذا، والإخضاع يطاول أيضاً «أمثال» النساء، ويمارسه الجنسيون الغيريون من الرجال على المثليين؛ ومن علائمه إقصاء هؤلاء ثقافياً وسياسياً، الإساءة إليهم ، الحذف الرمزي لهم، العنف القانوني والعنف العاري الممارس عليهم في الشارع، التمييز الاقتصادي ضدهم، ومقاطعتهم الشخصية، (Conell, 2004). ويعرّف كلِفْ الذكورة المهيمنة بأنها مركّب علائقي محتاجة إلى «مختلف» من أجل التعبير عن ذاتها. هذا «المختلف» هو «المثلية» لكي تتمكّن الذكورة أن تكون أفضل منها، ومناقضة لها، (Cliff, 1999).

(5) هذا، وتقول جاين فوندا، السينمائية والداعية للسلم والمساواة الجندرية، إن البطريركية هدّامة للرجال؛ فنظام المعتقدات الرجالي المتمثّل ببنية سلطوية متمركزة حول الرجل، وبالهرمية، والقائمة على التصنيف والتراتب، القاذفة... كانت على الدوام مدمّرة لقلوب الرجال وللتعاطف الوجداني ولنمو العلاقات البين - شخصية. صحيح أن الرجال والصبيان يقعون في موقع يجعلهم حائزين على امتيازات، لكنها امتيازات مسمومة، وهم يدفعون ثمنها غالياً. صحيح أن البطريركية تقوم، جزئياً، على تهميش النساء وإسكاتهن، لكنها تسلب الرجال قلوبهم وقدرتهم على التعاطف الوجداني. فهي تعقد معهم عقداً فاوستياً (نسبة إلى فاوست): هم ممنوعون من الوقوع في الكآبة، لذا فهم يلجأون إلى الكحول والمخدّرات والجنس والمبالغة في العمل ..... لعلّ البطريركية، تقول فوندا، كانت في زمن سابق ضرورة للبقاء؛ لكنها، حالياً، النظام الأكثر تهديداً للبشرية، فهي الحاضنة لقيادات يعانون من الذكورة السامّة ، الدافعة بنا في أتون الحروب من أجل فتح «أسواق جديدة» ومن أجل تدمير الأرض، (Fonda, 2003).

المجهر نفّاذاً. ولا توجد تمثّلات ثقافية كافية يسعها جعل الذكورات ماهيات حقيقية. فكل شعور بانغراس الذكورة في ذوات الرجال الداخلية هو نتيجة روايات سطحية عن ماهية الرجل. على أن ما يجعل الذكورة ثابتة، بالرغم من وهميتها أمرٌ مهم وحيد: هي موجودة بالعلاقة مع الأنوثة. وما دام مفهوم الأنوثة (أو الأنوثات) دالاً على شيء فإن مفهوم الذكورة (الذكورات) سيكون موجوداً. فالذكورة- الأنوثة ثنائية أساسية في المجتمعات البطركية. هكذا، فإن الذكورة، وبالرغم من كونها وهمية، ليست عابرة أو منفصلة عن نسيج المجتمع، كما أنها ليست ماهية عائمة على سطحه، ولا تسكن ذاتية الرجال على نحو عرضي ولا بالصدفة، بل إن مترتباتها ملموسة وحقيقية (Whitehead, 2002, 34).

إذا كان وايتهيد ينفي الوجود البيولوجي للذكورة، ولا يقبل بأن يكون الرجال عبيداً لهرموناتهم، فإن بُون يرى أن الذكورة بمثابة مميّزات ذات الصلة بمستويات مختلفة من التستوستيرون، ارتبطت اجتماعياً وثقافياً بالرجال بنتيجة تعميمات لسلوكات تمّت ملاحظتها لدى الرجال عامّة، (Boon, 2005).

الذكورات عندنا

ويؤشّر تنوّع مسارات تشكّل الذكورة، أشكالها، وتحوّلاتها، بحسب بعض الدراسات التي تناولتها في مجتمعاتنا، إلى تعددها، هنا أيضاً. فهي في مدينة كوسموبوليتية، كبيروت مثلاً، ولدى شريحة من الرجال، تنزع نحو التأنيث؛ ويتجلّى ذلك، خاصّة، في ممارسات تعتبر أنثوية قوامها العناية المفرطة بالجسم وتحسينه في عمليات مألوفة ومقبولة للنساء لكنها كانت، وحتى أمد ليس ببعيد، مستهجنة للرجال؛ هذه تبدأ بصبغ الشعر ونتف الزائد منه، وصولاً إلى عمليات التجميل على أنواعها، (Agaci, 2004). ويتجاور هذا التأنيث في «اللوك» look مع ذكورة تقليدية قصوى لا تزال مقيمة بين ظهرانينا، بل هي ممأسسة في القوانين المدنية، وتتجلّى، مثلاً، في جرائم «الشرف»[6] التي يرتكبها الرجال ضد قريباتهم من النساء من اللواتي لم يمتثلن

(6) تنزوي أخبار جرائم «الشرف» في صفحات الجرائد اليومية الداخلية؛ لكن جمعية «كفى عنفاً ...» اللبنانية أقامت معرضاً متنقّلا في السنتين الماضيتين، هو عبارة عن مجموعة من مجسّمات لكلّ واحدة من النساء المغتالات عندنا، «انتصاراً لشرف» ذَكَرٍ ما، «تروي» كلّ واحدة منها، في نص مرافق للمجسم الخاص بها، حادثة اغتيالها، والأحداث التي أحاطت به.

لقاعدة السلوك الجنسي المفروض في مجتمعاتنا الأبوية؛ والشرف والذكورة صنوان، فيطعن الرجل في ذكورته إذا لم يحمِ شرفه بقتل من تحدّى تلك الذكورة من النساء.

وبموازاة التراخي في الالتزام بالقيم الذكورية التقليدية في بعض المدن العربية، وصلت في إحداها إلى حدّ الترخيص لجمعية من المثليين، («جمعية حلم» - حماية لبنانية للمثليين) برغم استواء المثلية جرماً يستوجب العقاب، (Khalaf, 2006)، تشير الدراسات إلى ثبات هذه القيم على حالها في بعض الأرياف كالصعيد المصري، مثلاً؛ وتبيّن الباحثتان زيباني وبرادي أنه، برغم الوقائع المستجدّة في الصعيد المصري، فإن تصوّرات الذكورة لا تزال على حالها، تقريباً. وتتمثّل، أساساً، بالسيطرة في المجالَين العام والخاص، وبالتشديد على الاختلاف عن النساء وبضبطهن إلخ، (Zibani and Brady, 2004).

ولا تنتشر في أيامنا الحالية «طقوس عبور» نحو الذكورة مميّزة، عامّة ومشتركة تشكّل علامة فارقة في مسار تشكّل الذكورة لدى الفتيان في مجتمعاتنا. فختان الذكور بات في لبنان، مثلاً، من مهام الطبيب في مستشفى الولادة، وينفّذ بعد أيام قليلة على ولادة الذكر دون الالتفات الصريح إلى معناه الثقافي. فلم يعد، كما يصف بوحديبة، طقساً جماعياً أو نقطة عبور تمهّد للانتماء للجماعة الدينية، (بوحديبة، 2000). وهو، على أي حال، طقس انتماء للجماعة، تماماً كما هو القربان الأوّل لدى اليافعين من المسيحيين، أكثر مما هو طقس لاكتساب هويّة الذكور.

هذا، ونحن قلّما نقع على روايات لأحداث رضّية ذات طابع جندري أو جنساني[7]، في بعض السير الذاتية المنشورة حول تشكّل الهوية الشخصية للذكور عندنا. ففي شهادة شخصية يصف أحمد بيضون، مثلاً، سعيه لتحقيق هويته الشخصية - فرادته «الخجولة» - وتميّزها عن رجولة أبيه التي شكّلت مكوّناً رئيسياً من مكوّنات زعامة هذا الأخير السياسية، في مدينة ريفية طرفية من لبنان، في أواسط القرن الماضي. وحيث إن مسار تحقيق هويته تلك جاء بموازاة انفصاله عن قيم أبيه/ جماعته وتبنّيه لقيم غير تقليدية وفّرتها له فرصة التعلّم في مدارس غير دينية، علمانية، وعلى قدر من التغرّب. وما يلمسه القارئ في تتبّعه لمسار تشكّل فردية الكاتب هو الصراع السلمي

(7) لعلّ بعض ما جاء في سيرة إدوارد سعيد عن مراقبة والديه له في حياته الحميمة، وتنبيهه من «سوء استعمال جسمه»، من نوادر ما نقع عليه في السير الذاتية العربية، (Said, 1999, p.70).

المتجاذب بين الابن والأب: الأول متفلّت صراحة من التقليد لكنه متمسّك ببعض رموزه علامة على تميّزه في محيط من الآخرين (المسيحيين)، وحيث إن سلوكات الثاني واتجاهاته تنمّ عن حيرة بين رغبته بجذب الابن إلى الدائرة التقليدية للعمل العام وريثاً لزعامته، وبين القبول برغبة ابنه واحترام فرديته، (بيضون، 2002).

في رواية حسن داود لتطوّر شاربيه منذ أن بزغت الشعيرات على شفته العليا وحتى استقرارهما على وضعهما في رشده «جناحا الرجولة الثقيلان»، نتعرّف عبر التداعيات التي أطلقها التأمل حولهما تبدّل المعاني المرتبطة بـ«اقتناء» شاربين في مجتمعنا اللبناني. وكيف تحوّل ذلك الاقتناء من تعبير عن الرجولة التي لا يستأهلها سوى القلّة، فيمنع، بالسخرية وبالزجر أحياناً، من يدّعيها بدون استحقاق ليصبحا في زمن الستينات والسبعينات مرسوميْن على وجه العسكري- الذكر بامتياز- والآخر المتشبّه بنجوم السينما والذي يُدعى بـ«الدوغلاس» نسبة إلى النجم السينمائي المشهور. وحيث كان الأول «يقبض» مالاً ثمن شاربيه (كذا!)، فهي أُضيفت على وجه الثاني طلباً للوسامة بوصفه واحداً من «أكسسوارات» عدّة، كالنظارات السوداء والغليون وغيرها، وإن كان الاقتصاد في اعتمادها هذه أسلم؛ خاصة وأن شيوعها تزامن مع المدّ اليساري والحركة الطلابية فبات الاقتصاد ضرورة يمليها التناسق العام مع «اللوك» غير الأنيقة التي ارتبطت باليساريين، (داوود، 2002).

تغيب عن هاتين الروايتين الإناث، الأمهات والقريبات والحبيبات سواء بسواء. وتحضر بقوّةٍ النماذج الذكرية المحليّة والغربية المؤثّرة في خيارات الحياة الأساسية أو تلك المتعلّقة بالمظهر الخارجي. لكنها روايات تقع على سطح الوعي، فلا يمكن الركون إليها تماماً لمعرفة موقع الإناث في تشكّل ذكورة هؤلاء الرواة لمسار تشكّل هوياتهم.

بيولوجية كانت الذكورة أم جرى تكوينها ثقافياً، وهمية كانت أم حقيقية، اتفق المعنيون على تعريفها أم لم يتفقوا، درامياً كان مسار تشكّلها أم هادئاً، فإن الكلام المتداول حول الذكورة في أيامنا المعاصرة، في البلدان الصناعية كما في بلادنا، يأخذ منحيَيْن: يدافع الأوّل عن الذكورة التقليدية فيما يقابله منحى ثان يتمثّل بالدعوات من أجل العمل على إعادة صياغة الذكورة على نحو يتناسب مع التعديل الحاصل في الأنوثة.

دفاعاً عن الذكورة التقليدية

والمدافعون عن الذكورة التقليدية هم أكثر صَخَباً ومنظورية. ويرى لِيفَنْت أن صورة «الذكر الأبيض الغاضب» قد برزت في المشهد الثقافي، في التسعينات من القرن الماضي، لتصف رجلاً يحاول أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء، سعياً لاستعادة مكانته «التي يستحق»، وتثبيت تقدّمه على الأقليات الإثنية والأعراق الأخرى، وليكون أعلى مرتبة من النساء، وليكون المعيار «الطبيعي»- على نقيض المثليين وبمواجهتهم. هذه الصورة كانت محوراً لأفلام سينمائية ومسلسلات تلفزيونية- يقول لِيفَنْت - تعبيراً عن أنموذج رجالي في المجتمعات المعاصرة. فعوض انتهاز فرصة انهيار الذكورة التقليدية لمراجعة المعايير السلوكية التي أجبر الذكور على تبنّيها، والتي تمّ تعزيزها بفرض مشاعر العار عليهم، استجاب هؤلاء الرجال على نحو دفاعي معتبرين تهالك السلطة الرجالية عدواناً يستوجب التجنيد من أجل مواجهته بعنف.

والتعبير السياسي عن الدفاع عن الذكورة التقليدية تمثّل بالحركات الرجالية المحافظة التي رفعت ذلك الدفاع شعاراً رئيسياً لها. منها مثلاً، «حركة الأسطورية الشاعرية» ،المذكورة سابقاً، التي اتكأت على نظريات فرويد ويونغ من أجل إثبات عمق التشكيل الذكوري في تكوين الرجل النفسي. وحيث إن بعض هؤلاء يعتقدون أن النسويات وحركة تحرر المرأة يقمن بسلب الذكورة من عمق «ذوات الرجال»، ليحرمنهم من الوصول إلى الأرختايب الأسطوري، الشرط الضروري لاختبار النمو واكتشاف الذات، (Levant, 2001).

ويدعو هؤلاء الأب إلى استعادة دوره في تربية ابنه الذكر على الذكورة «الحقيقية»؛ إذ إن إنشاء الذكورة يتمّ عبر حوادث مصغّرة تخترق حياة الذكر الصغير تكراراً. والعلاقات الطبيعية بين الذكور وآبائهم هي التي تُقولبُهم نحو الرجولة. فالأب الغائب لا يمكن الاستعاضة عنه بالأم لأن المهمّة المطروحة تفترض إحداث طلاق بين الذكر الصغير وكل ما تمثّله الأم؛ وهذا يتمّ بتعلّم «الفرق بين استجابة الأم واستجابة الأب»، (Ruby, 1998). فالهوية الذكرية تتشكّل «بالتبعية لمثال ذكري من الجماعة المرجعية، وعلى التمييز بين داخل - الجماعة وخارج- الجماعة»، (Wade, 2001).

ويذهب بعضهم بعيداً بالدعوة إلى تنشئة الذكور بواسطة «أب قاس» يقوم بإنزال العقاب عليهم لتعليمهم التمييز بين الخطأ والصواب. «فالعقاب هو الكلمة المفتاح

للذكورة وهو الذي يجعلهم أقوياء قادرين على الدفاع عن ذواتهم في هذا العالم الخطر»، (Ruby, 1998).

وبمواجهة دعوة الرجال للتحلّي بسمات أنثوية، نجد «هلعاً» لدى البعض من التخلّي عمّا توصّلت إليه الحكمة البشرية عبر السنين. هؤلاء يجدون أن ما ترسّخ لدى الذكور في مسار النشوء والتطوّر، واستقرّ على ما هو عليه، إنما حدث بسبب ثبوت فعاليته في الصراع من أجل بقاء النوع. من هؤلاء شاكِلْتُنْ، مثلاً، الذي يرى في التعاطف الوجداني المجرّد مع المجتمع ككلّ، لا مع أفراده، مَلَكَةً إنسانية ثمينة، فلا ينبغي التخلّي عنها لصالح التعاطف الوجداني النسائي. هذا الأخير مهمّة سهلة. أما تعلّم التعاطف الوجداني المجتمعي - التعاطف المجرّد المتمثّل بالواجب والتضحية تجاه العائلة والوطن، واحترام القانون والعقود المبرمة إلخ فهو المهمّة الصعبة والتي لا تقوم للمجتمعات قائمة بدونها، (Sahkelton, 2002).

إعادة بناء الذكورة

هذا، فيما يستند دعاة إعادة بناء، أو تكوين الذكورة المعاصرة إلى حجتين:

أولاهما تتمثّل بالضرر اللاحق بالرجال جرّاء جعل المثال المرسوم لتحقيق ذكورتهم عزيز التحقيق، وباعثاً على الشعور بالحرمان، في أقلّ تقدير. يقول فيلارتو وآلِن، مثلاً، إنه وبنتيجة التنشئة الاجتماعية على الأدوار الجندرية التفضيلية والفارقية، تمّ تطوير جنسانية أصولية للذكور تنطوي على معيار لأداء الذكر الجنسي ولاكتفائه غير واقعييْن. هذا المثال طبع الأداء والاكتفاء الجنسيين بطابع القوة والعدوانية، وأفضى بالرجال إلى شعور غير صريح بالعجز وعدم الاكتفاء الجنسييْن؛ وذلك لأن أغلب الذكور غير قادرين على الالتزام بالقواعد الذكرية المدعومة من الإيديولوجية الأصولية حول التوصيف الجنساني، وعاجزين عن خلق «الوضعية الجنسانية المثالية». فينتج، بسبب عجزهم عن تلبية التوقّعات الذكرية الأصولية، «حرمان ذكري» يتمثّل بقلق مستمر ذي عواقب نفس-مَرَضية. ويلجأ بعضهم إلى الكحول والمخدّرات للتخفيف من حدّة الكآبة التي تنتابهم بنتيجة قصورهم عن تحقيق المثال المرجو. غير أن سلوكهم ذلك لا يوصف بـ«الكآبة» إنما يطلق عليه «طبيعة الرجال التي يتصرّفون بموجبها»، (Philaretou and Allen, 2001).

ويشير السيكولوجيون إلى اضطرابات تصيب الرجال بنتيجة قمعهم لتعبيراتهم

الانفعالية من مثل التعاطف المتعلّق بالفعل Action empathy، أليكسيثيميا Alexythemia (قمع الانفعالات)، المبالغة في الغضب، والتعبير عن الانفعالات المرتبطة بالعناية بواسطة الجنسانية حصراً. يضاف إليها اضطرابات متعلّقة بالتنشئة على الانفصال عن الأم والتي تتمثّل برعب «فقدان الذات»، والخضوع لمتطلّبات الامتثال للمنمطات الجندرية، التي تفضي إلى علاقة إشكالية متجاذبة مع الأب، وتتصف بمشاعر قوية من التوْق إلى معرفته، والغضب العارم تجاهه، دعاها بعضهم بـ«جرح الأب» (Levant, 2001). وفي حالات غير مَرَضية، فإن الذكور يميلون إلى المخاطرة بصحّتهم وأمانهم، بل بحياتهم، سعياً للتمثّل بـ«الذكورة السويّة»، (Lacuane, 2005).

أما الحجّة الثانية التي يُشهرها المطالبون بضرورة العمل على إعادة إنشاء الذكورة، فتتمثّل بتراجع بداهة إخضاع النساء في أيامنا المعاصرة. ولا ننسَ أن ذلك الإخضاع هو المكافأة الأهم- وأحياناً الوحيدة- التي يحصل عليها الرجال بنتيجة تماهيهم بالذكورة المهيمنة؛ فتُمسي صعوبة إخضاع النساء، في الواقع المُعاش، مصدراً للإحباط يُضاف إلى مصادر الإحباط الأخرى . ويجد البعض أن العنف الممارس على النساء في أيامنا المعاصرة من بعض علائم عجز الرجال عن التأقلم مع صعود النساء؛ الأمر الذي يجعل العنف خط الدفاع الأخير عن وهم امتلاكهم لتلك الهيمنة. إن اللجوء إلى العنف ضد المرأة، وفي أشكاله جميعها ، لا يضرّ بالنساء فحسب، إنما يضرّ بالرجال وبدرجة كبيرة، (Horroks, 1994)؛ فهو إذ يكرّس الطفولية الدفاعية لدى الرجال، يمنع عنهم تطوير استراتيجيات ناضجة لمواجهة الواقع الحقيقي المستجد بفعل تحرر المرأة. هذه الاستراتيجيات هي ما يدعو إليه الرجال المنتمون إلى الحركة الرجالية الداعمة للنسوية. وهي في صلب مفهومهم لإعادة صياغة الذكورة. وتشتمل هذه الاستراتيجيات على التعامل مع مشاعر الذنب المتوارثة بسبب الإساءة التاريخية التي ألحقها الرجال بالنساء، وما يستتبع من طلب المغفرة منهن، (Stein, 2004).

لكن وايتهيد يشير إلى صعوبة اعترضت مهمّة إعادة صياغة الذكورة؛ ومنشأ الصعوبة يتمثّل، برأيه، في كون الرجال غير واعين لـ«جندرهم»؛ أي أنهم غافلون عن المعاني التي تتضمّنها ذكورتهم في الثقافة الاجتماعية البطريركية، وعن القيم الملحقة بتلك المعاني. وهم أيضاً غافلون عن كون الجندر مفتاحاً، بل عاملاً محدداً، في شخصياتهم حاضراً، وفي إرثهم التاريخي. «فالرجال غير قادرين على رؤية ذواتهم

بوصفهم رجالاً»[8]. ولمّا كان التحوّل الاجتماعي المتمثّل بالانعتاق الجندري يفترض تأملاً في الذات، وحيث إن الرجال لا يرون ما يشاهدون حين ينظرون إلى ذواتهم، فسيكون من الصعوبة بمكان أن يتغيّروا! (Whitehead, 2002, 81).

كانت جرمين غرير قد استشرفت، في بداية انطلاق حركة تحرر المرأة الغربية، أن «الاكتشاف الأوّل لحركة تحرر المرأة سيكون، خلال مسارها، بأن الرجال ليسوا أحراراً»، (Greer, 1970). لكن ما استشرفته غرير لم يصبح وعياً متحققاً لدى العموم، بل انحصر في نخبة رجالية تملك وعياً سياسياً، وتطلّباً وجودياً جعلها تسائل التقليد والمرجع والمقدّس. هذه النخبة تملك، على الأغلب، امتياز المغامرة في أعماق الذات لإعادة خلقها من جديد. وقد رفعت حركة تحرر المرأة شعارها بأن «تحرر المرأة هو تحرر للرجل أيضاً»؛ وذلك لأنها تحرره من وطأة الإعالة الحصرية، وتوفّر له شروط توسيع خياراته في البيت والعمل، وتعده بسيطرة أكبر على مجريات حياته.

هذا، وقد انبرى كثير من الرجال لدعم حقوق المرأة، لكنهم بقوا، مع ذلك، متجاذبين حيال أدوارهم ومكاناتهم وهوياتهم. والثقافة الشعبية المعاصرة المتمثّلة بشكل خاص في الإعلام لا تساعدهم كثيراً. فهي تبثّ نماذج متضاربة: فالذكورة التقليدية لم تعد معياراً، فيما الجديدة غير واضحة المعالم. ويطلب إلى الرجل أن يُبرز سمات العناية بالآخرين، مثلاً، بطرق تخالف المعايير الذكرية التي تربّى عليها. وتحتاج الذكورة الجديدة إلى مهارات لا يملكها الذكور، فينتج عن ذلك إحباط واختلاط لديهم. كما أن المجتمع ومؤسساته لا يقدّمان دعماً للرجال في أدوارهم الجديدة المفترضة،(إجازة أبوّة، مثلاً، على غرار إجازة الأمومة). يتعرّض الرجال، إذاً، لضغوط داخلية وخارجية. وفي خضم معاركهم الحالية، يختبرون حنيناً للماضي، وقلقاً حيال المستقبل، (Rhode, 1997, 236).

لكن طليعتهم رسمت لهم، على كلّ حال، نماذج لِما يجب أن يكونوا عليه، واقترحت السمات التي يتعيّن عليهم أن يتحلّوا بها والاتجاهات والسلوكات التي ينبغي تبنّيها. وما يجب أن يكون عليه الرجال كان ، برأي بعض هؤلاء، وجوب السعي

---

(8) ويعترف كيمِل: «حين أنظر إلى المرآة، أرى إنساناً ذكراً من العرق الأبيض ومن الطبقة الوسطى؛ فالجندر غير واضح لي لأنني، في موقعي هذا، ذو امتيازات. أنا المعيار لذا فإن أكثر الرجال، مثلي، لا يعلمون أن لديهم جندراً»!، (Kimmel, 2004).

للتعاطف مع النساء والاستجابة لرغباتهن؛ لكنه تركّز، لدى بعضهم الآخر، حول الرجل وحاجاته لأن يفعّل طاقاته التي كُبِتَت استجابة لمتطلبات الذكورة التقليدية. وتمثّل، وفق فئة ثالثة أخيراً، برفض للذكورة التقليدية المدمّرة للنساء وللرجال سواء بسواء.

إن عملية إعادة بناء الذكورة تستوجب، بحسب الباحثين المعنيين بالموضوع، الاعتراف بالنقد النسوي للذكورة البطريركية والاستجابة لذلك النقد، والحفاظ، في الوقت نفسه، على تعاطف وجداني empathy تجاه مأزق الرجال. وتتضمّن عملية إعادة بناء الذكورة التفحّص المتأني والتجميع الانتقائي للعناصر المنظّمة للذكورة. هذه العناصر تشتمل على العجز النسبي في اختبار الحميمية، والقرب والارتباط الانفعالي مع الآخرين المهمّين، الميل العام للّجوء إلى الغضب والعنف لدى تعرّض الرجال لوضعيات محبِطة، الامتناع العنيد عن الاهتمام بالبيت والعناية بالأطفال، النزوع نحو اعتبار الجنسانية والانفعالية كينونتيْن منفصلتيْن ومختلفتيْن إحداهما عن الأخرى؛ وكلّها تنحو للتشويش على السعادة والتوازن والتناغم في علاقات الرجال وتفاعلاتهم مع أحبائهم. لكن الذكورة تشتمل، من جهة ثانية، على سمات من مثل التضحيات الواسعة النطاق التي يبذلها الذكور تجاه أسرهم، الاستخدام المتّسق للمنطق ومهارات حل المشكلات، الميل العام للاعتماد على الذات، الاستعداد للمخاطرة، التوكيدية، والاتجاه نحو مواجهة الأخطار بتروٍّ. من هنا، فإن مساعدة الرجال على اتخاذ الخطوة التالية في التفحّص النقدي لذكورتهم، تستوجب عدم التخلّي عن الذكورة التقليدية جملة وتفصيلاً، (كما تبدو الحال في الهجمة التي تتعرّض لها الذكورة)، بل يتعيّن على المجتمع أن يكرّم النواحي التي لا تزال قيّمة فيها؛ وذلك من أجل أن يتمكّن الرجال من الاحتفاظ بفخرهم الذي تمّت تنشئتهم عليه ليكونوا رجالاً، ودعمهم في مسار إعادة بناء الصيغة المرتجاة لذكورتهم، (Philaretou and Allen, 2001).

الذكورة المعاصرة بين ظهرانينا

على أن الناظرين عن كثب إلى أحوال الذكورة، والباحثين في تفاصيل تجلّياتها عندنا، يرصدون، بموازاة مظاهر أزمة الذكورة، طائفة أخرى من الاستجابات للعوامل التي عيّنها الباحثون من بعض أسباب تلك الأزمة. تقول أغاسي في تقديمها لعدد «الذكورة» في دورية **الرائدة**، المذكورة مراراً، بأن الشباب اللبنانيين منقسمون في ما بينهم بإزاء مسألة الذكورة: فحيث يتشبّث بعضهم برجولة تشعر بأنها لا تزال، عبر

فرض العذرية والدونية على النساء، ممسكة بزمام الأمور، فإن قسماً آخر منهم يستجيب للحاجات والرغبات المستجدّة التي تطرحها عملية المثاقفة الغامرة مع الغرب من جهة، وتبدّل أحوال النساء، من جهة ثانية. وهي تجد أنّ تبدّل أحوال الذكورة في العالم سيدفع اللبنانيين، على الأرجح، لإعادة تعريف ذكورتهم، ولإعادة «اختراعها» لتلائم ذلك التبدّل، (Aghaci, 2004).

ومن تفاصيل ذلك التبدّل، مثلاً، موقف الرجال من عقمهم الإنجابي. هذا الموقف يسعه أن يكون كشّافاً للتبدّل في الذهنية الذكورية؛ فالاختلاط بين العقم الإنجابي والفحولة الجنسية المتمثّلة بالأداء، أي بـ«النجاح» في عملية الجماع هو أمر شائع في ثقافتنا الاجتماعية. وإنجاب الأولاد، الذكور خاصّة، علامة لا تخطئ على فحولة الذكور، ودالّ أكيد على تحقيق الذكورة. من هنا، فإن العقم/ العجز عن الإخصاب، ينطوي، في إطار هذه الذهنية، على أزمة شخصية في الذكورة.

انطلاقاً من ملاحظاتها في العيادات المصرية، والتي تؤكّد ما سبق، قامت الباحثة إِنْهُرْن بدراسة في إحدى عيادات بيروت للإخصاب الاصطناعي المكتظة بنساء ورجال من جنسيات لبنانية وسورية وفلسطينية؛ وقد أجرت مقابلات مع 120 رجلاً تناولت فيها مُعاشهم لعقمهم الإنجابي. اللافت في النتائج ذات الصلة بذكورة هؤلاء الرجال إعلانهم عن اعتقادهم «بأن لا صلة بين العقم والرجولة»، وبأن «عقمهم هذا لا صلة له بفحولتهم، وبأن المشكلة لا تعدو كونها مشكلة طبيّة، كغيرها من المشاكل». وتأكيداً لكونهم لا يعتبرون عقمهم وصمة على فحولتهم، فقد أخبروا أقرباءهم وأصدقاءهم أنهم يتلقّون علاجاً ولم يتكتّموا عليه. وتشير الكاتبة إلى أن هذا الاتجاه من العقم الإنجابي يرتبط ارتباطاً دالاً مع الانتماء الاجتماعي والمستويين التعليمي والمهني. وتحذّر الباحثة من أن الاتجاه يصف أكثر الرجال الذين قبلوا مقابلتها؛ إذ أحجم عن ذلك عدد شبيه من الرجال ينطوي سلوكهم، استناداً إلى ملاحظة الكاتبة والموظفين الصحيين المعنيين بالأمر في العيادة، على تكتّم شديد، وينمّ عن شعور بالوصمة من جرّاء عقمهم، (Inhorn, 2004).

وتبعاً لتحوّل أوضاع المرأة وتراجع معدّلات الخصوبة وتراخي مأسسة الجنسانية في المغرب، يبحث ديالَمي عن الطرق التي تقوم فيها هذه المسارات غير المنتهية بإعادة تعريف الذكورة التي كانت، ولأمد طويل، مصدر السلطة والامتيازات. وقد اختار في

دراسته الميدانية مجتمعاً[9] من الرجال «العاديين»، موظّفين من الدرجة الدنيا في محافظات ومدن مختلفة ومتناثرة على مساحة المغرب.

وحيث يفترض أن تتمثّل «أزمة الذكورة» في المغرب بالصعوبات المالية التي تواجه الرجال » وخسارة الصفات البطركية للهوية الذكرية، فإن اتجاهات الرجال المبحوثين لم تثبت فرضياته. وهو رصد غياباً في تعريف الذكورة لكلّ الأفكار التقليدية حولها؛ فالذكورة لم تعرّف بوصفها مضاداً للأنوثة: الرجل العاطفي، أو ذاك الذي يساعد زوجته، مثلاً، ليس «امرأة»، والودّ والحنان لا يتعارضان مع الذكورة، ولا ضرورة تستوجب هيمنة الرجل على المرأة في العلاقة التي تربطهما معاً إلخ... وهو ما جعل الباحث يستنتج أن «رفض الأنوثة لم يعد في المغرب ضرورياً لإثبات الذكورة».

إضافة على ذلك، استشفّ الكاتب من استجابات مبحوثيه بأن هويّة الرجل لم تعد «مقدّسة»، ولا «روحاً ثابتة»، إنما هي كائن يتعرّض للتغيير. ومن آيات ذلك التغيير أن فحولة الرجل تتجاوز، برأي مبحوثيه، التوصّل إلى الأورغازم orgasm، وغير مرتبطة بتعاظم النسل ولا بالسعي نحو خفض مقدرة المرأة الجنسية ولا ضبط سلوكها. بل إن الكاتب يرصد تعريفاً جديداً للذكورة يتمحور، في المدن والعاصمة خاصّة، حول سمات سيكولوجية بدرجة أولى، (وأخلاقية واجتماعية وسياسية بدرجات متلاحقة)... هذا التعريف يتمثّل باكتساب العلم والمعرفة، بنبل الروح والعقل... و«بتفاهم زواجي عميق في إطار أسرة نووية ديمقراطية»... ليستنتج الباحث في نهاية دراسته أن المغرب يتحوّل جنسياً بنجاح! (Dialmy, 2004).

الذكورة المرتجاة

لكن... بماذا تتصف الذكورة (الذكورات) الجديدة التي يجري الكلام عنها؟ ما هي المثالات التي ستُحتذى؟ وكيف ستختلف باختلاف المجتمعات والإثنيات والطبقات؟

إن البحث عن الذكورة الجديدة وعن الصور المناسبة لمعنى أن يكون المرء رجلاً

(9) تشكّلت عيّنة هذه الدراسة من 524 موظفاً ملأوا استمارات، وتمّت مقابلة 34 منهم، وكلّهم موظفون من وزارات الصحة والتربية والداخلية والزراعة من المحافظات المدن التالية: أغادير، خنيفرة، أوجدا، طنجة، وتطوان.

من المسائل المركزية في أيامنا المعاصرة. هذا البحث يستمد وهجه في الولايات المتحدة، مثلاً، في بداية القرن الواحد والعشرين، في النقاش الوطني المحيط بالحروب التي تخوضها الولايات المتحدة. ويرى أُكَنْ أن الحكومة الأميركية، وفي سعيها لإعلاء خيار الحرب وإعلانه، لجأت إلى الذكورة التقليدية، (Okun, 2002). لكن هناك رجال آخرون كثيرون، في الولايات المتحدة والعالم، اختاروا تعبيرات من الرجولة لإعلان السلام. «فحين نعتني بأطفالنا، وحين نناهض العنف ضد النساء وحين ندعو لثقافة المحبّة بدل ثقافة التدمير، فإننا نوسّع النقاش الدائر عندنا حول الرجولة. وحين يقوم بعضنا بإبدال الذكورة التقليدية بأخرى ألطف وأكثر رأفة، يسعنا أن نرفض قول «القوة هي الحق». . .» (Rudy, 2004). وروودي واحد في طائفة معاصرة من الرجال، منتشرين في العالم أجمع، اختاروا تعبيرات مختلفة للذكورة تهدف إلى إحلال السلام بالتناغم مع تعريف «الدالاي لاما» للروحانية، والمتمثّل بـ«ديني هو الحنوّ»، .

وقدّم هورروكس وصفاً للرجل القوي فعلاً ، «الحساس والانفعالي، القادر على البكاء، الذي يعترف بعجزه أحياناً، ويقبل بأن يكون متلقّياً في بعض الأحيان، والذي يسمح لنفسه بكبح جماح غضبه وقسوته وساديته. .»، (Horrocks, 1994, 206). وهورروكس واحد من تلك الفئة من الرجال الداعمين للنسوية الذين ركّزوا في كلامهم عن الذكورة المرتجاة على الاستجابة المغايرة و«التعويضية» للذكورة الفجّة التدميرية للذات والآخرين.

لكن الاتجاه الغالب لدى المطالبين بإعادة صياغة الذكورة تمثّل بالدعوة إلى عدم «إلقاء الطفل مع مياه الحمام الوسخة». ويرى ليفَنْت، مثلاً، أن بعض العناصر التي تُستدعى لصياغة الذكورات الجديدة هي بديهية؛ فالرجال المعاصرون سيمتلكون مجموعة متآلفة من السمات القديمة والحديثة معاً: سوف يكونون أقوياء، معتمدين على ذواتهم، ويمكن الاعتماد عليهم. وسوف يعبّرون عن ميلهم للعناية بالآخرين، ويبادرون لمساعدتهم على حلّ مشكلاتهم. سوف يكونون منطقيين وسوف يلتزمون بالمعايير الأخلاقية. سيجيدون حلّ المشكلات وسوف يتسمون بالتوكيدية، لكنهم لن يكونوا غرباء عن انفعالاتهم وانفعالات الآخرين، وسوف يولون تلك الانفعالات تقديرهم وسيتمكنون من التعبير عنها كلامياً، لتصبح حياتهم الانفعالية أكثر غنى وأكثر تعقيداً. سوف يتراجع غضبهم إلى مستويات مناسبة، وسوف يتآلفون مع مشاعر الحزن والخوف. سيصبحون واعين لانفعالات الآخرين وحساسين لرهافة اختلافاتها. سيوازنون

بين الحب والعمل. سيكونون أزواجاً وعشاقاً أفضل لأنهم سوف يصبحون أكثر قدرة على اختبار المتعة الحقيقية للحميمية، وسيفضّلونها على الممارسة الجنسية المفتقرة إلى العلائقية. سيصبحون، أخيراً، الآباء الذين تمنّوا هم أن يكون آباؤهم على شاكلتهم، (Levant, 2001).

كان ما كتبنا أعلاه ترجمة، شبه حرفية، لأوصاف الذكورة المرتجاة التي قدّمها ليفَنْت، أحد أهم الباحثين في الذكورة في أيامنا المعاصرة. ولا يخفى أن ما يصفه إنما هو الصيغة الأندروجينية، مثال الهوية النسائية الجديدة، الذي ازدهر الترويج له بوصفه مثالاً إيجابياً للنساء في العقود الأخيرة من القرن الماضي. هذا المثال الذي بدا، يومها، أنه يضيف إلى صحة النساء النفسية وتكيفهن إضافة نوعية تبعاً للارتباط الموجب والصريح مع مؤشرات مختلفة للصحّة والتوافق النفسيين. لكن نتائج الأبحاث الميدانية تضاربت، يومها، بما يطول إلى الرجال. إذ أشار بعضها إلى نتائج شبيهة بنتائج النساء، فيما أشار بعضها الآخر إلى ثبات النموذج الذكري التقليدي، لا النموذج الأندروجيني، في كونه باعثاً على التوافق والصحة النفسيين، (بيضون، 1988، صص. 50–57).

في علم نفس الجندر

بين التمسّك بالذكورة التقليدية، والتخلّي عنها لصالح ذكورة «رقيقة» نابذة للعنف والتدمير، مروراً بالمثال الأندروجيني مثالاً جديراً للاحتذاء، حاول الباحثون في علم النفس الاجتماعي في المجتمعات الصناعية تعيين موقع الرجال المعاصرين. وفي علم نفس الجندر– الحقل الفرعي في ميدان علم النفس– انطلقت في الستينات من القرن الماضي ورشة البحث في هويات النساء والرجال الجندرية المعاصرة تحت أسماء مختلفة؛ وقد نجم عن ذلك «انفجار في الأبحاث»، (Major et al, 1981)، حول الموضوع استمدّ طاقته من التحوّلات الاجتماعية والثقافية التي رافقت حركة تحرر المرأة والتي لاقت ترحيباً في الأكاديميا ومنظماتها. ومن مظاهر ذلك إنشاء قسم خاص في «الجمعية السيكولوجية الأميركية» تحت اسم «سيكولوجيا النساء» الذي يعرف راهناً بـ«جمعية سيكولوجيا النساء». ويرى كِمِل وكْرُفورد أن إنشاء هذا القسم كان حاثّاً على إنتاج كمّ كبير من الأبحاث والندوات حول النساء، وحول المسائل الجندرية في أعمال مؤتمرات «الجمعية السيكولوجية الأميركية»، كما أدّى إلى ازدياد في أعداد الكتب والمقالات العلمية المعنية، بما في ذلك إصدار مجلّات خاصّة بالمرأة– ومراجع هذه

الدراسة من بينها. والنقد النسوي الذي انتعش في السبعينات من القرن الماضي، والذي ترافق مع الحركة النسوية في موجتها الثانية شكّل تحدّياً صريحاً لمؤسسة علم النفس، وطاول المواضيع البحثية، المركّبات والمفاهيم النظرية، كما طاول التشخيص والتدخّل العلاجيين، ووضع موضع التساؤل الوسائل والأدوات المستخدمة في الأبحاث- الطرق التجريبية خاصّة والتي كانت جهود علماء النفس قد جهدت لتطويرها سعياً للاعتراف به علماً. واستوى «علم نفس النساء» فرعاً نقدياً متحدّياً ادعاءات علم النفس الأخلاقية والسياسية والعلمية محاولاً التأثير على الميدان بأكمله، (Kimmel and Crawford, 2001).

من هذا المنظور النقدي، بدت المعرفة السيكولوجية متمحورة حول الرجل ومتمركزة عليه. ومن علائم ذلك أن الرجال كانوا، تاريخياً، موضوع الدراسة والبحث السيكولوجي أكثر من النساء، وتمّت صياغة أسئلة البحث من منظور متحيّز جندرياً، كما تمّ الحكم على سلوك النساء بمقياس معياري ذكري. ووجدت النساء السيكولوجيات- أكاديميات، باحثات، أو مهنيات- واللواتي بدأن يتكاثرن في هذا الميدان... وجدن أنفسهن محاصرات بنظريات وممارسات، أقلّ ما يقال عنها أنها غير معبّرة عن معاشاتهن وخبراتهن، بل هي صياغة تكرارية، لم تتمّ مراجعتها علمياً، للترتيب والتراتب الجندريين في الواقع الثقافي البطريركي[10].

ومن المفاهيم والمركّبات الأساسية التي جرى تحدّيها في علم النفس كان مركّب construct «ذكورة - أنوثة» المعروف بـ(M-F)؛ ومفاده أن الذكورة عكس الأنوثة على نحو يجعل الواحد منهما مصنّفاً استبعادياً للآخر. فالاثنان قطبان متضادان على بعد واحد. هذا يعني أن ظهور مجموعة من المميّزات الخاصة بأحدهما تفترض إقصاء مميّزات الآخر. هكذا، فإن الأنوثة تتضمّن نقصاً في الذكورة، والذكورة هي الأخرى تتضمّن نقصاً في الأنوثة، فتكون الاثنتان، تبعاً لذلك، على طرفي نقيض ولا يجتمعان في آن معاً؛ هذا يعني، إجرائياً، وجود ترابط سلبي بين المؤشّرات الدالّة على كلّ من الذكورة والأنوثة.

---

(10) انظر، مثلاً، كتابنا صحّة النساء النفسية بين أهل العلم وأهل الدين، (بيضون، 1998، الفصل الأوّل من الجزء الأوّل)، لتلخيص يصف موقع المرأة في العلاج والطب النفسيين كما وصفته الباحثات النسويات.

وكانت كونْستَنْتِنوبل الباحثة الأولى التي تحدّت الخلفية النظرية، غير الصريحة، التي انطوى عليها هذا المركّب. ففي مقال، تكاد لا تخلو معظم الدراسات في علم نفس الجندر من ذكره مرجعاً لها ، بيّنت الباحثة اعتباطية «النظرية» التي ينطوي عليها هذا المركّب، والتي تمثّلت بمسلّمة أن الذكورة والأنوثة قطبان متضادان على بعد واحد. وفي تفحّص تجريبي لقياسات نفسانية تتضمّن سلّم ذكورة- أنوثة، واسعة الاستخدام في علم النفس[11]، بيّنت أن افتراض أحادية البعد وازدواجية القطب للذكورة والأنوثة . . . هذا الافتراض بقي مسلّمة لم تخضع للاختبار، ولم يتمّ إثبات صحّته. وحين أخضعت الباحثة القياسات المذكورة لتحليل إحصائي تفصيلي توصّلت إلى أن المركّب «ذكورة - أنوثة» اعتباطي، لا أساس علمي له، (Constantinople, 1973).

إن البداهة والعفوية الكامنتين خلف مسلّمة تعارض الذكورة والأنوثة تأسستا على الإبيستمولوجيا الذكرية في الجندر: في السيرورة النفسانية / المعرفية التي تحكم وعي الذكر الصغير لهويته الجندرية gender identity- أي، في يقينه الثابت بأنه ذكر وينتمي لمصنّف الرجال. هذه السيرورة ودينامياتها كانت موضوع مباحث لفرويد،(وهو الأكثر منهجية وتأثيراً في هذا المجال)، الذي امتلك، عبر العلاج بالتحليل النفسي، امتياز مرافقة بعض الرجال الراشدين، ملتمسي العناية النفسية لديه، في مسار نكوصهم إلى طفولتهم المضطربة، ومعاينة السيناريو الأوديبي لكلّ منهم ومظاهر «إخفاقهم» في تحقيق الهوية المرتجاة ومصادر ذلك الإخفاق. وقد برز الإناث وخصاؤهن في لحظة درامية حادّة أوقعت في نفوس هؤلاء الذكور الطفولية الهلع، ودفعت بهم إلى الهروب إلى الموقع الأبعد عنهن، وإلى إقصائهن وإقصاء كل ما يشير إليهن في نفوسهم. فاستوى هذا الإقصاء وذلك الاستبعاد سلوكاً منهجياً يقترب من ضرورة البقاء في سبيل الإبقاء على سلامة هويتهم الجندرية/ الإنسانية- والذي تمثّل في سلامة قضيبهم، موطن الإيروس في تلك المرحلة المؤسِّسة من حياتهم.

إن التضاد بين الذكورة والأنوثة إنما يعني أن الذكورة لا تتحقق إلا عبر نفي الأنوثة وإقصائها. وحين تدّعي النسويات والسيكولوجيات أن علم النفس متمحور حول الرجل، فإن مركّب «ذكورة - أنوثة» من الأمثلة الأكثر تعبيراً عن ذلك الادعاء. فإذا كان الذكر

---

(11) في ما يلي أسماء هذه القياسات النفسانية: Terman and Miles, Guilford and Zimmermen, Gough, MMPI, Strong

يحدد ذكورته بوصفها عكس الأنوثة، ويتعيّن عليه إذاً، إقصاؤها عن ذاته، يكون المركّب المذكور صالحاً لوصف هويته الجندرية. إن هذا التضاد / الإقصاء، ولأنه المثال الصالح لوصف هويته الجندرية، تمّ تعميمه، وافترض بأنه صالح ليصف النساء: فحيث بدا استواء الأنوثة عكساً للذكورة مناسباً لوصف تشكّل ذكورة الرجل/ شخصيته واستقرارها، افترض اتجاهاً نفسانياً متشاكلاً isomorphic لدى المرأة: جعل الذكورة مضادّة لتحقيق أنوثتها.

لا يخفى أن سيادة هذا المركّب، مركّب ذكورة- أنوثة، في ميدان علم النفس من بعض سيادة الفاعلين في هذا الميدان والمؤثرين فيه، (بيضون، 2005). وحين كانت نتائج الأبحاث التي نفّذت تحت مظلّة هؤلاء النظرية، وباللجوء إلى أدواتهم، تُخفق في تأويل سلوك النساء تمّ إلقاء اللوم على النساء! بل إن فرويد وزملاءه، مثلاً، لم يترددوا في نعت أكثرية النساء بـ«الانحراف» عن «المثال القويم» المفترض. وقلّة قليلة منهم وضعوا موضع التساؤل «صواب» المثال وصدقية تمثيله لسيكولوجيا النساء، بالرغم من أن أكثر النساء يخفقن في الوصول إليه، (Freud, 1931)، وبالرغم من أن «كلّ البراهين تؤيّد أن المرأة السوية هي إلى حدّ ما ظاهرة نادرة»، (Safouan, 1982)... فإذا كانت أكثر النساء يخفقن في الوصول إلى تحقيق ذلك المثال، وإذا كانت ندرة السواء لديهن ظاهرة عامّة، فألا يحتاج ذلك إلى تأمّل؟ كيف يصنّف مثال نفساني (المثال التحليلنفسي، أو مركّب «ذكورة- أنوثة»)، أكثرية النساء في خانة الانحراف والمرض ولا يلقى تساؤلاً حول صدقيته في التعبير عن النساء ومعاشاتهن؟ ألا يحتمل أن يكون هذا التواتر في الإخفاق، أو تلك الندرة في التحقيق، ناجميْن عن إخفاق المثال نفسه في وصف مُعاش النساء وخبراتهن؟

هذه صيغة هادئة لتساؤلات النسويات التي كانت غالباً، وفي ما يطول إلى هذه المسألة بالذات، صاخبة وغاضبة(12). وهي وجدت صداها لدى باحثات وباحثين في علم نفس الجندر لعلّ أهمّهم ساندرا بِم وجانيت سبِنْس وزملاؤهما/ طلابهما العاملون معهما، وهم اقترحوا وطوّروا نظرية الأندروجينية وتطبيقاتها العملية. وأعمال هؤلاء كانت النواة البحثية التي جذبت إليها في السبعينات من القرن الماضي، ولا تزال، أعداداً

(12) انظر تلخيصاً للمواجهات الحادّة التي تعرّض لها التحليل النفسي عامّة، وفرويد خاصّة، من نسويات غربيات وعربيات، نوال السعداوي أساساً، في (بيضون، 1988، 28-40).

غير قليلة من الأبحاث في الولايات المتحدة خارجها. وقد توسّل أكثر هذه الأبحاث الأدوات البحثية التي طوّرها هؤلاء، والتي تأسست على تصوّر للذكورة والأنوثة أكثر ملاءمة مع الواقع، وأكثر قدرة على وصف ما آلت إليه هويّات النساء والرجال الجندرية.

في الفصل التالي، عرض لنظرية الأندروجينية وقياساتها، كما جرى تطويرها في السبعينات في القرن الماضي، تمهيداً لاستعراض مسار إنشاء استبيان «صورة الذات الجندرية»- أداة بحثنا الميداني.

الفصل الثالث

نظرية الأندروجينية وقياساتها

المنطلقات

تنطلق ساندرا بِمْ Sandra Bem من الأرضية التي أرستها حركة تحرر المرأة. ومن مسلّماتها أن التنميط في الأدوار الجنسية هو اعتباطي، وأن الالتزام بالمعايير المرسومة اجتماعياً، وبعكس الاعتقاد السائد، باعث على المشاكل النفسية. وترى بِمْ أن كل ثقافة اجتماعية تبلور، في مسار تطورها الحضاري، مجموعة من الصفات في صنفين متنافرين، يكون الواحد منهما مميزاً لواحد من الجنسين، ومرغوباً منه، أكثر مما هو مرغوب من الآخر؛ المصنّفان هما «الذكورة» و«الأنوثة». هذا التصنيف يتضمّن قواعد، وتوقعات في السلوك والاتجاهات معروفة من كل أفراد هذه الثقافة الاجتماعية. إلا أن الأفراد يختلفون في ما بينهم في المدى الذي يعتمدون فيه هذه التحديدات الاجتماعية معايير مثالية للأنوثة والذكورة لتقييم شخصياتهم أو سلوكاتهم بإزائها. فتتشكل، بذلك، مجموعتان من الأفراد:

ـ **الأولى**: الأفراد المنمّطون جنسياً، ويكونون مُتناغمين مع التحديدات للمعايير الاجتماعية، ولديهم الدافعية لتبنّي أنماط سلوك وسِمات مناسبة لجنسهم، ولتفادي أنماط سلوك غير مناسبة؛ وحيث يسهم ذلك التبنّي، وهذا التفادي، في بلورة الصورة النمطية وإعادة إنتاجها.

ـ **الثانية**: تتألّف من أفراد أقلّ تماشياً مع التحديدات الاجتماعية للذكورة والأنوثة، ولا يراعون هذه التحديدات في سلوكاتهم ومواقفهم، بل يلعبون أدواراً متماشية مع الوضعية المحددة بمنأى عن العنوان الجنسي لهذه الأدوار، أو مدى ملاءمتها مع جنسهم البيولوجي، (Bem, 1974).

وقد أطلقت بِمْ على الفرد من المجموعة الثانية اسم «الأندروجيني» (Androgynous) وهي كلمة لم نجد لها مقابلاً عربياً ملائماً فاكتفينا بتعريبها. هذا المفهوم، أي الأندروجينية النفسانية، مستعار من البيولوجيا، ويصف الناس الذين يمتلكون القدرة على مُكاملة واستيعاب الأدوار والسمات الذكرية والأنثوية معاً. وهو مفهوم قديم - جديد ازدهر استخدامه في الثقافات الشرق آسيوية أكثر من ثقافات الغرب (Singer, 1977)؛ لكنه يستعمل في هذه الدراسة بالمعنى الذي عرّفته بِمْ، على الشكل التالي:

«الفرد الأندروجيني هو ذلك الذي يستطيع أن يكون ذكرياً أو أنثوياً، توكيدياً أو مسالماً، وسيلياً أو تعبيرياً... وذلك بحسب ما تتطلبه الوضعية المعينة المحيطة بالفرد، وفي وقت معين».

وقد حددت الأندروجينية في مقابل التنميط الجنسي السائد، بتعابير الذكورة والأنوثة، وعلى نحوٍ تابع لهما. وهو مفهوم ذو ضرورة آنية، يصف نمطاً مرحلياً من التطور التاريخي للهوية الجندرية Gender-Identity لذلك فهو صيغ بواسطة مصطلحَي الذكورة والأنوثة. وهو بديل كل واحد منهما- بما هو نفي للآخر، وتعبير عن تآزرهما- إذا اجتمعا معاً. وترى بِمْ أن هذا المفهوم ينطوي على تناقض داخلي ويحمل، تالياً، بذور تدميره الذاتي؛ وحين تستقر الأندروجينية كنمط نفس-اجتماعي سائد في الثقافة الاجتماعية، يصبح مفهوم الأندروجينية في حكم الخُلْف، (Bem, 1974)؛ وقد تبنّى الباحثون اللاحقون في علم نفس الجندر Gender Psychology هذا المصطلح، وذلك التعريف.

الأندروجينية مثالاً إيجابياً

على أن الجديد الذي تقدّمه نظرية الأندروجينية لا يقف عند صياغة مفهومَي الذكورة والأنوثة المتعامديْن؛ بل إن إسهامها الرئيسي يكمن في إثبات الباحثين، الذين نفّذوا دراسات ميدانية في إطارها، ترافق ظاهرة الأندروجينية ومظاهر نفسانية وسلوكية إيجابية. هذه الدراسات انشغلت بالبحث عن احتمال أن يكون الأندروجينيون من الناس أكثر توافقاً، وأكثر سواء في ميزان الصحّة النفسية من نظرائهم المنمّطين، وبأن يتفوّق هؤلاء على النساء الأنثويات والرجال الذكريين، في هذا المضمار؛ وذلك، بعكس

الاعتقاد الذي كان سائداً في الأوساط السيكولوجية والتحليلنفسية، والقائل بأن التماهي مع منمّط الجنس المثيل يفضي إلى صحّة نفسية باهرة، والعكس بالعكس.

وكانت بِمْ قد بيّنت، بالاختبار الميداني، بموازاة إطلاق نظريتها، أن الأندروجينيين، رجالاً كانوا أم نساء، تصرّفوا في وضعيات ذكرية، مثلاً، بطريقة ذكرية، وكانوا أنثويين في وضعيات أنثوية؛ وذلك بعكس المنمّطين الذين أبدوا تصلّباً في وضعيات عبر جنسية: فجاء أداء المرأة الأنثوية في وضعية تتطلّب وسيلية واستقلالاً (مواجهة الخضوع لرأي آخرين، مثلاً). . . . جاء أداؤها مرتبكاً؛ وهو حال الرجل الذكري تماماً لدى تعرّضه لوضعية تتطلّب حضناً،(تعاطفاً مع شخص يشكو، أو ملاعبة هرة صغيرة، مثلاً)، (Bem, 1975).

هذا، وقد أطلقت النظرية الأندروجينية «انفجاراً» بحثياً سعى لفحص ادعاء كون الأندروجينية مثالاً نفسانياً إيجابياً. فجاءت هذه الأبحاث لتثبت تفوّق المثال الأندروجيني النفسي، في الإجمال، على غيره؛ وذلك بصدد متغيّرات مختلفة:

- الأندروجيني يحمل تقديراً لذاته أكثر إيجابية من الفئات الجندرية الأخرى، (خاصّة لدى النساء)،
- الأندروجيني أكثر توافقاً في الحياة العملية،
- الأندروجيني أقلّ طلباً للمساعدة النفسية من الفئات الأخرى،
- صورة الأندروجيني لدى الآخرين هي الأكثر جاذبية،
- الوالد الأندروجيني موضوع للتماهي أكثر من الوالد من الفئات الأخرى، وبمعزل عن جنسه،
- الأبناء الذين يكون والداه من النمط الأندروجيني هم الأكثر توافقاً والأكثر دافعية للإنجاز، ويختبرون مناخاً أسرياً متناغماً وديمقراطياً، دافئاً، مضبوطاً وذا قواعد صريحة.

وتشتمل المتغيّرات المدروسة ما يلي: «هوية الأنا»، السعادة الزوجية، الإنجاز، التعلّم، القدرة الفراغية، اختيارات الحياة، الانبساط والانطواء، الانصياع، تحمّل الغموض، نوعية العلاقات العائلية، القدرة على الحب، إلخ[1].

---

(1) لخّصت الأبحاث التي رافقت صياغة نظرية الأندروجينية في المرجع، (بيضون، 1988، 50-57).

هذا، وبيّنت أبحاث أخرى بأن الشخصية الأندروجينية ذات صلة إيجابية بمؤشرات الصحّة النفسية لدى النساء، لكن النتائج بشأن الرجال، محتاجة إلى مزيد من البحث. وزعم آخرون أن أندروجينية الرجال تختلف عن أندروجينية النساء: فحيث يسع النساء «المزج» بين الذكورة والأنوثة، يُحجم الرجال الأندروجينيون عن ذلك؛ فهم، وفي وضعية معيّنة، يستلهمون واحداً من مكوّنات أندروجينيتهم، تباعاً؛ فهم إما ذكريين أو أنثويين، لكن ليسوا الاثنين معاً، (بيضون، 1988، 57–60).

ونحن وجدنا أن «القلق العام»، بما هو مؤشّر سلبي للصحّة النفسية ذو صلة دالّة، إحصائياً، بـ«ذكورة» الشخص، وأن «أنوثة» الشخص لا تؤثّر في ارتفاع درجة القلق العام، ولا بانخفاضه. وتبيّن لنا أيضاً، أن الأفراد ذوي الذكورة المرتفعة هم أقلّ قلقاً من الأفراد ذوي الذكورة المنخفضة، (بيضون، 1988، 160). وتنضمّ نتائجنا، بذلك، إلى نتائج أبحاث أنجزت في بلدان متفرّقة، والولايات المتحدة منها، كانت تعزو الصحة النفسية إلى ارتفاع في الذكورة، وتخفق في إيجاد صلة بين الأنوثة والصحّة النفسية؛ هذا يعني أن ارتفاع الذكورة هو الباعث على الصحة النفسية، وأن الأندروجينية ليست المثال الأفضل للصحة النفسية، كما افترض منظّرو الأندروجينية. ونحن كنا قد حاولنا تأويل نتائجنا بالعودة إلى قياسات الصحّة النفسية وبنودها التي كانت مصوغة، غالباً، بطريقة تستثير لدى المبحوثين استجاباتهم لوضعيات ذكرية. وقلّما حوت هذه القياسات بنوداً تستثير لدى المبحوث استجابة لوضعية أنثوية. والقياس الذي اقتبسنا في دراستنا تلك ينطبق عليه الوصف ذلك تماماً، فجاءت نتائجنا على النحو المذكور؛ وهو ما أدّى بنا إلى الاستنتاج بأن «العالم ذكري، ومعارفه وعلومه هي، بالضرورة، كذلك. (إن) والتوافق مع هذا العالم يتطلّب شخصية ... تتمتع بالسمات الذكرية». (بيضون، 1991).

ولا تزال الدراسات حول الصلة بين مؤشرات إيجابية نفسانية والنمط الأندروجيني تنفّذ في الولايات المتحدّة، ولا تزال النتائج المحصّلة غير نهائية. وبدا أن المسألة مرتبطة بالوضعيات المدروسة، ومتطلباتها، والناحية المدروسة منها، من جهة، وبترهيف مفهوم الأندروجينية، من جهة ثانية. وكلّما كانت الوضعية تتطلّب استجابة مركّبة من وسيلية- فعالية- هجومية (ذكورة) وارتباطية - علائقية- تعاطفية(أنثوية)... في الوقت نفسه، كانت الأندروجينية مثالاً أكثر فعالية في التعامل معها، وكان اللجوء

إلى استراتيجيات أندروجينية ذا وقع إيجابي على صحة الفاعلين في الوضعية ورفاههم النفسيين» (Woodhill and Samuels, 2003).

النظرية «هبة» وسيلة البحث

إن نظرية الأندروجينية قد تمّت صياغتها بموازاة إنشاء أدواتها البحثية، وتطوّرت مع الأبحاث الميدانية التي نفّذت بتوسّل هذه الأدوات. ولا تنفرد هذه النظرية في علاقتها الوثيقة بأدوات البحث التي رافقت تطوّرها. فالنظريات في علم النفس والتحليل النفسي هي، غالباً، «هبة» طرائقها ووسائلها؛(فهل كان التحليل النفسي سيستقيم، مثلاً، نظرية شاملة (بل نظريات) لولا «القاعدة الأساسية»، وسيلة استدراج «اللاوعي» إلى الفضاء العلاجي والسماح له باحتلال مساحة التعبير/ مقاومة التعبير في الوضعية العلاجية؟ وكيف كان يمكن للسيكولوجيين التجريبيين صياغة نظرياتهم وتطويرها لولا مختبراتهم والتقنيات التي استحدثت لقياس «الاستجابات» على أنواعها؟ إلخ). من هنا، فإن استعراضاً مفصّلاً لهذه الأدوات يبدو لنا ضرورة يستدعيها إرساء أساس صلب لها ويسمح بفهم أفضل بها وبحدودها.

قامت بِمْ بإنشاء استبيانها للأدوار الجنسية "Bem Sex Role Inventory" (BSRI) الذي يختلف عن الاستبيانات السابقة في كونه القياس الأول الذي يسعه رصد الشخصية الأندروجينية؛ وفيه نقضت بِم مسلّمة تضاد الذكورة والأنوثة بجعلهما بُعدين متعامدين orthogonal ومستقلين واحدهما عن الآخر، لا ضدّيْن متعارضيْن. كما قام سبِنْس وزملاؤها، وبشكل موازٍ، بإنشاء «استمارة السمات الشخصية» Personal Attributes Questionnaire" (PAQ) على الأسس ذاتها، وسنقدم، لاحقاً، وصفاً مُسهباً لهذين الاستبيانين لأنهما يشكلان معاً أساساً للأداة التي يقوم عليها بحثنا الميداني.

ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن اعتبار الأنوثة والذكورة بعدين متعامدين يُنتج تنميطاً جنسياً أو جندرياً رباعياً، لكل واحد من الجنسين، على الشكل التالي:

- النمط ذو الذكورة العالية والأنوثة العالية معاً هو النمط الأندروجيني (Androgynous Type)،

- النمط ذو الذكورة العالية والأنوثة المنخفضة معاً هو النمط الذكري (Masculine Type)،

- النمط ذو الأنوثة العالية والذكورة المنخفضة معاً هو النمط الأنثوي (Feminine Type)،

- النمط ذو الذكورة المنخفضة والأنوثة المنخفضة معاً هو النمط اللاامتمايز (Undifferentiated Type) .

هذا، وارتبطت «النظرية لأندروجينية» بالأبحاث الارتباطية التي نفّذت في السبعينات، والتي استخدمت القياسات التي أنشئت في إطار هذه النظرية . ونستعرض، في ما يلي، وببعض التفصيل، أهمّ هذه القياسات وأكثرها استخداماً، وبعضاً من مسار تطويرها. هذا الاستعراض يشكّل خلفية ضرورية لوصف الأداة البحثية التي استخدمناها في دراستنا الميدانية، والتي أنشئت بطريقة مماثلة لها.

«استبيان بِمْ للأدوار الجنسية» (BSRI)

ماذا يقيس الاستبيان ؟

يقيس هذا الاستبيان الأنوثة والذكورة عند فرد ما، وبوصفهما ناحيتيْن مستقلّتَيْن من الهوية الذاتية، لا كقطبين متضادين، فيسع للفرد أن يكون مُتحلياً بجملة سمات قد تعتبرها استبيانات أخرى على طرفيْ نقيض. وهو يقيس، اضافة إلى ذلك، أندروجينية الفرد. والمعادل العملي لذلك هو الفرق ما بين علامتَي الفرد على سلم الذكورة وسلم الأنوثة، مُقنناً بحسب العينة. يقيس الاستبيان، إضافة إلى ذلك، المرغوبية الاجتماعية(*) (Social Desirability).

مضمون الاستبيان وكيفية اختيار بنودهِ

يتألّف الاستبيان من ستين سمة، عشرون منها أنثوية وعشرون ثانية ذكرية وعشرون

(*) المرغوبية الاجتماعية social desirability صفة تُطلق على سمات مقبولة اجتماعياً بحيث تجعل الشخص الذي يتحلّى بها جذاباً. وفي مجال القياسات النفسانية تُعرّف بأنها واحد من أساليب الاستجابة على بنود الروائز والاستبيانات النفسية التي تعتمد التقرير الذاتي self report. هذا الأسلوب يتصف بميل المبحوث للإجابة على بنودها بناء على درجة المرغوبية الاجتماعية التي تتحلّى بها السمة المتضمّنة في البند. وذلك بدل أن يجيب عليها بناء على التقييم الذاتي الصادق. والميل المذكور يختلف عن الكذب المقصود.

ثالثة حيادية اختيرت على أساس حكم مائة شخص(خمسين رجلاً، وخمسين امرأة) من بين أربعمائة سمة. وقد طلب إلى الحكّام المائة أن يعيّنوا، من بين هذه السمات الأربعمائة، تلك التي تُعتبر في المجتمع الأميركي سمة مرغوبة لواحد من الجنسين، وذلك، على سلّم من سبع نقاط. لمزيد من التوضيح، اعتبرت السمة ذكرية، وصنّفت في خانة «الذكورة»، إذا اتفق الحكّام، من الرجال والنساء، على اختيارها لتكون سمة مرغوبة للرجال في المجتمع الأميركي أكثر مما مرغوبة للنساء، وذلك بمستوى دلالة ($p < 0.05$). ويمكن تكرار الوصف بالنسبة للسمة الأنثوية.

أما بالنسبة للسمات الحيادية فقد تمّ اختيارها إذا ما اعتبرها كل من فئتَي الحكام، الرجال والنساء، بأنها تتمتع بنفس المرغوبية الاجتماعية للجنسين، وإذا لم يكن الفرق بين الحكّام الذكور والإناث في تعيينها كذلك، ذا دلالة. وهكذا تمّ اختيار عشر سمات إيجابية، ومثلها سلبية. وتؤمّن هذه السمات خلفية مُحايدة للسمات الأنثوية والذكرية. وقد استعملت في البداية ، عند تطوير الاستبيان للتأكد من أنه لا يستثير الميل العام لوصف الذات بشكل مرغوب فيه اجتماعياً.

يتألّف استبيان بِمْ، إذاً، من سلالم ثلاثة: واحد لقياس الذكورة، وآخر للأنوثة، وثالث حيادي. وحيث يُطلب إلى المبحوث أن يعيّن على سلم من سبع نقاط الدرجة التي تقوم كل واحدة من الستين سمة لوصفه (أي لوصف المبحوث)[2].

استمارة السمات الشخصية (PAQ)

تتألف «استمارة السمات الشخصية» الأصلية من خمسة وخمسين بنداً، فيما تتألّف

---

(2) وتتراوح العلامة التي ينالها المبحوث على كلّ بند في هذا السلم من 1 (أبداً) الى 7 (دائماً). ويحصل المستجوب على ثلاث علامات رئيسية: واحدة «للذكورة» وأخرى «للأنوثة» وثالثة «حيادية»، تتراوح بين عشرين (1×20)، ومائة وأربعين، (7×20).

لكن ما هي دلالة هذه العلامات ؟

تشير العلامة التي يحصّلها الفرد المبحوث على سلّم الذكورة إلى الدرجة الذي يعزو فيها الفرد لذاته سمات ذكرية. ويصحّ الأمر عينه بالنسبة لعلامة الأنوثة. وهما علامتان مستقلتان بالطبع. أما علامة «الأندروجينية» فتعكس الكمية النسبية للأنوثة والذكورة التي يعزوها الفرد لذاته، وتميّز، بالتالي، بشكل أفضل الطبيعة العامة لدوره الجنسي. وتحدد هذه العلامة، كما أشرنا، بالفرق بين علامتَي الذكورة والأنوثة للفرد. وباستعمال المحك التائي (Student t)، بدل الفرق الفج، يمكن قياس أهمية الفرق بين علامتي الذكورة والأنوثة للفرد الواحد، وتحديد مدى التنميط الجنسي الذي يطبع شخصيته.

المختصرة من أربعة وعشرين بنداً، وحيث إن كلّ واحد من هذه البنود مزدوج القطب. ويصف كل بند ميزة شخصية تسمح للمبحوثين أن يعيّنوا مدى تحلّي ذواتهم بتلك الميزات على سلم من خمس نقاط. وتتألّف الاستمارة من سلالم ثلاثة، واحد للذكورة (M) وآخر للأنوثة (F)، وثالث حمل اسم المركّب التقليدي، «الذكورة - الأنوثة» (M-F)[3].

تمّ اختيار البنود الخمسة والخمسين التي تؤلف الاستمارة الكاملة من مجموعة من مائة وثلاثين بنداً وضعها معاً باحثون من ترشيحات قدمها طلاب جامعات لسمات تميّز، على صعيد الأدوار الجنسية » بين الرجال والنساء » وذلك في إطار إقامة البرهان على وجود منمّطات للأدوار الجنسية. وحيث طُلب إلى الطلاب أن يعطوا علامة (من صفر إلى أربع) للراشد الذكر النموذجي، وثانية للراشدة الأنثى النموذجية. وتم الحصول، بالطريقة ذاتها، على علامات الفرد المثالي(دون ذكر جنسه). وقد استعادت سبِنْس وزملاؤها الدراسة نفسها لإجرائها على عينة أكبر من طلاب في صفّ تمهيدي في قسم علم النفس، وفيها طلب إلى هؤلاء أن يقترحوا علامة على كل بند لكل من الراشد الذكر النموذجي » والأنثى الراشدة النموذجية ، وللطالب الجامعي النموذجي من كل واحد من الجنسين، إضافة إلى الفرد المثالي في كل واحد من الجنسين. . . وأخيراً أن يسندوا لأنفسهم علامة على كلّ بند ،بالطريقة ذاتها، (Spence and Helmreich, 1978, 33-36).

وقد تمَّ اختيار مجموعة من خمسة وخمسين بنداً، أظهر فيها الجنسان تنميطاً ثابتاً بالنسبة للفروقات الجنسية. بمعنى أن متوسط العلامات التي أسندها الطلاب والطالبات للفرد النموذجي، اختلفت اختلافاً ذا دلالة في تلك البنود بما يخص الراشد والطالب النموذجي على السواء. كذلك، وعند مقارنة متوسط العلامات الذاتية للنساء والرجال، تبين أن في كل واحد من الخمسة والخمسين بنداً اختلف فيها الجنسان اختلافاً دالاً باتجاه النموذج الجنسي المماثل. وهو ما سمح بالاستنتاج بأن البنود في «استمارة

(3) ويحصّل المبحوث على كل بند في الاستمارة علامة تقع بين صفر وأربع. هكذا، فإن العلامة على كل سلّم تتراوح بين صفر واثنتين وثلاثين(من 0×8 إلى 4×8). وتؤوّل علامة عالية على كل من سلّمي الذكورة و«ذكورة- أنوثة» » بذكورة عالية، فيما تؤوّل العلامة عالية على سلم الأنوثة، بأنوثة مرتفعة.

السمات الشخصية» لا تميز بين الجنسين بالنسبة للاعتقاد الشائع حول ماهية كل منهما فحسب، بل إن النساء والرجال المبحوثين يميلون لأن يميزوا أنفسهم أيضاً، كرجال ونساء، بإزائها.

أما بالنسبة للمرأة المثالية والرجل المثالي فقد وقعت مكانة متوسط العلامات بالنسبة لكل بند إلى الجهة ذاتها من الفرد النموذجي للجنس المماثل؛ وذلك بالنسبة للنقطة الوسطية (Middle Point) بينه وبين الجنس الآخر. ويستنتج من هذه المعطيات أن السمات الشخصية النموذجية التي اعتُمدت في «استمارة السمات الشخصية» تحظى بالمرغوبية الاجتماعية.

استُعملت العلامات (المثالية) لتميّز بنود استمارة السمات الشخصية (PAQ) بين سلالم ثلاثة: الذكورة (M)، الأنوثة (F) ، والذكورة -الأنوثة (M-F). وتحدد بنود سلم الذكورة (M) على أنها تلك المرغوبة اجتماعياً للرجال والنساء معاً، لكن يعتقد أنها مرغوبة للرجال أكثر مما هي مرغوبة للنساء. هذا يعني، إجرائياً، أن متوسطَي العلامات التي تمّ عزوها لذلك البند لتصف المرأة المثالية والرجل المثالي، يقعان في الجهة نفسها من النقطة الوسطية - بين الرجل والمرأة النموذجيين باتجاه القطب الذكري النموذجي. وقد صُنف تحت هذا السلم ثلاثة وعشرون بنداً. وبالطريقة ذاتها، تمّ تحديد البنود الأنثوية (عددها 18)، أما البنود التي صنفت تحت الذكورة- الأنوثة (M-F) فإن متوسط علاماتها عند الرجل والمرأة المثاليين قد وقعت على الجهتين المقابلتين من نقطة الوسط؛ مما يعني أن ما يمكن أن يكون مرغوباً اجتماعياً لواحد من الجنسين هو ليس كذلك بالنسبة للآخر. وقد تمَّ تصنيف ثلاثة عشر بنداً في سلم (M-F)[4].

بعد إجراء الاختبار الكامل على العيّنة الأولى جرى حساب معاملات الارتباط (الجزء - الكل) لكل بند مع كل واحد من السلالم الثلاثة، فتبين أن الارتباط بين البند في فئة السلم التي جرى تصنيف الفرد فيها مع هذا السلم، هو أكبر من الارتباط بين البند ذاته وأي واحد من السلمين الباقيين، مما يبرر إمبيريقياً التقسيم المعتمد إلى فئات

---

(4) ولنضرب أمثلة من بنود كل واحد من هذه السلالم:
- الذكورة : استقلالية ، نشاط، منافسة ، شعور بالتفوق
- الأنوثة : انفعالية ، لطف، حساسية، تفهم للآخرين
- الأنوثة - الذكورة : غياب العدوانية - العدوانية ، الخضوع- التسلط، التوجه صوب البيت- التوجه صوب العالم الخارجي، البكاء بسهولة - عدم البكاء.

ثلاث. إضافة إلى ذلك، فإن مقارنة متوسّطات عزو الذات للنساء والرجال في العينة ذاتها، تبيّن اختلافاً دالاً في الاتجاه المتوقع؛ وذلك بالنسبة لكل بند كما بالنسبة للسلالم الثلاثة، الأمر الذي يؤكّد صدق استمارة السمات الشخصية في قياسها «للذكورة» و«للأنوثة» .

لكن يبقى أنّ وجود سلّم «ذكورة- أنوثة» (M-F) يُشكل حرجاً للنظرية التي أنشئ الاستبيان على أساسها؛ هذه النظرية تفترض،(للتذكير)، استقلالية، بل تعامد المركّبين: مركّب الذكورة ومركّب الأنوثة كما سبق وأشرنا مراراً. لكنه، مع ذلك، ذو قيمة امبيريقية: إذ إن هذا السلم يقدّم معلومات حول الشخصية لا يقدّمها أي واحد من السلميْن الآخريْن؛ فهو يعبّر عن واقعة وجود سمات تحظى بالمرغوبية الاجتماعية لجنس لكنها «مذمومة» للآخر، مما يجعل إدراجها في واحد من السلّمين (M) أو (F) غير ممكن، ويشير أيضاً إلى أن النساء والرجال ما زالا، وبرغم التعديل المهمّ الذي تعرّضت لها هوياتهم الجندرية، منمّطين بدرجة معيّنة.

التنميط الرباعي الجديد

هو التصنيف الجندري المعتمد في «استمارة السمات الشخصية»، وقد حددت صورا الذات الجندرية وفق العلامات التي نالها أفراد عينة معيارية(*) Normative Sample من طلاب وطالبات الجامعة الأميركية (هيوسِن- تكساس)؛ وذلك بالنسبة إلى وسيط Median العلامات التي حصّلها أفراد تلك العيّنة على النحو التالي:

حددت للمجموعة المعيارية (من النساء والرجال معاً) الوسيطين على سلّمَي الذكورة والأنوثة بالإضافة إلى سلم ذكورة - أنوثة . ثم صنّف الأفراد بواسطة جدول مربع، بحسب موقعهم . فينتمي كل واحد من هذه المجموعة إلى فئة من الفئات الأربع المذكورة؛ وذلك استناداً إلى موقعه بالنسبة للوسيط المحتسب لعلامات الكليّة على كلّ من سلّمي الذكورة والأنوثة. وتسمى الخلايا الأربع الناتجة عن هذا التصنيف هكذا:

(*) انظر «التعريف بمصطلحات مختارة» ص 331

		ذكــورة	
		تحت الوسيط	فوق الوسيط
أنوثة	فوق الوسيط	أنثوي (ذكورة منخفضة+ أنوثة مرتفعة)	أندروجيني (ذكورة مرتفعة+ أنوثة مرتفعة)
	تحت الوسيط	لامتمايز (ذكورة منخفضة+ أنوثة منخفضة)	ذكري (ذكورة مرتفعة+ أنوثة منخفضة)

فيتم تصنيف الأفراد المبحوثين، نساء ورجالاً، الذين نالوا علامة أعلى من الوسيط من مجموعة علامات المجموعة المعيارية، وعلى سلّمي «الذكورة» و«الأنوثة» معاً في خلية واحدة أطلق عليهم اسم فئة «الأندروجينيين».

ويصنّف الذين نالوا، في الوقت نفسه، علامة أعلى من الوسيط من مجموعة علامات المجموعة المعيارية على سلم «الذكورة»، وعلامة أدنى من الوسيط على سلم «الأنوثة» في خلية واحدة، وأطلق عليهم اسم فئة «الذكريين» .

– ووضع الأفراد المبحوثون الذين ناولوا علامة أدنى من الوسيط من مجموعة علامات المجموعة المعيارية على سلم «الذكورة» وأعلى من الوسيط على سلم «الأنوثة» في خلية منفردة، وأطلق عليهم اسم فئة «الأنثويين».

– أما الأفراد الذين نالوا علامة أعلى من الوسيط على سلّمي «الذكورة» و«الأنوثة» فقد أطلق عليهم اسم «اللامتمايزين».

ويمكن تقسيم الخلايا لتصبح ثمانية بتقسيم كل فئة إلى اثنتين ، بناءً على موقع كل فرد فيها فوق الوسيط أو تحته على سلم «ذكورة – أنوثة»، (Spence and Helmreich, 1979, 35).

التعديلات على الرائزين ومسوّغاتها

هذا، وقد قامت سبِنْس وزملاؤها باختصار عدد بنود استمارتهم من خمسة وخمسين بنداً إلى أربعة وعشرين: فاختيرت ثمان سمات من كل واحدة من السلالم الأصلية وذلك على أساس حجم الترابط الكل- الجزء لكل بند مع السلم الذي ينتمي إليه. وقد تراوح حجم مُعامِل ارتباط(*) كل بند من 0,91 إلى 0,93 في كل السلالم الثلاثة، «ذكورة» و«أنوثة» و«ذكورة - أنوثة»، لذا اعتبر الباحثون أن حجم هذا الارتباط يشكّل دليلاً على صحّة لجوئهم لذلك الاختصار.

وقد قامت بِمْ بتبنّي طريقة سبِنْس وزملائها في تصنيف أفراد عينتها المعيارية، وذلك في خانات أربع بدلاً من ثلاث (ذكرية، أنثوية، أندروجينية) مضيفة فئة «اللامتمايزة»، التي كانت، وفق نمط التصنيف المعتمد، قد أدمجت هذه الأخيرة في مصنّف الأندروجينيين. وذلك لأن اعتماد حساب الفرق بين علامتي الذكورة (M) والأنوثة (F) لتصنيف الفرد، في خانة «الأندروجينية» أدّى إلى المساواة بين فئتين من الأفراد تختلفان في متغيرات نفسية أساسية. والفئتان هما: الفئة التي تنال علامات منخفضة على سلمي الذكورة والأنوثة معاً، وتلك التي تنال علامات عالية على السلمين المذكورين. وكان سبِنس وزملاؤها قد بيّنوا أن هاتين الفئتين تختلفان في متغيرتيْ تقدير الذات والتوافق النفساني اختلافاً جذرياً، وهما متغيرتان وثيقتا الصلة بنظرية الأندروجينية. الأمر الذي جعل بِمْ تعيد النظر في تصنيفاتها السابقة؛ إذ قامت بفحص معطياتها الميدانية من منظار التصنيف الجديد، فوجدت أن الأفراد الذين حصلوا على علامات عالية على سلمي الأنوثة والذكورة معاً (عال - عال) قد أبدوا استقلالاً أكبر من الذين حصلوا على علامات منخفضة (منخفض - منخفض) على السلمين المذكورين ؛ ووجدت كذلك أن الفرق بين هاتين الفئتين كان دالاً في القابلية للاستجابة لموقف سلوكي تعبيري وحضني، (في وضعية مخبرية مدبّرة تجاه هرة صغيرة أو طفل صغير). إلى ذلك، نالت فئة (عال - عال) علامات أعلى على تقدير الذات من فئة (منخفض - منخفض) وبفرق دالّ . بناءً عليه، وجدت بِمْ أن التصنيف الرباعي ، أو التمييز بين فئة (عال - عال) و (منخفض - منخفض) يمتلك «حجّة نفسانية» ، فقامت بتبنّيه في دراساتها اللاحقة؛ وكذلك فعل الباحثون، كلّهم، في هذا المجال. وكما فعلت سبِنْس

(*) انظر «التعريف بمصطلحات مختارة»، ص 331

وزملاؤها، اختصرت بِمْ استبيانها إلى نصف بنوده بالاستغناء عن السمات ذات النكهة السلبية في سلمي « الذكورة» و«الأنوثة»، (Bem, 1977).

صدق(*) قياسَي «الأندروجينية»

تنطلق بِمْ من فرضية مفادها أن التنميط الجندري وما يتضمّنه من استدخال الرجال، مثلاً، للمعايير الاجتماعية للأدوار الجنسية. . . هذا التنميط قد يعيق اللجوء إلى أنماط سلوك أنثوية؛ وتعيق، بالطريقة ذاتها، صورة ذات أنثوية للنساء اللجوء إلى أنماط سلوك ذكرية. . . بينما يؤدي تصور ذات أندروجيني إلى الانخراط بحُريّة في أنماط سلوك ذكرية أو أنثوية على السواء. هكذا، فإن تحديد الأندروجينية لا ينفصل، فعلاً، عن تضميناتها السلوكية التي تتصف، من حيث المبدأ، بالمرونة في اعتماد وتبنّي أدوار عبر-جنسية cross-cexed، وترتبط إيجاباً مع مؤشّرات الصحة النفسية. هكذا، اعتمدت بِمْ هذه التضمينات في صيغتها الإجرائية محكّاً لصدق القياس. ويشمل ذلك أكثر المتغيرات التي درست على ضوء التنميط الجنسي الجديد، وهي في معظمها مؤشرات للصحة النفسية. إن اعتماد المؤشرات المتلازمة منطقياً مع مفهوم من أجل إثبات صدق قياس هذا المفهوم قد صنّف في علم القياسات النفسانية تحت عنوان الصدق التلازمي concurrent validity. فإذا كان المحكّ رائزاً يقيس تقدير الذات مثلاً، (على اعتبار أن «تقدير الذات» يتلازم منطقياً مع النمط « الاندروجيني»)، فإن معامل ارتباط عالياً بين هذين القياسَيْن يؤدي بالباحثين إلى الاستنتاج أن أداة قياس «الأندروجينية» قياس صادق، (Bem, 1975).

كذلك، قامت بِمْ بحساب معامل الارتباط بين السلالم الثلاثة في «استبيان بِمْ للأدوار الجنسية» وبين سلم الذكورة-الأنوثة (M-F) في استبيانين تقليديين للأدوار الجنسية هما « غليفورد زمرمان» (Guilford Zimmerman) و«استبيان كاليفورنيا النفساني» (California Psychological Inventory)، فوجدت أنه قريب من الصفر (في استبيان غيلفورد وزمرمان) أو هو منخفض(استبيان كاليفورنيا). فاستنتجت بِمْ أن ما يقيسه «استبيان بِمْ للأدوار الجنسية» هو مختلف عما يقيسه هذان الاستبيانان، (هذان

(*) يكون القياس صادقاً حين ينجح في قياس ما يدّعي قياسه. انظر «التعريف بمصطلحات مختارة»، ص 331

القياسان يعتمدان مركّب «ذكورة- أنوثة» التقليدي).

واعتمد في إثبات صدق قياس «الاندروجينية» إثبات واقعة أن «الأنوثة» و«الذكورة» بعدان متعامدان orthogonal، خلافاً للاعتقاد الشائع الذي يفترض، وكما قلنا سابقاً، أن مؤشراتهما تتجمّع في قطبين متضادين على بُعدٍ واحد. وكان البرهان العملي لذلك هو حساب مُعامل الارتباط بين علامات الذكورة وعلامات الأنوثة لأفراد أية عينة. وجاءت نتائج بِمْ (Bem, 1974) لتدعم الاتجاه المشار إليه. إذ وجدت أن مُعامل الارتباط بين الذكورة والأنوثة في عيّنتَيْن مستقلتين ذو قيمة ضئيلة؛ كذلك وجدت سبِنْس وزملاؤها، (Spence et al, 1977) أن مُعامل الارتباط بين علامات أفراد عيناتهم على سلميّ الذكورة والأنوثة هو ضئيل، لكنه إيجابي، مما يستبعد أحادية البعد وثنائية القطب لدى مركّبَي الذكورة والأنوثة.

كان، ما سبق، عرضاً مفصّلاً للقياسيْن الرئيسييْن اللذين جرى إنشاؤهما في إطار نظرية الأندروجينية. وهو عرض، وإن كان يخلو من عناصر «المتعة» للقارئ، إلا أن ضرورته تستوجبها الأمانة العلمية؛ هذه الأمانة تتطلّب إبراز مدى صدق وسائلنا البحثية التي أُنشِئت على منوال هذين القياسين، تمهيداً للحكم على قدرة المعطيات الميدانية، التي جمّعت بواسطة الوسائل المذكورة، على توليد استنتاجات صحيحة، من جهة، ومن أجل السماح بتعيين حدود هذه الاستنتاجات وآفاقها، من جهة ثانية.

الفصل الرابع

«محنة» الباحث في اختيار القياس

قلّما نجد في الأدبيات التي تناولت البحث في الهويات الجندرية (أو الأدوار، أو الاتجاهات أو السلوكات. . .)، وتقلّباتها في الزمن المعاصر. . . قلّما نجد تناولاً نقدياً للقياسات المستخدمة؛ ذلك لأنه بات اعتبار دراسة أية ظاهرة في علم النفس، (أو في غيره من ميادين العلوم المجاورة)، بمثابة دراسة واحد أو عدد محدود من تجليّاتها قد نستطيع دراسة بعض ما يدلّ على ظاهرة ما، أو بعض ما تنطوي عليه، لكن يستحيل، تقريباً، الإحاطة بأية ظاهرة بمجملها، (Rabinowitz and Martin, 2001). والبداهة المذكورة تكمن خلف القبول بصدق القياسات التي تحاول رصد ظاهرة الأندروجينية وترابطاتها. من هنا، تبدو بعض التسميات التي أطلقت على القياسات المذكورة فضفاضة بالنسبة لمحتواها الفعلي. ولمزيد من التحديد، فإن «استبيان بِمْ للأدوار الجنسية» الذي وصفنا في الفصل السابق يتألّف، واقعاً وكما رأينا، من سمات؛ فهل إن السمات مساوية للأدوار؟ هذا، فيما قامت سبِنْس وزملاؤها بتسمية قياسهم الشبيه بـ«استمارة السمات الشخصية» - أي بوصفه على نحو مطابق تماماً لمحتواه، فلم يسبغوا عليه صفة تتضمّن مدلولات إضافية لتلك السمات.

وفي الحالتين المذكورتين، قام الباحثون بتجميع هذه السمات وفق قواعد ومعايير، إحصائية أساساً، في مصنّفات دعيت بـ«الذكورة» و«الأنوثة» و«الحيادية» و«ذكورة-أنوثة»، كما سبق وبينّا. هنا أيضاً، قام الباحثون الذين أنشأوا القياسيْن المذكوريْن بإطلاق تسمية «الذكورة»، مثلاً، على كوكبة من السمات وصفت الذكور بدرجة أكبر (إحصائياً) مما وصفت الإناث، وكانت مرغوبة اجتماعياً للذكور أكثر مما هي مرغوبة للإناث، كما وصفت الرجل النموذجي أكثر مما وصفت الأنثى النموذجية، إلخ من محكّات ومعايير. . . . وذلك في ثقافة اجتماعية بعينها- كانت الثقافة الأميركية في هذه

الحالة، بالذات. لكن، من قال إن كوكبة من السمات يسعها أن تحيط بمعنى «الذكورة»؟ ثمّ، لماذا تكون السمات المرغوبة اجتماعياً، لا السمات المقبولة، أو الإجبارية، أو المميِّزة . . . . للرجل هي «الذكورة»؟ من جهة ثانية، أليس هناك سمات سلبية تحال، واقعاً، إلى الذكورة من مثل الفظاظة وقلّة الحساسية، مثلاً؟ ألا يشكّل استثناؤها مسّاً بتمثيلية «الذكورة»؟

وقد عبّر بعض الباحثين عن تحفّظهم عن إطلاق عنوان «الذكورة» على السمات المحبّذة أو المرغوبة اجتماعياً للرجل (أكثر مما هي محبّذة للمرأة)، أو اعتماد المبدأ الشبيه لإطلاق عنوان «الأنوثة» على مجموعة أخرى من السمات؛ ومن حججهم أن الرجال، كلّهم، ينعتون ذواتهم بـ«الذكورة»، وبأن النساء، كلّهن، ينعتن ذواتهن بـ«الأنوثة»؛ وذلك، بمعزل عن عزو أفراد الفئتين لذواتهم سمات «عبر- جندرية». لذا، فضّل هؤلاء إطلاق نعوت يسعها أن تختزن المعاني التي تجمع بين السمات التي عيّنت، اختبارياً، محبّذة للرجال والنساء فارقياً وليس حصرياً. ومن الاقتراحات لتلك العناوين، مثلاً، «الفعالية» agency (للرجال) مقابل «الارتباطية» communion للنساء، (Bakan, 1966)، و«الميل لعقد صلة مع الآخرين» مقابل «الميل لتعيين تراتب في المكانات»، و«السمات المثمّنة للأنثى» female valued و«السمات المثمّنة للذكر» male valued، أي ما اتصفت به تماماً في عملية تجميعها (Spence et al, 1975). و«الوسيلية» instrumentrality – مقابل «التعبيرية» expressivity، (Spence and Helmreich, 1978). الكفاءة competence مقابل السعي لاستجلاب الحب likability، (Glick and Fiske, 1999)... ولسان حال التحفظات يتمثّل أن الاقتصاد في تسمية التصنيفات، في هذا المجال، أسلم! لكن البعض الآخر، تجاهل الموضوع نهائياً فمضى، قُدُماً، في استخدام «الذكورة» و«الأنوثة» لوصف المجموعتين المذكورتين دون عناء التساؤل، بدل الانشغال بالتساؤلات التي أحاطت بها، مفترضاً لجوء غيره، ممن سبقوه، إليه حجّة كافية لذلك الاستخدام.

السمات. . . السمات

ولا يقتصر الأمر على ما سبق، بل إن اللجوء إلى السمات يطرح، هو أيضاً مشكلة. إذ لا يخفى أن اللجوء إلى السمات لوصف الشخصية، وتصنيف السمات في مصنّفات جندرية ينطوي على مسلّمات postulates غير مصرّح عنها؛ هذه المسلّمات،

وككل مسلّمة، هي بمثابة تضمينات يؤكّد بداهة صحتها، بالنسبة للقابلين بها، تواترُ الوقائع الاجتماعية الدالّة عليها، لكنها تبقى غير قابلة للإثبات بالبرهان. إن المسلّمات، التي ذكرنا أعلاه، لم تكن مقبولة من الجميع بل كانت، في علم النفس تحديداً، موضوع نقاش في أواسط القرن الماضي بين رافضيها والقابلين بها. ونتوقّف، عند هذه النقطة، لنقاش هذه المسالة: مسألة توسّل السمات بيّنة على أبعاد من الشخصية، وعلى صورة الذات الجندرية، ضمناً.

كان أُلبُرْت في طليعة المدافعين عن فعالية السمة في وصف الشخصية مؤكّداً أن للسمة وجوداً يتعدّى التسمية، وبأنها تسمح بالتعميم أكثر من العادة habit، مفترضاً أن السمات يسعها أن تكون محدّدة للسلوك، وأنه يمكن إثبات وجودها بالاختبار. إضافة إلى ذلك، فإن كلّ سمة هي مستقلّة عن الأخرى، وليست مرادفة مع الأحكام الاجتماعية والأخلاقية، ويمكن النظر إليها على ضوء الشخصية التي تتحلّى بها. أخيراً، فإن أنماط من السلوك، أو العادات، التي لا تتناسب مع وجود سمة ما، لا تقدّم برهاناً على عدم وجودها. ويوضّح أُلبُرْت أنه يستخدم مصطلح «السمة» بالمعنى الأعمّ ليشمل الاحتمالات المستدامة للسلوك، والميول الداخلية الثابتة غير العرضية في الفرد، الدوافع الأوّلية للسلوك، ومجموعة الاتجاهات البعيدة المدى، الاستعداد للاستجابة، المركّبات الشخصية والأساليب المعرفية إلخ، (Allport, 1966).

وإذا كان أُلبُرْت وزملاؤه قد عبّروا صراحة عن أهلية السمات في وصف الشخصية، فإن المحللين النفسيين، مثلاً، قد لجأوا إلى السمات ضمناً، وللغرض نفسه. ففرويد، وفي معرض وصفه لديناميات تشكّل الشخصية الأنثوية في مقالته «الجنسانية الأنثوية» ، مثلاً، لجأ إلى السمات الشخصية التي تميّز الأنثى الطفلة عن الذكر، واستعرض الفروق بين الجنسين في السمات والسلوك قبل أن يطلق على مجموعات منها عناوين يشملها معاً. فهو يقول في المقال المذكور، مثلاً، أن الطفلة أقلّ عدوانية، أقلّ مشاكسة، أقلّ استقلالاً، أكثر طاعة، تبدي حاجة أكبر لاهتمام الآخرين، أكثر اتكالية، أبكر في السيطرة على إفرازات جسدها، أكثر ذكاء، أكثر انبساطاً وتعلّقاً بالآخرين، أكثر حيوية، إلخ ، ثمّ إن السمات النسائية الخاصّة توصف بالطريقة ذاتها: هي أكثر ميلاً للشعور بالعيب، أكثر غروراً، أقلّ إسهاماً في الحضارة الإنسانية، أقلّ شعوراً بالعدل إلخ، (Freud, 1931).

وكذلك فعل كلٌّ من كْلاَيْن ودُويْتش وجُونْس وغيرهم. إن السمات التي استعرضها

هؤلاء تمّ تجميعها تحت عناوين مجرّدة من مثل التلقّي passivity والمازوشية والنرجسية؛ وأصبحت هذه العناوين مهيمنة في الكلام المتداول في التحليل النفسي عن الأنوثة لدرجة غابت، معها، مكوّناتها التي هي، في الأصل، سمات مستعارة من لغة الكلام اليومية.

أما وِغنز فيرى أن استعارة السمات الشخصية من اللغة الدارجة بمثابة تثمير للحكمة المتراكمة للجنس البشري في قالب مختصر. وحين نصف شخصاً بصفة معيّنة، نرسل كمية هائلة من المعلومات الأساسية بطريقة فعّالة. ولدى قولنا إن فرداً ما يملك سمة شخصية بعينها، نوفّر إطاراً يعيّن طبيعة التفاعل معه، (Wiggins, 1973, 320).

وفي معرض دفاعه عن جدوى اللجوء إلى السمات يستعرض أُلبُرت اعتراضات المدارس النفسانية الأخرى. فيرى أن معارضة السلوكيين، مثلاً، لمسألة وصف الشخصية بسمات محددة، هي نتيجة تلقائية لمعارضتهم اعتماد متغيّرات وسيطة من التوقّع أو الدوافع أو الاتجاهات أو الاستعدادات أو الانفعالات. وهو أمر يحيل الشخصية إلى «متعضّ فارغ» empty organism - بحسب تعبيره. أما الوضعيون فيفضّلون وصف الشخصية باللجوء إلى البُنى الخارجية - الديمغرافية، مثلاً- بدل البنى الداخل- نفسية. وإذ ينضم الوجوديون، بالضرورة، إلى لائحة المعارضين استخدام السمات في وصف الشخصية، فإن معارضتهم تنطلق من رفضهم تصنيف الفرد وتشييئه وتقييد حريّته في التعامل مع الواقع الآني. . . وهو ما يفعله، برأيهم، اللجوء المذكور إلى السمات، (Allport, 1966).

هذا، وقد نما «علم السمات» traitology جنباً إلى جنب مع نقاش فعالية اللجوء إليها، وجدوى استعمالاتها في علم النفس عامة، والقياسات النفسية خاصّة. فتراكمت أدبيات هذا العلم ابتداء من الثلاثينات من القرن الماضي وجرى فيها التجميع المنهجي لكل الصفات من المجموع العام للغة العادية المستخدمة كما دوّنتها المعاجم اللغوية (الإنكليزية، بالطبع). وتمّ، بعد ذلك، اختزالها، بالوسائل المنطقية والتجريبية ، إلى مجموعات يمكن الاستفادة منها. ثمّ وضعت معاً في بنود مزدوجة القطب، (ثرثار مقابل سكوت، مثلاً)، لتخضع، بعدها، لتجريب ثان ومعالجة بالوسائل الإحصائية من أجل تصنيفها في أبعاد مستقلة. وعلى مدى ربع قرن، أخضعت هذه الأخيرة للتدقيق والتجريب من أجل التحقق من ثباتها وقابليتها للتعميم. والدراسات الريادية في هذا المجال نفّذها كاتِلّ، وأوسغود بداية، ونورمان من بعدهما، (Wiggins, 1973, 338).

وقد أنشئت الاستبيانات الشخصية، عامّة، على خلفية اعتبار السمات النفسية بيّنة على الملامح الأساسية للشخصية، ولكونها تملك قدراً من الثبات تسمح بالتنبؤ بالسلوك في وضعيات معيّنة. وافترض الذين توسّلوا السمات بنوداً في استبياناتهم، بأنها قابلة للتجميع معاً في مجموعات يسعها تصنيف الأفراد، وأن ذلك التصنيف يتضمّن إمكانية إطلاق أحكام، على هؤلاء الأفراد، تتعلّق بالمرض والسواء، وبالتكيّف والانحراف إلخ، (Epstein, 1979). وتتألّف الاستبيانات الشخصية في معظمها، وتلك التي تتضمّن في أقسامها سلالم لمركّبات «ذكورة- أنوثة» أو «ذكورة» و«أنوثة»، خاصّة، من بنود هي، في نهاية التحليل، صياغة لتصريح حول سمة معيّنة. وفي التعليمات التي تتصدّر الاستبيان، يُطلب إلى المبحوث، عادة، أن يصرّح self report عن «امتلاكه»، أو «عدم امتلاكه» لها، (كما هي الحال، مثلاً، في استبيانات غيلفورد وزيمرمان أو استبيان مينسوتا المتعدد الأوجه، أو نحوه)؛ أو يُطلب إليه أن يعيّن «درجة» امتلاكه لتلك السمة، أو تحلّيه بها، على سلّم من درجات تزيد أو تنقص بحسب الاستبيان. وهو حال «استبيان السمات الشخصية» أو «استبيان بِمْ للأدوار الجنسية» الموصوفَيْن أعلاه.

النقاش الذي أثبتنا أعلاه بعضاً منه لا يزال قائماً، ولا تزال مسألة تصنيف السمات من انشغالات الباحثين ، في علم نفس الجندر، تحديداً. وقد قامت الباحثتان برنتِس وغارّايس، مثلاً، في وقت قريب، إعادة فحص لاستبيانات الأدوار الجندرية من أجل العمل على تصنيف بنودها بطريقة أدقّ؛ وذلك بوضع السمات التي تتألّف منها البنود المذكورة في مصنّفات أربعة: وصفية، توصيفية، محظورة بشدّة، محظورة بدرجة متوسّطة، (Prentice and Garryce, 2002).

وفي الأبحاث العربية التي تسعى لاستدراج تلقائي لمعاني الذكورة عندنا يقوم المبحوثون، غالباً، بتوفير سمات سيكولوجية أو أخلاقية أو اجتماعية. من هذه، مثلاً، دراسة لزيباني وبرادي اللتين لجأتا إلى الطريقة الكيفية[1] من أجل استكشاف تصوّرات الصبيان المراهقين حول الذكورة والأدوار الذكرية. وحيث إن الباحثتين لم توفّرا في مقالتهما الأسئلة التي أطلقت تداعيات هؤلاء المراهقين، فإن إجابات هؤلاء جاء أكثرها على شكل سمات، وجاء أكثرها في سياق وضعي (الرجل هو الذي يحصّل المال

(1) أدارت الباحثتان 22 مجموعة ارتكازية focus groups تألّفت من صبيان وشبّان بين 13- 19 سنة في قرى ست من الصعيد المصري.

ويصرف المال، الرجل حام لأخته من التحرّش الجنسي إلخ)، (Zibani and Bradi, 2004).

في دراسة ديالْمي الميدانية حول الذكورة في المغرب، يحاول الباحث رسم البروفيل profile الذكري في مختلف المحافظات المدروسة. وهو يرسم هذا البروفيل باللجوء إلى سمات سيكولوجية وأخلاقية واجتماعية وسياسية؛ وذلك استناداً إلى إجابات أفراد عيّنة دراسته. من هذه السمات مثلاً، القدرة على ضبط الذات، القدرة على تلبية الوعود، الجدية، تحمّل المسؤولية إلخ، (Dialmy, 2004).

وفي البحث عن المنمّطات الذكرية والأنثوية في الدراسات اللبنانية[2]، مثلاً، تحتل السمات حيّزاً إلى جانب الأفعال والمهن، (كلاب، 1983، الأمين، 2005)، وفي بعضها تحتل السمات مساحة الدلالة على منمّطي الذكورة والأنوثة كلّها، (البتّي، 1998).

التصريح : إسناد السمات إلى الذات

يُجمع العاملون في حقل الاستبيانات الشخصية على أن سلالم القياس حول كَون التقرير الذاتي مشوباً بمتغيّرات دخيلة، تلقي بظلالها على موضوع القياس، فيتأثّر، تبعاً لذلك، صدق ذلك القياس الذي يؤثّر، بدوره، على صدقية النتائج. والباحثون في القياس في علم النفس، أولئك الذين يسعهم استخدام الوسائل الإحصائية الأكثر تعقيداً وغير المفهومة، غالباً، من «عامّة» الباحثين. . . . يؤكّد هؤلاء لنا بأن سلالم القياس التي تعتمد التقرير الذاتي هي أكثر صدقاً، إحصائياً، من سلالم الاستمارات مثلاً؛ وأن ذلك يصحّ، بشكل خاص، حين تكون استجابة المبحوث / تقريره الذاتي لا تنطوي على مترتبات تطول إلى شخصه، (كما هي الحال، مثلاً، في الاستبيانات التشخيصية للأمراض النفسية). أيضاً، يسهم اللجوء إلى اللغة المبسّطة ، والتي تحيل المبحوث إلى أمور يفهمها، على جعل أداة القياس أكثر صدقاً، (Burnisch, 1984).

ولعلّ أبرز المتغيّرات الدخيلة التي يسعها التشويش على صدق الاستبيانات التي

---

(2) في نشاط سنوي تقوم كاتبة هذه السطور، ومنذ أكثر من سنوات ثلاث، بنقاش تحسيسي sensitization discussion حول الجندر لمجموعة من حوالي أربعين ضابطاً من الجيش اللبناني، ولمدّة ساعتين، في إطار نشاط أعمّ لـ«جمعية تنظيم الأسرة» في لبنان. وفي سياق تمرين يقوم به هؤلاء من أجل إطلاق النقاش، يطلب إليهم إكمال الجملتين التاليتين: «لأنني رجل، عليّ أن. . . . . .»، و«لو كنت امرأة كان عليّ أن. . .»؛ والنتيجة أن الإجابات تتألف، غالباً، من سمات (أخلاقية ونفسانية)، يليها وجوب السلوك.

تعتمد التقرير الذاتي هو المنحى الأسلوبي في الاستجابة الذي يسعى لإظهار المبحوث في حلّة «لائقة» في عين الناظر إليها، أي ما اتفق على تسميته بـ«المرغوبية الاجتماعية» social desirability.

لكن ما هي المرغوبية الاجتماعية؟

يعرّف إدْوَارْدزْ المرغوبية الاجتماعية بأنها واحدٌ من أساليب الاستجابة على بنود الروائز والاستبيانات النفسية التي تعتمد التقرير الذاتي. هذا الأسلوب يتصف بميل المبحوث للإجابة على بنودها بناء على درجة المرغوبية الاجتماعية التي تتحلّى بها السمة المتضمّنة في البند. وذلك، بدل أن يجيب عليها بناء على التقييم الذاتي الصادق، (Edwards, 1957, 29). والميل المذكور يختلف، برأي وِغِنْزْ، مثلاً، عن الكذب المقصود وعن الرغبة في إحداث انطباع إيجابي على الباحث؛ فيما يرى إدواردز أن إحداث وقع طيّب على الباحث هو من بعض دوافع الميل الأسلوبي المذكور (Wiggins, 1973, 36).

ويرى بعض الباحثين المعنيين بهذا الموضوع أن الاستجابات الشخصية تميل، غالباً، للانحراف باتجاه المرغوبية الاجتماعية. وأن حجم ذلك الانحراف يزداد تبعاً لقيمة المرغوبية الاجتماعية للبند المعني في الاستمارة. من هؤلاء الباحثين، أُسْغود Osgood الذي أشار إلى أن المرغوبية الاجتماعية تتأسس، في الغالب، على كون التقرير الذاتي للمبحوث، على طريقة ليكرت، يستثيره البعد التقييمي لهذه السمة، لا البعد الوصفي، كما يفترض الباحثون. هذا، فيما دحض آخرون هذه الفرضية وبيّنوا، في دراسات توسّلت الإحصاء، أن تضمينات السمات هي، في الوقت نفسه، وصفية وتقييمية، وأن للبعد الوصفي أولوية في عزوِ الذات بتلك السمة، (Peabody, 1967).

وقد برزت هموم تحييد أثر «المرغوبية الاجتماعية» في الاستبيانات التي تعتمد التقرير الذاتي بهدف الحدّ من التشويش على المتغيّرات المختلفة التي يجري قياسها؛ ويحتل اسم إدواردز المذكور أعلاه موقعاً متميّزاً في هذا المجال؛ فهو قام بصياغة التعريف الإجرائي لمفهوم «المرغوبية الاجتماعية»، وأجرى دراسات متتالية من أجل تعيين أوجه تجلياته وارتباطاته. ومن نتائجه وجود علاقة مطّردة بين درجات السمات في سلّم مرغوبيتها الاجتماعية المطلقة، وبين احتمال اختيارها من المبحوث ملائمة لوصفه (إذا كانت مرغوبة اجتماعياً)، أو كونها غير ملائمة لوصفه، (إذا كانت غير مرغوبة اجتماعياً). إن محاولة تحييد أثر المرغوبية الاجتماعية هو ما حدا بسبِنْس وزملاؤها لأن

يختاروا من بين السمات تلك التي تتسم بمرغوبية اجتماعية إيجابية، (Spence and Helmreich, 1979, 33-36)، وكان الدافع خلف حذف السمات غير المرغوبة اجتماعياً من استبيان بِمْ، الموصوفين سابقاً.

ووجدت بِمْ التي اعتمدت سلم الحيادية محكّاً «للمرغوبية الاجتماعية» أن علامات هذا السلم متلازمة إيجابياً مع علامات كل من سلمي الذكورة والأنوثة في استبيانها، لكنها وجدت أيضاً أن مُعامل الارتباط بين علامات «الاندروجينية» وعلامات سلم «المرغوبية الاجتماعية» هو ضئيل وبدون دلالة، فاستنتجت أن علامة الأندروجينية لا تؤشر إلى الميل الأسلوبي المعروف بالمرغوبية الاجتماعية، (Bem, 1974).

هذا بينما استعملت سبِنْس وهلمريتش سلم «مارلو كراون للمرغوبية الاجتماعية» (Marlowe Crowne S.D.) مؤشراً لدراسة المدى الذي تتأثر فيه السلالم الثلاثة بهذه المتغير، وتراوح مُعامل الارتباط بين 0,08 و 0,36. ومع أن بعض هذه الأرقام قارب الدلالة الإحصائية إلا أن حجمها لم يكن كبير الأهمية، (Spence and Helmreich, 1978).

القياس والنظرية

ما أثبتناه، في الصفحات الماضية، هو من تعبيرات «القلق» الذي يعتري الباحث في علم النفس، إجمالاً، وعلم نفس الجندر ضمناً، ومن بعض إدراكه بأن أدوات القياس التي يعتمدها تشوبها شوائب من الصعب تفاديها؛ بل إن تفاديها قد يتساوى مع التوقف عن البحث أصلاً. إن الحجج التي أثبتناها لبعض الباحثين أعلاه في صدق الاستبيانات تواجهها في أدبيات علم النفس، حجج تتمتّع ، ربما، بالجدارة ذاتها وتثبت قصورها! والانتصار لمقاربة بحثية، وانتقاد أخرى، رافق ميدان علم النفس منذ نشوئه وتفرّع حقوله على امتداد تاريخه. لذلك، فإن النتائج التي توصّل إليها الباحثون تكاد تكون مشروطة بالمقاربة البحثية التي أنتجتها؛ بل، أحياناً، بالأداة البحثية المستخدمة. ومن نافل القول أن النتائج المذكورة هي، بالضرورة، دالّة funtion of الأطر النظرية والمفاهيمية التي ينطلق منها الباحث وأطره المرجعية،(الإيديولوجية والسياسية والقيمية، مثلاً) التي يتظلل بها. بل إن بعض الباحثين يرى أن الأدوات البحثية المُنتجة في إطار النظرية الأندروجينية، مثلاً، كانت العامل الحاسم في تطوّر هذه النظرية وإرساء قواعدها، كما سبق وأثبتنا، (Smiler, 2004).

ونقدّم، على ما نقول، مثلاً من علم نفس الجندر في دراستين ميدانيتين تبحثان عن الهوية الأنثوية لدى طلاب وطالبات من المرحلتين الثانوية والجامعية: الأولى بعنوان «الإشكاليات الجنسية عند المراهقين في المدرسة اللبنانية» رائف الزين، (الزين، التاريخ غير مذكور) والثانية لكاتبة هذه السطور بعنوان «الهوية النسائية الجديدة..»، (بيضون، 1988). واستخدم الباحث في الأولى «رائز الأشخاص الثلاثة»، فيما استخدمت الدراسة الثانية رائز «استبيان بِمْ للأدوار الجنسية المعدّل». وتعتمد الدراسة الأولى التحليل النفسي إطاراً نظرياً، وتتوسّل الإشكالية الأوديبية مرجعاً لتصنيف الأشخاص. أما الثانية فتستوحي نظرية الأندروجينية النسوية التي وصفناها بإسهاب في الصفحات الماضية. وقد أشارت نتائج الزين إلى أن نسبة عالية من الإناث (تراوحت بين 47% و57%) لديهن في نفوسهن «رغبات دفينة بالذكورة»، وأن أقلّ من الثلث منهن اخترن أنموذجاً أنثوياً للتماهي... هؤلاء فقط «أنجزن تسوية أوديبية طبيعية»- أي يمكن نعتهن بالسواء النفساني. هذه النتائج ، كما لا يخفى، متناغمة مع نظرية التحليل النفسي للشخصية النسائية. أما في الدراسة الثانية، فإن نسبة النساء الذكريات في الدراسة الثانية لم تتعدّ الـ12% (أي، أقلّ من ربع النسبة في دراسة الزين المذكورة). هذا الاختلاف الواسع في النتائج مصدره، بالدرجة الأولى، اختلاف أدوات البحث المستخدمة التي أنشئت، بدورها، وفق نظريتين مختلفتين في تأويل المظاهر عينها، في تصنيفها، وفي إطلاق الحكم النفساني عليها: الأولى تعتمد، ضمنياً، مركّب «ذكورة- أنوثة» (الذي يرى إلى هيمنة الذكورة في الشخصية النسائية تخريباً على سوائها النفسي). وتأسست الثانية على مبدأ تعامد «الذكورة» و«الأنوثة» واستقلالهما إحداهما عن الأخرى، ليشكّلان معاً حالة من التوافق والسواء النفسيين.

من هنا، فإن تفادي الوقوع في «برج بابل» علمي يفرض على الباحث عرض أطره المرجعية وأدوات بحثه؛ وذلك، من أجل تعيين حدود صواب نتائجه لنفسه، قبل قارئه، ومستبقاً- أو مسهّلاً- الأمر على ناقدها.

يستعرض الباحثان كِمِل وكُرُفوزْد الطرائق المستخدمة لدراسة الجندر، وروّاده كانوا، غالباً، من النساء. ولمّا كانت الباحثات في الجندر من الموجة الأولى في أوائل القرن الماضي بحاجة إلى تأكيد ذواتهن في محيط بحثي شكاك بقدراتهن البحثية، فقد لجأن إلى الطرق المثمّنة من الإستابلشمنت النفسانية: الطرق الإمبيريقية. لكن الباحثات من الموجة الثانية كنّ أكثر نقدية تجاه المنحى الاختباري الذي يركّز على متغيّر وحيد

ويسلب السلوك سياقه الوضعي، ويضع الباحث في موقع المختبِر «المتلاعِب» للمبحوث وللوضعية. هذا لا يعني، بالطبع، الدعوة إلى التخلّي عن الطرق الاختبارية أو الإمبيريقة؛ بل، على العكس من ذلك، فإن الدراسات في الجندر، وتلك التي نشرت، خاصّة في المجلات العلمية النسائية والجندرية التي ازدهرت بعد الحركة النسوية (الموجة الثانية)... هذه المجلات نشرت دراسات استخدم، أكثرها، الطرق الكميّة، واعتمدت فيها تصميمات اختبارية وترابطية، كما المراجعة الإحصائية للدراسات السابقة meta-analysis؛ لكنها لجأت أيضاً إلى الأبحاث الميدانية، تقنيات الملاحظة، تحليل المحتوى، الملاحظة المشاركة، ودراسة الحالات إلخ، أي كلّ الطرق التي شاع استعمالها في علم النفس.

على أن ما يميّز الدراسات التي نفّذت من منظور جندري أمران: احترام تعدد المقاربات والطرائق، وتجنّب إيثار[3] مقاربة أو طريقة من الطرق على أخرى. وإعادة تعريف «الموضوعية» في علم النفس، من منطلق نقدي، وعدم الانبهار بالأسطورة الشائعة التي تدّعي حيادية العلم أو خلوّه من القيمة value free.

وقد وضعت الباحثة هاراوي (مُسْنَدة في كِمِل وكْرُفورْد) شروطاً ثلاثة يتعيّن على الأبحاث في الجندر أن توفيها قبل إطلاق صفة الموضوعية عليها؛ وهذه تتمثّل، أوّلاً، بالإقرار بمحدودية النتائج المحصّلة في أي بحث علمي؛ وذلك بإبراز واقعة أن هذه النتائج لا تعدو كونها «حقيقة» محدودة ومرتبطة بالوضعية التي أحاطت بتنفيذ ذلك البحث. وعلى الباحث، ثانياً، أن يصرّح عن معتقداته وقيمه واتجاهاته التي يعمل في ضوئها، وعليه أن يكون، ثالثاً، غير غافل عن العلاقة المتبادلة بينه وبين المبحوث، وبأن هذه العلاقة مؤثّرة في الاثنين[4] (Kimmel and Crawford, 2001).

---

(3) هذا الإيثار الذي يتطرّف في مغالاته، أحياناً، إلى درجة «تبجيل» طريقة بعينها مترافقاً مع تبخيس للطرق الأخرى.

(4) إن منفّذي الأبحاث في الجندر هم، غالباً، من النساء؛ لكن ادّعاء استئثار الموضوعية العلمية في الميادين الإنسانية والاجتماعية الأكاديمية لبعض مدارسها الأرثوذكسية يتضمّن، غالباً، تبخيساً للأبحاث النسوية المنحى غير الملتزمة بها. وهو ما يهمّش القائمات بها؛ لذا فإن الأكاديميات الحريصات على مواقعهن الأكاديمية في تراتب علاقات القوى القائمة... هؤلاء يُحجمن، غالباً، عن الإعلان عن نسويتهن، وعن المضي قدماً في صياغة التضمينات التطبيقية لأبحاثهن المفضية إلى تحسين أوضاع النساء، والانتصار لقضاياهن.

هذه الدراسة

تقع دراستنا هذه في علم نفس الجندر. والزاوية التي اخترناها لمعالجة موضوعها، والقياسات التي اعتمدناها تنضوي تحت لواء نظرية الأندروجينية. هذه المعالجة ليست الوحيدة، ولا القياس الذي اعتمدناه في هذه المعالجة متميّزاً، بالضرورة. لذا، فهما (المعالجة والقياس)، بالتأكيد، لا ينتميان لطائفة «أفعل التفضيل». فنحن نرى، مع كِمِل وكْرُفوزْد، فائدة أكيدة من تعدد الزوايا، وتعدّد المقاربات والقياسات والمعالجات، من أجل إضاءة أكثر شمولاً وسطوعاً على الظاهرة المدروسة. إن التعدد المذكور يعصى، على الأرجح، على باحث لوحده، في بلادنا خاصّة، حيث البحث ما زال مشروعاً شخصياً أكثر منه طلباً اجتماعياً، وحيث إن الانخراط الجماعي في مشروع بحثي غير شائع، بعدُ، عندنا.

لا نسوّغ، في الكلام السابق، لخياراتنا، ولا «ندافع» عن أدوات بحثنا. فالباحث، ومهما جهد لإحكام حججه، فهو يعلم، ولا يخفى على نقّاده، بالطبع، أن اختياره هو، في نهاية الأمر، بمثابة تفضيل شخصي!

الفصل الخامس

الذكورة والأنوثة في التصور

(الاختبار التمهيدي)

توطئة

قمنا، في أواسط الثمانينات، بإنشاء استبيان لقياس صورة الذات الجندرية[*] مستلهمين، لأجل ذلك، الطرق المستخدمة في إنشاء «استبيان بِمْ للأدوار الجنسية» و«استمارة السمات الشخصية»، (المعروضَيْن في الفصل السابق). هذا الاستبيان كان الوسيلة البحثية التي استخدمناها في دراستنا المذكورة مراراً، من أجل رصد بروز «هوية نسائية جديدة» بين الشابات اللبنانيات، (بيضون، 1988).

لكننا، ولأسباب ذكرناها في مكان آخر، (بيضون، قيد النشر) أعدنا إنشاء هذا الاستبيان، لأغراض هذه الدراسة، لجعله أكثر صدقاً[1]. إن المسار المتّبع في إعادة

(*) تعرّف «صورة الذات»، أو الذات المتصوّرة، أو التي تمّ رسمها ذهنياً، بأنها الذات الذي يفترضها الشخص بأنها هي نفسه، (Reber, 2000)، أما صورة الذات الجندرية فهي «صورة ذاته» كما يراها في مرآتي الذكورة والأنوثة الاجتماعيتين.

(1) في دراسة ميدانية استطلاعية سبقت دراستنا الحالية، نفّذناها في ربيع 2003، (بيضون، 2004)، أعدنا استخدام الاستبيان المذكور من أجل تفحّص مسألة كانت، في دراسة الثمانينات، مصدر «إحراج» لم يلغه تماماً نتائج شبيهة في دراسات نفّذت في بلادنا. هذه المسألة تتعلّق بصدق القياس المذكور تبعاً لمحك اعتمد في الدراسات في النظرية الأندروجينية. ويتمثّل محك الصدق ذلك في كون سلّم «الذكورة»، تماماً كما هو سلّم «الأنوثة»، قادراً على التمييز بين الرجال والنساء، وبالاتجاه المتوقّع. فحيث ميّز سلّم الأنوثة بين النساء والرجال، في دراستنا، في الاتجاه المتوقّع، فإن سلّم الذكورة لم يفعل ذلك. للتوضيح، جاء الفرق في المتوسّط الحسابي للعلامات التي عزاها الرجال لذواتهم على سلّم الأنوثة أقل بكثير من تلك التي عزتها النساء لأنفسهن – تماماً كما ينبغي أن يحصل. لكن الفرق بين المتوسّط الحسابي للعلامات التي عزتها النساء لذواتهن على سلّم الذكورة جاءت مساوية =

إنشاء الاستبيان هو نفسه المسار الذي اتبعنا في الدراسة السابقة، باستثناء أمرين:

أولاً: كانت السمة في الاستبيان الأوّل، مجرّدة، غير مرتبطة بوضعية معيّنة. في الاستبيان المعدّل كتبت في صيغة وضعية، (أنظر الملحق رقم (1)).

ثانياً: اعتمدنا في الدراسة السابقة توافق الجنسين على تعيين الصفة الجندرية للسمة، محكّاً أساسياً لتصنيفها تحت واحد من العناوين: ذكورة، أنوثة، حيادية أو ذكورة- أنوثة. في دراستنا الحالية أضفنا شرط توافق الطائفتين، المسيحية والمسلمة، على تعيين الصفة الجندرية للسمة. أيضاً اشترطنا ألا يختلف على ذلك التعيين فئتان أو أكثر من الفئات الاجتماعية المدروسة. (أي يمكن أن تختلف على التصنيف المذكور فئة واحدة فقط من الفئات المذكورة).

نقدّم، في ما يلي، المسار الذي سلكنا في بناء «استبيان صورة الذات الجندرية».

بناء الاستبيان

قام 248 طالباً وطالبة من الجامعتين اللبنانية والأميركية، ومن الكلية الحربية، (أنظر ملحق رقم (2): وصف العيّنة للبحث التمهيدي)، وفي مجموعات أربع مستقلّة، بملء

= (إحصائياً) للمتوسّط الحسابي المماثل للرجال!

هكذا، وفي محاولة لتصحيح ذلك «الخلل»، فقد حاولنا، مرّة ثانية في الدراسة الاستطلاعية التي أجرينا في العام 2003، وفيها أبقينا على السمات الاثنتين والسبعين التي شكّلت في الدراسة الأولى الخزان الأكبر للسمات pool of traits قبل وضعها في مصنّفات مختلفة، (ذكرية، أنثوية، حيادية، غير مصنّفة) واختصارها في الاستبيان النهائي إلى ثمان وثلاثين سمة، (بيضون، 1988). وسمح ذلك باختيار أوسع قوامه الفروق بين الرجال والنساء في عزو الذات لعدد أكبر من السمات (اثنتين وسبعين، بدل ثمان وثلاثين).

لكن نتائج البحث الميداني جاءت لتكرر النتيجة عينها. لذا، ومن أجل تصحيح هذا الخلل، لجأنا بعد استشارة زملاء من أساتذة علم النفس، إلى استبدال السمات في شكلها المجرّد، كما جاءت في الاستبيان في صيغته الأولى، بأخرى وضعية situational. هكذا استبدلنا سمة «شجاعة» مثلاً، وهي كانت قد صنّفت «ذكرية» في البحث الأصلي، ببنود ثلاثة: «شجاعة في إبداء الرأي»، و«شجاعة في مواجهة الخصم»، و«شجاعة في مواجهة الأب». وقد بيّنت نتائجنا، وكما سنرى لاحقاً، جدوى هذا التفريق. إذ توافق المبحوثون من النساء والرجال على تعيين «شجاعة في مواجهة الخصم» سمة مرغوبة للرجال أكثر مما هي مرغوبة للنساء، و«شجاعة في مواجهة الأب» مرغوبة للرجال لكن غير مرغوبة للنساء، في حين اختلف النساء مع الرجال في تعيين درجة مرغوبية «شجاعة في إبداء الرأي» للنساء، (افترض الرجال أن تكون هذه السمة مرغوبة للنساء أكثر بكثير مما افترضت النساء ذلك).

هكذا، فإن مَوْضَعَة سمة «الشجاعة» في سياق غيّر صفتها الجندرية.

استبيان موحّد (انظر الملحق رقم (3)) في بنوده يطلب إليهم فيه، تعيين الدرجة التي تكون فيها كل واحدة من ثلاث وتسعين سمة مرغوبة للرجل، أو للمرأة، بحسب الحالة. أي أنه قامت مجموعة من النساء وأخرى من الرجال، بتعيين الدرجة - على سلّم من خمس درجات- التي تكون كل واحدة من ثلاث وتسعين سمة مرغوبة لوصف الرجل في مجتمعنا.

أيضاً، قامت مجموعتان مستقلّتان من الرجال والنساء، وبالطريقة ذاتها، بتعيين المرغوبية الاجتماعية للسمات نفسها للمرأة.

هكذا، فإن كلّ سمة من السمات الثلاث والتسعين تكون قد نالت علامات أربع، هي بمثابة متوسطات حسابية لمجموعات أربع من العلامات.

مثال للتوضيح:

لو أخذنا سمة «ثقة بالنفس»، مثلاً، فهي تنال، بعد معالجة معطياتنا علامات أربع، كما يلي:

الأولى: المتوسّط الحسابي لمجموعة العلامات الفردية التي عزاها الشبّان في العيّنة لسمة «ثقة بالنفس»، بوصفها مرغوبة للرجل. المتوسّط الحسابي لهذه العلامات، هو تعريفاً، درجة «المرغوبية الاجتماعية» social desirability لهذه السمة للرجل. وذلك برأي الشبّان، أفراد العيّنة المبحوثين.

الثانية: المتوسّط الحسابي لمجموعة العلامات الفردية التي عزتها الشابات في العيّنة لسمة «ثقة بالنفس»، بوصفها مرغوبة للرجل. المتوسّط الحسابي يمثّل، تعريفاً، درجة «المرغوبية الاجتماعية» لهذه السمة للرجل، وكما عيّنتها الشابات في عيّنتنا.

الثالثة: متوسّط العلامات الفردية التي عزاها الشبّان في العيّنة لسمة «ثقة بالنفس»، بوصفها مرغوبة للمرأة في مجتمعنا. المتوسّط الحسابي لهذه العلامات هو بمثابة درجة «المرغوبية الاجتماعية» لهذه السمة للمرأة. وذلك برأي الشبّان، أفراد العيّنة.

الرابعة: متوسّط العلامات الفردية التي عزتها الشابات في العيّنة لسمة «ثقة بالنفس»، بوصفها مرغوبة للمرأة. المتوسّط الحسابي لهذه العلامات هي، تعريفاً، درجة «المرغوبية الاجتماعية» لهذه السمة للمرأة، وكما عيّنتها شابات العيّنة المدروسة.

ويمكن وضع ما قيل حول سمة «ثقة بالنفس»، وبحسب نتائجنا الإحصائية، في جدول على النحو التالي:

«ثقة بالنفس»			
مرغوبة اجتماعياً للرجل		مرغوبة اجتماعياً للمرأة	
بحسب الشبّان (مجموعة 1)	بحسب الشابّات (مجموعة 2)	بحسب الشبّان (مجموعة 3)	بحسب الشابّات (مجموعة 4)
4,62	4,68	4,09	3,50

جدول يبيّن المتوسطات الحسابية لكلّ من العلامات التي عزتها النساء والرجال، في مجموعات أربع مستقلّة، لسمة «ثقة بالنفس»

إن سمة «ثقة بالنفس» مرغوبة للمرأة وللرجل، في بعض الأحوال، على الأقل؛ لذا، فهي تحظى بمرغوبية اجتماعية مقبولة للاثنين، وبرأي المجموعات الأربع.

تمّ حساب الفرق الإحصائي بين مرغوبية السمة «ثقة بالنفس» للرجل، وكما عيّنها كلّ من الرجال والنساء: هو الفرق الإحصائي، بحساب قيمة student t للمجموعات غير المترابطة، بين 4,62 و 4,68 وقيمته المطلقة هي 0,5؛ الفرق المذكور هو، إذاً، بدون دلالة إحصائية.

هذا يعني، أن فئتي النساء والرجال في عيّنتنا متفقون، إلى حد بعيد، على أن السمة «ثقة بالنفس»، هي مرغوبة للرجل في مجتمعنا في كلّ الأحوال.

وهم أيضاً متفقون على أن السمة نفسها مرغوبة اجتماعياً للمرأة بدرجة أقلّ، (السمة هي مرغوبة للنساء، برأي الرجال، «في بعض الأحوال» وبرأي النساء في «أكثر الأحوال»، ($t= 1, p=0.2994$).

إن توافق فئتي الرجال والنساء في تعيين «ثقة بالنفس»، سمة مرغوبة اجتماعياً للرجل، يسمح لنا بوضع هاتين الفئتين في مجموعة واحدة، (مجموعة 5)؛ ويصح الأمر عينه في ما يطول إلى درجة مرغوبية السمة نفسها للمرأة، (المجموعة 6)؛ وذلك على الشكل المبيّن في الجدول:

«ثقة بالنفس»	
مرغوبة اجتماعياً للرجل برأي المجموعة (5)*	مرغوبة اجتماعياً للمرأة برأي المجموعة(6)**
4,65	3,64

* المجموعة (5) هي المجموعتان (1) و(2) مضمومتان معاً.

** المجموعة (6) هي المجموعتان (3) و(4) مضمومتان معاً.

إن الفرق الإحصائي بين هذين المتوسّطين هو ذو دلالة، ($t = 7.3, p = .0000$)؛ هذا يعني أن النساء والرجال متفقون على أن «ثقة بالنفس» هي سمة مرغوبة اجتماعياً للرجل أكثر بكثير مما هي مرغوبة للمرأة.

هكذا، وانطلاقاً من حكم أربع مجموعات مستقلّة من الطلاب والطالبات الجامعيين، وقياساً على الطريقة ذاتها التي عولجت فيها سمة «ثقة بالنفس»، تمّ تصنيف السمات الثلاث والتسعين على الشكل التالي:

- ثمان وعشرين سمة محبّذة للرجل أكثر مما هي محبّذة للمرأة- سمات الذكورة[2]،

(2) هي تلك السمات التي أجمع الشبّان والشابّات، إحصائياً ($p = 0.001$)، في عيّنتنا على اعتبارها سمات شخصية إيجابية؛ أي أنها محبّذة اجتماعياً للمرأة وللرجل في مجتمعنا اللبناني (بدرجة متوسّطة على الأقل)، لكنها مرغوبة للرجل أكثر مما هي مرغوبة للمرأة ($p = 0.01$).
هكذا، فإن السمة في هذا السلّم تستوفي، إجرائياً، الشروط التالية:
1- هي مرغوبة للرجل وللمرأة بدرجة متوسّطة، على الأقلّ. فيكون المتوسّط الحسابي للعلامات التي نالتها السمة من كل واحدة من المجموعات الأربع واقعاً بين العلامات 2,5 و5 على سلّم الدرجات 1 إلى 5،
2- أن يتوافق النساء والرجال، أفراد عينتنا، على درجة مرغوبية السمة للرجل؛ أي أن يكون الفرق بين المتوسّطين الحسابيين لمجموعتي العلامات التي أسندت للسمة على أنها مرغوبة اجتماعياً للرجل في مجتمعنا،... هذا الفرق هو بدون دلالة إحصائية، ($p = 0.01$)
3- أن يكون المتوسّط الحسابي للعلامات التي أسندتها مجموعتا الطلاب والطالبات، مجتمعة، للسمة، بوصفها مرغوبة للرجل، يفوق إحصائياً، ($p = 0.01$) المتوسط الحسابي للعلامات التي أسندتها مجموعتا الطلاب والطالبات للسمة ذاتها، بوصفها مرغوبة اجتماعياً للمرأة في مجتمعنا.

- ثمان وعشرين سمة أخرى محبّذة للمرأة أكثر مما هي محبّذة للرجل- سمات الأنوثة[3]،

- أربع وعشرين سمة محبّذة للاثنين معاً وبالدرجة ذاتها- سمات حيادية[4]

- سبع سمات محبّذة للرجال دون النساء، وست سمات محبّذة للنساء دون الرجال- سمات «ذكورة- أنوثة»[5].

---

(3) هي مجموعة السمات التي أجمع الشبّان والشابّات (إحصائياً، ($p= 0.001$) على اعتبارها السمات المرغوبة اجتماعياً للمرأة وللرجل في مجتمعنا اللبناني (بدرجة متوسّطة على الأقل)، لكنها مرغوبة للمرأة أكثر مما هي مرغوبة للرجل ($p= 0.01$). السمة الأنثوية تستوفي الشروط التالية:

1- أن تكون مرغوبة للرجل وللمرأة بدرجة متوسّطة، على الأقلّ،
فيكون المتوسّط الحسابي للعلامات التي نالتها السمة من كل واحدة من المجموعات الأربع واقعاً بين العلامات 2,5 و5،

2- أن يتفّق الشبّان والشابّات على درجة مرغوبية السمة للمرأة؛ فيكون الفرق بين المتوسّطين الحسابيين لمجموعتي العلامات التي أسندت للسمة على أنها مرغوبة اجتماعياً للمرأة في مجتمعنا، من فئتي الطلاب والطالبات (مجموعة (3) ومجموعة (4))... هذا الفرق هو بدون دلالة إحصائية، ($p= 0.05$)

3- أن يكون المتوسّط الحسابي للعلامات التي أسندتها مجموعتا الطلاب والطالبات(مجموعة (3) ومجموعة (4)) مجتمعة - أي مجموعة (6)) للسمة، بوصفها مرغوبة للمرأة، يفوق إحصائياً، ($p= 0.01$) المتوسط الحسابي للعلامات التي أسندتها مجموعتا الطلاب والطالبات (مجموعة (1) ومجموعة (2)، أي المجموعة (5)) للسمة ذاتها، بوصفها مرغوبة اجتماعياً للرجل في مجتمعنا.

(4) تتصف السمات الحيادية بما يلي:

1- أن تكون مرغوبة للرجل وللمرأة بدرجة متوسّطة على الأقل؛ أي أن يكون المتوسّط الحسابي للعلامات التي نالتها السمة من كل واحدة من المجموعات الأربع واقعاً بين العلامات 3 و5،

2- أن يتفّق الشبّان والشابّات على درجة مرغوبية السمة، أي أن يكون الفرق بين المتوسّطين الحسابيين لمجموعتي العلامات التي أسندت للسمة على أنها مرغوبة اجتماعياً للاثنين في مجتمعنا،... هذا الفرق هو بدون دلالة إحصائية، ($p= 0.05$)

3- أن يكون المتوسّط الحسابي للعلامات التي أسندتها مجموعتا الشبّان والشابّات، معاً، للسمة، بوصفها مرغوبة للمرأة، يساوي إحصائياً، ($p= 0.01$) المتوسط الحسابي للعلامات التي أسندتها مجموعتا الطلاب والطالبات، للسمة ذاتها، بوصفها مرغوبة اجتماعياً للرجل في مجتمعنا.

(5) هي سمات مرغوبة اجتماعياً للرجل دون المرأة، وأيضاً، من سمات مرغوبة اجتماعياً للمرأة دون الرجل.
أي أن هذا السلّم يتألّف من السمات التي تستوفي الشروط التالية:

=

ويجد القارئ في الملحق رقم (4) توزّعاً للسمات الثلاث والتسعين على هذه المصنّفات، وذلك بتوافق الشبّان والشابات، أفراد العيّنة.

المصنّفات الجندرية وتمثيليتها

إن توافق فئتَي الشبان والشابات، وبدرجة كبيرة، على تعيين السمات المحبّذة (أو غير المحبّذة) للرجل والمرأة يوفّر لنا خريطة تمثيلية يسعها تعيين بعض معالم الجندر، وحدوده، في تصوّرات هذه الفئة من الشباب اللبناني. فيسعنا أن نقبل، بثقة، كون السمات التي اختيرت من قبل المجموعات المختلفة، بوصفها محبّذة للرجل، مثلاً، تشكّل معاً أنموذجاً تمثيلياً للرجل في مجتمعنا- أي ما دعوناه بـ«الذكورة». ويصحّ الأمر عينه بالنسبة لسمات «الأنوثة»، وسمات «ذكورة- أنوثة».

نذكّر بأن «الذكورة»، مثلاً، في تعريفنا ليست استبعادية. أي أن السمات التي تشكّلت معاً لما دعوناه بـ«سمات الذكورة» ليست مرغوبة للرجل دون المرأة، أو هي مرغوبة للرجل فحسب. هذه السمات مرغوبة للاثنين معاً، لكنها مرغوبة للرجل أكثر مما هي مرغوبة للمرأة، والتمييز يطال، في هذه الحالة، درجة مرغوبية هذه السمات ومدى التحلّي بها. ويمكن تكرار القول نفسه بالنسبة للأنوثة.

لكن على ماذا تجتمع، وكيف تتمايز هذه السمات؟

التمايز في التشابه: الذكورة والأنوثة

إن التأمّل في سمات الذكورة يشير إلى تآلفها، معاً، على بُعديْن:

أوّلهما مثقل باتجاه ناشط نحو الخارج، فعّال وواقعي في التعامل مع الوضعيات، مسيطر عليها، يتحدى صعوباتها ومستعدّ للتعامل مع للضغوط والطوارئ المحيطة بها، ويتجلّى أيضاً باستعداد للتصدّي للأمور ومعالجتها بإعمال العقل والتحليل والإبداع فيها.

= 1- أن تتفق المجموعتان المعنيتان، من الشبان والشابات، على اعتبار السمة الحيادية غير مرغوب فيها، إما للرجل، أو غير مرغوب فيها للمرأة. أي أن يكون المتوسّط الحسابي للعلامات التي عزتها إحدى المجموعات الأربع إما للرجل أو للمرأة واقعاً بين العلامتين 1 و2,5، وألا يكون الفرق بين المتوسّطين دالاً.

2- وأن تكون، في الوقت نفسه، مرغوبة إما للرجل أو للمرأة بدرجة متوسّطة على الأقل، وأن يكون الفرق في المرغوبية الاجتماعية في كلا الحالتين ذا دلالة، (p= 0.000).

أما الثاني فيتمحور حول الذات، حيث يحبّذ للرجل أن يكون واثقاً بنفسه، وراغباً في إعلائها وتفوقّها ليستحق، ربما، القيمة المثمّنة لـ«قوّة الشخصية»، بالمعنى الشعبي لهذه القوّة؛ تلك القوة التي تبدو وكأنها من بعض السمات كلّها؛ ويتجلّى التمركز حول الذات أيضاً بالميل للمرح وبالاهتمام الرياضي. النموذج الرجالي فاعل في الواقع، لا منفعل به، عقلاني وواقعي، ومسيطر على زمام الأمور... مع هامش لُعبي ludic من المرح والنشاط الجسماني.

يتصف النموذج المرغوب اجتماعياً للمرأة - الذي أطلقنا عليه اسم الأنوثة- بالعلائقية والحضنية. فتبدو المرأة من خلاله متفهّمة لوجهة نظر الآخرين، باذلة مصلحتها في سبيلهم، متعاطفة مع مشاعرهم، ومخلصة لشريكها. وتتجلّى علائقيتها في سمات اجتماعية تبادلية من اللطف والتهذيب والتعبير عن العواطف.

لكن ما يطغى على النموذج النسائي المرغوب اجتماعياً هو النزعة المتلقّية لفعل الآخرين والتي يمكن رصدها، خاصّة، في تحبيذ تحلّيها بسمات القناعة والتواضع والطاعة. يضاف إليها جميعاً سمات شخصية من هدوء وتمهّل وترتيب... فتبدو معها وكأنها خلفية سلبية متوارية، وغير منظورة، لسيناريو لا تشارك فيه ناشطة، بل ينفّذه المحيطين بها- الفاعلين في حركة الواقع من حولها.

نشير في هذا الصدد، إلى أن السمتين الأكثر تحبيذاً للمرأة، واللتين وضعتا، من بين كلّ السمات الأخرى، في مقام المرغوبة في كلّ الأحوال من قبل الشبّان والشابات... هاتان السمتان هما «الرغبة بتربية الأطفال» و«الإخلاص لشريك واحد». في المقام نفسه تماماً أُسند للرجل سمتان هما «الطموح» و«تحمّل المسؤولية». وفيما تحيل السمتان الأنثويتان إلى تضمينات دور المرأة الإنجابي في مجتمعاتنا، فإن سمتَي الذكورة تحيلان، بطريقة غير مباشرة، إلى دور الإعالة للرجل- المكمّل لدور المرأة، كما سنرى لاحقاً.

التلاقي والتنافر

ويشترك النموذجان في سمات حيادية اجتماعيّة أو شخصية تضع الواحد منهما في موقع لا يناقض تميّزه- صفاته «الأصلية»، لكنه يحيل المرأة أو الرجل إلى مجالات أوسع من الحياة؛ ومن هذه الصفات ما يدلّ على النشاط، (استعداد للمساعدة، اتجاه لخدمة الآخرين، كرم، دفاع عن المعتقدات، استعداد للمبادرة في تنظيم نشاط ترفيهي،

استعداد للمشاركة في نشاط ترفيهي، إلخ)، وأخرى تتسم بالوسيلية، (قدرة على الاحتمال، مثابرة، دقة في إنجاز المهام)، اجتماعية، (حسن التواصل مع الآخرين، انسجام مع متطلبات المجتمع، ميل للإخلاص للأصدقاء، استعداد لرعاية الضعفاء)، ومنها أخلاقية، (تحكيم الضمير، إعلاء الضمير على المصلحة الخاصّة)، إلخ.

السمات الحيادية التي تصف الرجال والنساء معاً يسعها أن تفعل ذلك لأنها ذات وجهين: فلو أخذنا، مثلاً، سمة «استعداد للمساعدة»، نجد أنها تصف المرأة المرغوبة اجتماعيا في وجهها الحضني/ العلائقي، وفي كونها تفترض وجود موضوع آخر يتلقى فعل المساعدة، فتتناغم بذلك مع مجموعة السمات الأنثويّة، العلائقية والحضنية أساساً. من جهة أخرى، فإن «الاستعداد» هو فعل ناشط، ولا يتناقض إذاً مع السمات الذكورة. كذلك، فإن مجال فعل الاستعداد للمساعدة، متعدّد ومتنوّع يسمح للسمة بأن تصف الرجال في المجال الخارجي، مثلاً، والنساء في المجال الداخل-عائلي. وهو ما يسمح لهذه السمة أن تصنّف كذلك. لذا، فإنّ السمات الحياديّة لا تناقض أي واحد من النموذجين الذكري أو الأنثوي؛ وإن كانت تعزز بُعدَ الفرديّة الضامر في الشخصيّة الأنثويّة، وتطعّم الشخصية الذكرية، الفردية والمنفصلة، ببعض التبادلية الاجتماعية. ولعلّ ما نقوله ينطبق على السمات الحيادية كلّها.

ومع أن جلّ السمات المطروحة على المستجوبين كانت مرغوبة للجنسين، فقد جاء بعضها، كما سبق وأشرنا، محبّذاً للرجال دون النساء. من هذه السمات، الاستعداد للتنافس مع الآخرين، الاستعداد للمخاطرة، الميل للاستقلاليّة، إمكانات لأن يكون قائداً، الاستعداد للمغامرة، الشجاعة في مواجهة الأب... أي تلك السمات التي تُمعِن، تحديداً، في جعل الرجل فرداً متميّزاً عن الجماعة. وتقع هذه سمات على طرف نقيض من العلائقية والحضنية، وما يميّز الملامح النسائيّة العامة المرسومة... لذا، فهي غير محبّذة للمرأة.

كذلك برزت بعض سمات مرغوبة للمرأة، لكن غير مرغوبة للرجل، هي: الحياء، تأثر بوجهة نظر الآخرين، البراءة، القبول بالحظ والنصيب والغنج. وهي سمات تضخّم الوجه المتلقي الإنسحابي للنموذج النسائي وتذهب به إلى درجات قصوى من السلبية والتلقّي، وتتناقض، تالياً، مع الملامح الغالبة للنموذج الذكري الموصوف؛ فيأتي كونها غير محبّذة للرجل متوقّعاً، ومتناغماً مع التصنيفات المقترحة للذكورة والأنوثة في السلّمين الموصوفين أعلاه.

الرجل فرد، المرأة موضوع ودور

وفي نظرة إجمالية إلى مجموعة السمات التي تصف بروفيل الرجل المرغوب فيه في ثقافتنا الاجتماعيّة، وبمعزل عن تلاقيها أو تنافرها مع سمات المرأة، نجد أنها تنضوي تحت مظلّة الفرديّة:

ويشير إلى ذلك السمات الذاتيّة الذهنية منها (معالجة إبداعية للمسائل، تنظيم في التفكير، ميل إلى تحليل الأمور)،

وتلك التي تحمل ميلاً للبروز والتميّز (إقدام في اتخاذ القرار، شجاعة في مواجهة الأب، ثقة بالنفس، طموح، قوة الشخصية)؛

لكن الفرديّة تبدو واضحة، خاصة، في السمات التي تضع الرجل بمواجهة الجماعة (سيطرة على الوضعية) أو حتى في موقع مواجه لأفرادها (استعداد للتنافس مع آخرين، الشعور بالتفوّق)، أو، على الأقل، في موقع لا اندماجي بها (استقلاليّة، اعتماد على الذات)، وبدرجة تالية على رأسها (إمكانات لأن يكون قائداً)، ولربما أيضاً في موقع يتجاهلها (ميل للمرح، الاستعداد للمغامرة).

أي كلّ ما يؤسس لحيازة السلطة والمكانة، ولتوفّر الإمكانات والموارد الشخصية للحصول عليهما.

في المقابل، فإن المرأة المرغوبة اجتماعياً تتصف إجمالاً، وبناء على السمات التي حصلنا عليها، بموقعها في الجماعة. وهو موقع متنبّه للآخرين، غالباً، وفي إطار التبادل الاجتماعي والعائلي:

ويتجلّى ذلك في مجموعة السمات العلائقية (تفهّم لوجهة نظر الآخرين، تعاطف مع مشاعر الآخرين)،

وتلك التي تُعلي مصلحة الآخر على الذات (إعلاء مصلحة الشريك على الذات، ميل لمسامحة الآخر على إساءته (صبر على سوء معاملة الشريك)،

والحضنيّة (الرغبة بتربية الأطفال، حنوّ على الضعيف)،

والحاثّة على الالتزام بأعراف الجماعة (الالتزام بالتقاليد، التمسّك بالمعايير الأخلاقية، التهذيب، واللطف، اللياقة)،

المنسحبة (طاعة، هدوء، قناعة، الصبر على المصاعب، قبول بالحظ و النصيب)،

والطفوليّة (براءة، حياء، ميل للغنج)، إلخ؛

وكلّها تشير إلى وظائف الحضن والعناية والتنبّه لحاجات الآخرين، من جهة، وإلى مكانة متراجعة وغير بارزة، في أقلّ تقدير، من جهة ثانية.

لا يخفى أن نظامنا الاجتماعي والسياسي لا ينتج، قياساً على الأنظمة في البلدان الصناعية، أفراداً. لكن ما هو محبّذ للنساء والرجال في مجتمعاتنا يشير إلى أن الرجال يسعهم أن يكونوا أكثر فردية من النساء، فيما يفضّل للنساء وجوداً متموضعاً في الجماعة وتابعاً لحاجاتها، أكثر حساسية وتفاعلاً مع أفرادها مما هو مطلوب من الرجال.

تبعاً لشروط الاختبار أم بالاستقلال منها؟

إن صورة الرجل وصورة المرأة المرغوبتين اجتماعياً، وكما حدّدتهما هذه الدراسة، تابعتان، بالضرورة، لتفضيلات أفراد العينة غير الممثّلة، وتابعتان أيضاً لمجموعة السمات الثلاث والتسعين التي عُرضت، أصلاً، على عيّنة الاختبار التمهيدي. ونحن لم نطلب إلى أفراد عينتنا أن يقوموا هم بإطلاق سمات مرغوبة للرجل، وأخرى للمرأة في مجتمعنا (هذه العملية تمّت، في الواقع، في بداية مسار إنشاء الاستبيانين الأميركيين اللذين قمنا بـ«لبننتهما»)، في دراسة 1987، وفيها أضفنا سمات استخرجت من دراسات لبنانية قليلة تناولت المسألة، (بيضون، 1988). في تلك الدراسة حصرنا خيار المبحوثين بمجموعة محدودة جرى تجميعها، كما ذكرنا، في اختبارات سابقة ولأهداف تتعلّق بالقياس في علم النفس... لذا، فإنّ نتائجنا محكومة، وبشكل صارم، بالشروط المحيطة بإجراء الدراسة. لكن صورة المرأة والرجل النموذجيين في هذه الدراسة تشبه، إلى حد بعيد، تلك التي استخرجت في دراسات أخرى بوسائل شبيهة، أو مختلفة تماماً، في أوقات سابقة، أو حالية. والاختلاف بين دراستنا وهذه الدراسات لا يعدو كونه اختلافاً في الزاوية التي جرى فيها النظر إلى النموذجين المحبّذين للمرأة والرجل في مجتمعنا. وللدلالة على ذلك نُحيل القارئ على بضع دراسات حاولت رصد صورة المرأة في مخيالنا الثقافي.

من أولى هذه الدراسات اللبنانية التي تناولت صورة المرأة اللبنانية، مثلاً، واحدة لإلهام كلاب عن صورة المرأة في الكتب المدرسيّة في لبنان، (كلّاب، 1983). وهي توصّلت إلى نتيجة رئيسية مفادها أن صورة الرجل (أو المرأة) تعكس النموذجين الواقعيين للاثنين. لكن الكتب المدرسية تقدّم، إضافة إلى ذلك، بدوافع تربوية، النموذج النسائي أو الرجالي المرغوب فيهما اجتماعياً. في هذه الدراسة تخلص المؤلفة

إلى أن «الهوية المنفردة والشخصيّة للمرأة غير موجودة؛ فالمرأة تبدو من خلال رموز و تصنيفات ونماذج، لا من خلال وجودها كشخص إنساني حقيقي». وذلك، قياساً على صورة للرجل أكثر تنوعاً وغنى وفرديّة، تتسم بصفات ذهنية وذاتية بارزة، ويقوم الرجل، بموجبها وبعكس المرأة، بأدوار متعددة لا حصر لها.

ونجد مثلاً آخر لدى مكّي في أطروحتها، حول «العلاقة بين الجنسين في الشرائط المصوّرة اللبنانيّة» والتي تتوجّه في أكثرها للأولاد - إلا في بضعة منها للمراهقين. هذه الشرائط تعكس، هي أيضاً، النموذج النسائي في تصور المؤلفين والقراء على السواء. وتجد المؤلّفة أن صورة المرأة هي «تقليديّة» في أكثريّة هذه الشرائط (70%). فهي غائبة نصاً ورسماً، وتُستدعى صورتها، أساساً، عند بروز الحاجة لإظهار مزايا الرجل. فإذا برزت الحاجة لإظهار تسلط الرجل - أو سيطرته - كانت المرأة في خضوعها متلقية لفعل السيطرة. وكذلك، فإنّ تجسد صفة الشجاعة عنده يبرره، عادة، خوف المرأة من عدوها ! الخ. . . وبينما تتنوع أوجه ذكورة الرجل تكاد تنحصر أنوثة المرأة في أمومتها وفي كونها موضوع إثارة للرجل؛ أي، تحديدا، في دوريها التقليديين. أما الشرائط المصوّرة القليلة التي تقدم نموذجاً نسائياً «جديداً» ومنفرداً فتبدو صورة المرأة - بحسب المؤلفة - متعثرة ومهتزة بسبب غياب نموذج واضح في ذهن واضعي هذه الشرائط، (Makki, 1983).

وفي دراسات أحدث، لعلّها تعبّر عن التحوّلات الملاحظة في أدوار النساء والرجال، في الحيّزين العامّ والخاصّ، هناك تكرار، للصورة نفسها، في الإعلام، (Bisat Kallab, 1989؛ البتّي، 1998)، في كتب القراءة العربية المدرسية، (نعمة، 2001)، في الكتب المدرسية إجمالاً، (شعراني وشرف الدين، 2006)، وفي قصص الأطفال، (حطيط، 2001)، في المنمّطات الجنسية التي تحكم التنشئة الاجتماعية على الأدوار الجنسية، (الأمين، 2005)، وفي المراجع التي استندت إليها المادّة الخامسة، (الأدوار النمطية)، من تقارير سيداو الرسمية وغير الرسمية، (تقارير سيداو، 2000، 2004، 2006) إلخ. ومن هذه جميعاً، يسعنا رسم صورة نمطية جندرية افتراضية تشبه، إلى حدّ بعيد، تلك التي حصّلنا في هذه الدراسة. فلا تعدو مجموعات السمات التي حصّلنا أن تكون استعادة لنواحٍ منها. لكن احتمال أن تكون صورتَي المرأة والرجل، التي حصّلنا بنتيجة اختبارنا التمهيدي، أكثر شبَهاً بالصورتين في أذهان هذه الفئة من الشباب اللبناني عن المرأة والرجل، من تلك التي يمكن تحصيلها من قراءة تحليل-

خطابية لهذه النصوص. . . هذا الاحتمال هو غير قليل، بالطبع، بسبب توجهنا إلى الفئة المذكورة، مباشرة، من أجل رسم بعض ملامح هاتين الصورتيْن المرغوبتيْن اجتماعياً؛ وذلك بدل الاعتماد على «الصورة» التي رسمها الباحثون أعلاه عبر تحليلاتهم المنهجية، أو العفوية، للتعبيرات الثقافية التي درسوها، نخبوية كانت أم شعبية.

الأمثلة التي أثبتناه أعلاه من الدراسات اللبنانيّة حول صورة الجنسين في الثقافتين الشعبية والنخبوية تشير إلى أنّ اختلاف زاوية النظر لا تغيّر كثيراً في النتائج. فصورة المرأة والرجل فيها لا تختلف كثيراً عن تصوّر المرأة والرجل الذي يحمله شبابنا في ذهنه. والنظر في الدراسات العربية، وغير العربيّة، حول الموضوع يؤكّد، واقعاً، وجود عناصر ثابتة في صورة النموذجين النسائي والرجالي المرغوبتين اجتماعياً عبر الثقافات الاجتماعية الأبوية المتفاوتة، على غير صعيد. بل إن بعض الدراسات الأجنبية في علم نفس الجندر، والتي كانت مراجعَ لنا في هذه الدراسة، لا تحمّل نفسها عناء تقنين «استبيان بم للأدوار الجنسية»، ولا «استمارة السمات الشخصية»، المذكورتيْن سابقاً، بل تمضي قُدُماً في استخدامهما، مفترضة، ضمناً، التشابه المذكورر. ويصحّ ما نقوله على أكثر الدراسات التي اتخذناها مراجع لنا في هذه الدراسة.

الألفة والعمومية

لماذا يبدو اصطفاف السمات في مصنّفات الذكورة والأنوثة مألوفاً، ولا يفاجئ أحداً؟ لماذا تشبه النتائج المعروضة أعلاه تلك التي وجدها باحثون آخرون عندنا، وفي الثقافات الاجتماعية الأخرى؟

يرى آيكس أن هناك توافقاً، غير قليل، على ماهية النموذجين المختلفين للمرأة والرجل وعلى طبيعة الفروق القائمة بينهما في أكثر المجتمعات المعروفة؛ لكن هناك، في الوقت نفسه، جدال حول مصدر هذه الماهية، وحول أصول تلك الفروق وحول مترتباتها الاجتماعية. فالمنظور النشوئي، مثلاً، يركّز على السمات التي تعزز اللياقة الإنجابية للذكور والإناث، ليتم اصطفاء هذه السمات، ويتوقّع أن تتمثّل بتواتر متعاقب مع الأجيال، وأن تترك بصماتها على الثقافة الاجتماعية: فحين يتعرّف ناس هذه الثقافة الاجتماعية على الصفة التكيّفية والاصطفائية لهذه السمة، فإن المعتقدات والمؤسسات الاجتماعية ستتحوّل، تدريجياً، لتبنّي طرق تسمح بتعزيز القيمتين المذكورتين للسمة.

ويمكن تأويل الفرق بين سمات الذكور، (المتمثّلة بكلّ ما يسمح بحيازة السلطة

والمكانة)، وبين سمات الإناث، (المتمثّلة بالقدرة على العناية والتضامن والقرب)، وفق المنظور النشوئي، بالعودة إلى دور الأم الإنجابي. هذا الدور يتفرّد في كون الأم يسعها الإرضاع، ويكون الأب لا يسعه القيام بذلك. إن قدرة الأم على الإرضاع جعل النساء «المرشّحين الطبيعيين» للعناية بالأطفال في المجتمعات الإنسانية الأولى، والمالكين، تالياً، لحساسية أكبر لحاجات أعضاء أسرهن الشبيهة، والمخوّلين للاستجابة لها. بالمقابل، فإن توظيف الرجال في نسلهم هو غير مباشر، ويعتمد على قدرة الرجال على توفير الموارد من طعام وحماية وأمان. إن إمكانية توفير هذه جميعاً تزداد، طرداً، مع القدرة على الهيمنة وحيازة السلطة والمكانة، فيتمّ تمرير هذه المميّزات في المورّثات إلى نسلهم، بالتناسب مع الاصطفاء والدافعية للبقاء الطبيعيين.

من منظور الحتمية الثقافية، ودائماً بحسب آيكِس، تشير النظريات المقترحة لفهم كوْنية السمات والأدوار إلى أن الأدوار التقليدية تجد أصولها في المعتقدات والمؤسسات والممارسات الثقافية في الأنظمة البطركية الشائعة الوجود. هذه تعزز التنشئة الفارقية للصبيان والبنات باتجاه اكتساب الأدوار الجندرية التي جرى توصيفها في تلك الأنظمة. يستعرض آيكِس مثالات أربعة عرضت من هذا المنظور: التنشئة على الأدوار الاجتماعية، المثال الوضعي، المثال القمعي، والمثال القائم على التفرّد. وفق المثال الأوّل (التنشئة على الأدوار الاجتماعية)، فإن الأدوار يتمّ تعلّمها عبر الملاحظة والمحاكاة والاقتداء بنماذج modeling لا تلبث أن تُستدخل في الذات. أما المثال الوضعي فيقدّم تأويلاً مفاده أن الفروق بين الاتجاهات الاقتصادية والسياسة للذكور والإناث إنما هي ناجمة عن الانتماء لمنظمات اجتماعية تجعل كلاً من الجنسين رهناً بمتطلباتها: الممارسات الثقافية تفترض أن يقضي الذكور أكثر أوقاتهم في أماكن العمل، حصراً، بينما تقوم النساء بمعظم نشاطها داخل أسوار المنازل. يحصّل الذكور، بذلك، فرصاً أكبر لتعلّم أهمية المكانة وضرورات التنافس وحيازة السلطة، فيما تحصّل النساء فرصاً أكبر لتعلّم الحضن والعناية بالآخرين. أما المثال الثالث الذي يورده آيكِس فهو المثال القمعي الذي يفترض أن الأدوار الجندرية التقليدية إنما هي نتاج اجتماعي سياسي يتصف، خاصّة، بإعلاء سلطة الرجال على النساء، ويعمل على صيانة هذه السلطة. يبقى المثال الربع، التفرّد، الذي يفترض أن الذكور يسعون للتفرّد باكراً بعيداً عن أمهاتهم لتحقيق هوياتهم، فيما تبقى الإناث على مسافة أقرب من أمهاتهن من أجل تحقيق أنوثتهن، فيتعلّمن التماهي بالأم، ويتأهّلن للاستجابة لحاجات الآخرين، (Ikes, 1993).

الثبات والتبدّل عبر الزمن

ونحن قمنا، كما ذكرنا في مطلع هذا الفصل، بتحيين updating أدوات بحثنا، في دراستنا التمهيدية، ولم نعتمد السلالم التي حددناها في دراستنا السابقة، (بيضون، 1988). وذلك بحثاً عن تغيير محتمل ومتوقّع في ملامح الصورتين المذكورتين للمرأة وللرجل المرغوبتين اجتماعياً، وسعياً لتمثيل أكثر صدقاً لـ«الذكورة» و«الأنوثة» واللتين افترضنا أنهما غير باقيتين على حالهما. إن مقارنة بين سمات الذكورة وسمات الأنوثة المحددة، في الدراستين، (1988 و2004) ليس دقيقاً تماماً بسبب التغيير الذي طال صياغة بعض السمات، كما سبق وذكرنا. لكن مقارنة، تأخذ ذلك التغيير في الحسبان، تبقى مفيدة وذات دلالة، كما سبق وبينّا في الهامش الأوّل من هذا الفصل.

أكانت في الصيغة الأوّلية المجرّدة، أم في الصيغة الوضعية التي اعتمدناها أحياناً، فإن أكثر السمات بقيت في مصنّفاتها السابقة. فيبدو وكأن السنوات العشرين التي فرّقت بين الدراستين لم تغيّر كثيراً في ملامح الذكورة والأنوثة المرغوبة اجتماعياً، برأي الشباب من فئة العمر نفسها:

فلو أخذنا سمة «طاعة» التي كانت أنثوية في دراستنا السابقة، والتي جزّأناها في دراستنا الحالية إلى سمتين،« طاعة الأب»، و«طاعة المسؤولين»... هذه السمة بقيت أنثوية. وهو ما حصل لسمة «تضحية»، «تسامح»، «فصاحة» التي قمنا بموضعتها، ناهيك بالأخرى التي أبقيناها على حالها من مثل «براءة»، «استعداد للمخاطرة» إلخ.

هذا الثبات لا يختص به شبابنا الجامعي حصراً؛ فقد بيّن باحثون في علم نفس الجندر «عناد» المنمّطات الجندرية في وجه الزمن في ثقافات اجتماعية شهدت تغيّرات أوسع وأكثر جذرية في المكانات والأدوار الجندرية. من هؤلاء، مثلاً، برنتيس وغارانزا، (Prentice and Garranza, 2002)، اللتان أحصتا السمات التي استخدمتها بِمْ في استبيانها الباقية على حالها لجهة تصنيفها في خانة الذكورة والأنوثة، ووجدتا ثباتاً كبيراً جعلهما تستنتجان «تشبّثاً وإصراراً للتوصيفات الجندرية التقليدية» في تصوّر فئة الطلاب الجامعيين الذين يطلب إليهم أن يكونوا «مُخبِرين» عن الثقافة الاجتماعية الأميركية.

على أن ذلك الثبات في دراستنا لم يأتِ كاملاً؛ خاصّة حين تمّ موْضَعَة السمة في سياق أكثر تحديداً من السمة في صيغتها المطلقة. ويبيّن الجدول التالي «حركة انتقال» السمات في دراستَي 1984 و2004:

جدول يبيّن حركة انتقال السمة من مصنّف من دراسة 1984 إلى مصنّف آخر في دراسة 2004

انتقل من / إلى	مجموعة سمات الذكورة (دراسة 1984)	مجموعة سمات الأنوثة (دراسة 1984)	مجموعة السمات الحيادية (دراسة 1984)	مجموعة السمات ذكورة- أنوثة (دراسة 1984)
مجموعة سمات الذكورة (دراسة 2004)			* نشاط * واقعية في تقدير الأمور * واقعية في معالجة المسائل * مثابرة في إنجاز المهام * ميل للمرح	* الرغبة في المغامرة * رغبة في التفوّق * اهتمام رياضي
مجموعة سمات الأنوثة (دراسة 2004)				
مجموعة السمات الحيادية (دراسة 2004)		* تحكيم الضمير * إعلاء الضمير على المصلحة الذاتية * تألّق في المظهر الخارجي * جاذبية الشخصية * إخلاص للأصدقاء * تحكّم في المزاجية (ثبات في الطباع) * الرغبة في إنجاب الأطفال * التزام بأركان الدين		
مجموعة السمات ذكورة- أنوثة (دراسة 2004)	شجاعة في مواجهة الأب			

اللافت أن مجموعة سمات الأنوثة في الدراسة الجديدة لم تزدد سمة واحدة! وأن حركة «الهجرة» قد تمّت أساساً باتجاه مصنّفي الذكورة والحيادية.

ونجد أنه حين حددت سمة «المثابرة»، مثلاً، في وضعية «إنجاز المهمّة»، باتت ذكرية ولم تعد حيادية، كذلك الأمر بالنسبة لـ«الواقعية» التي كانت منفردة في اختبار 1984، وباتت «واقعية في معالجة الأمور» أو «واقعية في تقدير الأمور» في اختبار 2004 التمهيدي. لكن الأمر نفسه لا ينطبق على «ميل للمرح» ولا على «نشاط» اللتين كانتا محبّذتين للجنسين بالدرجة ذاتها وباتتا ذكريتين.

أما هجرة بعض السمات من «ذكورة - أنوثة» إلى مصنّف الذكورة فتشير إلى ظاهرة مثيرة للاهتمام. فحيث كانت هذه السمات مرغوبة للرجل دون المرأة، «تقدّمت» خطوة لتصبح مرغوبة للمرأة، وإن بدرجة أقلّ من الرجل. والسمات هي «الرغبة بالتفوّق»، و«الرغبة بالمغامرة»، و«الاهتمام الرياضي»، وكلّها سمات تشي ببعض العدوانية- الوسيلية، بالطبع- والتي لم تعد، بحسب نتائجنا، مذمومة على نحوٍ مطلق، للمرأة كما كانت سابقاً.

الظاهرة الأخيرة اللافتة، وهي الأكثر «كثافة»، تتمثّل بانتقال سمات أنثوية إلى خانة السمات المحبّذة للمرأة وللرجل سواء بسواء. فحيث كان «الجمال» و«الجاذبية»، مثلاً، من السمات الأنثوية، أصبح «التألّق في المظهر الخارجي» و«جاذبية الشخصية» حياديين؛ ولعلّ فعل القصد والفعل المتضمّنين في «التألّق»، وتحديد «الشخصية» لصفة الجاذبية في الثانية سلب عن السمتين «جمال» و«جاذبية» «طبيعيتهما» وتلقائيتهما، فأصبحتا صالحتيْن لوصف الرجل، لا المرأة حصراً؛ أو لعلّ الاهتمام الذي أصبح الشاب اللبناني يبدي لمظهره الخارجي ولجاذبيته هو خلف عدم استبعادهما من الشبان والشابات السمات محبّذة للرجل، (Aghaci, 2004). وهي ظاهرة عالمية، كما سبق وذكرنا، دأبت على تعزيزها شركات ومؤسسات التجميل التي وسّعت اهتمامها ليطال جسد الرجل و«اللوك» الخاصّة به. وهي ظاهرة لا تحظَ، وكما هو متوقّع، بقبول كثير من الرجال، المتقدّمين منهم في السن خاصّة. لكن، وبحكم إقبال الفئة الأصغر عمراً على منتجات هذه الشركات وتلك المؤسسات، فهي مرشّحة للتطوير الاستهلاكي، خاصّة وأنها لا تعتبر من قبل هذه الفئة من الشباب سلوكاً أنثوياً[6].

---

(6) "Factfile: Reaching the Feminine Side of Men" (Marketing week, London: jan 27, 2005, p38).

وإذ كان «الضمير الحي» من السمات الأنثوية بات «تحكيم الضمير» و«إعلاء الضمير على المصلحة الذاتية» مرغوبين للاثنين معاً، بالدرجة ذاتها. الإخلاص أيضاً، ولما لم يعد موضوعاً مجهولاً، (الإخلاص للأصدقاء وليس «الإخلاص للشريك»- التي بقيت أنثوية!!) بات حيادياً، وحين استبدلت «محبّة الأطفال» بـ«الرغبة في إنجاب الأطفال» (وتبيّن أنها لا تعني «الرغبة في العناية بالأطفال»- التي صنّفت أنثوية!!!)... في هذه الحالة اعتبر شبابنا أن موضوعاً يخص الأطفال يسعه أن يكون مشتركاً بين الجنسين. كذلك، فرّق شباب 2004 بين وجهين من «التديّن»، (وهي كانت سمة أنثوية سابقاً)، فجعلوا «الالتزام بأركان الدين» من السمات الحيادية، لكنهم أبقوا على «ممارسة الشعائر الدينية» سمة محبّذة للمرأة أكثر من الرجل.

من جهة ثانية، فإن تصنيف السمات المستحدثة، المبيّنة في الجدول أعلاه، جاء ليعزز ملامح الصورة العامّة للمرأة وللرجل، ولم ينقضها. فـ«العمل بصمت»، مثلاً، وهو سمة أنثوية ينسجم مع صورة المرأة الانسحابية، و«التأثّر بوجهة نظر الآخرين» يتوافق مع موقع المرأة المتلقّي، و«إعلاء مصلحة الآخرين على الذات» غير متناقض مع الاتجاه العلائقي/ الحضني. كذلك، فإن «القدرة على الإمساك بزمام الأمور» و«القدرة على مواجهة الصعاب»، و«الإقدام في اتخاذ القرار»... وكلّها سمات تحمل وشياً هجومياً فاعلاً ومسيطراً، أي متناغماً مع الملامح العامّة للذكورة إلخ.

«استبيان صورة الذات الجندرية»

انطلاقاً من السمات التي كوّنت هذه المصنّفات الأربعة تمّ إنشاء «استبيان صورة الذات الجندرية»؛ وهو يتألّف من سلالم ثلاثة اختيرت من المصنّفات الثلاثة المحصّلة في الجدول أعلاه: سمات «الذكورة»، سمات «الأنوثة»، وسمات «ذكورة- أنوثة». أي أننا أهملنا السمات الحيادية؛ ففي دراساتنا السابقة، (بيضون، 1988، 1998، 2004) كانت سمات السلّم الحيادي بمثابة «بنود تعبئة» filler items. وقد جاء الاستبيان الحالي أطول من سابقه، فاستغنينا عن هذه البنود سعياً للاقتصاد في المدة التي يستغرقها ملؤه.

سلالم «استبيان صورة الذات الجندرية»

سلّم الذكورة

تألّف سلّم الذكورة من سمات الذكورة المصنّفة في الجدول أعلاه، لكنها

استوفت، إضافة إلى ذلك، الشروط التالية:

1- موافقة المسيحيين والمسلمين من الشبّان والشابات على درجة مرغوبية على تعيين السمة للرجل في مجتمعنا. أي أن يكون المتوسط الحسابي للعلامات التي قام المسيحيون من المجموعة (5) بعزوها للسمة التي وفّت الشروط أعلاه مساوياً إحصائياً للمتوسط الحسابي للعلامات التي قام المسلمون من المجموعة (5) بعزْوِها لها.

2- موافقة المبحوثين من أربعة من المصنّفات (المتغيّرات) الخمسة التي ينتمون إليها على درجة مرغوبية السمة للرجل. (المتغيّرات هي التالية: الطبقة الاجتماعية (بحسب مهنة الأب)، السن (20 أو أقل، أكبر من 21)، المحافظة، (متماثلة مع السكن الحالي، أم متغيّرة)، مهنة الأم (عاملة بأجر أم ربّة منزل).

أي أننا احتفظنا بالسمات التي توافق الشبّان والشابّات، من الطائفتين، على تصنيفها مرغوبة للرجل أو للمرأة، بحسب الحالة، لكننا أهملنا من هذه السمات تلك التي اختلفت في تصنيفها كذلك فئتان، أو أكثر، من الفئات الأخرى المذكورة.

والطريقة ذاتها التي حكمت اختيار السمات في سلّم الذكورة، (توافق الطائفتين، وعدم اختلاف أكثر من فئة اجتماعية واحدة)، تمّ تحديد سلّم الأنوثة، وسلّم ذكورة - أنوثة... بالطريقة ذاتها اختيرت السمات التي تشكّلهما من سمات الأنوثة وسمات ذكورة- أنوثة في الجدول أعلاه، على التوالي.

وغنيّ عن القول أن سلّم «ذكورة- أنوثة»، وبعكس كلٌّ من سلّمي الذكورة والأنوثة، هو مزدوج القطب bipolar؛ فالسمات التي تشكّله جاءت، وفق تحكيم الفئة الشابة المبحوثة، منقسمة انقساماً صريحاً إلى مجموعتين: كلّ واحدة منها مرغوبة لواحد من الجنسين وغير مرغوبة للآخر، في الوقت نفسه. أي أن المبدأ الذي ينطوي عليه إنشاء هذا السلّم يشبه مبدأ الاستبيانات التقليدية للذكورة والأنوثة، فسماته تتجمّع على متصل واحد continum، بحيث إن الاقتراب من واحد منها هو، من حيث المبدأ، ابتعاد عن الآخر. وهي نتيجة تحققنا من صدقها في الطريقة التي قام الشبّان والشابات بعزوها لذواتهم أو لشركائهم، كما سنرى لاحقاً.

هكذا حصلنا بنتيجة المعالجة الإحصائية، والمعايير المرتبطة بالتوافق بين الفئات الطلابية، على سمات توزّعت على سلالم ثلاثة؛ وقد جاءت على الشكل التالي:

سلّم الذكورة	سلّم الأنوثة	سلّم ذكورة - أنوثة
ميل إلى تحليل الأمور	تمهّل في معالجة الأمور	استعداد للتنافس مع الآخرين
معالجة إبداعية للمسائل	سهولة في التعبير عن العواطف	
واقعية في تقدير الأمور		استعداد للمخاطرة
استعداد للنجدة	تفهّم لوجهة نظر الآخرين	
ميل للمرح	قناعة	استعداد للمغامرة
تحدّي المشقات	هدوء	
فعالية في إنجاز المهام	تصرّف بتهذيب	شجاعة في مواجهة الأب (أو ولي الأمر)
فعالية في التعامل مع الضغوط	ميل للتواضع	
	ميل للإخلاص لشريك واحد	--------------
القدرة على السيطرة على الوضعية	لطف	
	ترتيب	براءة
قوّة الشخصية	بذل المصلحة الذاتية في سبيل مصلحة الآخرين	ميل للغنج
ثقة بالنفس		حياء
رغبة في التفوّق	تعاطف مع مشاعر الآخرين	
اهتمام رياضي	طاعة لتوجيهات المسؤولين	تأثّر بوجهة نظر الآخرين

الصياغة والشكل:

كتبت بنود «استبيان صورة الذات الجندرية» بصيغة المتكلّم؛ وطلب إلى المبحوث أن يعيّن، على سلّم من درجات خمس، ووفق أسلوب ليكرت Likert، الدرجة التي يسع السمة أن تصف أحواله. فجاءت السمة «إنجاز المهام بفعالية»، مثلاً، في صيغة «أنجز المهام الموكلة إليّ بفعالية»؛ فيجعل المبحوث، أو المبحوثة، في خانة مقابلة للسمة علامة تعيّن الدرجة التي تصحّ هذه السمة لوصفه(ها) في كلّ الأحوال (دائماً)، أم في أكثر الأحوال (غالباً)، أم في بعض الأحوال (أحياناً) أم في قليل من الأحوال (قليلاً)، أم أنها لا تصفه (أبداً) وقد جعلنا الاستمارة في صيغتين، واحدة متوجّهة للشباب، وثانية متوجّهة للشابات، (أنظر ملحق (5)).

صدق الاستبيان:

اكتفينا، في هذا المجال، وكما أسلفنا القول، بـ«لَبْنَنَة» السمات التي تشكّل منها الاستبيان التي نفّذت في الصيغة الأولى للاستبيان في العام 1984. هذا يعني أننا لم نكتفِ بترجمة الاستبيانيْن اللذين استوحيناهما من الدراسات التي نفّذت في إطار نظرية الأندروجينية. بل إننا قمنا، بتوسّل الاختبار التمهيدي الذي وصفناه في الصفحات الماضية، بإعادة تعيين سلّمَي الذكورة والأنوثة للتأكّد من راهنية انتماء السمات إلى المصنّفات المعتمدة، («ذكورة»، «أنوثة»، «حيادية»، «أنوثة- ذكورة»). وهي راهنية في «المكان»، (بفعل اللجوء إلى مجتمع البحث لهذه الدراسة الشبّان والشابات اللبنانيين ليكونوا الحكّام على تصنيف سمات الذكورة والأنوثة)، وراهنية الزمان، (بفعل إعادة التصنيف المذكور مرّة ثانية بعد مضيّ عشرين سنة على إنشاء الاستبيان الأوّل). فنكون، بذلك، قد حققنا الصدقين الظاهري والثقافي، إذا جاز التعبير.

وإذا كان الصدق الظاهري شرطاً ضرورياً لإطلاق حكم الصدق على الاستبيان، فهو، وكما هو معروف، ليس كافياً. لكن إثبات أنماط الصدق الأخرى، كتلك المتعلّقة بالمفهوم نفسه criterion validity، مثلاً، محتاج إلى تراكم في الأبحاث الشبيهة المتعددة الأوجه والمجالات في المجتمع المدروس. هذا التراكم يسمح بأن تُفرز، بنتيجته، مقاييس يمكن إطلاق حكم شبه مطلق على صدقها؛ وذلك بالطريقة ذاتها التي عُيّنت بها مقاييس تصلح لأن تكون محكات للذكاء، مثلاً، لتشكّل، بذلك، محكاً / مرجعاً يمكن اعتماده معياراً، يقاس بإزائه صدق المقاييس التي يتمّ إنشاؤها، من أجل رصد الظاهرة نفسها، (Anastasi, 1982, 136).

ولا ضرورة للتأكيد على أن ما نحاول قياسه في «استبيان صورة الذات الجندرية» لا ينتمي إلى طائفة الاهتمامات الأكثر راهنية للباحثين اللبنانيين. ولا ينفع، في هذا المجال، استعارة قياس أجنبي جرى العمل بجدّ على تحقيق أنماط متعددة من تحقيق صدقه للأسباب المعروفة: إن كل المظاهر المتعلّقة بالجندر مرتبطة، على نحو استثنائي، بالثقافة الاجتماعية؛ هي طريقة ثانية للتذكير بأن الجندر مركّب construct ثقافي اجتماعي، فينبغي تأصيل وتبيئة كل ما يتعلّق به من قياسات في كلّ ثقافة اجتماعية تتم فيها دراسة ظاهرة مرتبطة بالجندر.

واستناداً إلى الدراسات التي نفّذت بالاستعانة بالقياسات التي استلهمناها في بناء

«استبيان صورة الذات الجندرية»، فإن صعوبة إثبات صدق هذا الاستبيان يتجاوز ما قلناه إلى واقعة أن الخلفية المفاهيمية التي بُني عليها الاستبيان غير متناسبة مع القياسات التي استخدمت سابقاً؛ نتكلّم، بالطبع، عن تعامد بُعدَي الذكورة والأنوثة بدل تعاكسهما على بُعْدٍ/ متصلٍ واحد. وقد وجدت بِمْ، مثلاً، أن سلالم استبيانها لا ترتبط ارتباطاً دالاً مع سلّم «ذكورة- أنوثة» في رائزَي «غيلفورد- زمرمان» و«كاليفورنيا النفساني»، ما جعلها تستنتج أن ما يقيسه «استبيان بِمْ للأدوار الجنسية»، إنما هو ناحية من الهوية الجندرية مختلفة عمّا يقيسه هذان القياسان. فلا يصحّ استخدامهما- وهما قياسان ذائعا الشهرة وواسعا الاستعمال في الدراسات النفسانية الأجنبية- محكّي صدق لاستبيانها. من هنا، فإننا مجبرون على الاكتفاء بالصدق الظاهري والثقافي لـ«استبيان صورة الذات الجندرية».

وفّر لنا البحث التمهيدي، ونقاش نتائجه، مسألتين أساسيتين:

الأولى: تعريفاً، اختبارياً وعملانياً، للأنوثة وللذكورة، من منظور الشباب الجامعي،

الثانية: سلالم إحدى أدوات البحث الميداني الرئيسي: استبيان «صورة الذات الجندرية»؛

في الفصل اللاحق تفاصيل نتائج بحثنا المذكور ونقاشها.

الفصل السادس

هويّة الشاب بين الذكورة والأنوثة

(نتائج البحث الميداني)

المجتمع والعيّنة

يُؤخذ على الباحثين في علم النفس الاجتماعي نزوعهم، شبه الغامر، لاختيار الطلاب الجامعيين موضوعاً لدراساتهم، بل والميل لتعميم نتائج تلك الدراسات على فئات أخرى من المجتمع. ونحن إذ اخترنا الشباب الجامعي مجتمعاً لدراستنا، فليس لاعتقادنا بأنه يمثّل الشباب في مجتمعاتنا. إن تَوجّهَنا إلى هذه الفئة من الشباب اللبناني مدفوع بفرضية مفادها أن هؤلاء الطلاب الجامعيين يملكون، وبحكم موقعهم النخبوي في مجتمعاتهم، امتياز التمتّع بفسحة زمنية معلّقة بين المراهقة والرشد. وهي فسحة يختبر فيها الشباب حريّة استثنائية قد لا يختبرونها في مراحل أخرى من حيواتهم. هذه الفسحة وتلك الحرية تجعلان هؤلاء الشبّان أكثر حساسية للتحوّلات التي تتعرّض لها مجتمعاتهم، وتوفران لهم فرصة للتأمّل فيها، ولتفحّص المعتقدات حولها. وهذه معتقدات تطال تحديداً، (وفي ما يهمّنا في هذه الدراسة)، مواقع المرأة والرجل وأدوارهما، ووعي أثرها على هوياتهم الجندرية: الصورة التي يحملونها لذواتهم ولشريكاتهم، والمعتقدات التي يعتنقونها حول المرأة والرجل؛ وذلك، على الأرجح، بدرجة أكبر من الشباب، من فئة العمر ذاتها، الذين لم يتسنّ لهم الالتحاق بأية جامعة، ولم يحصلوا على امتياز الهامشية الإيجابية التي توفّرت للشباب الجامعي، ولا حرّية التأمّل والتفحّص المذكورين.

لكن الأمر لا يقتصر على ذلك؛ فالجامعة - وهي البيئة الحاضنة للتعبيرات الثقافية النخبوية- توفّر القاعدة المعلوماتية، والجوّ القابل بتنوّع الفكر وحقلاً خصباً للتبادل بين

تياراته، بما فيها الأكثر معاصرة. وهي توفّر، خاصّة، المفردات الضرورية لصوغ هذه التعبيرات وتغيّراتها. لذا، فإن تحوّلات في هويات الشباب المعاصر واتجاهاته هي، على الأرجح، أكثر جلاء لدى هذه الفئة من الشباب لأنها تمتلك، أكثر من غيرها، مفردات التعبير عن ذاتها. هكذا، فإن رصد درجة التحوّلات الجندرية لدى الشباب الجامعي يسمح باستنتاج درجة التحوّلات لدى الفئات الشبابية الأخرى.

تمثيلاً لشريحة من الشباب اللبناني الجامعي، حددنا مجتمع الدراسة بطلاب وطالبات الجامعات اللبنانية المعترف بها رسمياً وعددها إحدى عشرة على امتداد الجمهورية اللبنانية. أما العينة فاختيرت عشوائياً بالكوتا[1]، تبعاً لعدد الطلاب في كل واحدة منها. وقد تألّفت العيّنة الإجمالية للبحث الرئيسي من 1446 طالباً وطالبة توزّعوا على الجامعات في المحافظات اللبنانية الخمس، (أنظر الملحق رقم (6) لوصف عيّنة البحث الرئيسي). من هؤلاء تمّ استبعاد أقلّ من 150 طالباً وطالبة لأسباب مختلفة: وقوعهم خارج السن المعتمدة، كونهم غير لبنانيين إلخ.

إجراءات البحث

بدأ التمهيد لمسار البحث الميداني في أوائل العام 2005، وانطلق محققون مدرّبون لتوزيع الاستمارات ابتداء من شباط من ذلك العام؛ لكن اغتيال رئيس مجلس الوزراء اللبناني الأسبق، تلته تحرّكات جماهيرية واسعة أطالت فترة ذلك التوزيع إلى ما يقارب الأشهر الخمسة. وذلك لأن طلاب الجامعات شكّلوا جمهور التحرّكات المذكورة الأكبر، فتعطّل، بذلك، دوام الجامعات على امتداد الأراضي اللبنانية.

وقد قام محققون خمسة، من مؤسسة ديمغرافيا، الجمعية التعاونية للخدمات التنموية الثقافية[2]، بتوزيع الاستمارات على طلاب الجامعات في المحافظات اللبنانية الست. واستجاب المبحوثون للاستمارة جماعياً، في صفوفهم؛ واستغرق ملء الاستمارة حوالي عشرين دقيقة.

(1) قام بتعيين أفراد العيّنة الأستاذ الدكتور جاك قبّانجي، من أساتذة العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، بالتنسيق مع رئيس مؤسسة ديمغرافيا للبحوث د. شبيب دياب، وهو، أيضاً، من أساتذة الجامعة اللبنانية.

(2) ذات العنوان الإلكتروني demographia@hotmail.com

النتائج:

المعطيات الأوّلية

حصل كلّ مبحوث(ة) على علامات ثلاث على السلالم المذكورة هكذا:

* علامة على سلّم الذكورة، وهي المجموع البسيط للعلامات الفردية التي يعزوها المبحوث لذاته على كلّ واحدة من السمات التي تؤلّف السلّم. وتدلّ العلامة على درجة تشبّع صورة الذات بـ«الذكورة»، وتتراوح قيمة هذه العلامة بين 13 و65.

* وبالطريقة ذاتها، حصل كلّ مبحوث على علامة على سلّم الأنوثة. وتدلّ العلامة على هذا السلّم على درجة تشبّع صورة الذات بـ«الأنوثة»؛ هذه العلامة تتراوح أيضاً بين 13 و65.

* علامة على سلّم ذكورة- أنوثة؛ ويتمّ حسابها هكذا: تُقلب العلامات التي أسندها المبحوث لذاته على البنود ذات الأرقام 12، 10، 25 و30، (وهي السمات المحبّذة للمرأة، لكن غير محبّذة للرجل)، إلى عكسها[3]، وتم، بعد ذلك، تحصيل المجموع البسيط للعلامات التي أسندها المبحوث لذاته على سمات السلّم مجتمعة. وتتراوح العلامة على هذا السلّم بين 8 و40، بحيث تدلّ العلامة القصوى على ذكورة «استبعادية» (للأنوثة) قصوى.

الشباب والتنميط

السلالم الثلاثة كلّها تميّز بين الشبّان والشابات، المبحوثين والمبحوثات في العيّنة المدروسة، على نحوٍ دالّ، في الاتجاه المتوقّع:

السلّم / قيمة t	سلّم «الذكورة»	سلّم «الأنوثة»	سلّم «ذكورة- أنوثة»
قيمة t لقياس الفروق بين الشبّان والشابّات	3,542	-6,355	13,595

جاء متوسّط العلامات التي عزاها الشبّان لذواتهم على سلّم الذكورة أكبر، إحصائياً، من متوسّط العلامات التي عزتها الشابات لذواتهن على هذا السلّم.

(3) أي نستبدل العلامات 1، 2، 3، 4، 5، بالعلامات 5، 4، 3، 2، 1، على التوالي.

($t= 3.542, p< 0.001$)، ويمكن تكرار القول عينه على سلّم ذكورة- أنوثة، ($t= 13.595, p< 0.001$)، وجاء متوسّط علامات الشبّان على سلّم الأنوثة أقل من متوسط علامات الشابات، ($t=-6.355, p<0.001$).

قلنا إن السلالم الثلاثة قد ميّزت بين الشبّان والشابات في الاتجاه المتوقّع. الجدير ذكره أننا كنا قد حصلنا هذه النتيجة في الدراستين السابقتين اللتين أجريناهما تباعاً في العامين 1988 و2004، بما يخص سلّم الأنوثة وسلّم ذكورة- أنوثة، دون سلّم الذكورة، حيث «أخفق» هذا الأخير في إحداث التمييز المفترض، في الاتجاه المتوقّع. وهو ما حدا بنا لأن نقوم بتعديل صيغة السمات التي تؤلّف هذه السلالم، كما سبق وذكرنا، أملاً بتصحيح ذلك الإخفاق.

هكذا، ميز سلّم «الذكورة» في دراستنا الحالية، وخلافاً للدراسات السابقة، بين النساء والرجال، وفي الاتجاه المتوقّع. صحيح أن قيمة t المطلقة، التي تقيس الفرق بين متوسّط العلامات التي عزتها المجموعتان لذواتها على هذا السلّم، ليست كبيرة، (بالمقارنة بين قيمتها في السلّمين الآخرين)، لكنها، على كلّ حال، ذات دلالة.

هذه النتيجة تجعل سلّم «الذكورة» المعتمد في هذه الدراسة أقرب إلى سلّمي الذكورة في «استبيان بم للأدوار الجنسية»، و«استمارة السمات الشخصية» - الاستبيانين الأميركيين الأكثر استخداماً في الأبحاث الشبيهة في الولايات المتحدة وخارجها. وهما كانا قد شكّلا قاعدة بناء استبيان صورة الذات الجندرية الذي أنشأناه لغرض هذه الدراسة. فإذا افترضنا أن التمييز المذكور يسهم في جعل السلّم أكثر صدقاً في رصد درجة الذكورة في صورة الذات الجندرية، (وهو ما افترضه الباحثون الذين أنشأوا الاستبيانين المذكورين)، يكون السلّم الذي أعدنا إنشاءه مجدداً، والذي تميّز عن سابقه بفرض تقييدات أكثر صرامة على بنوده... هذا السلّم يكون أكثر صدقاً من السلّم الذي اعتمدناه في دراستَي 1988 و2004 في قياس ما يدّعي قياسه.

إن مقارنة قيم t المثبتة في الجدول أعلاه تبيّن تفاوت الدرجة التي يتميّز بها الشبّان والشابات بعضهم عن بعض: الفئتان أكثر تقارباً بإزاء سمات الذكورة، ثمّ أقلّ تقارباً على سلّم الأنوثة، لكنهما تختلفان كثيراً على سلّم «أنوثة - ذكورة». ولمزيد من التفصيل، فإن الفئتين اختلفتا كثيراً (إحصائياً) على كلّ واحدة من سمات ذكورة- أنوثة لكن أفرادهما عزوا لذواتهم علامات على سمات عشر، (من أصل أربع وثلاثين) بدرجة متساوية. وهذه السمات توزّعت على سلّمَي الذكورة والأنوثة بالتساوي هكذا:

سمات الذكورة التي يشترك في عزوها الشبّان والشابات لذواتهم بالدرجة ذاتها	سمات الأنوثة التي يشترك في عزوها الشبّان والشابات لذواتهم بالدرجة ذاتها
ميل إلى تحليل الأمور	تفهّم لحاجات الآخرين
ثقة بالنفس	تمهّل في معالجة الأمور
استعداد للنجدة	بذل المصلحة الذاتية في سبيل مصلحة الآخرين
ميل للمرح	ميل للتواضع
فعالية في التعامل مع الضغوط	هدوء

أي أن الشبّان والشابات يعزون لذواتهم حوالي 38% من السمات الأنثوية والذكرية بالدرجة ذاتها.

وهي نتيجة لا تختص بها عيّنتنا، في شقّ منها على الأقل. ففي دراسة لسبِنْس وباكنِر، الهادفة إلى رصد تحوّلات في صورة الذات الجندرية عبر السنين، جاءت الفروق بين النساء والرجال دالّة لحوالي 40% فقط للسمات الذكرية. أي أن النساء والرجال يسندون لذواتهم السمات الذكرية بالدرجة ذاتها لـ60% من السمات التي تؤلّف سلّم الذكورة. وتستنتج الباحثتان أن هذه النتيجة تعبير عن التحوّلات المجتمعية التي أدّت بالنساء إلى تطوير صورة لذواتهن على قدر غير قليل من «القوّة والوسيلية»، (Spence and Buckner, 1995). هذه نتيجة قويّة إذا ما تذكّرنا أن السمات التي شكّلت سلّم الذكورة في «استمارة السمات الشخصية» التي استخدمت في هذا البحث في أوائل السبعينات قد اختيرت، لا لكونها محبّذة للرجل أكثر من المرأة فحسب، إنما أيضاً لكونها تميّز بين الإناث والذكور.

هذا، فيما تشير نتائجنا إلى أن الشبّان يعزون لذواتهم سمات أنثوية على 38% من سمات الأنوثة بالدرجة ذاتها التي تعزوها الشابات لذواتهن؛ وذلك برغم وجود فروق جوهرية بين الشبّان والشابات في درجة أنوثتهم كما يقيسها هذا السلّم. لكن طلاب جامعة هيوستن -تكساس، أفراد عيّنة البحث المذكور أعلاه، لا يعزون لذواتهم أية سمة من سلّم الأنوثة بالدرجة ذاتها التي تعزوها الطالبات لذواتهن. فيمسي تجاوز المنمّطات الجندرية لدى هؤلاء، وبالنظر إلى السمات منفردة، خاصيّة نسائية بامتياز. وذلك بخلاف الوضع عندنا حيث إن الشبّان، كما الشابات، اخترقوا التخوم الجندرية التي تفصل بين الجنسين، على نحو متوازن، وبالاتجاهين.

سلّم ذكورة- انوثة

الشبّان والشابات في العيّنة المدروسة يتساويان، إذاً، في درجة عزو بعض السمات العبر- جنسية. بالمقابل هما مختلفان في درجة عزو كلّ واحدة من السمات على سلّم ذكورة- أنوثة.

هذا، ويميّز الباحثون في علم نفس الجندر بين الوصف description والتوصيف prescriptions هكذا: المحبّذ والمرغوب هو وصفي، ولا يستتبع عقاباً في حال عدم الالتزام به، في حين أن التوصيف إلزامي وتستتبع مخالفته العقاب الاجتماعي. ولعلّ سمات سلّمي الذكورة والأنوثة تقع في خانة الوصف، فيحبّذ أن يتصف بهما الرجال والنساء على التوالي، لكن يسع كل فئة التعدّي على ما هو محبّذ للفئة الثانية، أو حتى تجاهل ما هو محبّذ لها؛ وهو ما يفسّر التساوي في درجة عزو سمات من هذيْن السلّميْن. فيما تندرج سمات ذكورة- أنوثة في خانة التوصيف، فلا يجوز تحلّي الشاب بسمة غير مرغوبة لبني جنسه، ولا يجوز للشابة التعدّي على سمات غير محبّذة لها. ويشير ذلك إلى تراخٍ في الالتزام بالوصف الذي يتبنّاه هؤلاء للرجال والنساء على التوالي، وإلى التزام صارم بالتوصيفات الاجتماعية الجندرية الذي يحكم إنشاء سلّم ذكورة- أنوثة، ويكون سماته تتميّز بأن الواحدة منها مرغوبة لواحد من الجنسين، وغير محبّذة للآخر.

ومن مبيّنات هذا الالتزام، وذلك التراخي، قيم الارتباط ووجهتها بين الصورة التي يرسمها الشبان والشابات لذواتهم وبين ما ينبغي لهذه الصورة أن تكون؛ فعلى سلّمَي الذكورة والأنوثة، كل لوحده، (أي ما أدرجناه في خانة الوصف)، فإن قيمة معامل الارتباط بين صورة الذات للشاب وصورة الذات للشابة هي 0,782 و0,854 على التوالي. فيما هي على سلّم ذكورة- أنوثة (توصيف)، 0,685- !

هذا يعني أن الشبّان والشابات لا يجدون «حرجاً» في عزو سمات عبر- جنسية لذواتهم، ما دامت هذه السمات مرغوبة للاثنين معاً، بدرجة متوسّطة على الأقل، كما هي حال كلّ السمات في سلّمَي الذكورة والأنوثة المعتمدين في استبيان صورة الذات الجندرية.

لكنهم يستنكفون استنكافاً شديداً من نعت ذواتهم بسمات غير مرغوبة لجنسهم، وهو ما تتصف به نصف السمات التي تكوّن سلّم ذكورة- أنوثة، كما سبق وبينّا.

هذا، ويشكّل سلّم ذكورة- أنوثة «إحراجاً» (Spence and Helmreich, 1978) لنظرية الأندروجينية وللمنطق الذي حكم إنشاء قياساتها. فهذه، وكما قلنا مراراً، قد أنشئت على قاعدة مفاهيمية تجد في تضمين القياسات النفسانية ما يشير إلى تضادّ في مواقع الذكورة والأنوثة اتجاهاً ذكورياً مغيّباً لمعاشات النساء واختباراتهن، وعاجزاً، إذاً، عن تأويل هذه الاختبارات وتلك المعاشات. على أن «الإحراج» المذكور ليس، من منظور نسوي، سبباً للعمى ولا مسوّغاً للتعمية، بل هو «إنذار» ذو قيمة علمية اختبارية. وقيمته ناجمة من كونه برز امبيريقياً على نحو لا يمكن إغفاله (Rabinowotz and Martin, 2001)؛ نقول هو إنذار لأنه يشير إلى أنه يوجد- سواء في التصوّرات حول الذكورة والأنوثة أو في الواقع - حيّز استبعادي. هذا الحيّز ما زال موجوداً، برغم توسّع مساحة التلاقي في صورة الذات الجندرية بين الجنسين.

تشير نتائج الارتباط بين السلالم الثلاثة إلى تميّز سلّم ذكورة- أنوثة عن سلّمي الذكورة والأنوثة منفردين. ومن مبيّنات ذلك حجم الارتباط بين السلّم الأوّل والاثنين الآخرين ووجهتهما:

للشبّان:	سلّم الذكورة	سلّم الأنوثة	سلّم ذكورة- أنوثة
سلّم الذكورة	1		
سلّم الأنوثة	0,3923	1	
سلّم ذكورة- أنوثة	0,4378	-0,1313	1

للشابات:	سلّم الذكورة	سلّم الأنوثة	سلّم ذكورة- أنوثة
سلّم الذكورة	1		
سلّم الأنوثة	0,3039	1	
سلّم ذكورة- أنوثة	0,3436	-0,3384	1

إن تواضع قيم الارتباط يؤكّد أن هذه السلالم تقيس أوجهاً مختلفة، وأحياناً متعارضة، من صورة الذات.

الشاب وصورته لذاته

يسعنا التكهّن بأن الشاب يتصوّر ذاته، قوي الشخصية، قادراً على السيطرة على الوضعية، متحدياً للصعوبات إلخ أكثر من الشابة، لكن الفرق، وإن دالاً، فهو ليس كبيراً؛ فيما تحمل الشابة لذاتها صورة مشبعة بالأنوثة، بكل ما يشي بالعلائقية والحضن والعاطفية إلخ. وذلك، بدرجة أكبر بكثير من تلك التي يحملها الشاب لذاته. فيبدو وكأن الشابّة تتعدّى على المجال الذي توافقت مع الشباب من زملائها على نعته بالذكورة، فيما جاء تعدّي الشاب، على ما اصطلح على اعتباره مميّزاً للأنوثة، متواضعاً نسبياً؛ فيبدو وكأن الشاب ينأى بذاته عن بعض السمات التي تَوافَقَ، هو وزميلته الشابة، على نعتها بـ«الأنوثة». وذلك بدرجة أكبر من استبعاد الشابّة لسمات الذكورة عنها.

من جهة ثانية، فإن اختلاف الشبّان والشابات الكبير على سلّم «ذكورة- أنوثة» يمكن تسويغه بالعودة إلى الطريقة التي يتمّ بها حساب العلامات في هذا السلّم. هذه الطريقة تجعل السلّم «الذكورة- الأنوثة» مؤشراً لما يمكن أن ندعوه بـ«الذكورة الاستبعادية». فهو يقيس الدرجة التي يقوم فيها المبحوث بعزو ذاته بسمة محبّذة للرجل دون المرأة لأنه يستبعد، في الوقت نفسه، عن ذاته السمة المحبّذة للمرأة دون الرجل.

الشبان والشابات لا يصفون ذواتهم بسمات يعتبرونها غير مرغوبة اجتماعياً لجنسهم: من منظور الذكورة- الأنوثة، يبدو الشبّان والشابات منمّطين بدرجة كبيرة، (أكثر التزاماً بالمنمّطات الجندرية)، لكنهم أقلّ تنميطاً من منظور يرى إلى الذكورة والأنوثة بوصفهما مركّبين متعامدين ومستقلّيْن.

توزّع الأنماط الجندرية:

قمنا بمعالجة المعطيات المحصّلة من سلّمي «الذكورة» و«الأنوثة» بالطريقة عينها التي لجأ إليها الباحثون في النظرية الأندروجينية، والتي أسهبنا في وصفها سابقاً، وذلك بجعل وسيط[4] العلامات المحصّلة، من قبل العيّنة بمجملها، شبّاناً وشابّات، على السلّمين المذكورين حدوداً للتصنيف، بإزاء الذكورة والأنوثة على التوالي. وقد أطلقنا

---

(4) قيمة الوسيط على السلالم الثلاثة هي كما يلي: على سلّم الذكورة = 50 (العلامة القصوى على السلّم هي 65)، وعلى سلّم الأنوثة = [redacted] (العلامة القصوى على السلّم هي 65)، وعلى سلّم ذكورة- أنوثة = 26 (العلامة القصوى هي 40).

صفة الذكورة المرتفعة على العلامات التي فاقت وسيط median مجموعة العلامات التي نالها الشبّان والشابات، أفراد العيّنة، على سلّمي الذكورة والأنوثة، والعكس بالعكس.

بحسب الجنس:

انقسم الشبّان والشابات وفق ذلك التصنيف هكذا:

	شبّان	شابات
ذكورة مرتفعة* (M) ↑	% 53,0	%43,7
أنوثة مرتفعة* (F) ↑	%35,0	%53,2

* ولا ضرورة للتذكير أنه إذا كانت نسبة الشبان ذوي الذكورة المرتفعة هي 53,0 فإن نسبة الشبّان ذوي الذكورة المنخفضة هي 47% إلخ.

أي إن نسبة الشبّان ذوي الذكورة المرتفعة هي أكثر بقليل من نصف الشبّان، وكذلك هو حال الشابات اللواتي صنّف أكثر من نصفهن بقليل في خانة الأنوثة المرتفعة. وهو ما يشير إلى استنكاف غير قليل عن الالتزام بالمنمّطات الجندرية الملائمة. ولمّا كان محكّ التنميط في دراستنا هذه يختلف عن التنميط البديهي، بسبب تعامد بُعدَي الذكورة والأنوثة، فإن تجاوز التنميط الجندري يأخذ أشكالاً، هي أيضاً، غير مألوفة في علم نفس الجندر.

هكذا، توزّع الشبّان والشابّات على التصنيفات الأربعة التي توفّرها الإمكانات المحتملة لوقوع الذكورة والأنوثة معاً، في شكليها المرتفع والمنخفض، كما هو مبيّن في الجدول التالي:

	أندروجيني (M) ↑ & (F) ↑	ذكري (F) ↓ & (M) ↑	أنثوي (M) ↓ & (F) ↑	لاامتمايز (F) ↓ & (M) ↓
الشبان	26,7	26,3	8,3	38,8
الشابات	28,5	15,2	24,7	31,6

جدول يبيّن توزّع الأنماط الجندرية بحسب الجنس

الشبّان والشابات يتجهون نحو تجاوز المنمّطات المناسبة؛ لكن هل تختلف الفئتان في أسلوب ذلك التجاوز؟

في حساب مربّع كاي، يتبيّن أن الفرق بين الانتماءات للنمط الجندري بين الشبّان والشابات هو ذو دلالة، (p= 0.000). وباستثناء النمط الأندروجيني، (ذكورة مرتفعة وأنوثة مرتفعة)، لا تتوزّع الفئتان على الأنماط الأربعة بالطريقة نفسها. لكنهما منمّطان بالنسبة ذاتها تقريباً، إذ تقترب نسبة الشبّان الذكريين، (ذكورة مرتفعة وأنوثة منخفضة)، ونسبة الشابّات الأنثويات، (ذكورة منخفضة وأنوثة مرتفعة)، من ربع العيّنة في كلّ من الفئتين. أي أن الشبّان يتجّهون لأن يكونوا ذكريين أكثر بكثير من الشابات، وتتجه الشابات لأن يكنّ أكثر أنثويات من الشبّان. وهو أمر متوقّع، بالطبع. لكن إذا نظرنا إلى الجدول نفسه، انتقائياً، لنرى توزّع الشباب والشابّات على طراز «تجاوز التنميط»، (أندورجيني أم لامتمايز)، يتبيّن لنا، وتبعاً لحساب مربّع كاي، أن الشبّان والشابات يتجهون لتجاوز التنميط الجندري بالطريقة ذاتها؛ فلا يوجد طراز في تجاوز التنميط الجنسي يميّز أحد الجنسين عن الآخر (هناك ثلاثة طرازات لتجاوز التنميط: عبر جنسي، أندروجيني ولامتمايز).

ما تشترك فيه الفئتان هو في كونهما غير منمّطين. وحيث يحتل رفض المنمّطين الذكري والأنثوي النسبة الأكبر من بين المنمّطات الأربعة لدى الفئتين. لكن النسبة العبر - جنسية (الشابات الذكريات والشبان الأنثويين) هي الأقلّ في كلّ فئة أيضاً، وإن كانت لدى الشابات تقترب من ضعف نسبة الشبان.

من منظور «ذكورة- أنوثة»

الالتزام بالنماذج النمطية «الملائمة» يبدو، من منظور «ذكورة - أنوثة»، أكثر بروزاً؛ وهو ما يبيّنه الجدول التالي:

	الشبّان	الشابات
«ذكورة- أنوثة» مرتفعة (أعلى من وسيط مجموعة العلامات التي نالتها مفردات العيّنة مجتمعة)	% 66,33 من مجموع الشبّان	%34,43 من مجموع الشابات
الوسيط على سلّم ذكورة- أنوثة	28,438	24,478

وحيث إن الفروق بين الشبّان والشابات، ولأي محك إحصائي لجأنا، هي ذات دلالة مرتفعة.

بحسب المتغيّرات الاجتماعية

اللافت أن هذا التوزيع للتنميط الرباعي يبقى ثابتاً، لدى كلّ من الشابات والشبّان في أكثر الفئات الاجتماعية والديمغرافية:

- هو ثابت عبر فئتي العمر المدروسة، (عشرين فما دون، بين واحد وعشرين وثلاثة وعشرين)،
- وهو نفسه في طِرازَي الجامعات، الخاصّة والرسمية،
- وهو نفسه، أيضاً، بحسب نمط الاختصاص، (علمي وتقني- علوم إنسانية واجتماعية)،
- وهو لا يتغيّر بحسب مهنة الأب- مؤشر الانتماء الثقافي الاجتماعي،
- وكذلك يبقى على حاله بحسب مهنة الأم، (منزلية- خارج منزلية)،
- ويمكن تكرار القول عينه لدى «الثابتين» من الفئتين و«المتحرّكين» منهم، (الذين يدرسون في المحافظة التي ولدوا فيها، والذين يدرسون في المحافظة التي لم يولدوا فيها).

ويشذ عن هذا الثبات لدى الشبّان والشابات معاً الانتماء الطائفي. وهو جاء لدى الشبّان هكذا:

	أندروجيني ↑ (F) & ↑ (M)	ذكري ↑ (M) & ↓ (F)	أنثوي ↑ (F) & ↓ (M)	لاتمايز ↓ (M) & ↓ (F)
المسلمون	27,6	21,3	10,1	41,2
المسيحيون	26,7	33,3	5,0	35,0

ولدى الشابات هكذا:

	أندروجيني ↑ (F) & ↑ (M)	ذكري ↑ (M) & ↓ (F)	أنثوي ↑ (F) & ↓ (M)	لاتمايز ↓ (M) & ↓ (F)
المسلمات	29,5	11,1	30,9	28,4
المسيحيات	27,6	20,7	14,7	35,9

وحيث تبيّن قيمة مربّع كاي صلة ذات دلالة بين الانتماء لنمط جندري وبين الطائفة لدى الشبّان والشابات، كلاً على حدة.

تفصيلاً هذا يعني أن:

* الشبّان المسيحيين أكثر التزاماً بالمنمّط الذكري من الشبّان المسلمين، (33% مقابل 21,3% تباعاً)، وحيث تفوق نسبة المسيحيين ذوي الذكورة المرتفعة ال60%، فهي تقلّ لدى المسلمين عن 50%،

* الشابات المسيحيات الملتزمات بالمنمّط الأنثوي أقلّ بكثير من الشابات المسلمات، إذ تكاد نسبة الشابات المسلمات الأنثويات أن تكون ضعف نسبة الشابات المسيحيات، وترتفع نسبة المسلمات ذوات الأنوثة المرتفعة إلى 60%؛ هذا فيما ترتفع نسبة الذكريات من المسيحيات (اللواتي ينسبن لذواتهن سمات ذكرية، ويستبعدن عنها سمات أنثوية)، لتفوق نسبة الأنثويات منهن! وفئة الشابات المسيحيات الذكريات، هي الأكبر بين كلّ المصنّفات النسائية المدروسة، (السن، الانتماء الاجتماعي- الثقافي، إلخ)، بل هي توازي نسبة الشبّان المسلمين الذكريين.

هنا أيضاً، لا يختلف المسلمون والمسيحيون، ولا المسلمات والمسيحيات في طراز تجاوز التنميط الجندري. الفئتان، أكانت أندروجينية أم لامتمايزة، تتكرران بالدرجة ذاتها في الطائفتين ولدى الجنسين.

من منظور ذكورة- أنوثة

من هذا المنظور، فإن الفروق بين المتوسّطات الحسابية التي نالها الشبّان المسيحيون والمسلمون، على سلّم «ذكور- أنوثة»، هي بدون دلالة.

ويتوزّع هؤلاء بحسب درجة ذكورتهم على هذا السلّم هكذا:

	شاب مسلم	شاب مسيحي
«ذكور- أنوثة» مرتفعة	%66	%69

هذا يعني أن أفراد الطائفتين من الشبّان متوافقون على عزو ذواتهم بالسمات الذكرية المحبّذة للرجل حصراً. وهم متوافقون أيضاً على رفض السمات المحبّذة للمرأة، حصراً.

البيئة الأوّلية والاختبار الفردي

هكذا، فإن صورة الذات الجندرية للشبّان قد توزّعت، على الأنماط الجندرية الأربعة، على نحو مختلف عن الطريقة التي توزّعت بها على الشابات. وهذه نتيجة متوقّعة تكررت سابقاً ولا تزال تتكرر في كلّ الأبحاث التي أجريت في إطار نظرية الأندروجينية، إن في الولايات المتحدّة وفي خارجها، في البلدان الصناعية وغير الصناعية سواء بسواء. وهو اختلاف متوقّع، بالطبع؛ لأن المنمّطات الجندرية، وإن افترضنا أنها لم تعد موضوعاً للتماهي الملائم جندرياً، بدرجة مطلقة، فهي لم تصبح معكوسة! بل يبقى الرجال هم أكثرية في مجموعة الأشخاص الذكريين، وتبقى النساء أكثرية في مجموعة الأشخاص الأنثويين. هذا التوزيع مستقلّ عن الانتماءات المختلفة، بحيث جاء التوزّع الذي يصف تجاوز المنمّطات المرغوبة اجتماعياً، أو الالتزام بها، بالطريقة نفسها في المصنّفات الاجتماعية المعيّنة في هذه الدراسة باستثناء مصنّف واحد: الانتماء الطائفي.

الاختبارات المفضية إلى تمايزات في عيش الحياة، إذاً، وبعكس الانتماءات «القدرية»، لم تؤثّر في وجهة التنميط الجندري. ولمزيد من التوضيح، فإننا نلقي نظرة تفصيلية على هذه الاختبارات الحياتية هذه:

تشير الدراسات إلى أن الشاب (أو الشابة) الذي نشأ في محيط أسري غير تقليدي، سيكون أقلّ تنميطاً، في تصوّره لذاته، من الشاب الذي نشأ في كنف أسرة تكون فيها المرأة ملتزمة بأدوارها المنزلية حصراً؛ ذلك لأن الأدوار الجندرية في المحيط الأسري المذكور التقليدي ستكون، على الأرجح، استبعادية بعضها لبعض؛ وعلى العكس من ذلك، فإن الأسرة التي تقوم فيها الأم بدور مزدوج توفّر مثالاً يُقتدى role model للفتاة وللفتى سواء بسواء، يُستدخل في صورة للذات متجاوزة للتنميط الجندري التقليدي؛ وذلك بدرجة أكبر من الشبّان والشابات الذين نشأوا في أُسَرٍ أكثر تقليدية. الأسرة هذه حديثة العهد عندنا، فالنساء المتزوّجات لا يشكّلن أكثرية القوى العاملة اللبنانية النسائية. والشائع، عندنا، أن نسبة غير قليلة من النساء يتركن سوق العمل بعد الزواج، أو بعد أن يصبحن أمّهات. ويصحّ ما نقول على قطاعات العمل التي لا تتطلّب مهارات مهنية عالية. بل إن أرباب العمل يفضّلون تشغيل العزباوات، (خلف، 1998، 108). والملاحظ أيضاً أن نسبة غير قليلة من النساء العاملات هن عازبات، بدرجة أكبر من

نسبة العزوبة العامّة. ففي القطاع المصرفي، مثلاً، تشير إحصاءات الموارد البشرية إلى أن نسبة عزوبة النساء تتراوح بين 30% و 42% بين العاملين الذين تتراوح أعمارهم بين 30-59، فيما تنخفض نسبة العزاب الرجال في المدى العمري الزمني نفسه من 40,3% إلى 6,2، مع تقدّم العمر، (جمعية مصارف لبنان، 2000، 2). لكن نتائجنا تشير، وكما بيّنا أعلاه، إلى أن درجة التنميط لا ترتبط لدى الشبّان، ولا لدى الشابّات، بمهنة الأم، (منزلية- خارج- منزلية)؛ فلا يبدو أن العيش في محيط غير تقليدي يؤثّر في صورة الذات الجندرية.

أيضاً، يفترض في الشاب (أو الشابة) من الفئة الأكبر سنّاً في الشريحة العمرية للشباب الجامعي أن يكون أكثر ابتعاداً عن سنوات المراهقة المعروفة بشدّة التنميط الجندري، (Spence and Helmreich, 1987). هذا التنميط يشهد تراجعاً مع تقدّم السنين، ومع خفوت الحاجة إلى الجماعة المرجعية- أي جماعة الأقران peer group التي تمارس ضغوطاً في هذه المرحلة العمرية على أفرادها من أجل الالتزام الصارم بمعاييرها، وفرض أشكال تجليّات الهوية الجندرية، خاصّة. فتبدو السنوات الإضافية التي تفصل بين فئة الشباب الذين تقلّ أعمارهم عن 21 سنة عن الفئة الأكبر سناً (بين 21 و23)، غير مؤثّرة في تعديل الخريطة الجندرية العامّة.

هذا، وحيث تشير نتائج الأبحاث في صورة الذات الجندرية إلى أثر الانتماء الاجتماعي على التنميط الجندري بحيث تنحو الطبقة المتوسّطة مثلاً إلى تجاوزه أكثر من غيرها، (Spence and Helmreich, 1978؛ بيضون، 1991) فإن نتائجنا تشير إلى غياب هذا التأثير في عيّنتنا.

ونحن افترضنا أن النزوح من «مسقط الرأس» هو عامل يسمح بتراخي الإصرار على القيم والمعايير التقليدية، ويتراجع الالتزام بما تُمليه التوصيفات المرتبطة بالأدوار الجنسية، ضمناً. وهو ما تؤكّده بعض الدراسات الأميركية التي وجدت أن المهاجرات الحديثات إليها هن أقلّ تنميطاً من أسر مهاجرة من أجيال ثانية، (Harris and Firestone, 1998). لكن الطلاب «النازحين» عن مسقط رأسهم، والطلاب «الثابتين» فيه، لم يختلفوا بعضهم عن بعضاً بإزاء درجة تنميطهم الجندري.

أخيراً، تختلف الجامعات الخاصّة عن الجامعة الرسمية، بفروعها المختلفة، في مناخاتها وفي اتجاهات طلابها، (الأمين وفاعور، 1998)، لكن عيش المناخات المختلفة

لم يؤثّر في توزيع الأنماط الجندرية لدى الطلاب، ولا لدى الطالبات.

هذا، وقد أشارت بعض الدراسات الأميركية التي حاولت رصد تأثّر المعاني الجندرية المسبغة على الذات بالاختبار الفردي في مسار الحياة... هذه الدراسات أشارت إلى وجود ثبات عال في تلك المعاني. ومن أهم الأحداث/ المسارات النفس-اجتماعية التي تعرّض الهويات الجندرية للتغيير، والأكثر إقلاقاً لاستقرارها هي ولادة طفل. وذلك لأنها تفرض على الزوجين، وعلى الرجل في الأسرة النواتية المعاصرة خاصّة، مهام ملحّة تُحدث، بدورها، تعديلات أساسية في مفهوم الذات: «الرجال يصبحون أكثر أنوثة، والنساء أكثر ذكورة»، (Burke and Cast, 1997). إن الاختبارات الحياتية التي افترضناها مؤثّرة في إحداث تعديل في الهويات الجندرية أقلّ درامية من «ولادة طفل» بكثير.

لو عدنا إلى سؤالنا الذي يبحث عن مظاهر تعديل في الهوية الرجالية على منوال التعديل الذي تعرّضت له الهوية النسائية المعاصرة، فإن الإجابة التي تسمح بها نتائج دراستنا الميدانية هي التالية:

إن قسماً غير قليل من شبابنا يتغيّر، وظاهرة الأندروجينية ليست ظاهرة نسائية حصراً؛ وذلك بالنظر إلى درجة شيوعها بين الرجال والنساء: إذ إن نسبة الشبّان الأندروجينيين (تتراوح بين 26% و28%) تقترب من نسبة الشابات الأندروجينيات (تتراوح بين 28% و30%). وهي تقترب من النسبة في الدراسات الغربية، حيث تستقر على25%، (Stake, 1997).

وهي ليست ظاهرة هامشية بين الشبّان، لأن نسبة الشبّان الأندروجينيين توازي نسبة الشبّان الذكريين- المنمّطين، (بالمقابل تفوق نسبة الشابات الأنثويات - المنمطات نسبة الأندروجينيات).

لكنّ الحكم الأهمّ على هامشية الظاهرة أو عدم هامشيتها يتشكّل وفق ارتباطاتها النفسانية والاجتماعية، وبالتناسب مع طبيعة هذه الارتباطات. هذه الارتباطات هي ما يدرسه الباحثون، في العادة؛ صحيح أن رصد توزّع التنميط الجندري يؤشّر إلى حال التنميط (تراجع أو ثبات) لدى الشباب، لكن المعنى الذي يتضمّنه تراجع هذا التنميط، أو ثباته، لدى النساء والرجال هو المحدد لأهمية الظاهرة ووجهة تأثيرها. هذا المعنى سوف يشير إلى وجهة «تغيّر» الرجال، إذا ما وجدت.

يبقى أن نشير إلى النسبة المرتفعة للفئة اللاامتمايزة؛ ولا ننسَ أن التصنيف في هذه الدراسة جاء استناداً إلى العيّنة المعيارية التي تضمّ الشبّان والشابات معاً (مجمل العيّنة المدروسة). لذا، فإن وقوع النسبة الأكبر من الشبّان (والشابات كذلك) في هذا المصنّف، إنما جاء بنتيجة تضافر عَزْوٍ منخفضٍ للذات على السمات التي تشكّل سلّمَي الذكورة والأنوثة، في الوقت نفسه، وذلك، دائماً، بالنسبة للدرجة التي قام فيها أفراد العيّنة، نساء ورجالاً، بعَزْوِ ذواتهم على هذين السلّمين. هذه الظاهرة تكتسب معناها، تماماً كالمعنى الذي تكتسبه الظاهرة «المقابلة» (الأندروجينية)، بحسب ترابطاتها التي سنبحث بعضها، في الصفحات القادمة.

الجزء الثاني

فتاة الأحلام وفارس الأحلام
الشريك في التصوّر

«سمراء، (وْ) صفي، بيضاء اكتفي!»
«الرجل لا يَعيبُه إلا فراغ جيبه»

(من أمثالنا الشعبية في توصيف العروس والعريس)

الفصل الأوّل

الثابت والمتحوّل في الشراكة العاطفية

إذا كانت النساء يتغيّرن... فهل تغيّرت «فتاة الأحلام»، الصورة التي يحملها الشاب اللبناني لشريكته المستقبلية؟

هل إن ملامح هذه الفتاة تشبه ملامح أولئك النساء؟

أم أن الشاب، الجامعي خاصّة، ما زال، وبرغم معاينته للتبدّلات التي طاولت هويات النساء المعاصرات، يحلم بفتاة أشبه بالأنثى الافتراضية- تلك التي يجري وصف مميزاتها في الكلام والصورة، في توصيف السلوك ووجوبه، في العلم والإيديولوجيا، صراحة أو ضمناً،... في بعض أوجه ثقافتنا الاجتماعية الحائرة بين التقليد والتجديد؟

نبحث في هذا المفصل من دراستنا عن التشابه والاختلاف بين الملامح الشخصية للشابّة اللبنانية، وبين تلك التي يتمنّاها الشاب، زميلها، لشريكته المستقبلية. كما نبحث، أيضاً، عن الصورة المقابلة: عن صورة الشاب المعاصر في الملامح التي رسمتها الشابة لشريكها المستقبلي؛ ونحاول تعيين بعض الشروط والعوامل النفسانية والاجتماعية المرافقة لهذا التشابه وذلك الاختلاف. ففي مجتمعاتنا يعتبر موضوع اختيار الشريك، وعقد الشراكة بالزواج تحديداً، منعطفاً أساسياً في حيوات أشخاصها. والشراكة المذكورة تعطى رتبة «الفرحة الكبرى» المرتجاة بامتياز. والشبّان والشابات يُسألون عن الصورة الأوّلية لشركائهم المحتملين. فيستوي، بذلك، تشابه صورة الشريكة واختلافها عن هوية الشابّة الواقعية كشّافاً، عن حساسية الشاب للتعديلات التي طاولت هوية الشابّة.

«الوقوع في الحب» واختيار الشريك

هذا، وتتجه الدراسات الميدانية التي تناولت موضوع اختيار الشريك لتعيين الثوابت التي استقرّ عليها تأسيس الشراكات بين النساء والرجال، ولرصد التغيّرات التي طاولت هذه الشراكات بفعل تبدّل أحوال الناس في الأزمنة والأمكنة والثقافات. ومن المواضيع التي تمّ تناولها، مثلاً، «الوقوع في الحب»، بحثاً عمّا يفترضه الناس في أيامنا الحاضرة شرطاً ملازماً للإقدام على الزواج، في المجتمعات الصناعية، خاصة. في الستينات قام كبهارت Kephart بطرح السؤال التالي على أكثر من ألف شاب وشابة جامعية في الولايات المتحدة: «إذا تمتّعت شابة بكلّ الصفات التي ترغبها بشريكتك بها، فهل تتزوّجها إذا لم تكن واقعاً في حبها؟» (وطرح سؤال شبيه للشابات). وقد وجد الباحث أن 65% من الرجال أجابوا بـ«لا» فيما لم تتعدّ نسبة النساء اللواتي أجبن بـ«لا» الـ24%. وحين طُرح السؤال نفسه، (والذي بات يعرف في أدبيات «اختيار الشريك» بسؤال كبهارت)، في الثمانينات للشريحة العمرية ذاتها من الطلاب الجامعيين، أجاب 80- 90 بالمائة منهم بأنهم لن يتزوّجوا بدون «الوقوع في الحب». ولم يجد الباحث فروقاً بين الجنسين في ذلك الرفض. في التسعينات جاءت الإجابة عن السؤال نفسه لتشير إلى انقلاب في اتجاهات النساء والرجال الأسبق؛ إذ رفضت النساء الدخول في علاقة زواجية بدون «الوقوع في الحب» أكثر من الرجال، (Sprecher and Toro-Morn, 2002).

في الدراسات العبر- حضارية التي تناولت الموضوع نفسه، وجد الباحثون فروقاً بيّنت اتجاهات متباعدة من الموضوع؛ فتراوحت نسبة اشتراط وجوب «الوقوع في الحب» لعقد شراكة زواجية بين 24% (في الهند)، و98% (في الولايات المتحدة)، مروراً بـ 33% (في تايلاند)، و62% (في اليابان). ولم يجد الباحثون فروقاً جندرية في ذلك الاشتراط في البلدان المذكورة، لكنهم وجدوا هذه الفروق في بلدان أخرى كروسيا، مثلاً (70% للرجال و59% للنساء)، وفي الولايات المتحدة كما أسلفنا القول. وعلى العموم، وجد سبرتشر وتورو - مورن أن الاختلافات الثقافية في موضوع الحب وصلته بالزواج هو أهم من الاختلافات الجندرية في مجتمع بعينه، (Sprecher, and Toro- Morn, 2002).

هذا التفضيل لأن يكون الزواج مسبوقاً بالحب كان موضوع دراسة لدى بعض الباحثين العرب: لدى سؤال طلاب وطالبات من الجامعات والثانويات

السورية[1]، مثلاً، عمّا إذا كانت «العلاقات العاطفية ضرورية قبل الزواج»، أجاب 73% من الشبّان الجامعيين بـ«نعم»، مقابل 63% من الطالبات، و91% من الطلاب من المرحلة الثانوية، مقابل 83% من الطالبات. يستنتج الكاتبان أن الشبّان أبدوا جرأة ظاهرة في التعبير عن ميولهم العاطفية، وذلك بالقياس مع الشابات اللواتي اتصفت إجاباتهن بالخجل والتردد، (وطفة وزحلوق، 1995).

في دراسة لبنانية طُلب إلى المبحوثين من طلاب وطالبات جامعيين[2] أن يعيّنوا العوامل الثلاثة الأهم (من عوامل سبعة) التي سيعتمدون في اختيار شريكهم المستقبل، عيّن 95% من العيّنة المدروسة «الحب العاطفي» العامل الأهم. ولا يشير الباحث إلى فروق جندرية في هذا الاختيار. وقد صرّح حوالي 74% منهم بأن قرارهم سيكون فردياً لا متأثّراً بالأهل، (74% مقابل 21%)، وبأن طريقة التعرّف على الشريك ستكون مباشرة لا بالواسطة، (93% مقابل 7%)، (حمدان، 2003).

شيوع المواصفات

إن تبدّل الإجابات على «سؤال كبهارت» المذكور يشير إلى تراجع أكيد في استعدادات الشباب لعقد شراكة زواجية بدون «الوقوع في الحب». وهو من المؤشّرات الدالّة على تبدّل أحوال الشراكة في الزمان والمكان. هذا التبدّل، ومن وجهة نظر الباحثين، لا يعدو كونه من بيّنات التفضيل الافتراضي، ولا يصف، على نحو دقيق، الواقع المعاش. لذا، فقد انشغل أكثرهم بالبحث عن الشروط الآيلة إلى حصيلة إيجابية للاختيار المذكور. أي، ما يُصرّح عنه بالتوافق والسعادة والرضا في إطار العلاقة بين الثنائي من الطرفين، أو من واحد منهما. وقلّما اهتمت الأبحاث برصد السمات المرغوبة للشريك أو الشريكة لاعتبار الشراكة أكثر تعقيداً وخاضعة لعوامل تتجاوز الرغبة

(1) تشكّلت العيّنة المدروسة من حوالي [redacted] طالب وطالبة من المرحلة الثانوية في محافظة طرطوس اختيروا في إطار المعسكرات التربوية التي يقمها اتحاد الشباب ووزارة التربية، ومن 322 طالباً وطالبة من جامعة دمشق في إطار المعسكرات الجامعية التي تقام في الجامعة نفسها. أجريت الدراسة في صيف 1992.

(2) اشتملت العيّنة على 358 شاباً وشابة تركّز معظمهم في الفئة العمرية 18-21، من جامعات رسمية وخاصة مختارة في بيروت وضواحيها الثلاث، وتوزّعت مناصفة بين النساء والرجال، وبين المسيحيين والمسلمين، كما توزعت بين الفئات الاجتماعية- الثقافية المختلفة. (وفق معايير شملت المستوى السكاني للأسر والدخل إلخ).

الافتراضية المسبقة. ورأى شميدت، مثلاً، أن الصلة المباشرة بين الصفات المُسْنَدة إلى شخصية الشريك، وبين حصيلة العلاقة القائمة بين الشريكين... هذه الصلة ضعيفة. وهو ما يجده الكاتب مثيراً للتعجّب، على كلّ حال. فالأشخاص، وحين يعبّرون عن رغبتهم في شريك يتصف بمميزات معيّنة، لا بدّ وأن يكونوا راضين حين يحصلون على ما كانوا راغبين فيه. فيستنتج، تبعاً لنتائج اختباراته الميدانية، أن اختيار الشريك والتفضيلات التي توجّه مشاعره الأصلية للانجذاب الرومانسي هي منفصلة، نسبياً، عن الرضا عن العلاقة وعن الالتزام بها، (Shmidt, 2002).

لكن الاهتمام بالتفضيلات التي «توجّه المشاعر الأولى للانجذاب الرومانسي»، يبقى قائماً، برغم ذلك. هذا التفضيل، برأي فئة ثانية من الباحثين، مؤثّر، على نحوٍ غير قليل في المبادرة إلى عقد الشراكة. من هؤلاء بَصْ وبارنز اللذان كتبا في العام 1986، «أنه بالرغم من أن اختيار الشريك هو، بلا شك، قرار حرِج لأكثر من 90% من السكان (الأميركيين) الراشدين، فمن المستغرب أننا نعنى قليلاً بالبحث عن المميزات التي يحبّذها النساء والرجال في شركائهم المحتملين»، (Buss and Barnes, 1986). ولما كان هذان الباحثان من أهمّ الباحثين، ومن أكثرهم إسناداً في الدراسات المعنية باختيار الشريك، يسعنا قبول حكمهما المستغرِب بثقة.

هذا، وقد تجمّع عبر السنوات، بالرغم من ملاحظة بَصْ وبارنز قلّة الاهتمام بموضوع تفضيل الشريك، دراسات كثيرة قام الباحثان إيغلي وورد برصدها في مراجعات إحصائية meta-analysis تبحث عن تفضيلات النساء والرجال في سمات شركائهم، (Eagly and Wood, 1999). إحدى هذه المراجعات كانت لدراسات أجريت في الولايات المتحدّة على امتداد ثلاثين سنة. وقد أظهرت نتيجة هذه المراجعات تفضيلات اختصّت بها النساء وأخرى اختصّ بها الرجال: النساء يرغبن في شركاء يحظون بمميزات تشير إلى قدرتهم على الإعالة، (وأكثرها تواتراً تقدّم السن)، والرجال أبدوا رغبة في شريكات جذابات جسدياً، أصغر سناً، وذوات مهارات منزلية. وتوصّلت مراجعة لاحقة أثبتها الباحثان إيغلي ووُودْ في دراستهما إلى أن النساء والرجال أبدوا تشابهاً كبيراً في تفضيل السمات التي يحبّذونها في شركائهم باستثناء مجموعتين منها: واحدة تحيل إلى قدرات الإعالة (للشريك) والثانية تحيل إلى الجاذبية الجسدية (للشريكة)، (Feingold, 1990). وهي نتائج عاد سبرتشر وتورو-مورن فأكّدتا ثبات صحتها في العام 2002، (Sprecher and Toro- Morn, 2002).

وخيارات النساء والرجال ليست منفصلة بعضها عن بعض؛ فكلّما ازدادت درجة اختيار الرجل لشريكته وفق معيار قدراتها المنزلية، ازدادت درجة اختيار المرأة لشريكها وفق معيار قدرته على الإعالة؛ ويمكن تكرار القول بالنسبة للفروق في العمر: النساء يفضّلن شريكاً أكبر سناً كلّما كانت اختياراتهن متمحورة حول القدرة على الإعالة، والعكس بالعكس. وكلّما ازدادت الفروق العمرية بين الشخص وشريكه المفضّل تعزز المنحى المذكور: النساء بتن أكثر تفضيلاً للرجل المعيل، والرجل أكثر تفضيلاً للمرأة ربّة المنزل، (Eagly and Wood, 1999).

ولا تختلف النتائج كثيراً حين يكون المجتمع المدروس من الطلاب الجامعيين؛ والنتيجة الأكثر ثباتاً في دراسات متعاقبة بين العامين 1993 و1999 لهذه الفئة، طُلب إلى أفرادها ترتيب السمات الأكثر تفضيلا للشريك من بين 18 سمة شخصية... هذه النتيجة جاءت كما يلي: الطلاب تمنّوا أن تتمتّع شريكاتهم المستقبلية بصحّة جيّدة وبطلعة بهيّة، وأن يكنّ ربات منزل ماهرات؛ أمّا الطالبات فرغبن في شركاء طموحين، مجتهدين، وممن لديهم إمكانات مستقبلية ومالية واعدة... وكلّها صفات تُحيل من يتحلّى بها، أيضاً وتكراراً، إلى قدرات الشريك على الإعالة، (Amador et al., 2005).

هذا، وقام بصّ وزملاء له، وفي أبحاث متلاحقة، برصد مميزات الشريك المفضّل، لا في الولايات المتحدة فحسب، إنما أيضاً في مجتمعات وبلدان أخرى. ولعلّ أهم هذه الدراسات واحدة شملت 37 ثقافة اجتماعية من «كلّ أقصاع الأرض»، بحثاً عن الخصائص المفضّلة للشركاء المحتملين. توصل الباحثون إلى النتيجة إياها: الرجال يفضّلون الجميلات والنساء يفضّلن الميسورين! (Buss, 1989).

من منظور نشوئي

وقد تمّ تأويل هذه النتيجة شبه الثابتة عبر السنوات وعبر الحضارات من منظور نشوئي؛ من هذا المنظور يتمّ التركيز على المتشابهات في الثقافات الاجتماعية المختلفة بحثاً عن المميّزات التي استقرّ عليها الناس في عيشهم للشراكة وفي اختيارهم لشركائهم، وعلى خلفية الوظيفة النشوئية التي تؤديها هذه المميزات في صراع الجنس البشري من أجل البقاء والتكيّف مع البيئة المحيطة به. اتكاء على نظرية دارون، الذي ميّز بين الاختيار الجنسي الداخلي، (المتمثّل بالتنافس داخل الجنس الواحد على أفراد الجنس الآخر)، والتنافس العبر- جنسي، (المتمثّل بميل لدى الأعضاء من الجنس الواحد

لاختيار تفضيلي لشركاء من الجنس الآخر)، يؤكّد بصْ وبارنز أن الاصطفاء الطبيعي يتضمّن الاصطفاء الجنسي بشكليه. على أن الاصطفاء لدى الإنسان لا يعمل بواسطة آلية التنافس المباشر- كما هي الحال لدى الحيوان- إنما بتوسّط التراتب الهرمي الاجتماعي: الرجال يتنافسون في ما بينهم على المكانات الأعلى، والنساء يَمِلْن نحو الرجال ذوي المكانات الأعلى، (Buss and Barnes, 1986).

من هذا المنظور، يتأسس اختيار الذكر البشري لشريكته على المقدرة الإنجابية المحدودة زمنياً للأنثى، وعلى ميل الرجال لربط تلك المقدرة بسمات توحي بها مباشرة، (الصحة والشباب، والجمال استطراداً). من جهتهن، تسعى الإناث لاختيار الذكور القادرين على تأمين الشروط الكفيلة بحضْن النسل وإعالته على مدى زمني طويل نسبياً لدى الجنس البشري. يستوي تثمين النساء، من هذا المنظور تكراراً، لموارد الرجال المالية، وتثمين الرجال للجاذبية الجسدية نتيجة ضرورية للتوظيفات المختلفة في الوالدية parenthood. فاختيار الشريك ميزة تتخصص بها الأجناس، وهي مرتبطة بطبيعة الإنسان. لذا هي، وفق هذا المنظور، فطرية، كونية، وغير خاضعة لثقافة اجتماعية بعينها، (Buss, 1995).

من منظور ثقافي واجتماعي

هذا الثبات في التفضيلات الذي اختصّ به كلّ من الجنسين، نُظر إليه بعدسة ثقافية بوصفه بعضاً من ميل عام لدى النساء والرجال للتكامل في إطار تقسيم العمل، وتباين الأدوار الناجمة عن ذلك التقسيم في النظام الزواجي القائم على الثنائي: المرأة/ ربّة المنزل، والرجل/ المعيل. هذا النظام متوائم مع الفروق في السن: فالنساء الأصغر سناً من شركائهن هنّ، على الأرجح، أقل علماً وخبرة وذوات موارد مالية أقل من الرجال من الجيل نفسه. بالمقابل، فإن احتمال أن يكون الرجال الأكبر سناً قد حصّلوا موارد اقتصادية كفيلة بترشيحهم للعب دور المعيلين... هذا الاحتمال هو كبير. الشراكة قائمة، في هذا الحال، على النظام الثنائي المتمثّل بالمعيل- ربّة المنزل، (Eagly and Wood, 1999).

من منظور «نظرية التبادل الاجتماعي» social exchange theory، فإن القرارات بشأن اختيار الشريك تنطوي على مفهوم للزواج بوصفه واقعة يتمّ فيها تبادل، متنوّع الأوجه، يسمح بالتكثير الأقصى للمكافآت المتبادلة. وكلّما كان المجتمع قائماً على

انقسام جندري حادّ، وكلّما تمثّل ذلك التقسيم عبر إسناد استبعادي للمسؤوليات والواجبات، فإن الناس سوف يختارون شركاءهم وفق معايير متناسبة مع ذلك الانقسام. ففي المجتمعات التي تجعل لكلّ من الشريكين دوراً مرسوماً بشكل محدد، فإن النساء يحاولن تكثير المكافآت التي سيحصلن عليها باختيار شريك يحمل إمكانية النجاح في الدور الاقتصادي. من جهتهم، فإن الرجال يقومون بتكثير مكافآتهم بالبحث عن شريكة يسعها أن تكون ناجحة في أدوارها الإنجابية والمنزلية. ويوفّر تقسيم العمل منطق التكامل الذي يحكم العلاقات المتبادلة بين النساء والرجال: النساء العاملات في إطار الدور المنزلي هن المكمّلات للرجال المعيلين، كما يعزز اتحاد الأزواج الأكبر سناً مع زوجات أكثر شباباً هذا الشكل من الشراكة، (Harrison and Saeed, 1977).

وبالتساوق مع مبدأ تقسيم العمل هذا، يشير إيغلي وورد إلى العلاقة الدّالة بين الفروق الجندرية في تثمين المسارات المنزلية وتثمين قدرة الزوج على الإعالة: فكلّما مالت النساء للإعلان عن سعيهن لاختيار شريك معيل، نجد نزوعاً لدى الرجال للإعلان عن رغبتهم في ربّة منزل. ويمكن تكرار القول عينه بالنسبة للفروق المحبّذة في السن بين الشريكين، (Eagly and Wood, 1999).

المتغيّر في الشراكة

يوفّر كلّ من هذين المنظورين- النشوئي والثقافي الاجتماعي- تأويلات مقبولة منطقياً لنمط التفضيل السائد للشراكة. لكنهما، وإن بَدَوَا غافلَيْن عن تأويل الانحراف عن السائد، (أو الفطري والكوني، وما نتج عنهما من ترتيبات جندرية في الثقافات الاجتماعية كلّها)، فهما يحملان في طياتهما إمكانية هذا التأويل. من منظور نشوئي، مثلاً، كان دارون[3] قد عبّر عن شكوكه حول راهنية الاصطفاء الجنسي في المجتمعات الإنسانية الحديثة. وهو كان افترض بأن الاصطفاء الجنسي أقوى، بالضرورة، بين البشر الأوائل الذين كانوا مدفوعين بأهوائهم الغرائزية أكثر من الناس في المجتمعات المعاصرة. الناس المعاصرون يلجأون، برأيه وبدرجة أكبر، إلى العقل والتبصّر في سلوكهم الزواجي؛ فالرجال المعاصرون، مثلاً، ينجذبون إلى سحر النساء الفكري وإلى

---

(3) نقلاً عن إيغلي وورد في مقالهما المذكور مراراً. Darwin C., (1871), *The Descent of Man and Selection in Relation to Sex*, Murray, London, p.178.

يُسرهن المالي وإلى موقعهن الاجتماعي، وليس إلى إمكاناتهن الإنجابية فحسب.

من منظور ثقافي اجتماعي، لا يحتاج المرء إلى أكثر من عملية استدلالية ليستنتج أن تغيّر الأدوار الاجتماعية للنساء والرجال في المجتمعات المعاصرة كفيل بتعديل التفضيل السائد في المجتمعات، من وجهة نظر النشوئيين. هذا التغيّر يوفّر قاعدة ماديّة للفروق الفردية بين الأشخاص في هذا المجال، ويسمح بتأويل الانحرافات عن السائد الذي أعطاه الباحثون صفة الثبات. هي الحجة التي صاغها بصّ وبارنز، (مع العلم أنهما ينتميان للتيار النشوئي) على الشكل التالي: خيار الشريك يتأسس على النظام الجندري القائم؛ لذا، فإن ميل النساء، مثلاً، للزواج صعوداً في المكانة الاقتصادية الاجتماعية هو بمثابة لجوء إلى القناة التقليدية في الحراك الاجتماعي صوب الأعلى. لكن التبدّل الذي تشهده المجتمعات المعاصرة باتجاه الإنصاف الجندري يُفضي، على الأرجح، إلى ردم الفجوة الجندرية في هذا المجال- مجال تفضيل الشريك. ويتوقّع أن تثمّن النساء اللواتي حصّلن السلطة، (السلطة المتمثّلة في حيازة الموارد المالية والعلم).... هؤلاء النساء يُتوقّع أن يثمّنّ القدرة على الإعالة بدرجة اقلّ من النساء الفاقدات لتلك السلطة، ويتوقّع أن يعبّرن، تبعاً لذلك، عن تفضيلات شبيهة بتفضيلات الرجال. أما النساء اللواتي تمّت تنشئتهن في أجواء ليبرالية فلن يبدين، على الأرجح، فروقاً جندرية كبيرة في اختيار الشريك لدى مقارنتهن مع الرجال. فالتبدّلات الثقافية الاجتماعية ستؤدّي، على الأرجح، إلى تعديل في بروفيل الشريك المفضّل، لدى الجنسين (Buss and Barnes, 1986).

ويرى بصّ، النشوئي الهوى، لدى بحثه عن التغيّرات المذكورة أنه، وبعكس المعتقدات السائدة حول علم النفس النشوئي، فإن القول بأن الفروق الجنسية قد تشكّلت عبر مسار مسوَّغ من الاصطفاء الجنسي، لا يتضمّن ثبات تلك الفروق، ولا يجعل أصولها عصيّة على التعيين. على العكس من ذلك، إن فهم أصول الفروق الجنسية يوفّر وسيلة معرفية صلبة للسياقات التي تبرز فيها هذه الفروق، ويعيّن دلائل على المسارات الفعّالة (في عقد الشراكة)؛ وتسمح هذه الدلائل بالتدخّل الاجتماعي في حال ثبوت أن هذه الشراكة مَرَضية، وبأن التغيير الحاصل (في عقد الشراكة) مرغوب فيه. فالتساؤل حول وجود أصول نشوئية للفروق الجنسية لا يقدّم حجّة لـ«الستاتيكو»؛ والاعتقاد بأننا يمكننا أن نكون فعّالين في تعديل ذلك «الستاتيكو» دون معرفة هذه الأصول... هذا الاعتقاد غير صحيح، (Buss, 1995).

التفضيل واقعاً

بعيداً عن الاستدلال المنطقي، صاغ باحثون في موضوع اختيار الشريك أسئلة تتناول أثر التبدّلات الحضارية على الاختيار المذكور. وقد حاولوا الإجابة عليها من منظورات وأطر مختلفة، وتوسّلوا لذلك طرقاً مناسبة لمنظوراتهم وأطرهم. من هؤلاء، مثلاً، مورستاين الذي قام بمراجعة إحصائية meta analysis لدراسات تناولت الموضوع في السبعينات. وقد توصّل إلى استنتاج مفاده أن الوجهة العامّة في تفضيل الشريك تتمثّل بتقدّم المحددات الفردية لذلك التفضيل (وتراجع المحددات النشوئية)؛ هذا التقدّم هو أبطأ وتيرة في البلدان الأقلّ تصنيعاً. ويتلازم هذا التقدّم مع ظاهرة تأخر سن الزواج، بل شيوع «الحق» بعدم عقده أصلاً، (Murstein, 1980).

ولو عدنا إلى سؤال كبهارت الذي أثبتناه في مطلع هذا الفصل، فإن سبرتشر وتورو - مورن، مثلاً، وجدتا في دراسة ميدانية أن نساء التسعينات أكثر تطلّباً لوجوب الحب شرطاً للزواج من الرجال؛ وذلك بعكس ما كانت عليه الحال في الستينات والثمانينات، كما سبق وذكرنا. وأوّلت الباحثتان نتيجتهما هذه بكون النساء كنّ في الماضي ذرائعيات في اختيار شركائهن لأنهن كنّ بحاجة إلى مُعيل يوفّر لهن الأمان المالي والمركز الاجتماعي؛ فكان «الوقوع في الحب» ترفاً، لا يملكن جعله شرطاً ضرورياً لعقد الشراكة. لكن المرأة المعاصرة أتيحت لها الفرص لتحصل، هي شخصياً، على الأمان والمركز المذكورين، وتمّت تنشئتها في حِمى أمّ (ونساء)، قدّمت مثالاً يُقتدى به، ولأنها عرفت، هي أيضاً، فرصاً للحصول على هذا المركز وذلك الأمان، مباشرة لا بالواسطة، (Sprecher and Toro- Morn, 2002).

في دراسة لـ«التاريخ» الماثل حاضراً، وفي الاستنتاج الذي يسعنا صياغته عند دراسة التفاوت الحاصل في تطوّر وضع النساء في المجتمعات المعاصرة، قامت سميث وإيغلي بإعادة النظر في دراسة بصّ وزملائه، (Buss, 1989)، المذكورة سابقاً، (والتي لا تخلو دراسة في «اختيار الشريك» دون إسناد لها). قامت الباحثتان بتفحّص النتائج المحصّلة في الثقافات الاجتماعية المدروسة. وقد قامتا بتصنيف هذه الثقافات الاجتماعية السبع والثلاثين بحسب تراجع وتيرة الولادة والرضاعة، وبحسب تراجع انتشار الأدوار المهنية التي تتطلّب سرعة وقوّة جسدية؛ وذلك لاعتبار السلوك الإنجابي التقليدي ومركزية سمات الرجال والنساء الجسدية يتغيّران، على نحوٍ متناسب مع تراجع

تلك الوتيرة. واعتمدت الباحثتان مؤشّر «المساواة الجندرية» الذي حددته الأمم المتحدة لرصد التراجع المذكور.

وكما هو متوقّع، وبالتناسب مع نظرية الدور الاجتماعي، فإن النساء أبديْن ميلاً لتفضيل شركاء أكبر سناً وذوي موارد مالية، يفوق ميل الرجال؛ وأبدى الرجال ميلاً لتفضيل شريكات أصغر سناً وذوات مهارات تتعلّق بالطبخ والتدبير المنزلي، يفوق أيضاً ميل النساء... هذه الميول التقليدية المعروفة برزت بدرجة أقلّ في المجتمعات التي تتصف بتراجع التقسيم التقليدي في الأدوار، وفي المجتمعات التي تسود قيم المساواة الجندرية... والعكس بالعكس. وتبيّن أن تصريح النساء عن تفضيل لشركاء يتمتّعون بإمكانيات مرتبطة بالإعالة هو أكثر احتمالاً كلّما تراجعت الفرص التعليمية أمامهن في المجتمعات التي ينتمين إليها، (Schmidt, 2002).

في إعلانات الزواج: نقلة في المواصفات

في تحليل لمحتوى حوالي 800 إعلان زواج أرسلتها «قلوب وحيدة»، (592 رجلاً و495 امرأة أعمارهم بين عشرين وستين سنة)، إلى مجلّات أميركية شعبية، على امتداد ستة أشهر في أواسط السبعينات.... وجد الباحثان هاريسن وسعيد تكاملاً بين «العرض» و«الطلب». فقد تقدّم طلاب الزواج بمزايا اجتماعية ذات الصلة بجنسهم، وطالبوا بمزايا يختص بها الجنس الآخر. هذه المزايا- المعروضة والمطلوبة- جاءت ثابتة بإزاء العمر» (Harrison and Saeed, 1977).

هذا، ويبيّن لأنْس، عبر تحليل وصفي لمضمون 1433 إعلاناً لطلب الشريك في مجلات وجرائد مختلفة، في الولايات المتحدة في أواخر التسعينات، وجودَ تبدّل في تفضيلات النساء والرجال للشركاء المطلوبين: الرجال يفضّلون سمات جنسانية الوجهة، فيما النساء يرغبن في سمات حضْنية. وتشتمل السمات الجنسانية على الجاذبية الجسدية وتلك التي تحيل إلى كون الشريكة مُتاحة أو مثيرة جنسياً، فيما تنطوي السمات الحضنية على الاستعداد لتوفير الدفء والعناية. وبيّنت النتائج أيضاً ابتعاداً عن الميل الزواجي العام الذي كانت الأبحاث قد أثبتته، إذ برزت سمات شخصية من مثل حسّ الفكاهة، اللطف والأمانة، الدفء والذكاء، بوصفها غاية في الأهمية لدى البحث عن شريك من الجنسين سواء بسواء؛ وصرّح طالبو الشريكات وطالبات الشركاء بالرغبة في تحلّي هؤلاء بمميّزات شخصية أكثر بكثير من التصريح بالرغبة في الجاذبية الجسدية أو في الخلفية

المهنية/ الدراسية. بل إن قسماً من الرجال ذكروا في إعلاناتهم تطلّباً يتعلّق بمهنة الشريكة بين السمات الخمس الأعلى التي يرغبون فيها في شريكاتهم، والجاذبية الجسدية في مرتبة لاحقة في هرم السمات المطلوبة! النساء، من جهتهن، وضعن السمات المهنية والتعليمية وتلك المتعلّقة بالمقدرة المالية... وضعنها في مرتبة لاحقة في أولويات السمات المرغوبة، وتقدّمتها، في بعض الأحوال، «الطلعة البهية» للشريك المستقبلي في رتبة متقدّمة أكثر بكثير من ذي قبل.

يستنتج الباحث أن التعديل في الميل العام لاختيار الشريك هو، على الأرجح، من مؤثّرات الحركة النسوية وتغيّر الأدوار الجندرية. هذا، ولا تزال الجاذبية الجسدية إحدى السمات الخمس الأكثر مرغوبية لكن أضيفت إليها سمات شخصية. ويرى لانس أن ذلك ناجم، ربما، عن إدراك الناس بطول أمد عمرهم، وبالذواء الحتمي للجاذبية الجسدية مع تقدّم الوقت، وضرورة إضافة اعتبارات أخرى، أكثر استدامة لعقد الشراكة، (Lance, 1998).

شراكات جديدة؟

في مجتمعاتنا، أيضاً، إعلانات في المجلات والصحف لطالبي وطالبات الزواج، كانت، في الماضي غير البعيد، متزامنة مع وجود «خاطبة» تعمل على جمع الشريكين، على هدي تطلّباتهما، أو تطلبات أسرهما. ولا نعرف دراسة أجريت للمقارنة بين مضمون طلبات الزواج عبر السنين، ولا عن تراجع دور الخاطبة المذكورة. لكننا نشهد، في أخبار الصحف ما يدلّ على أنماط جديدة من الطلب على الزواج من النساء، خاصّة. وتدّعي جريدة النهار اليومية، نقلاً عن «رويترز»، مثلاً، بأن نساء سعوديات متعلّمات، طبيبات ومعلّمات، وممرضات وسيّدات أعمال ومشرفاتٍ «تقدّمن، أخيراً، إلى أحد مكاتب الزواج في جدّة لطلب زواج المسيار»... فيما أكّد إمام أحد المساجد أن لديه «سبعة آلاف طلب من سعوديات» للزواج نفسه[4]. ما يهمّنا في هذا الإسناد الإشارة إلى سلوك نسائي في مجال الشراكة غير مألوف في ظهرانينا؛ ففي العادة تكون «المرأة مطلوبة، لا طالِبة»، ناهيك عن شيوع مفهوم «الرضى بالنصيب» الذي كانت المرأة تخضع لمقتضياته فتتزوّج من «يتقدّم لسترها»، لأن رفضها كان يهددها بعنوسة،

(4) جريدة النهار اليومية البيروتية، 21/ 9/ 2006.

كانت ستجعلها بدون معيل. لكن، في مبادرة هؤلاء النساء للإعلان عن رغبتهن في هذا الزواج يُرسين لإمكانية شيوع نمط مستحدث من الشراكة، لا يختلف كثيراً عن الحلول التي وجدتها النساء الغربيات اللواتي لم يتزوجن، لأسباب مختلفة، يتعلّق معظمها بانشغالهن بتطوير مكانتهن المهنية. زواج المسيار، كما تصفه الجريدة، عبارة عن زواج متعة، لكنه في هذه الحال هو متعة معلنة للمرأة التي تمتلك الاستقلال والكفاية المادية لأن تُملي شروطها؛ وهو، أيضاً، حاضناً شرعياً لأمومة، أقرب لأن تكون عازبة، لكن مقبولة دينياً واجتماعياً.

في لبنان، مثلاً، يبرز نمط من الشراكة يدعى «مساكنة» بين شريكين غير متزوّجين. ويستدلّ على وجود في بعض التحقيقات الصحفية أو التلفزيونية. وفي دراسة ميدانية قيد الإعداد للباحث مراد حول قيم اللبنانيين، (Murad, en cours)، عيّن «الموقف من المساكنة» واحداً من المتغيّرات التي يجري درسها. إن دراسة اتجاهات اللبنانيين نحو المساكنة بيّنة على وجود الظاهرة بتواتر ما عاد ممكناً إغفاله.

تتغيّر النساء مع تعديل أدوارهن الاجتماعية. ويحاجج الباحثون في علم النفس بأن ذلك مؤثّر، بالضرورة، في اتجاهات النساء والرجال المتعلّقة باختيار الشريك. وهم يرصدون، ميدانياً، مظاهر ذلك التعديل، كما سبق وأثبتنا. وإن كنا ندرس المسألة من منظور الدور الاجتماعي، فنحن غير غافلين أنه يتصف، وكما تتصف المنظورات الحصرية الأخرى، بكونه قاصراً عن رسم المشهد كاملاً. ويرى آيكس، مثلاً، بأن أياً من المنظورات لا يسعه تأويل سلوك بعض الرجال والنساء المتناقض في المجتمعات الأميركية، مثلاً. ومن تجليّات ذلك، يشير آيكس على ما نلمسه من تناقض يعيشه الرجال والنساء المعاصرين، أن المرأة التي تقرأ الروايات الرومانسية ليلاً، والتي تحلم بلقاء «البطل المهيمن ذي النظرة الثاقبة»، قد تكون هي المرأة ذاتها التي كانت تناضل في النهار نفسه في سبيل المساواة الجندرية. والمرأة التي تُقسِم إنها لن تتزوّج زواجاً تقليدياً كما فعلت أمها، تجد نفسها عاجزة عن فهم أسباب انجذابها، على نحوٍ لا رادّ له، نحو رجال متسلّطين، بل معنّفين. والرجل الرقيق العاطفي الذي يقرأ أن أكثر النساء بِتْنَ يفضّلن شريكاً يتصف بصفاته هو، هو نفسه الرجل الذي يصرّح بأن النساء يرفضنه، مفضّلات الرجل التقليدي عليه.

يرى آيكس بأننا نتعرّض لنوعين من التأثير. هناك، من جهة أولى، الاستعدادات

البيولوجية الموروثة وتاريخنا الثقافي؛ أي، ما يجذبنا للسمات والمميّزات المنمّطة التي وجدها أجدادنا جذّابة في أعضاء الجنس الآخر. لكننا، وبقدر ما نتبنّى المساواة الجندرية، فإننا ميّالون، من جهة ثانية، لرفض التمييز القائم في علاقات القوى بين الرجال والنساء. حين تكون المسألة متعلّقة بالانجذاب الجسدي والجنسي، فإننا محكومون بالغرائز المتجذّرة في الماضي؛ لكن، حين يحلو لنا إرساء علاقة مساواتية، غير قائمة على الاستغلال، فإن هذه الغرائز تكون مثيرة للشغب، فيتعيّن علينا مغالبتها بمثالياتنا المساواتية؛ ونعيش، بنتيجة ذلك، صراعاً في دواخلنا بين الإرث البيولوجي الثقافي وتطلّعاتنا المعاصرة. ويؤكّد آيكس أنه، برغم الانجذاب الشديد الذي يحصل عادةً بين المرأة الأنثوية والرجل الذكري، فإن العلاقة بين شريكين يتّسمان بسمات نمطية هي، مفارقة، الأقلّ فعالية والأقلّ حظاً في الاستمرار والنجاح في المجتمع الأميركي المعاصر.

من منظور نشوئي، تقوم الأدوار الجندرية التقليدية بالإكثار من الانجذاب المتبادل بين النساء والرجال المتمثّلين بها. لكن، من منظور ثقافي، تعزز هذه الأدوار نفسها الغربة واللاتواصل، وتؤثّر سلباً على الرضا عن العلاقات، بين الطرفين. لكن لماذا يبقى هذا النمط من الشراكة، بالرغم من ذلك، شائعاً؟ يجيب آيكس: إن الأدوار الجندرية لم تتطوّر استجابة للضغوط المجتمعية الهادفة إلى تطوير أو صيانة العلاقات بين النساء والرجال، إنما تمّت مأسستها وشرعنتها، على شكلها الحالي في الثقافات الاجتماعية الأبوية من أجل تأمين استمرار الهيمنة الذكرية والخضوع الأنثوي.

لكن ما هي وظيفة هيمنة الذكور على الإناث في مسألة اختيار الشريك، ولماذا هي شبه سائدة في كلّ الثقافات الاجتماعية المعروفة؟ النشوئيون يحيلون وجوبها شرطاً ضرورياً في موضوع الشراكة إلى البيولوجيا. فالجاذبية التي يتمتّع بها الرجال ذوو السلطة والهيمنة، تأتي من ارتباط هذه السلطة، وتلك الهيمنة، بإدراك لدى الناس بأنهما يُسبغان على من يتمتّع بهما صفة «المعيل الطيّب» - من يسعه تأمين الطعام والمأوى والحماية، وكلّها أمور ضرورية لبقاء النسل. يضاف إلى ذلك، وطأة العوامل التي كانت تعمل على تخريب «البقاء» المذكور: الوتيرة العالية لموت الأطفال في سنواتهم الأولى، التغذية والعناية الصحيّة القاصرتين، وقِصَر معدّل الحياة... لذلك كلّه، فإن أكثر النساء في المجتمعات لم يملكن، وحتى أمد قريب، ترف رفض شريك يسعه تأمين البقاء لهن

ولنسلهن لأسباب تتعلّق بالرغبة في وجود سمات شخصية من مثل اللطف والدفء... وما إلى ذلك من السمات الشخصية التي يشهد الباحثون ميلاً متزايداً لانضمامها إلى لائحة السمات المحبّذة للشريك، إما بالتجاور مع السمات التقليدية، أو باستنابتها، (Ikes, 1993).

لكن العالم الحالي مختلف!

هو مختلف لأن السعي لـ«البقاء»، في شكله الفجّ الموصوف، لم يعد على رأس هموم أكثر المجتمعات المعاصرة؛ ففي المواقع التي يتمّ التعبير عن هذه الهموم - في رؤى واستراتيجيات الأمم المتحدة، أساساً - بات الانفجار السكّاني، وما يرافقه من تراجع في التوازن بين موارد العالم المتاحة وبين إقبال الناس النهم على استهلاكها... هذه جميعاً باتت من بعض أكبر هموم هذا العالم. صحيح أن السعي من أجل بقاء النوع يبقى، وفق المنظور النشوئي، الغاية الأسمى. لكن أشكال ذلك السعي تتبدّل بطريقة تكاد أن تقع على طرف نقيض من الأشكال السابقة. ويتجلّى ذلك، أساساً، بالنزوع نحو ضرورة الحدّ من التناسل. هذه الضرورة تأخذ في بعض المجتمعات الصناعية، مثلاً، سلوكاً شبه آلي تمثّل بتراجع وتيرة النمو السكاني إلى حدّ التهديد بزوال هذه المجتمعات. لكنه أخذ في مجتمعات توتاليتارية الإجبار القسري، كما في الصين، مثلاً، مروراً بكل أنواع الترغيب والتحفيز تحت عنوان «تنظيم الأسرة»، أو غيرها من العناوين المناسبة.

هو مختلف لأن الإنجاب وملحقاته لم يعد يستهلك إلا جزءاً يسيراً من حيوات الناس وأنشطتهم؛ وذلك بتضافر عوامل عدّة لعلّ أهمها تراجع عدد الولادات للمرأة الواحدة، وتراجع عدد الأولاد في الأسرة الواحدة، واستطالة معدّلات الحياة للأشخاص في أكثر المجتمعات المعاصرة. بل إن مؤسسات المجتمعات المعاصرة تتجّه لاقتطاع أجزاء رئيسية من الأنشطة الأسرية المصنّفة بـ«إعادة الإنتاج» reproduction، تباعاً، ومن نشاطات المرأة فيها، خاصة، مع انتشار الحضانات والمطاعم والمغاسل العمومية، ومع انتشار مؤسسات العناية بالعجزة وذوي الإعاقات والأمراض المزمنة، ومع تأميم المدرسة والإعلام الجماهيري لمهمّة تنشئة الأطفال.. إلخ.

وهو مختلف بسبب انتشار ثقافة المساواة الجندرية المرافقة للتوجّه البطيء والمثابر، لردم الهوّة بين النساء والرجال في المواقع والأدوار الاجتماعية، ومع تزايد

إتاحة الفرص للنساء، والسعي الحثيث نحو توزيع أكثر عدالة للموارد بين الجنسين. هذه الثقافة مرتبطة، على نحو وثيق، بتعديل في أدوار النساء، وتؤثّر، في الوقت نفسه، في تسريع وتيرة ذلك التعديل وإعطائه وجهته. صحيح أن ما نقول ينطبق، أساساً، على المجتمعات الصناعية، لكن رؤية المجتمعات الأخرى وتوجهاتها أصبحت في العقود الأخيرة متطابقة، إلى حدّ بعيد، مع رؤية المجتمعات الصناعية وتوجهاتها، قناعة أو قسراً. فالمجتمعات غير الصناعية، ممثّلة بحكوماتها ودولها باتت ملتزمة بأجندة مشتركة تعمل وفق الرؤية والتوجهات المذكورة في إطار جامع هو الأمم المتحدة. هذه الأخيرة ومنظماتها تمتلك أذرعاً متدخّلة في المجتمعات التي لا تزال «في طور النموّ»، وهي قادرة على التغلغل في مؤسسات هذه المجتمعات التي قلّما تملك بديلاً لخطاب الأمم المتحدة ومقارباتها. لذا، فهي مضطرة، تحت وطأة العوز، أو الإنهاك الناجم عن الحروب على أنواعها، إلى تبنّي أجندة الأمم المتحدة، وعلى وضع نفسها في تيّار التوجّه الإنساني الأعمّ - بما هو توجّه الأقوى في خياراته ومقارباته ورؤاه.

النتائج المتضاربة

العالم المختلف هذا، فيه من ملامح سابِقِهِ؛ فلا يُتوقّع أن تلتحق اتجاهات متجذّرة في مسار تطوّر البشرية، أو في تاريخ الثقافات الاجتماعية الأبوية الطويل بالتطوّرات الواقعية آلياً، على ما تبيّنه الأبحاث المعنيّة باختيار الشريك. هذه الأبحاث، والتي أثبتنا بعضاً منها، بيّنت وجود صراع في دواخلنا بين إرثنا البيولوجي والثقافي ورغبتنا الواعية في التناغم مع واقِعِنا المتغيّر. فقد وجد بعض الباحثين، وخلافاً لفرضياتهم، أن النساء اللواتي حققن صعوداً في المكانات الاجتماعية تبعاً لانتماءاتهن المهنية بقِين، تماماً كمثيلاتهن من النساء في المكانات الأدنى، يفضّلن رجالاً أكبر سناً، ومن مكانة اجتماعية أعلى، (Kernick and Keefee, 1992).

لكن دراسات أخرى تشير إلى تبدّل غير سطحي في اتجاهات الناس نحو اختيار الشريك، متأثراً بالتعديلات التي طاولت الأدوار الاجتماعية للنساء والرجال. إذ إن النساء في المجتمعات التي حققت مساواة جندرية في مجال العلم والعمل، أصبحن أكثر تفضيلاً للرجال الأصغر سناً[5]، وبتن يضعن الجاذبية الجسدية في أولويات الصفات

(5) لا تزال هذه المسألة مثار استهجان/ تندّر برغم شيوعها بين كلّ أنواع «النجوم»/ «آلهة العصر» الذين =

المحبّذة في الشريك، (Jepsen and Jepsen, 2002)؛ وهو ما يشير إلى تقارب بين النساء والرجال في طبيعة التفضيل على قاعدة المساواة في حيازة السلطة الاجتماعية؛ وحيث إن تلك الحيازة مثّلت، في الماضي غير البعيد، ومن منظور علم النفس النشوئي، موضوعاً يقدّمه الرجل/ الذكر مقابل «الصبا والجمال» الذي تقدّمه المرأة/ الأنثى في اقتصاد التبادل الجنساني/ الاجتماعي الذي نظّم قيام الشراكة بين الجنسين في أغلب المجتمعات الإنسانية، بل الحيوانية إجمالاً، (Buss, 1984).

هذا التفاوت في النتائج هو من بعض أحوال الأبحاث في العلوم الاجتماعية، لكنه من سمات مراحل التغيير الاجتماعي، خاصة.

دراسات عربية

في بلادنا العربية بدأنا نشهد اهتماماً[6] بموضوع «الاختيار الزواجي» في العقدين الأخيرين. وقد قام شحاتة، مثلاً، باستعراض دراسات عربية سابقة تناولت الموضوع. ومنها دراسة للباحث نفسه نفّذها في العام 1992، على عيّنة من طلاب وطالبات من جامعة المنوفية في مصر[7]. وجاءت النتائج لتبيّن أن الزوج المفضّل للإناث هو الذي يحترمها أمام الآخرين، ويلتزم بأحكام الدين، ويشعرها بكيانها كامرأة، صريح وجادّ في تصرّفاته. ويفضّل الذكور، من جهتهم، زوجة مطيعة لا تحبّ السيطرة، تقف بجانب زوجها في السرّاء والضرّاء، تلتزم أحكام دينها، وتحترم أقارب زوجها وتتحفّظ في علاقتها بالذكور.

= يحتلّون سماء ثقافة الترفيه المعاصر، والذين يقدّمون مثالات - قدوة للنساء والرجال في أيامنا. فتجعل جريدة الحياة اليومية عنواناً مثيراً لخبر إقبال النساء اليابانيات المهنيات على الزواج من رجل أصغر سناً منهن: «اليابانيات يردن زوجاً أصغر سناً» من أجل شراكة رومانسية، جريدة الحياة اليومية، 25/ 9/ 2006.

(6) ومن تجلّيات ذلك تزايد عدد رسائل الدراسات العليا في الجامعات العربية التي يتمّ تلخيصها في الدوريات العلمية، (أبو العينين، 1999)، أو نعلم بوجودها في لائحة المراجع في الدراسات القليلة التي تناولت المسألة. انظر أيضاً حطب الذي رصد رسائل ثمان في غضون سنوات ست في معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية (من العام 1986 إلى العام 2001)، تناولت اختيار الشريك موضوعاً لها، (حطب، 2004).

(7) تشكّلت العيّنة من 109 طلاب و204 طالبات من كليتي التربية والآداب طلب إليهم أن يعيّنوا السمات المرغوبة للشريك المستقبلي، وذلك من بين [illegible] سمة للزوجة، و30 سمة للزوج.

ومن الدراسات التي يلخّصها شحاتة أيضاً دراسة لكوثر ورزق، تناولت الاختيار الزواجي لدى طالبات في إحدى جامعات مصر، حيث تبيّن أن الطالبات يفضّلن أن يكون الزوج المأمول ذا سن مناسبة، وشخصية قوية، حائز على مركز مرموق وذا حال ميسور، من عائلة محترمة، مرتفع الذكاء، حنوناً ويحترم زوجته.

أما دراسة شحاتة، (شحاتة، 1999)، فهدفها تعيين الفروق بين العاملات في المجال الأكاديمي وطالباتهن في السمات المرغوبة للزوج المأمول. إضافة إلى البحث عن الأسباب التي تقدّمها هاتان الفئتان من النساء لفشل خطبة النساء في كلّ من الفئتين. وجاءت نتائج الدراسة الميدانية لتؤكّد ما يلي: إن كلاً من الطالبات والأكاديميات يعزين فشل خطبة الأكاديميات، (وهي أكثر ارتفاعاً من فشل خطبة الطالبات)، إلى كونهن يتّسمن بالطموح والذكاء والتشبّث بالرأي؛ وبأن الرجال يترددون في إقدامهم على الزواج من أكاديميات بسبب تقدّمهن بالعمر، وعدم إجادتهن الأعمال المنزلية. واتصف الزوج المأمول للطالبات بسمات شخصية وعلائقية، (يحترمهن أمام الآخرين، كريم، صريح وجدّي، ملتزم وواسع الأفق)، لكن الاستطاعة المادية كانت السمة الأساسية لشريك الأكاديمية المفضّل.

في الأدبيات اللبنانية الأحدث التي اهتمّت بموضوع عقد الشراكة بين النساء والرجال تبرز دراسة حسان حمدان، (حمدان، 2003)؛ التي تناولت موضوع مواصفات الشريك المفضّلة في إطار البحث عن «المعوقات الاجتماعية والاقتصادية» أمام زواج الشباب الذي ما زالت سن انعقاده ترتفع لدى الجنسين تباعاً، (وفق الدراسات المسحية «الشاملة»، أو الجزئية، المتلاحقة في لبنان منذ العام 1996). وقد خلصت الدراسة الصادرة عن «مركز حقوق المرأة للدراسات والأبحاث» اقتراح خطة لـ«التدخّل الفاعل لمعالجة الأزمات والمشاكل التي تعترض الزواج».

في هذه الدراسة، طُلب إلى أفراد العيّنة ترتيب السمات الأكثر مرغوبية من لائحة من خيارات، وذلك بحسب الأهمية. وقد جاءت نتائج البحث الميداني لتشير إلى أن الشبّان اللبنانيين يرغبون في شريكتهم الأنوثة والجمال أولاً، ويأتي بعدها المستوى التعليمي وقوة الشخصية والاستقلال والأخلاق. وتتراجع قيم الطاعة والاستسلام ووجوب تقديم البائنة (الدوطة). الشابات اللبنانيات، من جهتهن، يطلبن من شركائهن المبدأ الحاسم في احترام المرأة وحقوقها، ويطلبن أيضاً وفاءه للشراكة والتزامه بها،

إضافة إلى مقدرته المادية. يلي هذه المواصفات أهمية المستوى التعليمي، التحلّي بذهنية عصرية، غياب التزمّت، قوة الشخصية، الإيمان بل التديّن!

وبرز الحب العاطفي عاملاً أساسياً في اختيار الشريك، لدى الجنسين. وفيما بقيت قيمة العذرية ثابتة (عذرية الزوجة، بالطبع)، تراجعت قيم أخرى (كون الزوجة من «عائلة معروفة»، مثلاً).

تشير هذه الأبحاث القليلة العدد في الاختيار الزواجي عندنا، والمحصورة في طلاب الجامعات وطالباتها، إلى تجاور السمات التقليدية المرغوبة للشريك والشريكة جنباً إلى جنب مع السمات الشخصية والعلائقية: إذ تشي السمات التقليدية للشريك المفضّل بضرورة التزامه بالمنمّط الجندري المناسب، لكن الطلب على السمات الشخصية والعلائقية للشريك يُنبئ برغبة في عقد شراكة ثنائية بين فردين على قدرٍ من التكافؤ. ومن تجلّيات التجاور المذكور، تطلّب النساء احترام الرجال لحقوقهن وكونه مقتدراً مادياً، في الوقت نفسه؛ كما يظهر التجاور في رغبة بعض الرجال في امرأة متعلّمة وقويّة الشخصية، لكن أيضاً جميلة وشابّة، ، بالدرجة ذاتها.

. . . لكن ما نبحث عنه في هذه الدراسة هو مدى توافق صورة الشريكة في ذهن الشاب المعاصر، مع الصورة التقليدية للمرأة، من جهة، ومع صورة الشابّة المعاصرة لذاتها، من جهة ثانية، لرصد تحوّل محتمل في تفضيل الشاب، والشابّة أيضاً، للشريك المأمول.

. . . هو ما سنعالجه في الفصل القادم.

الفصل الثاني

الشريكة والزميلة: التشابه والتباين

استدعاء صفات الشريك المفضّل

«فتاة الأحلام»، تماماً كـ«فارس الأحلام» - وحصانه الأبيض الشهير- يحملان في تسميتهما ضآلة احتمال وجودهما في الواقع. بين الحلم والواقع، يصوغ الشاب والشابة أوصافاً وتوصيفات للشريك المستقبلي ويعلنان عنها تلقائياً، أو لدى استدعائها في تحقيقات الإعلام الاجتماعي والشبابي، وفي استقصاءات الدراسات القليلة حول الموضوع، عندنا. ويلاحظ المرء أن وصف الشباب للشريك المستقبلي، وتوصيفهم له، يتضمّن تطلّباً واثقاً من احتمال تحقيقه، وغافلاً بعض الشيء عن صعوبة ذلك التحقيق؛ وذلك برغم أن الواقع ثرثار، ويحذّر من خيبة[1] أكيدة في حال ثبات هذه التوصيفات شرطاً ضرورياً لعقد شراكة واقعية.

لسنا غافلين، إذاً، عن محدودية جدوى استدعائنا لوصف الشريك المرتجى لدى الشباب اللبناني. فهذا الوصف، (أو التوصيف)، وكما لاحظ الباحثون الغربيون، ليس عاكساً أميناً للواقع المعاش، ولا ضمانة لشراكة طيّبة. والدراسات الغربية التي تناولت موضوع اختيار الشريك لجأت، في غالبيتها، إلى الشراكات المعقودة فعلاً، سواء في الزواج الرسمي أو في العلاقات بين شريكين غير متزوّجين، وقلّما درست شباباً عزّاباً أو غير مرتبطين بشراكة ما. ويشكّل ذلك المنحى في الدراسات إقراراً ضمنياً بضرورة

(1) ويتمّ التعبير عن هذه «الخيبة» بالنكات الشائعة، السمجة غالباً، التي تتناول الزوجة؛ وحيث إن «العقدة» الرئيسية للنكتة تتمحور، في الغالب، على التفاوت بين واقع الزوجة وبين «فتاة الأحلام» المفترضة. انظر مثلاً على ذلك الزاوية اليومية التي يحررها فريد الخازن في جريدة الحياة اليومية الواسعة الانتشار في العالم العربي.

الاختبار الواقعي- لا الاكتفاء بالأحلام و«فرسانها»- شرطاً لصدق التعبير عن حالة الجاذبية البين- شخصية وعن مقوّمات صمودها. فلا تعدو أوصاف الشريك المأمول أن تكون بعض هذه المقوّمات، لا تفي بغرض الحكم على مآلها.

ونحن طلبنا إلى الشبّان تعيين السمات التي يحبّذ وجودها في شريكته المستقبلية. وغايتنا مقارنة ملامح هذه الصورة بالتصوّر الذي تحمله الشابة لذاتها. وذلك، من أجل رصد حساسية هذا الشاب للتعديل الذي طاول هوية الشابة اللبنانية المعاصرة، ومدى استدخاله لذلك التعديل في مخزون تمثّلاته الجندرية. فإذا جاءت ملامح الشريكة المتخيّلة أكثر شَبَهاً بالصورة التي تحملها الشابة لذاتها، من بروفيل المرأة التقليدية المرغوبة اجتماعياً. . . في هذه الحالة كان لنا أن نستنتج أن الشاب غير غافل عن التغيير الذي أصاب هوية الشابات، زميلاته. والعكس بالعكس. ويمكن تكرار القول نفسه بالنسبة للشابة في علاقتها بالشاب عندنا. هذا الشَّبَه، أو ذلك الاختلاف، نبحث عنهما على خلفية بُعدَي الذكورة والأنوثة وعلى بُعْد ذكورة- أنوثة المحددة جميعها، اختبارياً، في دراستنا الميدانية التمهيدية.

من أجل ذلك، قام كل واحد من المبحوثين في عيّنة الدراسة الميدانية الأساسية بالاستجابة لاستبيان الشريك المأمول، أو المرغوب به- الجزء الثاني من الاستمارة- وذلك بتعيين الدرجة، على سلّم من خمس درجات، التي تقوم بها كلّ واحدة من السمات الأربع والثلاثين بوصف شريكه المستقبلي المأمول، (أنظر ملحق رقم (5)) وقد جاءت النتائج على الشكل التالي:

الصور الثلاث

في ما يلي، جدول يبيّن معامل الارتباط بين صورة الشابة لذاتها، صورة المرأة المرغوبة اجتماعياً وصورة الشريكة، زوجاً زوجاً:

	صورة المرأة النموذجية	صورة الشريكة	صورة الشابة لذاتها
صورة المرأة النموذجية	1		
صورة الشريكة	0,784	1	
صورة الشابة لذاتها	0,391	0,588	1

من بين الصور الثلاث، فإن أكثر تشابهاً هما صورة الشريكة وصورة المرأة النموذجية، (r = 0.784). وصورة المرأة النموذجية، هذه، هي الأقلّ شبهاً بصورة الشابّة لذاتها، (r = 0.391).

فيما تقع صورة الشريكة بين موقعين: بين الشابة في مرآة ذاتها، وبين المرأة المرغوبة اجتماعياً.

يشير ذلك، إلى أن الشاب اللبناني يرغب في شريكة أشبه بالمرأة النموذجية. صحيح أن الشابة المعاصرة لا تشبه المرأة النموذجية كثيراً، لكنها تشبه، بدرجة متوسّطة، الشريكة المأمولة. قد يبدو هذا الكلام غير متساوق؛ لكن تفكيك هذه الصور إلى أبعادها يوفّر بعض الوضوح للمسالة.

الشريكة والنموذج النسائي

كيف تشبه الشريكةُ المأمولةُ صورةَ المرأة المرغوبة اجتماعياً، وكيف تختلف عنها؟

في ما يلي جدول يبيّن مُعامل الارتباط بيرسون Pearson correlation coeficient بين: صورة الشريكة، من جهة، وبين صورة المرأة المرغوبة اجتماعياً، من جهة ثانية، وذلك في الأبعاد الجندرية:

صورة الشريكة / صورة المرأة المرغوبة اجتماعياً	صورة الشريكة- كلّ السمات	صورة الشريكة- سلّم الذكورة	صورة الشريكة- سلّم الأنوثة	صورة الشريكة- سلّم ذكورة أنوثة
صورة المرأة المرغوبة اجتماعياً - كلّ السمات	**0,784			
صورة المرأة المرغوبة اجتماعياً - سلّم الذكورة		*0,665		
صورة المرأة المرغوبة اجتماعياً - سلّم الأنوثة			**0,760	
صورة المرأة المرغوبة اجتماعياً - سلّم ذكورة أنوثة				**0,902

* تعني بأن الصلة ذات دلالة حتى عتبة دلالة 0,05

** تعني بأن الصلة ذات دلالة حتى عتبة دلالة 0,01

الشريكة المأمولة بتصوّر الشاب اللبناني تشبه المرأةَ المرغوبة اجتماعياً بدرجة كبيرة، (معامل الارتباط بين الصورتين هو 0,784).

هذا يعني أنه كلّما كانت السمة مرغوبة اجتماعياً للمرأة، كانت، من وجهة نظر الشاب اللبناني، مرغوبة لشريكته، والعكس بالعكس.

هذه الصلة الوثيقة بين الصورة المرغوبة اجتماعياً للمرأة وبين الشريكة تنخفض قليلاً على سلّمَي «الذكورة» و«الأنوثة»، (0,665 و0,760 على التوالي)، لكن هذه الصلة تقترب من التمام على سلّم «ذكورة- أنوثة»، (0,902). هذا يعني أن الشاب يرغب في شريكة تتمتّع بسمات أنثوية بدرجة أكبر من السمات الذكرية، مستبعداً عنها، بشدّة، السمات التي تصف الرجال دون النساء، عازياً لها، بشدّة، سمات مرغوبة للنساء دون الرجال.

يمكننا القول إن ملامح الشريكة المأمولة التي اختارها الشاب تشبه صورة المرأة النموذجية المرغوبة اجتماعياً. لكنها تتجه لأن تكون منمّطة من منظور «ذكورة- أنوثة» أكثر بكثير مما لو نظرنا إليها من منظور «ذكورة» و«أنوثة» المتعامديْن.

لكن هل تشبه ملامحُ الشريكة المأمولة الصورةَ التي تحملها الشابّة لذاتها؟

الشريكة المأمولة والشابة

في ما يلي، جدول يبيّن معامل الارتباط بيرسون بين الزوج: صورة الشريكة وصورة الذات

صورة الشريكة / صورة الشابة لذاتها	صورة الشريكة- كلّ السمات	صورة الشريكة- سلّم الذكورة	صورة الشريكة- سلّم الأنوثة	صورة الشريكة- سلّم ذكورة أنوثة
صورة الشابة لذاتها- كلّ السمات	*0,558			
صورة الشابة لذاتها - سلّم الذكورة		**0,79		
صورة الشابة لذاتها - سلّم الأنوثة			**0,74	
صورة الشابة لذاتها - سلّم ذكورة أنوثة				0,258

* تعني بأن الصلة ذات دلالة حتى عتبة دلالة 0,05

** تعني بأن الصلة ذات دلالة حتى عتبة دلالة 0,01

تشبه الملامحُ العامّة للشريكة المأمولة الصورةَ التي تحملها المرأة لذاتها بدرجة متوسّطة، ($r = 0.558$). والشَّبَه المذكور هو أقلّ من الشبه القائم بين ملامح الشريكة وملامح النموذج النسائي، كما سبق وذكرنا. هذا الشبه يتجلى، بشكل خاص، على سلّم الذكورة حيث ترتفع قيمة معامل الارتباط بين صورة الشابّة لذاتها وصورة الشريكة إلى 0,8 تقريباً!

هذا يعني أن الشاب اللبناني يحبّذ أن تتسم شريكته بهذه السمات بدرجة متوافقة إلى حد بعيد مع الدرجة التي تعزو الشابة لذاتها سمات الذكورة. أي، كلّما ازدادت درجة مرغوبية السمة الذكرية للشريكة، ازدادت الدرجة التي تعزوها الشابة لذاتها، والعكس بالعكس. على سلّم الذكورة، إذاً، الشبّان والشابات على وفاق كبير.

ويمكن تكرار القول نفسه، تقريباً، بالنسبة لسلّم الأنوثة.

لكن الابتعاد بين الشريكة والشابّة هو الأكبر على سلّم ذكورة- أنوثة، حيث لا علاقة بين درجة عزو الشابات لذواتهن سمات الذكورة الاستبعادية، وبين مرغوبية هذه السمات للشريكة المأمولة.

هذا يعني أن الشاب اللبناني لا يتوافق مع الشابّة اللبنانية في الدرجة التي تعزو لذاتها السمات الذكرية الاستبعادية- تلك المحبّذة للرجل دون المرأة في مجتمعنا. وهو لا يتوافق معها، أيضاً، في درجة عزوها للسمات الأنثوية الاستبعادية.

وفق نتائجنا، يتوقّع الشاب أن تتحلّى شريكته مستقبلاً بسمات أنثوية استبعادية- مرغوبة للمرأة دون الرجل- أكثر بكثير مما تعزو الشابّة هذه السمات لذاتها، وبسمات ذكرية استبعادية أقلّ بكثير مما تعزو لذاتها.

الخريطة الجندرية للشريكة

إذا كانت الشريكة المأمولة للشاب اللبناني تشبه بدرجة متوسّطة الشابة الجامعية، فهل يسعنا أن نقدّم لها وصفاً أدقّ بإزاء درجة تشبّع ملامحها بالذكورة والأنوثة كما جرى تحديدهما في هذه الدراسة؟

توزّعت نسبة الشبّان الراغبين في شريكة من الأنماط الجندرية الأربعة على الشكل التالي:

	الأندروجيني	الذكري	الأنثوي	اللاامتمايز
نسبة الشبّان الراغبين بشريكة من النمط:	%26,9	%6,8	%19,7	%46,8

أي أن الشبّان الراغبين في شابّة أنثوية لا يتجاوزون الـ20%، بل إن حوالي 80% منهم يرغبون في شريكة غير منمّطة. لكنّ وجهة تراجع التنميط في الصورة التي

يحملونها لشريكتهم تختلف. إذ إن الغالبية منهم يرغبون في شريكة رافضة، في تصوّرها لذاتها، أياً من المنمّطين الذكري والأنثوي. يلي ذلك في التفضيل النمط الأندروجيني، أي ذاك الذي تبنّى السمات الأنثوية والذكرية معاً. وتبقى نسبة الشبّان الذين يرغبون في شريكة ذكرية، قليلة جداً.

من منظور شبيه، فإن نسبة الشبّان الذين يرغبون في شابّة ذات أنوثة مرتفعة هي أقلّ من النصف، أي حوالي 47%،

كذلك، فإن نسبة الشبّان الذين يحبّذون شريكة ذات ذكورة مرتفعة تقترب من 34%.

الجدير ذكره أن توزّع نسبة الشبّان بحسب النمط الجندري للشريكة المأمولة لا يتأثّر بالانتماء الديني،

ولا بالانتماء المذهبي،

ولا بالمستوى الثقافي الاجتماعي؛

وهو نفسه في نمطَي الجامعات، (الخاصّة والرسمية)،

وفي نمطَي الاختصاصات (العلمية/ التقنية والإنسانية).

أخيراً، سواءٌ أكان الشاب ابناً لامرأة عاملة في مهنة خارج- منزلية أم لم يكن، فإن ذلك لا يجعله مفضّلاً لنمط جندري دون آخر.

المتغيّر الوحيد المؤثّر في التوزّع المذكور هو السن: فقد أبدى الشبّان الأصغر سنّاً (تحت سن ال21) رغبة أكبر من الشبّان من الفئة العمرية (21-23)، في شريكة منمّطة، (22,2% مقابل 16,9%).

إذا كان هذا هو توزّع «الطلب»، فكيف يقارن بـ«العرض»؟

يبيّن الجدول التالي نسبة الطلاب الراغبين في شريكات من الأنماط الأربعة، مقابل نسبة توزّع الشابات على الأنماط الجندرية الأربعة:

	أندروجيني ↑ (F) & ↑ (M)	أنثوي ↑ (F) & ↓ (M)	ذكري ↑ (M) & ↓ (F)	لامتمايز ↓(M) & ↓ (F)	ذات ذكورة مرتفعة* ↑ (M)	ذات أنوثة مرتفعة* ↑ (F)
النسبة المئوية للشبّان الذين اختاروا شريكة من نمط جندري:	%26,9	%19,7	%6,8	%46,8	33,7	46,6
النسبة المئوية للشابات بحسب صورة للذات من نمط جندري:	28,5	24,7	15,2	31,6	43,7	53,2

* نشير إلى أن الوسيط الذي اعتُمد هنا لتصنيف الذكورة والأنوثة المرتفعتين احتُسب في مجمل العيّنة من الطلاب والطالبات الذين ملأوا استمارة الشريكة / الشريك على التوالي. وهو مختلف، إذاً، عن الوسيط المحتسب لتصنيف صورة الذات للمبحوثين.

التفاوت الأكبر بين «العرض» و«الطلب» يظهر في الفئة اللاامتمايزة، حيث تفوق نسبة الراغبين من الشبّان فيهن نسبة الشابات من هذه الفئة بحوالي 15%،

هذا، وتساوي نسبة الشابات الأندروجينيات نسبة الشبّان الراغبين في شابات يتحلّين بسمات الذكورة والأنوثة المرتفعة معاً،

فيما تفوق بحوالي 5% نسبة الأنثويات على نسبة الراغبين من الشبّان فيهن كشريكات مأمولات.

وتجتمع الفئتان من الشابات، (الأندروجينيات والأنثويات)، على كونهن يتحلّين بأنوثة مرتفعة نسبياً: الشابات ذوات الأنوثة المرتفعة هن أكثر تواجداً بقليل من الشبّان الراغبين فيهن، (53,2 % مقابل 46,6%).

ويمكن تكرار القول نفسه بالنسبة للشابات ذوات الذّكورة المرتفعة: هنا أيضاً تفوق نسبة الشابات ذوات الذكورة المرتفعة نسبة الشباب الراغبين في هذه الفئة من الشابات، (43,7 مقابل 33,7).

ما نقوله يظهر على نحوٍ أكثر وضوحاً في ارتفاع نسبة الشبّان الراغبين في شريكة

«لا متمايزة» (ذكورة وأنوثة منخفضتين)، بحيث تفوق نسبة الراغبين في هذه الفئة نسبة الفئات الأخرى كثيراً، (46% مقابل 27%، 20%، و7 %- كما هو مبيّن في الجدول أعلاه).

شريكة «أقلّ»؟

ما نقوله يشير إلى أن النتيجة الأكثر بروزاً في نتائجنا تتمثّل بالنسبة الأعلى للشبّان الراغبين بشريكة ذات ذكورة منخفضة،(66,5%)، وحيث إن هذه النسبة تفوق نسبة الشابات اللواتي ينتمين لهذه الفئة بأكثر من 10%. ولا يقتصر الأمر على ذلك؛ بل إن نسبة الشبّان الذين فضّلوا شريكة ذات أنوثة منخفضة هي أكثر من نسبة الشابات اللواتي ينتمين لفئة «الأنوثة المنخفضة». هاتان النتيجتان أسهمتا في جعل طالبي الفئة اللامتمايزة للشريكة الأعلى نسبة من بين كلّ فئات الشريكات المأمولات.

نذكّر بأن السمات التي تؤلّف سلّمي الذكورة والأنوثة، والتي جرى تعيين المصنّفات الجندرية الأربعة بإزائها، هي جميعاً إيجابية، وتتمتّع بمرغوبية اجتماعية متوسّطة، على الأقل، للجنسين. من هنا، فإن الفئة اللامتمايزة هي الأقلّ تمتّعاً بالسمات الإيجابية من الفئات كلّها؛ هذا يعني أن أكثرية الشبّان يميلون لإسباغ شريكاتهم بدرجات منخفضة من السمات الإيجابية؛ وذلك مقارنةً[2] بأسلوب العزو للشريك الذي تنتهجه الشابات[3]: الشبّان أقلّ تطلّباً من الشابات في وصفهم للشريك المستقبلي.

ما معنى أن تفضّل الأكثرية الساحقة من الشبّان شريكات على قدر متواضع- نسبياً، (بالنسبة لتطلّب الشابات)، من السمات الإيجابية، ذكرية كانت أم أنثوية؟

نذكّر بأن كلّ مبحوث ومبحوثة في هذه الدراسة ملأ استبيانَيْن: أوّلهما يصف فيه

---

(2) نذكّر بأن توزّع الشبّان على النسب المذكورة قد تمّ حول وسيطي العلامات التي عزاها الشبّان والشابات معاً لشريكاتهم وشركائهن المرغوب فيهن وفيهم (على التوالي).

(3) كما هو مبيّن في الجدول التالي:

	شريكة الشاب	شريك الشابّة
من نمط أندروجيني (أنوثة مرتفعة + ذكورة مرتفعة)	26,9	33,3
من نمط لامتمايز (أنوثة منخفضة + ذكورة منخفضة)	46,6	32,8

ذاته، والثاني يصف فيه شريكه المستقبلي، وبأن نسبة الشبّان اللاامتمايزين هي النسبة الأكبر بين الأنماط الجندرية الأربعة لصورة الذات، (38,8% بالمقارنة مع 26,7 و26,3 و8,3 على التوالي، أنظر الفصل السادس من الجزء الأوّل): النسبة الأكبر من الشبّان ومن شريكاتهم تقع في مصنّف «ذكورة منخفضة- أنوثة منخفضة». يسعنا التكهّن، إذاً، بما يلي:

إن إسناد درجات منخفضة على السمات الإيجابية التي تؤلّف استبيان الشريكة المأمولة إنما يشير إلى أن الشاب لا يرغب في شريكة متفوّقة عليه في سماتها؛ تلك رغبة متناغمة، ربما، مع المعتقدات السائدة التي تفترض وجوب ارتقاء الرجال «درجة» عن النساء. الخفض في درجات العزو لسمات الشريكة يخدم، إذ ذاك، الإعلاء من صورته لذاته. ولا ينفرد الشبّان بهذه الرغبة: فالشابات عزَوْنَ لشركائهن المأمولين درجات أعلى على سلّمي الذكورة والأنوثة، أو على سلّم الذكورة وحده، فجاءت نسبة الشابات اللواتي رغبن في شركاء أندروجينيين أو ذكريين 33,3 و25,5 على التوالي، (58,8% من الشابات يرغبن في شريك ذي ذكورة عالية)، فيما لم تتعدّ نسبة اللواتي رغبن في شريك «لا متمايز» 32%. هذه النسب تشير بوضوح إلى اتجاه لدى الشابات، متكامل مع اتجاه الشبّان ومتوافق معه، يتمثّل بضرورة استواء شريكها على درجة أعلى، بالتناغم مع المعتقدات نفسها.

وتدعم بعض الدراسات الأميركية ما خمّناه أعلاه؛ إذ يعتبر الرجال شريكاتهم أقلّ قوّة منهم، فيما تعتبر النساء شركاءهم أكثر قوّة منهن، (Koroska, 2002).

من يختار من؟

إن النظر إلى توزّع نسب صورة الذات للشبّان مقابل صورة الشريكة، (الجدول أ) وتوزّع صورة الذات للشابة مقابل صورة الشريك، (الجدول ب) على الأنماط الأربعة، يسمح بفحص أدقّ للنتائج المحصّلة:

الجدول أ

	النمط الجندري لصورة الشاب لذاته			
اللامتمايز	الأنثوي	الذكري	الأندروجيني	النمطالجندري للشريكة المأمولة
7,3	22,5	26,1	58,9*	الأندروجيني
2,6	0,0	16,8	5,4	الذكري
17,3	42,5*	16,8	20,9	الأنثوي
72,8*	35,0	40,3*	14,7	اللامتمايز
100,0	100,0	100,0	100,0	

* تشير إلى النسبة الأعلى من كلّ نمط جندري Chi-square = 172.439; P < 0.001

الجدول ب

	النمط الجندري لصورة الشابة لذاتها			
اللامتمايز	الأنثوي	الذكري	الأندروجيني	النمطالجندري للشريك المأمول
9,2	30,6	22,6	63,8*	الأندروجيني
25,9	17,9	58,3*	22,6	الذكري
6,9	15,7	17,9	30,6	الأنثوي
58,0*	35,8*	25,9	9,2	اللامتمايز
100,0	100,0	100,0	100,0	

* تشير إلى النسبة الأعلى من كلّ نمط جندري Chi-square = 199.574; P < 0.001

إن قيمة مربّع كاي Chi Square، في الحالتين أعلاه، ذات دلالة قصوى. يسعنا الاستنتاج وجود علاقة وثيقة بين النمط الجندري لصورة الذات وبين النمط الجندري للشريك المفضّل: إن اختيار الشريك لدى الشبّان، ولدى الشابات، يرتبط ارتباطاً ذا دلالة بصورة الذات. الشاب يرغب في شريكة تشبهه، والشابة أيضاً ترغب في شريك يشبهها.

الثنائي المفضّل

اللافت في هذه النتائج أن النمط الأنثوي من الشريكات هو الأقلّ مرغوبية بين الأنماط جميعاً (باستثناء الشاب الأنثوي والذي لا تتعدّى نسبته الـ8,3% من الشبان في العيّنة). فقط 16,8% من الشبّان الذكريين،(ذكورة مرتفعة + أنوثة منخفضة)، يرغبون في شريكة أنثوية (أنوثة مرتفعة + ذكورة منخفضة). أيضاً، قلّة من الشابات الأنثويات (حوالي 18% فقط) رغبن في شاب ذكري. وتوزّعت تفضيلات هؤلاء بين الشريك الأندروجيني (30,6%) واللاامتمايز (35,8).

بالنسبة للشبّان المُتمَاهين بالنموذج الذكري، فإن «رجل ذكري- امرأة أنثوية» ليس الثنائي المفضّل لديهم.

كذلك، فإن «امرأة أنثوية- رجل ذكري» ليس الثنائي المفضّل لدى الشابات الأنثويات.

التنميط الجندري في صورة الذات لدى الشبّان والشابات لا يستتبع تنميطاً في تفضيلاتهم في الشراكة. هذا يعني أن النساء الأنثويات والرجال الذكريين، وبرغم تماهيهم مع النموذج الجندري المرغوب اجتماعياً، يميلون لتفضيل شريك غير منمّط.

وهي نتيجة تبدو غير متوافقة مع المعتقدات الأوّلية لمسألة اختيار الشريك حيث يُتوقّع أن ينجذب الرجال والنساء المنمّطون بعضهم إلى بعض. والأبحاث المعاصرة في «اختيار الشريك» قد وجدت نتائج متباينة في هذا الصدد: بعضها توصّل إلى أن صورتَي الشريك والشريكة لا تزالان تعكسان الفروق الجندرية التقليدية، (Koroska, 2002)، فيما يؤكّد بعضها الآخر أن لا دلائل تشير إلى أن المنمّطين من النساء والرجال يختارون بعضهم بعضاً، (Huston and Geis, 1993).

وتشير بعض الدراسات التي نفّذت، من منظور ثقافي، إلى أن زواج المنمّطين يترافق مع تراجع التواصل في ما بينهم ويخرّب الرضا في العلاقة. والثنائي التقليدي، «امرأة أنثوية- رجل ذكري»، لا يتمتّع طرفاه بالرفاه الزوجي؛ بل إن النساء والرجال في هذا الثنائي يستخدمون استراتيجية «الخداع» في مرحلة الاختيار، فيقوم الرجال بتضخيم قدراتهم في الحصول على الموارد، وتقوم النساء بتضخيم جاذبيتهن الجنسية. . . من أجل جذب الشريك. والمفارقة تكمن بأن تلاقي المنمّطين مناسب للانجذاب الأوّلي، لكنه مدمّر للعلاقة الدائمة بينهما. وقد بيّنت بعض الأبحاث التي حاولت رصد نوعية

العلاقة القائمة بين هؤلاء، من زاوية الزوجات تحديداً، أن هؤلاء غير مكتفيات في حياتهن، غير قادرات على السيطرة على مجرياتها، لا يتوقعن أن يكنّ سعيدات، ويشعرن بأن أزواجهن لا يبادلون حبهن لهم بالدرجة ذاتها، ويصفن حياتهن الجنسية سلبياً، وبأنها غير مُشبعة، (Ikes, 1993).

هذا، ويقدّم فيني ونوللر تعليلاً لإخفاق الكوبل التقليدي: ففي حين تتمّ تنشئة الإناث لتثمين القرب الانفعالي، تقوم تنشئة الذكور على تثمين الاستقلالية. إن الامتثال الأقصى لهذه المنمّطات يدمّر نوعية العلاقة بين الاثنين من وجهة نظر كلّ منهما: تُبدي المرأة انشغالاً بالمسائل المتعلّقة بالعلاقة وقلقاً حول نوعيتها، لكن الرجل، من جهته، لا يشعر بالراحة مع الحميمية المترتّبة عن هذا القلق وذلك الانشغال، (Feeny and Noller, 1996).

الشريك الشبيه

قلنا إن النسبة الأكبر من الشبّان والشابات يحملون لذواتهم صورة غير منمّطة وكذلك هي تفضيلاتهم لشركائهم:

النسبة الأكبر من الأندروجينيين (58,9%) من الشبّان يرغبون في شريكة أندروجينية،

الأندروجينيات من الشابات رغبن في شركاء أندروجينيين بدرجة أولى، (63,8%).

72,8 % من اللامتمايزين، وهي الفئة الأكبر من الشبّان في عينتنا، فضّلوا شريكة من الفئة ذاتها، وكذلك فعلت اللامتمايزات اللواتي فضّلن شركاء من الفئة ذاتها، (58%).

اللافت أن الرجال الأنثويين - وهم قلّة ضئيلة- رفضوا كلّهم الشريكة الذكرية (صفر%)، وتوزّعوا بين راغبين في شريكة أنثوية وفي شريكة لامتمايزة.

من جهتهن، فإن الشابات الذكريات - ويمثّلن أيضاً النسبة الأقل من بين الفئات- فضّلن الرجال الذكريين.

ما يجتمع عليه هؤلاء، على تنوّع أنماطهم الجندرية، هو رغبتهم في شريك شبيه بهم. هذه الرغبة في الشبيه هي واحدة من النتائج الأكثر بروزاً في أبحاث موضوع «اختيار الشريك». على أن التشابه المذكور قلّما تناول المسألة التي نحن بصدد البحث

عنها، بل هي نتيجة تتكرر في الأبحاث التي ترصد شروط الشراكات القائمة فعلاً. وتشير نتائج هذه الأبحاث، في تواتر ملحوظ، إلى أن الناس يتجهون لاختيار شركاء شبيهين بهم في مدى واسع جداً من المميّزات الخارجية phenotopic والمتوارثة genotopic التي تشتمل على العرق والدين والطبقة الاجتماعية، مستوى الذكاء والاتجاهات الشخصية والسياسية والقيم الأخلاقية والاهتمامات وأساليب الحياة، والسلوك من مثل التدخين واحتساء الكحول، بل في الصفات الجسدية كالطول والوزن ولون العينين!!!، وحيث يعقد الجذابون جسدياً شراكات مع جذّابين جسدياً، ومع أشخاص قريبين منهم في السكن والمهنة... وأن ذلك ينطبق على النساء والرجال[4]، بل إن انتشار التزاوج المتجانس يشير إلى واحدة من أهم النتائج البحثية في علم نفس التزاوج الإنساني (Buss and Barnes, 1986). ولا تزال هذه النتائج تتكرر في المسوحات الشاملة في الولايات المتحدة، مثلاً. ويشير جِبْسِن وجِبْسِن إلى أن المسح الشامل للعام 1990 في الولايات المتحدة أكّد الانتشار المذكور؛ وينطبق ذلك على معظم السمات ولكلّ أنماط الشراكة، (شريكين من جنسيْن مختلفيْن أو مثلييْن، متزوجيْن أو متساكنيْن أو متواعديْن بشكل مستمر إلخ)، (Jepsen and Jepsen, 2002).

يسعنا، إذاً، أن نضيف إلى قائمة المتشابهات بين الشريكيْن، غير المنمّطيْن خاصّة، التنميط الجندري:

يميل الناس لاختيار شركاء يشبهونهم في تبنيهم، أو لدى رفضهم، للأدوار والتوصيفات الجندرية لذواتهم.

الذكورة والأنوثة في الشراكة

تشير بعض الدراسات في «اختيار الشريك» إلى أن موضوع الشراكة يستدعي لدى الناس، نساء ورجالاً، حالة انفعالية ترتبط بالوضعية «الرومانسية»؛ هذه الوضعية تصنّف «أنثوية» في المصنّفات المعرفية لدى الناس، وتنسب إليها وإلى أشخاصها أوصاف ومميّزات أنثوية.

---

(4) لكن وكما أثبتنا سابقاً فإن الجنسين يختلفان، في موضوع اختيار الشريك، في مسألتين: المرأة تتجه لاختيار شريك أكبر منها سناً وذي مكانة مستقرّة مادياً. والرجل يتجّه لاختيار شريكة أصغر سناً وتتمتع بالجاذبية الجسدية.

إن تأمّل الدرجات التي تُعزى فيها السمات للشريك عامّة، والفروق بين هذه الدرجات للشريك والشريكة المأمولَيْن، يشير إلى ما يلي:

الشريك والشريكة يشتركان معاً في عشر سمات من أصل أربع وثلاثين. هذه السمات هي التالية:

سهولة في التعبير عن العواطف،

تفهّم لوجهة نظر الآخرين،

قناعة،

تضحية،

إخلاص،

لطف،

تواضع،

قناعة،

ميل للمرح،

واستعداد للنجدة،

وحيث إن ثماني سمات منها هي أنثوية[5]، وأكثرها يحيل إلى العلاقة مع آخر. وقد وجد آنتِل (نقلاً عن آيكس)، أن الرضا الزواجي يعتمد على الدرجة التي يظهر فيها الشريك سمات علائقية كالحضن والعناية والحنان والتعاطف واللطف والتفاني إلخ، (Ikes, 1993).

تلتقي هذه النتيجة، جزئياً، مع نتائج بعض الدراسات الترابطية التي تشير إلى أن الرضا الزواجي يمكن التنبؤ به، وبشكل حصري بدرجة «أنوثة» الشريك: فالرجال يكونون أكثر سعادة إذا تزوّجوا من نساء ذوات أنوثة عالية (أندروجينيات أو أنثويات)، بالمقارنة مع الرجال الذين تزوّجوا من نساء ذوات أنوثة منخفضة (ذكريات أو لامتمايزات). النساء يصرّحن، أيضاً، عن رضا أكبر إذا ما اتسم أزواجهن بأنوثة عالية. فالتوافق الزواجي، وفق تصريح شركاء في دراسات عدّة، أكثر وجوداً في الزواجات التي يكون فيها الشريكان متمتّعَيْن بأنوثة عالية، حيث يبدي فيها الطرفان درجة عالية من

(5) عدد السمات الأنثوية بمجملها هو ثلاث عشرة

االتواصل والارتباط (الحضن، الدفء، الالتزام بالآخر، التعاطف، اللطف، الرقّة). بالمقابل، لا صلة توجد بين ذكورة أي من الزوجين وبين الرضا الزواجي، (Ikes, 1993).

يشترك النساء والرجال في رغباتهم في شريك يتسم بسمات انبساطية وبكونه «حسن المعشر» ("he or she is "fun"). ولعلّ «ميل للمرح»، وهي سمة ذكرية في مجتمعنا تؤدّي المعنى نفسه المتضمّن في «العشرة الحسنة»، (Jackupack et al, 2002)[6].

لكن درجة المرغوبية لهذه السمات ليست الأعلى. صحيح أن الشريكات والشركاء يتمتعون بها بالدرجة ذاتها، لكن ليس بدرجة كبيرة.

ولو نظرنا إلى الأنماط الجندرية التي ينتمي إليها الشريك والشريكة المأمولَيْن، لوجدنا هيمنة للذكورة بوجهيْها السلبي أو الإيجابي، بحسب الحالة:

أكثرية الشبّان يستبعدون مكوّناتها لدى وصف شريكاتهم، وأكثرية الشابات يُسبغنها بدرجة عالية على شركائهم: فحيث يعزو 46,5% من الشبّان «أنوثة مرتفعة» إلى شريكاتهم، فإن 66,3% من هؤلاء يفضّلون ذوات الـ«ذكورة منخفضة». وهو ما يشير إلى ميل لدى الشبّان للاستحواذ على السمات الذكرية تعزيزاً، ربما، لتميّزهم عن شريكاتهم.

وحيث تعزو 41% من النساء «أنوثة مرتفعة» لشركائهن، (و59% منهن، إذاً، يرغبن في رجال ذوي «أنوثة منخفضة»)، فإن نسبة أكبر بكثير منهن 69,8% أبدين رغبة في شركاء ذوي «ذكورة مرتفعة».

إذا كان الرضا الزواجي يرتبط، بحسب بعض الدراسات الأجنبية، بأنوثة كلّ من الشريكين، فإن شبابنا الذين طلب إليهم تعيين الملامح الأكثر بروزاً في شركائهم المأمولين أبدوا حساسية مختلفة. نشير إلى أننا نقارن موقعَي الأنوثة والذكورة وضعيتين

---

(6) أما الاستعداد للنجدة، السمة الذكرية التي تبدو خارجة عن السياق الرومانسي، فهي، واقعاً ليست كذلك. ويكفي متابعة نهايات أفلام الرومانسية ذات الطابع السندريللاوي (نسبة إلى سندريللا)، التي يعبّر فيها الطرفان عن رغبتهما في قيام الآخر بـ«نجدته» - وفيلما Pretty Woman, Sabrina الأميركيان هما مثلان من نسخ حديثة منها. ونحن كنا قد قدّمنا تحليلاً تفصيلياً لبعض السمات المسبغة على الشريك والشريكة المأمولة في دراسة سابقة، (بيضون، 2004).

مختلفتين من الشراكة: ففي الدراسات المثبتة أعلاه تمّ رصد الصلة بين «الرضا الزواجي» وعلاقته بأنوثة وذكورة الشريكين المرتبطيْن بعلاقة قائمة فعلاً، لكننا نتكلّم هنا عن تصوّرات للشريك المستقبلي الافتراضي. يبقى أن الطلب إلى الشبّان والشابّات وصف ملامح شركائهم لم يستثر لدى أكثريتهم مناخات أنثوية يثيرها، في العادة، ترابط رومانسية الشراكة المفترض بتلك المناخات.

حساسية مركّبة؟

على ضوء التفضيلات المركّبة للشراكة التي استعرضناها أعلاه، هل يسعنا رصد حساسية الشاب اللبناني للتحوّلات التي تختبرها الشابّة، زميلته الجامعية، في تصوّرها لذاتها؟

الإجابة عن السؤال الذي طرحنا، هي أيضاً مركّبة:

من منظور نظرية الأندروجينية، القائمة على تعامد مفهومي «الذكورة» و«الأنوثة»، واستقلال الواحد منهما عن الآخر، تبيّن أن الشابات ما عُدْنَ ملتزمات بالنموذج النسائي المحبّذ، حصراً. من هذا المنظور، يعبّر أكثرية الشبّان، هم أيضاً، بعزوفهم عن شريكة منمّطة- ملتزمة بالنموذج المذكور. ويسعنا، إذ ذاك، أن نستنتج أن الشاب اللبناني غير غافل عن بروز هويّة نسائية جديدة، وأن ملامح هذه المرأة المعاصرة تشبه، وإن بدرجة متوسّطة، ملامح فتاة أحلامه.

من منظور «ذكورة- أنوثة»، حيث يقع مركّب «الذكورة» على طرف المتصّل continum، نقيضاً لمركّب «الأنوثة»، وبمواجهته. . . . من هذا المنظور، يرغب الشاب اللبناني في شريكة على درجة عالية من التنميط، والفجوة بين صورة الشريكة وصورة الشابة، زميلته الجامعية، لذاتها على درجة عالية من الاتساع.

هذا، والشبّان اللبنانيون متوافقون، في ما بينهم، على ملامح صورة شريكتهم: فلا يختلف المسيحيون عن المسلمين[7]،

ولا المنتمون إلى طبقات اجتماعية ثقافية عليا عن الذين ينتمون إلى طبقات أدنى،

ولا يتأثّر الشاب بكون أمّه عاملة في مهنة خارج- منزلية أم لا. . إلخ.

---

(7) نذكّر بأن توزّع الأنماط الجندرية لهؤلاء الشبّان اختلف بحسب انتماءاتهم الطائفية، لكن تفضيلاتهم لشريكاتهم لم تختلف بحسب الطائفة.

يختلف هؤلاء الشبّان في ما بينهم في حالتين فقط:

الأولى: الأصغر عمراً يرغبون في شريكة أكثر شبهاً بالمرأة النموذجية من الأكبر عمراً[8]،

الثانية: الشبّان يختلفون، في تفضيلاتهم، اختلافاً ذا دلالة تبعاً للمنّمط الجندري الذي ينتمون إليه، وبالتناغم التام معه.

أن يختلف الشبّان في تفضيلاتهم المتعلّقة بالشراكة العاطفية تبعاً لانتماءاتهم المختلفة أمر متوقّع، وذلك بحسب النتائج المتراكمة في الدراسات حول الموضوع. هذه الدراسات توصّلت، مثلاً، إلى أن الشاب الأصغر عمراً هو أكثر تنميطاً سواء في تصوّر الذات، أو في تصوّر الشريكة، وهذه النتائج تتطابق مع نتائجنا. ومن هذه النتائج، أيضاً، أن الانتماء لفئات وثقافات تعزز الفردية لدى أشخاصها يفضي إلى تجاوز أكثر ملموسية للمنمطات الجندرية. وهذه النتيجة تصحّ في نتائجنا بالنسبة للشابّات، لكنها لا تصحّ لدى الشبّان، (Spence and Helmreich, 1978; Koroska, 2002).

لكن نتائجنا لا تتسمّ بالبساطة نفسها. ولعلّ عدم اندراجها في سياق بسيط من طبيعة المرحلة التي تمرّ بها مجتمعاتنا التي تشهد تحوّلات كبيرة، (وحيث إنّ أدوار المرأة ومكانتها من بعض هذه التحوّلات). هذه التحوّلات باعثة على قلق غير قليل في «نفوس» الشبّان، في تصوّراتهم لذواتهم، وفي القيم الملحقة بها، لعلّ سيادة الفئة اللامتمايزة بينهم، التي اتصف افرادها بتقدير ذات منخفض، من بعض علائمها. هذه القيم الملحقة بذواتهم يؤثّر في وجهتها غير الإيجابية التهميشُ المتزايد الذي يختبره الشبّان عن مجريات العالم الحالي. التهميش هذا، يُعاش نفسياً في إطار ما يعرف في علم النفس الاجتماعي بـ«الحرمان النسبي» اللاحق بهؤلاء الشبّان من جرّاء مشاهداتهم للامتيازات التي ينعم بها «الآخرون»، (الأكثر يسراً، الغرب إلخ)، الذين لا يكفّون عن استعراضها موضوعاً لشهوة الآخرين. هذا الاستعراض، الذي يزداد إلحاحاً مع انتشار وسائل الإعلام، يبعث في الشباب عندنا شعوراً بـ«الهدر النفسي» المتزايد. وهو هدر يتعرّض الشباب له من جرّاء الاستبداد المستأثر بالسلطات وبالموارد المختلفة، وبطبيعة

(8) هذا بالرغم من أن الفئتين العمريتين المدروستين تتوزّعان بالطريقة ذاتها على الأنماط الجندرية الأربعة.

هندسة الحياة المعاصرة التي تستثني منها 80% الناس، أغلبهم من الشباب، (حجازي، 2005، 201-240). تبدو، إذاً، الحالة العامّة الموصوفة ذات تأثير غالب، قياساً على الفروق التي تميّز بين الشبّان ذوي الانتماءات الأخرى.

لكن ما علاقة ما نقول بالمنحى المركّب الذي يأخذه تفضيل الشريكة؟

نحاول الإجابة هكذا:

صحيح أن أكثر الشبّان لا يرغبون في شريكة منمّطة، لكنّ وجهة تراجع التنميط، كما ذكرنا، تجعل من هذه الشريكة في مرتبة «أقلّ» منهم. والرغبة في شريكة «أقلّ» هي الغامرة، (أكثر من 66% من الشبّان)، والأكثر بروزاً لدى الشبّان اللاامتمايزين، (أكثر من 72% من هذه الفئة)... هؤلاء هم الأقل اعتباراً لذواتهم. ويعزز أهمية هذه النتيجة أن الشاب الأندروجيني، الأكثر اعتباراً وتقديراً لذاته، يتجه لتفضيل شريكة أندروجينية مثله، أي ذات تقدير عال لذاتها. كأن هؤلاء الشبان، لدى تفضيلهم شريكة «أقل» يجعلون ذواتهم، بالمقارنة، في مرتبة عليا في واحد من المجالات القليلة التي ما زالوا يملكون فيها سلطة ما- الاختيار العاطفي. وكأن تفضيل شريكة كهذه يمنع عنهم التهديد لذواتهم «الهشّة»، (المهمّشة/ المهدورة في العالم المعولم)، في الحيّز الذي بقي خاصّاً، حيّز الشراكة العاطفية.

الشاب اللبناني يتوزّع على الأنماط الجندرية الأربعة بطريقة تابعة، أساساً، لانتمائه الطائفي،

لكن اختياره لشريكته ليس تابعاً لانتمائه الطائفي؛ فلا نجد نمطاً من الشريكات المأمولات مفضّلا لدى طائفة دون أخرى.

والشاب اللبناني يُبدي تفضيلاً مركّباً لشريكته...

هل هناك صلة بين انتماءاته وتفضيلاته وبين معتقداته حول المرأة والرجل وحول أدوارهما؟

... هو ما نعالجه في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

الجزء الثالث

«هي تطبخ... هو يقرأ»[1]؟
المعتقدات نحو المرأة والرجل

«... في الشرق نجد المرأة في رقّ الرجل، والرجل في رقّ الحكومة، وحيثما تتمتّع النساء بحريتهن الشخصية يتمتّع الرجال بحريتهم السياسية، والحالتان مرتبطتان ارتباطاً كلياً»

(قاسم أمين، 1900)

مصلح نهضوي

(1) استعارة عنوان كتاب إلهام كلاب، (كلاب، 1983).

الفصل الأوّل

التعصّب الجنسي(*)
(التمييز ضد المرأة)

توطئة

حين نتكلّم عن التمييز، أو التعصّب، ضد المرأة في مجتمعنا اللبناني، ينبري البعض ليدحض وجود أي منهما، مستعيناً بأمثلة من نساء بارزات في المجال العام حجّة «دامغة» لتراجع التمييز والتعصّب ضد النساء في زمننا المعاصر. ولا يخفى أن نسبة هؤلاء النساء البارزات- ذوات الامتيازات الاجتماعية والثقافية- ضئيلة. وهو ما تشي به المؤشّرات الجندرية في تقارير الأمم المتحدّة ومنظماتها والتقارير الرسمية والأهلية حول أوضاع المرأة اللبنانية[2]. والأمر المفارِق أن هذه الضآلة هي المسؤولة، تحديداً، عن الانطباع الخاطئ المتمثّل بتراجع التمييز ضد المرأة؛ إذ إن تعميم ظاهرة تصف قسماً من النساء على مجموعهن، يندرج في إطار ما يدعى بغلبة «الحدث الباهر»، المخالف للصورة السائدة للمرأة، على الأحداث الأخرى؛ وحيث إن استثنائية ذلك الحدث تُسبغ على الظاهرة حيوية وراهنية لتولّد، بذلك، وهماً بعمومية انتشارها.

لكن التمييز ضد المرأة في مجتمعاتنا ماثل أمام من له «عين ترى وأذن تسمع». ولا ننسَ أننا نرى بعدسات غير حيادية، وأن ما نسمعه يمرّ بمصفاة معرفية خاصّة بنا. فمعالجة المعلومات الحاصلة في سياق تأويل عالمنا تتمّ بمفردات من بنيتنا المعرفية،

(*) ترجمة لمصطلح sexism، وذلك اقتداء بالترجمة المعتمدة لدى باحثين عرب تناولوا الموضوع، وأبرزهم عبدلله في (عبدلله، 1997).

(2) أنظر، مثلاً، التقرير الرسمي الثالث لـ«اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة»، الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية، بيروت، 2006.

واتخاذها المعنى المحدد، إنما هو دالّة فرضياتنا و«نظرياتنا» الخاصّة - ترسيماتنا المكتسبة والمتمثّلة، في هذه الحالة، بالمنمّطات التي تصوغ التوقّعات schemas المتعلّقة بالجندر. هذه التوقّعات، وتلك المنمّطات، ترسي القاعدة المعرفية لما ما يراه البعض تمييزاً أو تعصّباً ضد المرأة، لكنها تبقى غير منظورة بالنسبة للبعض الآخر لأنها تبدو لهم «من طبيعة الأمور». هكذا، يبقى تجاوز المنمّطات بالنسبة للفئة الأولى، (من يعتقد بشيوع التمييز ضد المرأة)، استثنائياً ولا ينفي القاعدة الأعمّ المتمثّلة بشيوع التمييز ضد المرأة، لكنه يمثّل بالنسبة للثانية، (من يرى مظاهر التمييز من طبيعة الأمور)، دليلاً على تغيّر حال النساء، وتراجع التمييز ضدهن.

ولا ننسَ الاعتقاد الشائع بـ«عدالة الدنيا». فالناس يستأهلون، وفق هذا الاعتقاد، ما يحصل لهم، ويحصل لهم ما يستأهلون تماماً. فإذا وقعت المرأة تحت وطأة التمييز فلأنها جلبته لنفسها، وهو، تبعاً لذلك، مناسبٌ لها تماماً! (Dodd, et al, 2001).

ويرى وايتهِد أن التمييز ضد المرأة، وخلافاً للشائع، لا تختص به المجتمعات غير الصناعية، ولا المجتمعات في طور النموّ. إذ «لا يزال الرجال، في كلّ المجتمعات، الفئة الجندرية الحاصلة على الامتيازات في أكثر المجالات. صحيح أن النسوية أثّرت بطريقة كبيرة على ذاتيات ملايين النساء وكثير من الرجال. لكن من يظن أنّ بضعة عقود من التفكير والنشاط النسويَّيْن يسعها تقويض قرون من التمييز الراسخ، ومن التنميط والتحيّز الشائع ضد النساء... من يظن ذلك لا يعيش في هذا العالم الواقعي... فحين نُسأل عن مدى تقديرنا للمرأة، لا كموضوع جنسي، ولا باعتبارها من يقوم بالأعمال المنزلية، ولا كَيَدٍ عاملة صناعية رخيصة، إنما كـ«فرد» يمارس السلطة في مجالَي العام والخاص، وحين تأتي الإجابة «تماماً كالرجل»، في كلّ موقع جغرافي وثقافي في العالم، يسعنا القول إننا أصبحنا في عالم ما بعد النسوية» (Whitehead, 2002, 3).

التعصب الجنسي sexism

ما هو؟

يعرّف التعصّب الجنسي بأنه ضرب من التعصّب prejudice يتمثّل في اتخاذ مواقف سلبية حيال النساء كجماعة، وحيال أدوارهن الاجتماعية والسمات الشخصية التي يتعيّن عليهن التحلّي بها. ويتجلّى هذا التعصّب في المجتمعات البطريركية بطُرُقٍ عنيفة، أو أخرى رهيفة، في الوقت نفسه، وتتغيّر مظاهره بحسب الزمان والمكان. ومن مظاهره

في البلدان الصناعية، مثلاً، القيود والحواجز غير المرئية التي تقف عائقاً أمام النساء في سبيل وصولهن إلى مواقع القرار في مؤسسات المجتمع؛ وذلك، لا لعلّة فيهن تمّ إثبات وجودها، بل لأنهن «نساء»، وتبعاً لتنميط شائع بشأن «طبيعتهن»، تمّ الاحتكام إليه ونفّذ، بموجبه، استبعادهن عن تلك المواقع. هذا فضلاً عن التحرش الجنسي الذي يتعرّضن له في أماكن العمل والعنف الأسري على أشكاله.

ففي حين تراجعت في هذه المجتمعات المظاهر الفجّة للتعصّب ضد النساء، إلا أنها لا تزال ماثلة في ضروب من السلوكات الرهيفة تنطوي على تمييز وعدوانية مصغّرتين microbehaviors and microaggressions، لا يستطيع المرء التأكّد من كونها إشارة إلى حساسية مبالغ فيها من قبل المتلقّية- موضوع التعصّب، أم أنها عدوانية «غير واعية» من قبل مصدر الإشارة. وتقدّم بايكر أمثلة على ذلك، من النكات والتعليقات، أو حتى في واقعة افتراض أن العاملة في فريق من الباحثين، مثلاً، هي من يحضّر القهوة لزملائها لأن ذلك من «طبيعة» مهامها، (Baker, 2001).

أما في مجتمعاتنا العربية، فإن مظاهر التعصّب الجنسي أكثر فجاجة. من هذه المظاهر، مثلاً، إطلاق الصفات المحقّرة لقدرات النساء العقلية والأخلاقية المبثوثة في المعتقدات والأمثلة الشائعة[3]، وفي وجوب السلوك الذي يتعيّن على الرجال، وأولياء الأمر عليها، أن يتبنّوه لدرء نقصانها في هذين المجالين. ويشتمل ذلك على تقييد حرية حركة النساء، ومراقبتهن وفرض أشكال لباسهن، واحتكار اتخاذ القرار في أكثر ما يتعلّق بشؤونهن. بل، أيضاً، في القواعد المتضمّنة في وجوب حماية المرأة وإعالتها و«سترها». هذه جميعاً تسوّغ لموقع المرأة الدونيّ في السلّم الاجتماعي وفي المكانة الاقتصادية والمواقع السياسية ومناحي الحياة جميعاً، وتعمل على إعادة إنتاجه. لكنها تسوّغ، وبشكل خاص، للتمييز اللاحق بها في القوانين التي تنظّم الحياة الأسرية والعامّة سواء بسواء.

---

(3) هذه الأمثلة لا تزال قيد التداول، دونما حرج كبير. فمن بين التمارين الرائجة في ورش العمل التدريبية التي تهدف إلى تقديم مفهوم «الجندر في التنمية»، تمرينٌ يُطلب فيه إلى المتدربين والمتدرّبات - هم غالباً من الشباب والشابات- رصد الأمثال الرائجة المتعلّقة بالمعتقدات وبالاتجاهات حيال النساء والرجال في منطقتنا العربية؛ هذه الأمثال ينطوي أكثرها على تبخيس لقدْر المرأة وقدراتها، (ملاحظة مباشرة من الكاتبة في ورشات التحسيس الجندرية التي شاركت فيها مدرّبة أو ملاحظة).

بُغض النساء

في الأدبيات التي تناولت التعصّب الجنسي، ميّز الباحثون بين هذا التعصّب و«بغض النساء». فهذا الأخير يصف مشاعر أكثر شمولاً، وأكثر رسوخاً في البُنى الذهنية والمعرفية والانفعالية للأشخاص. وهو يتجلّى، بشكل خاص، في الأساطير وفي أكثر الأديان، وغيرها من التعبيرات الثقافية الاجتماعية الدالّة على عمق هذا البغض ورسوخه، (Williams, 1992, 1-15).

ويتستّر بُغض النساء في المجتمعات البطركية، برأي بعض النسويات، خلف نقيضه- الحب. وتصوغ كريستيان استعارة من حالة قصوى لبائعة الهوى، تعبيراً صارخاً عن حب الرجال للنساء القائم على بغضهن. فالرجال يولّدون الشروط التي تفضي إلى وجود بائعة الهوى، ويقوم القوّادون، الرجال، بالمتاجرة بها، ويستفيد الرجال من خدماتها، لكن الرجال يقومون، أحياناً، بقتلها بحجّة أنها داعرة ومكروهة! فالنساء تمّ «إنشاؤهن»، برأي كريستيان، بطريقة مماثلة، وحددت لهن مكانتهن، وكن مواضيع لاستغلال الرجال وتعنيفهن، ومن ثمّ حبهن أو كرههن أو التخلّي عنهن. . . . بحسب ما يجده الرجال مناسباً، (Christian, 2004).

وترى ساندرا بِمْ، (Bem, 1993)، الباحثة الرائدة في علم نفس الجندر- أن التعصّب الجنسي محصّلة أطر اجتماعية ثلاثة: التمركز القائم حول الرجل androcentrism، التقاطب الجندري gender polarization، والأصولية البيولوجية biological essentialism.

ما المقصود بالتمركز القائم حول الرجل؟

يُفضي التمركز القائم حول الرجل إلى تعيين الرجل معياراً يتم الحكم على النساء تبعاً لابتعادهن أو قربهن منه. هكذا، فإن الأنثى ليست سوى انحراف عن الذكر. ولعلّ نظرية فرويد في تشكّل الهوية الأنثوية لدى الطفلة الصغيرة من أهم الأمثلة في علم النفس على ما نقول. فـ«حسد القضيب» هو شعور يجتاح الطفلة في لحظة محورية في تشكّل هويتها الجنسية. ومشاعر الدونية الملتحقة به تمهّد للقبول بخصائها (أي القبول بكونها ليست ذكراً، وبدونيتها النفسانية والأخلاقية والاجتماعية من جرّاء لاذكريتها). ولا يشتمل ذلك على جنسانيتها الغيرية heterosexuality فحسب، بل أيضاً على دافعيتها للإنجاب- أمومتها، حيث إن الرغبة بالإنجاب لا تتعدّى كونها الرغبة بـ«الصبي»

الذي يمتلك قضيباً ويعوّض عنها، بالتالي، القضيب «المفقود». بل إن الأنثى، وبرأي فرويد، قلّما تتخطّى مشاعر «حسد القضيب» هذه، مما يجعل الأنثى السويّة- القابلة بخصائها، أي بكونها ليست ذكراً- واقعة نادرة الحدوث، (Freud, 1925).

ما هو التقاطب الجندري؟

أما التقاطب الجنسي/ الجندري فيشير إلى تعريف للجندر، (أي الوجه الاجتماعي - الثقافي للانتماء لواحد من الجنسين البيولوجيين: الإناث والذكور) بوصفه عبارة عن قطبين متضادّين على أبعاد الشخصية. فيُمسي فهم معنى الواحد منهما بـالمخالفة by contrast مع الآخر ضمناً، إن لم يكن صراحة:

فحين نقول إن الرجال أقوياء، فإن قولنا ينطوي على أنهم أقوى من النساء، (بدل أن يعني ذلك أنهم أقوى من الأرانب، مثلاً). وإذا أظهر الرجل ضعفه أو هشاشته في ظرف معيّن، فإن ذلك مصدر تشويش على ذكورته لأنه قام بسلوكات أنثوية مناقضة لـ«طبيعته». وإذا ناضلت النساء من أجل تحقيق المساواة بينهن وبين الرجال، اعتبر ذلك النضال، ضمناً أو صراحة، على أنه موجّه ضدّ الرجال، المقرّبين خاصّة- الآباء والأشقاء والأزواج، وزملاء العمل... إلخ- وبأنه يهدف إلى سلبهم امتيازاتهم.

هذا، ويُسبغ لقب «كارهات الرجال» على النساء اللواتي رفعن الصوت عالياً ضد التمييز اللاحق بالمرأة. إن إطلاق هذا اللقب هو من ضمن استراتيجية الهيمنة التي تتوسّلها السلطة الرجالية لتدعيم سلطتها. هذه الاستراتيجية نجحت في فرض الصمت على النساء تفادياً للوصمة الناجمة عن وصفهن بـ«كارهات للرجال»، (Christian, 2004).

ما هي الأصولية البيولوجية؟

أخيراً، تتأسس الفروق القائمة بين الرجال والنساء، بالنسبة للأصولية البيولوجية، على البيولوجيا أو الطبيعة الإنسانية، وعلى تغييب العوامل الاجتماعية والثقافية والتاريخية لفهم هذه الفروق. ونجد في خطاب المتعصّبين جنسياً ضد النساء أمثلة لا نهاية لها من الحتمية البيولوجية التي «فطرت» المرأة على طبائع وميول ومهارات وغرائز، ومنعت عنها طبائع وميولاً ومهارات وغرائز أخرى. وإذ يصبح هؤلاء خبراء علماء في البيولوجيا بين ليلة وضحاها، فهم يتشبّثون بمعطيات وإثباتات و«حقائق» تدعم اتجاهاتهم ويغفلون، في الوقت نفسه، كل المعطيات والإثباتات التي تدحضها. وذلك في زمن

باتت فيها البيولوجيا وحتمياتها أكثر فأكثر تحت السيطرة الإنسانية، وحيث إن التحكّم في الإنجاب هو من أهم الأمثلة على تلك السيطرة.

والأصولية البيولوجية هي من بعض ما اتصفت به الردود المعارضة لـ«تحرير المرأة» على قاسم أمين في أوائل القرن الماضي، (الشيخ، 1998، 53)، هذه الردود اتكأت، في ما اتكأت عليه، على نتائج انتقائية لعلوم البيولوجيا التي رسمت «طبيعة» للمرأة تجزم بدونيتها وباستحالة «تحررها» أو مساواتها بالرجل. ولا تزال هذه الحجّة «صالحة» حتى أيامنا هذه؛ وهي تشهر، خاصّة، في وجه النسويات المطالبات بإلغاء التمييز ضد المرأة، (بيضون، 2003).

نشير، أخيراً، إلى أن تعبير التعصّب الجنسي/ التمييز الجنسي هو واحد من تعابير أخرى تستخدم مرادفة لها نذكر منها، على سبيل المثال، «الاتجاهات حيال المرأة»، «الموقف من النسوية»، «الموقف من الأدوار التقليدية»، «الاتجاهات الجندرية» إلخ.

التعصب وتنوّعاته

درس الباحثون موضوع التعصب الجنسي من زوايا لا تزال تتنوّع وتتفرّع مع الزمن ومع ازدياد دارسيه وتنوّع وزوايا اهتمامهم. فاهتم بعض هؤلاء برصده في فئات المجتمع المختلفة بحثاً عن تباين تابع لانتماءات اجتماعية وثقافية وديمغرافية مختلفة. فيما اهتم آخرون برصد أشكال من التعصّب الجنسي مختلفة وبحسب مواقع المرأة، وفئاتها المختلفة، ومجالات تواجدها. وقامت فئة ثالثة بمتابعة الأشكال المتعاقبة زمنياً للتعصّب والتي تلوّنت تباعاً مع تبدّل القيم واستقرارها في عالمنا المعاصر على ما هي عليه.

لكن اهتمام أكثر الباحثين في علم النفس الاجتماعي انصبّ على رصد ارتباط التعصب الجنسي بسمات نفسانية مختلفة؛ وذلك في محاولتهم للبحث عن الأصول النفسانية والمعرفية[4] للتعصّب. هؤلاء أولوا اهتمامهم المستوى البين شخصي المتمثّل

(4) تفترض المقاربة المعرفية للتعصّب أن نزوع الناس للتصنيف وللتنميط هو مسار سويّ، وغايته فك رموز العالم المحيط بهم. هذا المسار ينطوي على عملية تقسيم الجماعات إلى فئتين: فئة «نحن» وفئة «هم»، «ما يشبهنا» و«ما هو مختلف عنّا». لا يخفى أن بعض المنمّطات تختص بالجماعات المسيطرة، الأمر الذي يُكسبها قيمة إيجابية، بالمقارنة مع المنمّطات المرتبطة بالجماعة الأدنى. فتكون النتيجة التبخيس من قيمة الجماعات الأدنى، والنظر إليها بوصفها متناسقة التكوين، وثابتة الصفات. إن صحّة بعض المنمّطات حول جماعة معيّنة لا يجعل المنمّط صادقاً لدى وصفنا فرداً من هذه الجماعة. ذلك أن دور المنمّط في معالجة المعلومات «يسطّح» الأشخاص من الجماعات ذات =

بالتقييدات التي يفرضها نظام التصنيف الاجتماعي (بين النساء والرجال) على التفاعلات بين الأفراد. ولا يخفى أثر المستويين البنيوي الاجتماعي المتمثّل بأنظمة اجتماعية، من جهة، والتفاعلي المتمثّل بأفعال الجماعات وفق متطلّبات ومصالح جماعات مقابلة. ويؤخذ على دارسي التعصّب في علم النفس الاجتماعي تغييب المستويين الأخيرين في تصميم أبحاثهم وفي خلفياتها المفاهيمية، (Baker, 2002). ونتناول، في ما يلي، بعض هذه الاهتمامات.

التعصب وتجلّياته

قام غليك وفيسك، (Glick and Fiske, 1999)، بتصنيف التعصب ضد النساء إلى فئتين: العدائي hostile و«الإيجابي» benevolent[5]. ويتمثّل الأوّل بمعتقدات تؤكّد تفوّق الذكور على الإناث وتسوّغ لهيمنتهم عليهن، وتهاجم «تعدّي» النساء على المجالات والنشاطات والمواقع والسلطات التي كانت، سابقاً، حكراً على الرجال؛ فيما يتمثّل التعصّب «الإيجابي» باتجاهات إيجابية حيال النساء ما دمن خادمات وحاضنات، إنما قليلات الحيلة واعتماديات يحتجن إلى حماية الرجال، وما دمن مواضيع عاطفية لهم، وما دمن يقبلن بوجوب التركيز على أداورهن «الطبيعية»: الإنجاب، الحضن والعناية.

أما تجاور النمطين من التعصب عند الأشخاص أنفسهم فقد أطلقا عليه تعبير

= القيمة الأدنى، فيصعب علينا عزْوُ سمات إيجابية لهم، ويصعب علينا، أيضاً، إدراك تعقيد شخصياتهم. كما أننا نميل إلى تقييم سلوكهم تبعاً لذلك المنمّط، فنُعجَب بالمدير التوكيدي، مثلاً، لكننا نطلق صفة «العدوانية» على المديرة التوكيدية. والمنمّط، بالنسبة للنظرية المعرفية، لا يؤثّر على السلوك فقط، إنّما يؤثّر أيضاً على طلب المعلومات المتعلّقة بالأشخاص المنمّطين: نميل لإهمال المعلومات غير المتناسقة مع المنمّط والتوقّعات المرتبطة به، ونستوعب تلك التي تؤكّد المنمّطات والتوقّعات حولها وتعززها. أخيراً، فإن وقع التنميط على الأشخاص المنمّطين أنفسهم يخضع لمبدأ «تحقيق النبوءة»: هؤلاء يتصرّفون وفق التوقّعات التي يتضمّنها المنمّط.

ويعمل التعصّب على مستوى «ما قبل الوعي» preconscious. وتشير الدراسات إلى أن الأشخاص الذين يصفون ذواتهم بأنهم «غير متعصّبين»، يقعون تحت وطأة المنمطات لدى إطلاقهم أحكاماً على آخرين، ولدى قيامهم سلوكات غير لفظية دالّة على ذلك التعصّب. وهم يقعون تحت وطأة المنمّطات، بطريقة اكثر رهافة، لدى تأويلهم سلوك الناس بإسناده إلى عوامل داخلية وبإهمال للعوامل الخارجية. وذلك بعكس المنحى الذي ينحو إليه هؤلاء لدى تقييمهم لذواتهم. (Baker, 2001).

(5) لم نجد ترجمة أفضل لمصطلح benevolent تؤدي المعنى المقصود.

التعصّب المتجاذب ambivalent، حيث يمثّل التعصّب «الإيجابي»، وكما يقول فيسك، «الجزرة» التي تُعرض أمام النساء لدفعهن للقيام بأدوارهن التقليدية، فيما يمثّل التعصّب العدائي العصا المهددة بالعقاب في حال تمردّهن على الرجال. ولا عجب في تجاور هذين الاتجاهين معاً؛ فهما يمثّلان نظاماً متكاملاً للضبط: «الإيجابي» يكافئ النساء الممتثلات للأدوار الجندرية، والعدائي يعاقب اللواتي يتمرّدن عليه. وإذ ينتج التعصّب الجنسي العدائي عن سلطة الرجل الأعلى، فإن الاعتماد المتبادل بين الجنسين ينتج التعصّب «الإيجابي». هذان العاملان مترابطان: فكلّما ازدادت سلطة الرجل، ازدادت اتكالية المرأة على الرجل. وقد وجد أكثر من باحث في المسألة، ارتباطاً موجباً بين التعصّب العدائي والتعصّب «الإيجابي» ربما لأن الاثنين ينطويان، في دافعية تبنّي كلّ منهما، على نظرة دونية للنساء وعلى إعلاء للرجال وقدراتهن، (Begany and Milburn, 2000, Fernandez et al., 2004). وعزز ذلك التأويل أن كل واحد منهما يرتبط، بمفرده، سلباً مع التوجهات النسوية، (Glick et al., 2002).

ويرى غليك وزملاؤه أنه يتعيّن علينا التمييز بين التعصّب الجنسي العام والتعصّب المرتبط بالمواقع والمجالات المختلفة، (في مؤسسات العمل أم في البيت، في موقع القيادة أم في موقع التابعية، في مهنة «نسائية» أم في مهنة «ذكورية»، مثلاً). ويكمّل غليك وفيشر، (Glick and Fisher, 2002)، الفكرة ذاتها ليؤكّدا أن التعصّب ضد النساء المعاصرات يختلف عن التعصّب ضد النساء التقليديات، لذا وجب التمييز بينهما. وتم، في سياق ذلك البحث، التدقيق في مظاهر التمييز؛ ومن الأمثلة على ذلك نذكر رصد الاتجاهات التعصبية في تمثّلاتها السلوكية من مثل الموقف من اغتصاب النساء، (Nayak et. al., 2002)، الموقف من تعنيفهن، (Haj-Yahia, 2002)، من التحرّش الجنسي الواقع عليهن، (Begany and Milburn, 2000)، ناهيك بالبحث عن الاتجاهات حيال النساء الرافضات لمظاهر التمييز ضدهن، (Dodd et al., 2001)، الموقف من النساء في حالات دالّة على أنوثتهن (خلال الحيض)، (Roberts et al., 2002)، إلخ. ما أثبتناه ليس سوى أمثلة قليلة من مواضيع تتصلّ بالنساء وأحوالهن وقضاياهن، يصعب حصرها، اهتمّ الباحثون باستجلاء اتجاهات الناس منها.

التعصب المعاصر والتعصب المتجدد

في بداية الاهتمام بالاتجاهات التعصّبية، لم يجد الباحثون حرجاً في الكلام عن

المظاهر الفجّة الدالة عليها. لكنهم وجدوا أن التعبير عن هذه الاتجاهات لم تعد، في أيامنا الحاضرة، على القدر ذاته من الصراحة والمباشرة، بل إن هذه التعبيرات تغيّرت لتصبح أكثر رهافة لتتماشى مع الإيديولوجيات المهيمنة في حياتنا المعاصرة. وهو ما حدا ببعض الباحثين في التعصب الجنسي (قياساً على ما سبق وتمّ في مجال دراسات التعصّب العرقي)، لاستحداث مفاهيم «التعصّب الجنسي المعاصر» و«التعصب الجنسي المتجدد»، neosexism، و«التعصّب الجنسي المتجاذب»، وقاموا بإنشاء أدوات لقياسها.

وينطوي «التعصّب الجنسي المتجدد»، مثلاً، على إنكار واقعة أن التمييز ضد المرأة القائم على الجندر ما زال قائماً في الأوقات المعاصرة، وعلى الشعور بأن النساء اللواتي ما زلن يناضلن من أجل الحصول على حقوقهن إنما «يطلبن الكثير». ويمتزج في اتجاهات التعصّب المتجدد مشاعر من التنازع بين آراء مساواتية ومشاعر سلبية حيال النساء، وذلك مقابل التعصّب التقليدي الذي لا يتوانى عن إظهار مشاعر سلبية صافية. ويتأسس هذا الاتجاه على تعبيرات متصارعة بين التوجّه لإعلاء القيم الفردية وبين التوجّه لتثمين القيم الإنسانية المساواتية. وحيث تركّز الأولى على قيم العمل، الاعتماد على الذات، والإنجاز الذاتي، فإن التوجّه الإنساني- المساواتي يثمّن القيم المتعلّقة بتوفير فرص متكافئة، العدالة الاجتماعية، والمعتقدات المتعلّقة بوجوب الدعم الاجتماعي لتوفير المساندة والرفاه للآخرين. وما يطال المرأة، فإن الاتجاه الأوّل يحمّل النساء مسؤولية التمييز ضدهن بسبب إخفاقهن في المبادرة، أفراداً وجماعات، إلى إزالة الشروط التي تسوّغ لذلك التمييز واستمراره. فيما يفترض الاتجاه الثاني أن المبادرة مسؤولية المجتمع، ومطلوب منه توفير الشروط الآيلة إلى إلغاء ذلك التمييز، لا إلقاء المسؤولية وتبعاتها على النساء أنفسهن، (Baker, 2001).

هذا، وقام سويم وزملاؤه بتطوير قياس لـ«التعصب الجنسي المعاصر»، على قاعدة مسلّمات التعصّب العرقي الرمزي. وقام غليك وزملاؤه، في الوقت نفسه، بنقش مفهوم «التعصّب الجنسي المتجاذب» الذي يتمثّل بتجاور العواطف السلبية والإيجابية معاً مستوحين، بدورهم، كاتز وزملائه في التعصّب العرقي، (Masser and Abrams, 1999).

عام ومتخصص

لم يكتفِ الباحثون المهتمون باتجاهات الناس نحو المرأة عامّة؛ بل قام بعضهم

بتجزئة هذه الاتجاهات إلى مجالات أنشطة المرأة وإلى أبعاد ونواحٍ من حياتها. فحيث كنت ترى في السبعينات أكثر الدراسات مهتمّة بالبحث في الاتجاهات نحو المرأة عامّة، أصبح الباحثون في أيامنا هذه أكثر اهتماماً باتجاهات نحو عمل المرأة مثلاً أو الموقف من التحرّش بها جنسياً أو العنف الممارس عليها إلخ.

وفي الدراسات التي تناولت الموقف من نواحي من حياة المرأة في بلادنا العربية نذكر، مثلاً، دراسة نللي فورنييه الملخّصة في الجزء الأوّل من دراسات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية، التي رصدت الموقف من عمل المرأة في مراكش أوائل الستينات؛ وحيث صرّحت الأكثرية بموافقتها على عمل النساء لكن في مجالات «أنثوية» المنحى كالتمريض والطب والخياطة، إذا دعت الحاجة، وعبّرت عن رفضها لعمل المرأة في مجال الترفيه، (فورنييه، 1962).

وقد وجدت الباحثة الدسّوقي، مثلاً، أن الطلاب والطالبات اتفقوا في ما بينهم، وفي معرض البحث عن اتجاهات الطلاب والطالبات نحو الأستاذة الجامعية، على وجوب اقتصار تدريس الأستاذة الجامعية على المواد الأدبية والفنية، دون العلمية، مبررين اتجاهاتهم، تلك، بالرجوع إلى المعتقدات والمنمّطات التقليدية حول المرأة، (الدسّوقي، 1991).

الفئات والعوامل

ما هي الفئات الاجتماعية المتعصّبة تجاه المرأة؟

هل يسعنا التنبؤ بالعوامل التي تجعل النساء والرجال محافظين أو ليبراليين تجاه المرأة وأدوارها؟

هل يتعزز الاتجاه المساواتي مع تقدّم الزمن؟

هذه أسئلة شغلت الباحثين والباحثات النسويين، كما الباحثين في الجندر منذ أن انطلقت حركة تحرر المرأة في موجتها الثانية في الستينات من القرن الماضي. هؤلاء نفّذوا، للإجابة عليها، دراسات لا تزال راهنة الأهمية بدليل المساحة غير القليلة التي لا تزال تحتلها في المجلات العلمية في العلوم النفسية والاجتماعية الغربية. والدراسات المنفّذة لا تعالج المسألة في البلاد الغربية فحسب، بل إنها تفسح في المجال للدراسات المنفّذة في بلدان أخرى، وعالمنا العربي من بينها. وإن كانت حركة تحرر المرأة

المحرّك المباشر للاهتمام الذي أولته بعض الأوساط الأكاديمية الغربية للمسألة، فإن الأوساط الأكاديمية عندنا قد عرفت اهتماماً شبيهاً بفعل المثاقفة التلقائية؛ لكن تبنّي مقاربتَي «المرأة في التنمية» و«الجندر في التنمية» في العمل التنموي للمنظمات الحكومية وغير الحكومية، وفي تعيين تقدّم المرأة هدفاً رئيسياً من أهداف التنمية الإنسانية الثلاثة الأهمّ في منطقتنا العربية، (تقرير التنمية الإنسانية، 2004)... هذا التعيين وذلك التبني هما، على الأرجح، من العوامل الحاثّة على تزايد وتوسّع ذلك الاهتمام. ونقدّم، في ما يلي، بعض الإجابات على الأسئلة المطروحة في الدراسات التي تناولت المسألة.

في الاجتماع والديمغرافيا

النساء والرجال

النتيجة الثابتة والتي تكاد تقترب من «الحقيقة» هي أن النساء، كلّهن، يصرّحن بمواقف حيال المرأة أكثر إيجابية بكثير من الرجال؛ ولا ضرورة للإسناد من أجل إثبات صحة ما نقول لأنها من نتائج كلّ الدراسات التي أجريت لرصد تلك المواقف[6]. ويشتمل ذلك على الدراسات بمختلف مواضيعها واهتماماتها: تلك التي رصدت الاتجاهات حيال النساء عامّة أو حيال فئات منهن، المرأة التقليدية أم المرأة المعاصرة، المرأة المهنية أم ربّة المنزل، المرأة المتزوّجة، المرأة في القيادة إلخ. ويشتمل أيضاً على الاتجاه حيال سلوك وممارسات تجاه المرأة من مثل العنف أو التحرّش الجنسي أو الاغتصاب. وما نقوله يصحّ، بشكل خاص، في الدراسات التي نفّذت في البلدان الصناعية، وفي بلادنا أيضاً- مع استثناءات قليلة سوف نأتي على ذكرها في أوانها.

وحين يجري التمييز بين أنماط التعصّب، لا تتغيّر الصورة كثيراً. الرجال يبدون تعصّباً جنسياً عدائياً تجاه النساء أكثر من النساء، لكن الجنسين متساويان في الاتجاه «الإيجابي» نحو النساء، (Fernandez et al., 2004). هذه النتيجة تكررت في أغلب البلدان التي دُرست فيها الأشكال التي يأخذها هذان المتغيّران؛ وذلك وفق المراجعات الإحصائية للدراسات المعنية meta- analysis، (Glick et al., 2002).

(6) وباستثناء المهنيين العاملين في المجال النفساني» (بيضون، 1998)، فقد تكررت هذه النتيجة في دراسات ميدانية سابقة لنا، كانت عيّناتها طلاباً جامعيين (بيضون، 1988؛ بيضون 2004)، وناشطين في المنظمات غير الحكومية، (بيضون، 2002) في لبنان.

وفي الدراسات المتفرّقة التي أجريت في البلدان العربية، تحديداً، لجأ الباحثون إلى وسائل مختلفة، وكانت عيّنات بحثهم في معظمها، وكما هي الحال في الدراسات الشبيهة التي أجريت في البلدان الصناعية، من طلاب الجامعات؛ وتفاوتت كذلك في أعداد مفردات تلك العيّنات وطريقة تشكيلها. لكن، من خلال متابعة بعضها في التتالي الزمني - منذ الستينات وحتى وقتنا الحاضر- يلاحظ المرء، وإن بطرق غير منهجية، اتساع الفجوة بين الجنسين بإزاء أكثر المسائل المطروحة في نطاق التمييز والمساواة بين الجنسين؛ إذ تزداد حدّة الاختلافات بينهما، كما تزداد المسائل التي تختلف الفئتان حولها.

في دراسة الحافظ الرائدة (الحافظ، 1986 (1965))، التي أولت عناية خاصّة بأوجه التعصّب الجنسي وأشكاله، لجأ الباحث إلى التحليل العاملي factor analysis بحثاً عن درجة تشبع التعصّب الجنسي بعوامل دون أخرى؛ وقد جاءت النتائج لتبيّن عدم اختلاف النساء عن الرجال في تعيين العوامل اختلافاً كبيراً، وكانت درجة تشبع هذه العوامل لدى الفئتين متقاربة. هذه العوامل كانت على التوالي: «الميل إلى التغيير مقابل الميل إلى المحافظة»، «المساواة مقابل التحرر»، «التغيير في الأمور الجنسية والزواجية مقابل الأمور السياسية والاجتماعية»، وأخيراً «الواقعية مقابل الإنسانية»..

لكن الوضع اختلف مع الباحث عبدلله الذي وجد عوامل تعصّبية تميّز الإناث تختلف عن تلك التي تميّز الذكور. وقد تركّزت الأفكار التعصّبية للرجال- دون النساء- ضد المرأة، على العوامل التالية: ضرورة عودة المرأة إلى البيت، فقدان الثقة في أخلاق المرأة، فقدان الثقة في إبداع المرأة، ضرورة التشاور- عدم التشاور مع الزوجة، رفض المساواة بين المرأة والرجل، التشكيك في كفاءة المرأة في العمل الشاق مقابل التشدد معها، التشكيك في قدرات المرأة العقلية، (عبدلله، 1997).

ولو أخذنا الاتجاه نحو تمتّع النساء بالحقوق السياسية نجد أنه، في أوائل الستينات في مصر، مثلاً، أيّد 36% من النساء (مقابل 28% من الرجال) حق المرأة في الانتخاب، و31% منهن (مقابل 23% من الرجال) أيدن حقها في الترشيح، (دياب، 1962). أي أن النساء، حتى حين منحتهن الدولة المصرية الحق السياسي، كن ما زلن متحفّظات تجاه أهليتهن لممارسة ذلك الحق، بدليل أن حوالي الثلثين لا يحبّذن ممارسة حق الاقتراع للمرأة، وأقل من ثلاثة أرباعهن بقليل رفضن أن تمارس النساء حق

الترشيح. هذا، ولا تزال الدراسات التي تحاول رصد موقف الشباب الكويتي، مثلاً، من حقوق المرأة السياسية تشير إلى تفاوت صريح بين النساء والرجال، لكنها تشير أيضاً، إلى ارتفاع نسبة القابلين بحقوق المرأة السياسية مقارنة مع النسب التي وجدها دياب كما ذكرنا أعلاه، (مكتب الإنماء الاجتماعي-إدارة البحوث، الكويت، 1996)، لكن الطلاب ما زالوا يبدون معارضة شديدة لمبدأ المشاركة السياسية للمرأة، (الأنصاري ووطفة، 2000).

وباستثناء الموقف من حق المرأة في التعليم ومن بعض أشكال الاختلاط مع الرجل، لا تزال الاتجاهات متباعدة بين الجنسين. من هذه نذكر معتقدات حول طباع المرأة وقدراتها، الاختلاط في العلم والعمل، تعدد الزوجات، دور الزوجة والشؤون المتعلّقة بالطلاق إلخ، (عبد الفتاح، 1997).

هذا التباعد بين الجنسين في المواقف المُعلنة نحو المرأة وقضاياها لا يطال كل الأمور؛ بدليل أن نسبة غير قليلة من النساء، (45% يقابلها 35% من الرجال)، لا توافق على المساواة الشاملة بين الجنسين، (الأنصاري ووطفة، 2000). وهو ما حدا بعبد الفتاح، مثلاً، أن يستنتج أن المرأة تبدو وكأنها «عدوّة نفسها»، (عبد الفتاح، 1997)، أو ما جعل عبد لله أن يشير إلى إن المرأة ما زال لديها «تعصّب ضد نفسها»، من مثل عدم الثقة بنجاحها، وبقبول سلطة الرجل عليها، أو الشعور بالحاجة إلى الرجل، (عبد لله، 1997).

وقد وجد غليك وزملاؤه الذين درسوا التعصّب في عدد من البلدان نتيجة مشابهة، وإن أكثر رهافة، بسبب التصنيف بين نمطي التعصب الذي يمكن الحصول عليه عبر الوسيلة البحثية المستخدمة. ففي البلاد، (ومن هذه البلدان سوريا وتركيا)، التي يأخذ فيها الرجال علامات أعلى على التعصب العدائي، تتبنّى فيها النساء الموقف التعصبي «الإيجابي» تجاه أنفسهن بدرجة أكبر؛ أي أن النساء في هذه المجتمعات يتبنّين أفكاراً تعصّبية ضد ذواتهن، (Glick et al., 2004).

وتفسّر كوليك تبنّي الرجال الإيديولوجية الجندرية التقليدية المتمثّلة بالحفاظ على معتقدات حول الذكورة والأنوثة والأدوار الاجتماعية غير المتناسبة مع التبدّلات الواقعية المعاصرة. . . . هذا التبنّي يعبّر عن سعيهم للحفاظ على الوضع القائم الذي يمكّنهم من الحصول على إنعامات توفّرها لهم الامتيازات الجندرية المجّانية؛ على العكس من

ذلك، فإن النساء يرغبن في أن يتمّ الاعتراف بالمكاسب التي حصّلنها في المكانات والأدوار التي وفّرتها لهن الحياة المعاصرة، (Kulik, 2004).

الحالة الثقافية الاجتماعية

ومن النتائج شبه الثابتة أيضاً ميل الأشخاص من الطبقات الاجتماعية والثقافية الأعلى لأن يكونوا أكثر ليبرالية تجاه المرأة من الأشخاص من الطبقات الأدنى، والمتزوّجين لأن يكونوا أكثر تقليدية في هذا المجال، (Spence and Helmreich, 1978, 52). هذه النتائج أشارت أيضاً إلى أنه كلّما ارتفع المستوى التعليمي، زاد احتمال نصرة النساء وقضاياهن، (Oskamp, 1977, 354)، وهي من النتائج التي لا تزال تبرز في دراسات الباحثين في أيامنا هذه. والنساء العاملات في مهنة خارج منزلية، خاصّة ذوات المستوى المهني الرفيع، وذوات الدخل المالي الأعلى منهن... هؤلاء أكثر ليبرالية تجاه المرأة وقضاياها من النساء ربّات المنازل، ذوات المستوى المهني الأقلّ رتبة، الحائزات على دخل مالي أقلّ، على التوالي، (Kulik, 2004). ففي حين أشار أوسكامب إلى أن النساء من العرق الأسود هن أكثر ليبرالية من النساء من العرق الأبيض، إلا أن بعض النتائج التي أثبتتها دراسات أكثر معاصرة وتتمتّع بمصداقية أوفر، تخالف ذلك، (Bryant, 2003).

هذا، وقد أشارت بعض الدراسات العربية إلى أثر للمستويين التعليمي والمهني للأبوين على اتجاهات أبنائهم الطلاب والطالبات نحو المرأة. إذ يرتبط ارتفاع المستويين التعليمي والمهني، كما هو متوقّع، بمواقف مساواتية تجاه المرأة. ويتعزز المنحى المساواتي لدى الطلاب والطالبات في حال كانت أمهاتهم تعمل في مهنة خارج منزلية، (أنصاري ووطفة، 2000؛ الأمين وفاعور 1997، 241).

المتزوّجون والعازبون

وتتألّف أكثر العيّنات في الدراسات العربية من طلاب جامعيين، لذا، فإن متغيّر الحالة الاجتماعية (زواج- عزوبة) لم يكن، غالباً، من بين المتغيّرات المدروسة. لكن الحافظ ميّز، في دراسته المذكورة سابقاً، بين الأشخاص بحسب حالتهم الاجتماعية: متزوّجين وغير متزوّجين، وتفحّص نتائجهم بحسب الجندر. وقد وجد أن النساء والرجال، متزوّجين كانوا أم عزاباً، يتوافقون، بإزاء اتجاهاتهم نحو المرأة، في أمور

كثيرة. لكنهم اختلفوا على مسائل أخرى منها رفض السفور، تفضيلهم الذكر على الأنثى من حيث الذكاء، رفضهم للاختلاط، رأيهم بأن التعلّم يضعف أنوثة الفتاة، ورفضهم لبعض الحقوق السياسية للمرأة. واختلف الرجال العزّاب عن المتزوّجين في مسائل قليلة أهمّها أن العزّاب كانوا أقل استنكاراً لتعدد الزوجات.

والنساء في العيّنة (متزوجات وعزباوات) اتفقن على استنكار كل ما من شأنه أن يقلل من مستوى تقديرهن أو ذكائهن بالنسبة للرجال، وحرمانهن من الحقوق بالعلم والعمل والنشاط السياسي. لكن العزباوات أبدين «تمرّداً» أكبر على الأفكار التي تضع المرأة في مكانة أقلّ من الرجل، وأبديْن تحرراً أكبر في نواحي الاختلاط وثورة أكبر بإزاء المسائل التي تطول إلى عدم المساواة في العلم والعمل، كما عبّرن عن رفضهن تفوّق الرجل وسيادته المطلقة، (الحافظ، 1965 ب).

هذا، ولم يجد دياب، (دياب، 1962)، فروقاً بين الرجال المصريين في مواقفهم حيال إعطاء المرأة حقوقها السياسية؛ إذا عارض جميعهم، باستثناء الرجال الذين لم يتزوّجوا بعد، منحَ المرأة حقوقها السياسية، والترشيح للمناصب السياسية خاصّة.

التديّن والثقافة

في الدراسات التي جعلت التديّن واحداً من متغيراتها، ارتبطت الليبرالية تجاه الأدوار الجنسية عموماً، وتجاه أدوار النساء خاصّة بتديّن منخفض، (Oskamp, 1977, 354). وتكررت هذه النتائج مع باحثين لاحقين، (Kulik, 2004). وقد قام سبنس وهلمريتش بترتيب درجة الليبرالية نزولاً هكذا: الأشخاص الذين لا ينتمون لأية طائفة دينية هم أكثر ليبرالية من اليهود، وهؤلاء أكثر ليبرالية من الإنجيليين، يليهم في أسفل سلّم الليبرالية المنتمون إلى الطائفة الكاثوليكية، (Spence and Helmreich, 1978, 57). وتكررت هذه النتائج لدى برايَنْتْ حيث تبيّن أن الجامعيين المسلمين أكثر محافظة من زملائهم من الأديان الأخرى، (لكنها نتيجة تقبل، برأي الباحثة، بتحفظ لكون هؤلاء لا يمثّلون أكثر من 0,6% من العيّنة)، (Bryant, 2003).

في الدراسات العربية القليلة التي شملت عيّناتها طوائف دينية متعددة، تبيّن أن المسيحيين هم أكثر ليبرالية تجاه المرأة من المسلمين، ويرتبط التديّن إيجاباً مع التمييز ضد المرأة، (الحافظ، 1965 أ؛ الأمين وفاعور، 1997؛ بيضون، 1998).

التعصب والزمن

في العام 1999، نشر تونِجْ مراجعته الإحصائية meta analysis لدراسات امتدّت على 25 سنة (بين العامين 1970 و1995)، من أجل رصد تطوّر الاتجاهات التمييزية/المساواتية تجاه المرأة مع تقدّم الزمن؛ فوجد ميلاً، راح يتزايد مع السنين، لاعتناق مواقف ليبرالية حيال النساء. وهو ميل لم يتراجع أبداً. ووجد تونِج، إضافة إلى ذلك، ميلاً واضحاً لتلاقي الجنسين، ولردم الفجوة بينهما بإزاء المسالة. (Twenge, 1999).

في مقدّمة دراستها، تستعرض براينت، (Bryant, 2003)، تَقدُّم الاتجاهات المساواتية بين الأميركيين مع تقدّم الزمن. وذلك بالنظر إلى نتائج دراسات قارنت شرائح عمرية من فئات الطلاب الجامعيين من السنة الأولى عبر السنوات. شملت الاتجاهات المدروسة أدوار النساء وحقوقهن في أماكن العمل. فتبيّن لها أن الطلاب الجامعيين المنتسبين حديثاً كانوا في التسعينات أكثر ليبرالية من أمثالهم في الستينات؛ والتقدّم المُحرز، الأكثر ملموسية في ليبرالية الطلاب، جرى بين العامين 1967 و1973، ثمّ عاد وتباطأ بعد هذا التاريخ، بل هو تأرجح بين العامين 1978 و1984 تقدّماً وتراجعاً.

هل يتغيّر التعصّب بحسب الأجيال؟

في دراسة كولِك، المذكورة سابقاً، وجد الباحث أن درجة الترابط بين اتجاهات الأزواج والزوجات نحو الأدوار الجندرية هي أعلى من درجة الارتباط بين الأهل وأبنائهم. وهو يستنتج أن ذلك ناجم عن كون الأزواج قد تعرّضوا لمسارات متشابهة من التنشئة الجندرية، ولخطاب عام شبيه حول مكانة المرأة، وأنهم تشاركوا التأثيرات التي تتعرّض لها الشريحة العمرية نفسها أكثر من كونهم ينتمون لأسرة واحدة، بدليل أن اختلافهم عن أبنائهم جاء درجة أكبر من اختلافهم بعضهم عن بعض (Kulik, 2004).

وفي عالم أقرب إلينا، في إيران مثلاً، وجد الباحثان أرماكي وغفّاري، (Armaki and Ghaffari, 2004)، أن التعصّب تجاه النساء يتراجع، على نحو لافت، مع الأجيال الشابة بالمقارنة مع الأجيال المتوسّطة، وبين هذه وبين الأجيال الأكثر تقدّماً في العمر. في هذه الدراسة تمّت مقارنة الأجيال في وقت محدد لا الشريحة العمرية نفسها في زمنيْن منفصلين.

وعلى نحوٍ شبيه، جاءت نتائج الدراسة التي أجراها «مكتب الإنماء الاجتماعي» في

الكويت وفيها تناول جوانب قيمية متعددة، الموقف من المرأة واحداً منها... جاءت هذه النتائج لتؤكّد تفاوتاً واضحاً بين الطلاب وأهاليهم في مسائل تتعلّق بمكان المرأة المناسب للعمل (البيت / خارج البيت)، الحق الانتخابي، لكن دون المساواة في الحق السياسي؛ في الحالتين الأولين أبدى الأبناء ليبرالية أكبر، أما في الحالة الأخيرة فقد تساوت نسبة رافضي مشاركة النساء في الحياة السياسية («مكتب الإنماء الاجتماعي»، 1997).

وفي دراستها المذكورة أعلاه، تحاول برايَنْتْ أن تعيّن التعديل في الاتجاهات حيال أدوار النساء في شريحة عمرية واحدة في دراسة طولية شملت حوالي 15000 طالب وطالبة من 127 كلية جامعية أميركية، بين العامين 1996 و2000، من أجل رصد تطوّر التعصّب الجنسي للشباب بتأثير خوض تجربة التعليم الجامعي في سنواته الأربع الأولى، أساساً، لكن بتوسّط متغيّرات ديمغرافية وسلوكية أخرى. وقد أجاب أفراد العيّنة على تصريح وحيد هو التالي: «الأفضل أن تنحصر نشاطات النساء المتزوّجات في الأسرة والبيت»، في السنتين المذكورتين على التوالي. واعتمدت الباحثة وجه الإجابة على التصريح الوحيد هذا (موافق بشدة/ موافق باعتدال/ غير موافق باعتدال/ غير موافق بشدّة)، مؤشّراً على الاتجاه التقليدي/ الليبرالي حيال أدوار النساء.

هذا الخط البياني لتطوّر الاتجاهات حيال المرأة وقضاياها الذي تُبيِّن بعض الدراسات وكأنه صاعد أبداً، تدحض نتائجها دراسة عربية قارنت اتجاهات الطلاب الجامعيين من السنوات الأولى مع أقرانهم من السنوات الأخيرة؛ وفيها وجد الباحثان الأنصاري ووطفة أن طلاب السنوات الأولى أكثر قبولاً بمبدأ المساواة بين الجنسين من طلاب السنوات الأخيرة، وأن «اتجاهات الطلاب نحو مركز المرأة يصبح أكثر سلبية كلّما تدرّجنا صعوداً في المستوى العمري للطالب، وهذا يعني أن الجامعة والمجتمع يعززان اتجاهاً سلبياً نحو المرأة مع تنامي عمر الشباب في داخل المجتمع»! (الأنصاري ووطفة، 2000).

لمّا كانت عيّنات أكثر الدراسات العربية التي نفّذت لرصد الاتجاهات نحو المرأة مؤلّفة من طلاباً وطالبات جامعيين، فإن متغيّر العمر لم يكن، في الغالب، من المتغيّرات المدروسة آثارها على تلك الاتجاهات. لكننا نجد، مع ذلك، بعض الإشارات إلى ازدياد في درجة التمييز مع ارتفاع سن المبحوثين. فالوالدان في إحدى

الدراسات التي أجريت في الكويت، مثلاً، هما أقل دعماً للمرأة وقضاياها من أولادهم، (مكتب الإنماء الاجتماعي-إدارة البحوث، الكويت، 1996). وفي دراسة مصرية، يعارض الرجال والنساء الذين هم في سن تفوق [illegible] سنة، حقوق المرأة السياسية أكثر بكثير ممن هم دون تلك السن، (دياب، 1962). والذين قارنوا اتجاهات الطلاب في السنوات الجامعية الأولى مع أولئك في السنوات الجامعية الأخيرة وجدوا أنها تصبح «أكثر سلبية كلّما تدرّجنا صعوداً في المستوى العمري للطالب»، (الأنصاري ووطفة، 2000؛ محمّد، 2006).

العبر- قومي والعبر- ثقافي

من الدراسات الأولى التي قارنت الاتجاهات نحو المرأة عبر- حضارياً دراسة سبِنْس وهلمرِتش. ففي أواسط السبعينات قام الباحثان بدراسة اتجاهات الطلاب الجامعيين في لبنان (طلاب من الجامعة الأميركية تحديداً)، وإسرائيل والبرازيل في محاولة للبحث في العلاقة القائمة بين التنميط الجندري والاتجاه نحو المرأة وقضاياها. وقد توصّلا إلى أن نتائج العيّنة اللبنانية، مثلاً، لا تختلف كثيراً عن نتائج العيّنات الأميركية: فقد أبدت الطالبات ليبرالية أكبر من الطلاب تجاه المرأة وقضاياها، ويمكن تكرار القول بالنسبة لعيّنتَي البرازيل وإسرائيل (Spence and Helmreich, 1979, 53).

من الدراسات الأكثر حداثة، نشير إلى نتائج دراسات ثلاث: الأولى قارنت الهولنديين بالأميركيين، والأخريين قارنتا بلداناً من مجتمعات مساواتية بمجتمعات غير مساواتية جندرياً. تشير نتائج هذه الدراسات إلى أن الهولنديين أكثر ليبرالية من الأميركيين حيال قضايا المرأة، (Stewart and Healy, 2004)، لكنهم أقلّ تطرّفاً في التعبير عن مواقفهم.

في دراسة «عبر قومية»، شملت الولايات المتحدة، اليابان، الهند والكويت، وجد الباحثون أن الموقف حيال العنف ضد النساء، (الاعتداء الجنسي، ضرب الزوجة بوصفهما من مكوّنات التعصّب الجنسي)، يختلف بحسب الثقافة الاجتماعية. وأشارت النتائج، أيضاً، إلى تعصّب ضد النساء أكبر في اليابان والهند والكويت منه في الولايات المتحدة. وفي حين أبدى الرجال في البلدان الثلاثة الأولى موقفاً أكثر تعصّباً تجاه المرأة من النساء بما يطول إلى الاعتداء الجنسي، إلا أن النساء والرجال في الكويت أبدوا اتفاقاً فيما بينهم على هذه المسألة، (Nayak et al., 2003).

ومن النتائج اللافتة التي توصّل إليها الباحثون أن الثقافات الاجتماعية التي تواجه فيها النساء درجة عالية من التعصّب الجنسي العدائي، فإن هؤلاء (النساء) يملن إلى اعتناق قيم التعصّب «الإيجابي» بدرجة مساوية- بل أكثر أحياناً- من الرجال. ويستنتج الباحثون أن التعصّب الجنسي يولّد حلقة مفرغة: فكلّما ازداد التعصّب العدائي ضد النساء من قِبَل الرجال، ازدادت دافعية النساء للقبول بالتعصّب «الإيجابي»؛ وذلك، على سبيل الاحتماء بذلك الرجل «المحسن» الذي هو، في الوقت ذاته، المعتدي عليهن؛ هكذا، فإن التعصّب «الإيجابي»، ولدى تقديمه وعداً للنساء بحمايتهن، فهو يقوم بذلك مقابل التزامهن بالتوقّعات والتوصيفات التمييزية: التعصّب «الإيجابي» يفضي إلى تعزيز اللامساواة الجندرية، (Glick et al., 2002).

ويقدّم غليك وزملاؤه التأويل التالي: يبدو التعصّب الجنسي في صيغته الإيجابية، في المجتمعات التقليدية، جذاباً للنساء بشكل خاص، ليس بسبب الفجوة الجندرية في الموارد فحسب، إنما بسبب العداء المسلّط على النساء المطالبات بالمساواة، وذلك بالمقارنة مع الوضع القائم في البلدان الأكثر مساواتية. من هنا، يبدو منطقياً أن تكون النساء في المجتمعات التقليدية أكثر دعماً لوجوب قيام الرجال بحمايتهن وإعالتهن بسبب حصولهن على فرص أقلّ من الاستقلال المادي والاجتماعي. وحيث يتبنّى الرجال إيديولوجيا جندرية تقليدية، فإن النساء يتبنّين الإيديولوجيا عينها. هذا التوافق هو، برأي الباحثين، قوّة عظمى لتثبيت الانصياع والامتثال للأدوار والمعايير الجندرية، ولتعزيز الستاتيكو، (Glick et al., 2004).

الجامعة وانماط الدراسة

للدراسة الجامعية أثر إيجابي وملحوظ على ليبرالية الطلاب الجامعيين، وقد بيّنت برايَنْت أن لهذه، وذلك بعكس الخلفيات التعليمية الثانوية، دينية كانت أو علمانية، رسمية أو خاصّة، أثراً ذا دلالة على اتجاهات هؤلاء الطلاب حيال أدوار المرأة؛ فقد أشارت نتائجها، مثلاً، إلى تناقص نسبة الطلاب «الرافضين بشدّة» للتصريح المذكور أعلاه، («الأفضل أن تنحصر نشاطات النساء المتزوّجات في الأسرة والبيت»)، إلى النصف، (من حوالي 22% إلى حوالي 11%)... هذه النسبة تناقصت مع تقدّم سنوات الدراسة الجامعية. على أن الفجوة بين الطلاب والطالبات التي سجّلت في بداية السنوات الأربع بقيت على حالها: النساء أكثر ليبرالية من الرجال. والنساء من العرق البيض أكثر

ليبرالية من النساء من الأعراق الأخرى. المثير للاهتمام في هذه الدراسة هو رصدها للعلاقة بين سلوك الطلاب الجامعيين وبعض خياراتهم وبين اتجاهاتهم حيال أدوار المرأة. وقد بيّنت النتائج ارتباط الاختصاصات للرجال (العلوم الإنسانية أكثر من الاختصاصات الأخرى)، السكن في الحرم الجامعي للنساء، التفاعل مع الأقران والأساتذة في الصف، اختيار رصيد «دراسات نسائية» و«دراسات إثنية» من بين المواد الاختيارية... كلّها ارتبطت إيجاباً مع المواقف الليبرالية تجاه أدوار النساء. هذا، والتفاعل مع الأقران له تأثير على الموقف من أدوار المرأة؛ وإذا تمّ ذلك في إطار منظمات دينية، فإن ذلك يرتبط باتجاهات أكثر محافظة خاصّة إذا اقتصرت دائرة الأصدقاء على أفراد منها، (Bryant, 2003).

في الدراسات العربية التي أبدى الباحث فيها اهتماماً خاصاً برصد علاقة محتملة بين الاختصاص ونوع الجامعة، من جهة، وبين الاتجاهات نحو المرأة التي يتبنّاها الطلاب، من جهة ثانية... في هذه الدراسات تبيّن أن الطلاب والطالبات من التخصصات العلمية يميلون للتصريح عن تمييز تجاه المرأة، بدرجة أكبر من أقرانهم ذوي التخصصات الأدبية والفنية، (الدسوقي، 1991). وفي البلدان التي يقدّم فيها تعليمٌ جامعي متنوّع، كلبنان مثلاً، وجد الباحثون أن واحداً من «المؤشرات المبيّنة على التمييز ضد المرأة هو المعهد/الجامعة التي ينتمي إليها الطالب»: الطلاب ذوو المواقف التمييزية يدرسون، على الأغلب، في معهد إسلامي، أو متخرّجون من مدرسة رسمية إسلامية. «بالمقابل، فإن الطلاب الذين يتوجّهون للمساواة التامّة بين المرأة والرجل... يدرسون في إحدى الجامعات الفرنكوفونية أو الأنكلوفونية أو الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني، متخرّجون من مدرسة علمانية أو مسيحية خاصّة»، (الأمين وفاعور، 1997، 241).

دراسات عربية

تتميّز الدراسات العربية في الاتجاهات نحو المرأة بوجود نواح من التمييز غير موجودة في الدراسات الأجنبية. هذا التميّز ناجم عن انفلاش رقعة التمييز على مجالات لم تعد راهنة في البلاد الصناعية. من هذه مثلاً، معتقدات حول «طبيعة» المرأة وأخلاقها وقدراتها الذهنية، حقوقها القانونية والسياسية وحقها في الملكية والإرث. وبرزت في بعض هذه الاستبيانات مسائل تشي بهموم ما تزال حاضرة في المجتمعات الإسلامية،

من مثل تعدد الزوجات، تبعات الطلاق، زواج المتعة، السفور والحجاب، الاختلاط / الصداقة بين الجنسين، التمييز في الإرث (عبد الفتاح، 1997؛ الأنصاري ووطفه، 2000؛ خليفة، 2000)، أو حتى عزو سمات محقّرة لقيمتها الإنسانية والأخلاقية، (محمّد، 2006)، هذه المسائل غاب أكثرها تماماً في بلد متعدد الطوائف مثل لبنان، (الأمين وفاعور، 1997؛ بيضون، 1988؛ بيضون، 1998). وهي كانت موجودة، بالدرجة ذاتها، في استبيان أنشئ في العام 1965 في القاهرة، مثلاً، (الحافظ، 1965)، لكنها لم تظهر في استبيان أنشئ في البلد نفسه بعد عقود ثلاثة من الزمن، (عبدلله، 1997).

لا نملك، في حدود علمنا، مراجعة إحصائية meta analysis تقدّم نتيجة شاملة لكلّ الدراسات التي نفّذت تحت عنوان الاتجاهات نحو المرأة، يسعنا الاعتماد عليها من أجل رصد التطوّر الحاصل عبر السنين، ومن أجل المقارنة بين المجتمعات العربية، في هذا المجال. لذا نلقي نظرة انتقائية على بعض الدراسات التي هدفت إلى رصد الاتجاهات نحو المرأة، (أو نحو مكانتها أو عملها أو حقوقها. . .)، والتي أنجزت في البلاد العربية. في دراسة الأنصاري ووطفة، (الأنصاري ووطفة، 2000)، مثلاً، تلخيص لأكثر من عشر دراسات[7] أنجزت في أقطار مختلفة من البلاد العربية، مشرقها ومغربها، تجاورت في أكثرها نتائج ذات دلالات مساواتية جنباً إلى جنب مع نتائج تشير إلى تمييز ضد المرأة؛ وذلك تبعاً للمجال الذي يتناوله البحث أو بعض أقسامه، إضافة إلى كون المسألة التي يجري الكلام عنها محددة أو عامّة.

ففي سوريا، مثلاً، يرى الباحثان أن نتائجهما تؤكّد سيادة القيم التقليدية وأن أكثرية الشباب يتبنّون قيماً واتجاهات مساواتية ويرفضون التمييز، (وطفة وزحلوق، 1993)،

وفي تونس، حوالي 62% من الطلاب والطالبات الجامعيين أقرّوا بوجوب معاملة الجنسين بالتساوي، لكن 60% رفضوا أن تعمل أمهاتهم خارج المنزل، (سليمان، 1993).

وفي مصر، تمسّكت الأكثرية بسيادة الذكر على الأنثى، لكن الغالبية العظمى من الشباب ترفض أن يقتصر دور المرأة على البيت، (السيّد، 1990).

في العراق، تتراوح نسبة الرجال القابلين بحقوق النساء السياسية بين 50% و63%

---

(7) المراجع المذكورة لم تثبت في لائحة المراجع؛ هي مثبتة في مراجع الأنصاري ووطفة، 2000.

(بحسب النشاط السياسي المطروح)، لكن 70% يرون أن الرجل هو سيد البيت المطلق وأنه لا ينبغي للمرأة أن تتصرّف بممتلكاتها دون إذن زوجها، وبأن وظيفتها هي خدمة الزوج والأولاد، (جابر، 1978).

في الكويت، فيما أبدى 72% موافقتهم على عمل الزوجة، و77% منهم وافقوا على مشاركة المرأة في الإنفاق على المادي في الأسرة، 47% منهم فقط وافقوا على المساواة بين المرأة والرجل في مختلف الحقوق والواجبات داخل الأسرة، (الشطي، 1998). ومن النتائج التي تتكرر في الدراسات الكويتية التي تناولت الموضوع التفاوت في النسبة القابلة بحق الانتخاب للمرأة وبين حقها للترشيح في المناصب السياسية، («مكتب الإنماء الاجتماعي»، 1997؛ والبغدادي، 1993).

في السعودية، يعتقد 66% من أفراد العيّنة أن دور المرأة الرئيسي هو خدمة المنزل والأولاد، ويؤمن 61% بالمساواة في العمل بين المرأة والرجل، (النمر، 1989).

في قطر، يناصر حوالي 70% حق المرأة في الانتخاب، و53% يجدون أن مطلب تمثيل المرأة في البرلمان مطلب عادل، لكن 73% يعتقدون أن وظائف القضاء والنيابة العامة لا تناسب النساء، و82% منهم يعتقدون أن الله خلق المرأة لتخفف من قسوة الحياة على الرجل، وأن 60% يرون أن الاختلاط بين المرأة والرجل مفسد للأخلاق إلخ، (جابر والشيخ، 1978).

إن نتائج هذه الدراسات تشير إلى ضعف في الاتساق بين جزئيات هذه الاتجاهات أو بعض مكوّناتها. هذا الضعف ناجم عن التفاوت في المستويات التي تثيرها بنود الاستبيانات وعن اختلاف الأسئلة المطروحة لدى المبحوث. فهذه قد تكون سؤالاً أو بند عاماً، مجرّداً أحياناً، (كالإقرار بالمساواة بين الجنسين)، وقد يأتي في صيغة محسوسة ومتخصصة بمجال بعينه، (الرجل سيد البيت المطلق). ولا ننسَ، بالطبع، الوسائل المختلفة المعتمدة في كلّ منها، وتفاوت أعداد العيّنات وسبل تعيينها... كلّها تضيف إلى أسباب التفاوت في النتائج، بل لعلّها تجعل المقارنة بينها غير صالحة، أصلاً.

العوامل النفسانية

الانتماءات لقطاعات مختلفة من مثل العمر أو الشرائح العمرية، العرق والإثنية، الطبقة الاجتماعية -الثقافية، الحالة المدنية، الطائفة الدينية، المستوى التعليمي،

المهنة. . . كلّها أو بعضها، احتلّ حيّزاً لا بأس باتساعه في دراسات الباحثين الذين حاولوا رصد المواقع والفئات المجتمعية المحافظة، أو الليبرالية، تجاه المرأة فيها. لكن آخرين في ميدان علم النفس خاصّة، توجّهوا في دراساتهم صوب البحث عن البُنى النفسية والمعرفية الحاملة لتلك الاتجاهات، متكئين في سعيهم على تراث من الأبحاث كان قد أرسى قاعدته أدُرنُ ورفاقه في الخمسينات، واستمرّ في العقود التالية مع روكيتش وأوسكامب ورفاقهم. هذه الأبحاث كانت تشير إلى أن الأفراد المتعصّبين عرقياً أو إثنياً يملكون شخصيات متصلّبة، تقليديون في معاييرهم وقيمهم، لا يتحمّلون الغموض، متطيّرون ومنشغلون بأمور التنافس والتهديد، أصوليون في الأمور الدينية، ذوو ميول عظامية، خاضعون للسلطة المهيمنة لكنهم يبدون عدائية وازدراء تجاه الضعفاء، (Oskamp, 1977, 223-224). وهي صفات تجمّعت في ما اصطلح بتسميته بـ«الشخصية التسلّطية» authoritarian personality.

هكذا، حين أضيف مفهوم «التعصّب الجنسي» إلى مفاهيم التعصّب العرقي واللاسامية، وغيرها من المفاهيم المجاورة، بفعل الأثر الذي أحدثته حركة تحرر المرأة على الميادين المعرفية، وميدان علم النفس الاجتماعي تحديداً، فإن البحث عن الترابطات النفسانية والسلوكية للتعصّب الجنسي كان بمثابة استكمال للتراث المتجمّع تحت هذا العنوان. فكان أن أنشئت الاستبيانات على منوال قياسات الاتجاهات المعروفة كان هدفها تصنيف المبحوثين من النساء والرجال بإزاء التعصّب الجنسي، من أجل رصد العلاقة بين ذلك التعصّب والمتغيّرات السلوكية والنفسانية.

هذه المتغيّرات شملت الأدوار الجنسية، (أنوثة وذكورة الفرد)، صورة الذات، صراع الدور، الخواف من المثليين، التصوّر، السلوك اللفظي، صورة الشريكة المرغوبة (للرجل)، أنماط التعلّق، التسلّطية، القبول بالعنف القائم على الجندر من مثل ضرب الزوجة، الإساءة الجنسية للنساء. . إلخ من متغيّرات يصعب حصرها.

ومن العوامل النفسانية المرتبطة بالتعصّب الجنسي، لاحظ بِك وليونغ وجود علاقة ثابتة بين التسلّطية والاتجاهات نحو المرأة، (Peck and Leong, 2003). وبيّنت النتائج وجود ارتباط موجب بين التعصّب الإيجابي عامّة، (تجاه الملوّنين، مثلاً)، والتعصّب الإيجابي تجاه المرأة التقليدية، (الميل نحو حمايتها والعناية بها)، فيما ارتبط التعصّب العدائي بالتعصّب ضد المرأة غير التقليدية، (العاملة الخارج- منزلية، المتحررة، العاملة في المجال السياسي إلخ)، (Begany and Milburn, 2000). وكما هو متوقّع، فإن

الذين يعتنقون «الإيديولوجية الذكرية» (القواعد التي تملي على الشخص ما يجب القيام به، وما يحظر القيام به، من أفعال وفق المعايير والقيم الذكرية)، تقليديون، مناصرون للتمييز الجنسي، يقبلون بأسطورة الاغتصاب، وبالعنف ضد النساء، وبالتحرّش الجنسي، (Wade, 2001).

يرى كولِك أنّ تحدّي مفاهيم الذكورة والأنوثة الذي شهدناه في العقود القليلة الماضية أثّر على الناس بطريقة متفاوتة: الناس الذين يتمتعون بتقدير ذات مرتفع، كانوا الأقلّ تعرّضاً للتهديد الذي أحدثه تعديل الأدوار الجندرية في الأسرة والعمل، وفي المجتمع عامّة. لذا، فإن الأشخاص ذوي التقدير المرتفع لذواتهم هم أكثر مرونة تجاه الأدوار الجندرية. هؤلاء مقتنعون بأن توزّع المهام بين الناس يكون وفق الكفاءات والميول، لا تبعاً للجنس البيولوجي. والنساء والرجال الذين يتّسمون بـ«تحمّل الغموض» هم أكثر قدرة على التوافق والتكيّف مع وضعيات من اللايقين واللاثبات التي أحدثتها التحوّلات في الأدوار الجندرية. هذا، فيما يتشبّث من لا يتحمّل الغموض بالترسيمات schemas الجندرية المعروفة والمألوفة، ويتبنّى منظورات تقليدية بإزائها، (Kulik, 2004).

ومن نتائج الدراسات التي نفّذت في هذا الإطار، وجود ارتباط قوي بين أنماط التعصّبات المختلفة للفرد الواحد. هذا يعني أن درجات التعصّب الجنسي والعرقي والتعصّب ضد المثليين، مثلاً، هي متقاربة. إضافة إلى ذلك، ترتبط الاتجاهات المذكورة سلباً مع الاتجاهات نحو الفردية ونحو القيم الإنسانية المساواتية. هذه الدراسات لم تتوصّل إلى نتائج متساوقة، وإن أشار أكثرها إلى ترابط السمات النفسانية السلبية مع التعصّب الجنسي. ويجد الباحثون أن النتائج تصف، أساساً، المبحوثين من العرق الأبيض، وهم في الغالب طلاب جامعيون. ومن الدراسات الأكثر حداثة التي تناولت المسألة نقدّم، على سبيل المثال، نتائج بعضها.

الأدوار الجندرية: الذكورة والأنوثة

وجد وايْد في دراسته المتعددة الغايات أن الرجال الذين لا يعتمدون على جماعة مرجعية ذكرية، بعينها، من أجل تحديد هوياتهم الجندرية، ولا يعتنقون مواقف تقليدية

حيال الذكورة. . . هؤلاء هم أكثر إيجابية حيال النساء وقضاياهن. ويفسّر نتيجته بالإشارة إلى أن صورة الذات الذكرية التي تمّ تحديدها «داخلياً»، لا وفق جماعة مرجعية ذكرية. . . صورة الذات، هذه، تسمح بقبول المختلف، والاختلافات المتعلقة بالجندر من ضمنها» (Wade, 2001).

وجد سبِنْس وباكْنَر أن الرجال ذوي الأنوثة المرتفعة، (أي الذين نالوا علامات مرتفعة على سلّم الأنوثة)، يصرّحون عن مواقف غير تقليدية تجاه النساء على نحو لافت؛ ولا علاقة بين درجة ذكورة الرجال، (بحسب العلامة التي نالوها على سلّم الذكورة)، وبين تبنّيهم مواقف داعمة للمرأة. لكن الرجال الذين نعتوا ذواتهم بصفة «أنثوي» لديهم هوية جندرية أنثوية[8]. . . هؤلاء غير متعصّبين جنسياً. بالمقابل، فإن الرجال الذين وصفوا ذواتهم بصفة «ذكري»، ذوو هوية جندرية ذكرية. . . هؤلاء أبدوا تعصباً ملموساً ضد النساء. (Spence and Buckner, 2000). ويؤكّد دُدْ وزملاؤه هذه النتيجة في دراستهم مستنتجين أن تجاوز الأدوار الجندرية المنمّطة يرتبط بردود فعل إيجابية حيال النساء» (Dodd et al., 2001).

النتيجة التي توصّل إليها سبِنْسْ وباكْنَر، لم تتكرر تماماً مع تولِر، مثلاً؛ إذ توصّل هذا الأخير إلى نتيجة مفادها أن الرجال ذوي الذكورة المرتفعة لديهم اتجاهات سلبية حيال النسوية، وحيال الأدوار الجندرية غير التقليدية، ويرفضون، استطراداً، أن يعتبروا ذواتهم نسويين. بالمقابل، فإن النساء ذوات الذكورة العالية يصرّحون عن نسويتهم أكثر من النساء ذوي الذكورة المنخفضة، (Toller et al., 2004).

الذكورة الإقصائية

تقترح كيليانسكي نظرية «الذكورة القائمة على الإقصاء» أو الذكورة الإقصائية في محاولة منها لفهم الظاهر، النفسانية الكامنة خلف الاتجاهات السلبية حيال النساء. وهي تستلهم لذلك «نظرية الهوية الاجتماعية» التي ترى إلى التماهي مع الجماعة التي ينتمي

(8) عرّف الباحثان الهوية الجندرية الأنثوية feminine gender identity إجرائياً هكذا: حين يعزو المبحوث لذاته علامة عالية على السمة «أنثوي» Feminine، فإن هويته الجندرية تكون أنثوية. وحين يعزو لذاته علامة عالية على السمة «ذكري» Masculine، تكون هويته الجندرية ذكرية masculine gender identity.

إليها الفرد مصدراً للهوية وللإحساس بالقيمة الذاتية. فالفرد يقوم بإسباغ سمات إيجابية على جماعته هذه مقابل إسباغه سمات سلبية على جماعة خارجية. من هنا، فإن الهوية الذكرية الإقصائية تتألّف من «ذات مثلى» ومن «ذات مستَبعَدة». فتكون الذات المثلى، بموجب الذكورة الإقصائية، مشبعة بالمنمّطات الذكرية وفقيرة نسبياً بالمنمطات الأنثوية. وعلى العكس من ذلك، فإن الذات المستبعدة هي أساساً أنثوية يتخللها منمطات ذكرية قليلة. وتبعاً لنظرية الاتساق المعرفي والاتزان النفساني، فإن الكاتبة تتوقّع أن تكون الهوية الذكرية الإقصائية الأكثر تعصّباً حيال النساء. وهو، بالتحديد، ما حصّلته في دراستها الميدانية حيث تبيّن لها أن الرجال الذين يسبغون على ذواتهم سمات ذكرية، مستبعدين في الوقت نفسه السمات الأنثوية، هم الأكثر تعصّباً حيال النساء، خاصّة إذا كانوا يتبنّون، في الوقت نفسه، الإيديولوجية الذكرية، (Kilianski, 2003).

يشكّل التعصّب الجنسي، العدائي منه خاصّة، متغيّراً وسيطاً بين التسلّطية واحتمال الانخراط في سلوكات تحرّشية. ويتمّ التعبير عن التسلّطية في القياسات الحديثة التي تحاول رصدها، في ما اصطلحت تسميته بـ«المبالغة في الذكورة»، (Begany and Milburn, 2000). وحين تكون صورة الذات متناسبة مع صورة «الفحل»، يكون المتمثّل بها متعصّباً تعصّباً عدائياً تجاه المرأة، (Glick et al., 2004).

تنازع الدور المتعلّق بالجندر

يختبر بعض الرجال، كما سبق وبيّنا في الجزء الأوّل من هذه الدراسة، تنازعاً يتعلّق بأدوارهم الجندرية. هذا التنازع يتمثّل بحالة نفسية يكون فيها للأدوار الجندرية وقع سلبي على الفرد، وعلى المحيطين به. وينتج هذا التنازع، في الغالب، عن المحاولة الحثيثة التي يبذلها الرجل من أجل التوافق مع المعايير الجندرية المفروضة من المجتمع. في هذا السياق، قام أونيل O'Neil (نقلاً عن روبنسون وشواردز (Robinson and Schwartz, 2004))، بتحديد عوامل أربعة تغذّي التنازع في الأدوار الذكرية، تتمثّل بما يلي:

أوّلاً، وجوب السعي للنجاح وحيازة السلطة والقدرة على التنافس، وكلّها تفترض الإنجاز والنجاح المهني والصراع من أجل إقرار الهيمنة على الآخرين،

ثانياً، صد الانفعالات، ومن تعبيراته صعوبة التعبير عن المشاعر والخوف منها وعدم الاطمئنان إليها،

ثالثاً، السلوك القامع للتبادل العاطفي بين الرجال، الامتناع عن لمسهم ونكران الحاجة إلى العناية بهم،

رابعاً، الصراع بين أدوار العمل والأدوار الأسرية، وصعوبة إيجاد توازن بينهما، ومن مظاهره الإدمان على العمل، ضغوط العمل وتقلّص حجم حيّز الترفيه في الحياة اليومية.

وقد وجد الباحثان في دراستهما التي حاولت رصد أثر التنازع المذكور على اتجاهات الرجال نحو النساء... وجدا أن الرجال الذين يختبرون تنازعاً يتعلّق بأدوارهم الذكرية يبدون تعصّباً ضد النساء، بل كرهاً لهن، لعلّ مصادره آلية نفس- دفاعية ضد التهديدات التي يختبرونها ضد ذكورتهم المأزومة، (Robinson and Schwartz, 2004).

كذلك وجد بلازينا وواتكِنز علاقة إيجابية وثيقة بين تنازع الدور الجندري، من جهة، وبين الرغبة في الإبقاء على أدوار النساء مقتصرة على ما تمّ توصيفه تقليدياً، من جهة ثانية. هذه الرغبة ترتبط، بدورها، ارتباطاً دالاً بشخصية ذكرية «غير سويّة» ما زالت تعاني من مشاكل الارتباط والانفصال عن الأم، وتعاني من الكآبة، والقلق والغضب وتقدير الذات المنخفض، وغيرها من العوارض الدالّة على الضائقة النفسية. وعلى العكس من ذلك، فإن الرجال الداعمين لقضايا المرأة أو ذوي الاتجاهات غير التقليدية حيال المرأة وأدوارها... هؤلاء هم أقلّ تقييداً في التعبير عن مشاعرهم، ويعانون مشاكل أقلّ في قدراتهم العلائقية والانفعالية، (Blazina and Watkins, 2000).

ووجد جاكوبكاك وزملاؤه أن الرجال الذين يعانون من الضغط الذي تحدثه الأدوار الذكرية المقيّدة، يمارسون العدائية الكلامية والنفسانية على النساء في علاقاتهم الحميمة، ويلجأون إلى العنف ضد النساء ليستعيدوا، عبره، توازنهم وبعض كبريائهم الذكري المهدور (Jakupcak et al., 2002).

العنف والاتجاهات نحو المرأة

ويسلّط الضوء، في أيامنا الحاضرة، على واحد من أهم التعبيرات السلوكية للتعصّب ضد المرأة؛ ألا وهو العنف الجسدي القائم على الجندر. وقد توسّعت دائرة اهتمام الباحثين بموضوع التمييز ضد المرأة، في البلدان غير الصناعية أسوة بالبلدان في طور النموّ، فباتت الاتجاهات أو المعتقدات نحو تعنيف المرأة من المواضيع المدرجة

في أبحاثهم. من هؤلاء، مثلاً، حاج يحيى في الأردن وفلسطين (Haj-Yahia, 2002)، ناياك وزملاؤه، (Nayak et al., 2003) الذين درسوا جملة من البلدان شملت الكويت من بلادنا العربية. ويحث بعضهم عن الترابطات القائمة بين التعصّب الجنسي/ الإيديولوجية الذكرية[9] والعنف الممارس على النساء (Jakupcak et al., 2002). وقد وجد جاكوبكاك، مثلاً، ارتباطاً معقّداً بين اعتناق الإيديولوجية الذكرية وبين السلوك العنفي. إذ إن تبنّي هذه الإيديولوجية لا يفسّر جزءاً مهمّاً من تباين variance العدوانية والعنف؛ ذلك لأن متغيّر «اعتناق الإيديولوجية الذكرية» وحده لا يكفي لذلك التأويل، بل ينبغي اعتبار تفاعله مع صورة الذات الجندرية ومع تطلّبات الوضعية. فسلوك الرجل المتماهي مع الذكورة التقليدية قد يتغيّر وفق الوضعية: قد يُقدم هذا الرجل على سلوكات متماشية مع الذكورة التقليدية في تعبيرات من العدوانية تنافسية والهيمنة خلال مباراة رياضية، لكنه قد يكون غير تقليدي في وضعية زواجية. ويرى جاكوبكاك أن ذلك قد يكون ناجماً عن الإيديولوجية الذكرية نفسها المتعددة الأبعاد. فتضافر عاملين، مثلاً، كمستوى مرتفع من اعتناق للإيديولوجية الذكرية التقليدية والضغوط المتعلّقة بالدور الذكري معاً. . . في هذه الحالة يمكن التنبؤ بدرجة عالية من العنف والعدوانية ضد النساء، (Jakupcak et al., 2002).

في دراسة تألّفت عيّناتها من تركيا والبرازيل، قام غليك وزملاؤه بالبحث عن الترابط بين التعصّب الجنسي المتجاذب وإساءة معاملة الزوجة. وقد وجد الباحثون ارتباطاً إيجابياً بين نمطي التعصّب: العدائي والإيجابي. لكن، ولدى ضبط التعصّب الإيجابي، تبيّن أن التعصّب العدائي يسعه التنبّؤ باتجاهات داعمة لتبرير العنف ضد الزوجة، فيما لا يمكن للتعصّب الإيجابي أن يمنع تلك الإساءة. فيستنتج الباحثون أن المنحى الإيجابي الذي يميّز التعصّب لا يحمي النساء من الإساءة في حال خَرَقْن معايير الأدوار الجندرية السائدة، أو في حال قُمن بتحدّي الزوج، (Glick et al., 2002).

في آراء[10] نساء معنّفات من لبنان، أخيراً، وفي سياق تعليلهن لدوافع أزواجهن للإساءة إليهن، تصدّرت القيم الذكورية المتمثّلة بتخويل الذكور السلطة على الإناث،

(9) وهي للتذكير تتمثّل باتجاهات متعلّقة بالجنسانية مسيئة للنساء، وترى إلى العنف ضدهن بوصفه سلوكاً «رجولياً»، وتعتبر اختيار الخطر باعثاً على الإثارة.

(10) في إطار نقاش في مجموعة استقصائية focus group تكوّنت من سبع نساء معنّفات من مستويات تعليمية وأنماط مهنية مختلفة، (صيدواوي، 2002، 103-124).

وانحياز الأحكام الدينية / الشرعية للرجل، وشيوع هذه الأحكام، ضمناً، في اتجاهات تمييزية ضد المرأة... تصدّرت الأسباب المفضية إلى العنف على أشكاله عليهن، (صيداوي، 2002، 109).

تلخيصاً

التذبذب الذي تشهده مجتمعاتنا حيال المرأة وقضاياها، المتمثّل بتوفير شروط تقدّم الإناث وتمتعهن بنتاج الحداثة في أكثر مناحي الحياة، (في العلم والعمل والصحّة...)، مترافقاً مع التشبّث العنيد في التعبيرات الثقافية والقانونية والسياسية الراسخة في التقليد، جاعلاً النساء على هامش الحركة المؤثّرة في المجتمع... هذا التذبذب محمول، برأينا، على معتقدات ذات صلة بمنمّطات نسجت حول «ماهية» كلّ من المرأة والرجل، وحول أدوارهما الموصوفة والتوصيفية. هذه المعتقدات، إذ تمثّل ركناً رئيسياً من «الاتجاهات الاجتماعية»، فقد احتلّت مساحة غير قليلة في أدبيات علم النفس الاجتماعي. في هذا الفصل، حاولنا إرساء قاعدة يسعنا الانطلاق منها للمشاركة في النقاش الدائر حول الموضوع: موضوع الاتجاهات نحو المرأة، أو التعصّب الجنسي، أو التمييز ضد المرأة... بحسب التسمية المعتمدة.

... لكن ماذا عن التمييز، أو العدائية، ضد الرجل؟

هل يستنكر القارئ السؤال، أصلاً، على نحو ما شهدنا لدى الشبّان / المبحوثين حين طرحناه في دراستنا الميدانية التمهيدية؟

هل هو سؤال خُلْفٌ لا مبرر له؟

هذا ما سنعالجه في الفصل القادم.

الفصل الثاني

التعصّب ضد الرجل

المظاهر والتعبيرات

من يقرأ ما يكتبه بعض الرجال في مجلات غربية معاصرة، (أميركية وكندية، مثلاً)، من مثل Everyman, Transitions, Voice Male[1] يتراءى له، للوهلة الأولى، أنه يقرأ نصّاً في واحدة من النشرات النسوية الأميركية والأوروبية التي ازدهرت في الستينات والسبعينات من القرن الماضي. تلك النشرات التي كنا نحصل عليها، بالبريد العادي، من صديقات عربيات أو أجنبيات من تلك البلاد. وذلك، بسبب التعبيرات المريرة عن غضب عارم، لا يختلف كثيراً عن ذاك الغضب الذي أطلقته الصحوة النسوية، يومها، في حركة تحرر المرأة، في نسختها الثانية. وإذ كان «الغاضبون» يومها «هم» النساء، وحيث كانت وجهة الغضب وموضوعه الرجال، فإن الغاضب، اليوم، هو الرجل، وموضوع غضبه ليس سوى النساء أنفسهن!

بل إن الحدّة التي تتصف بها الاتهامات تجعل الكلام عن «حرب بين الجنسين» أو «الحرب الجندرية»، تبرز في ثنايا كلام الباحثين في علم نفس الرجال، مثلاً، وكأنها حاصلة بالفعل، وفيها تستخدم المصطلحات الحربية: الساحة والأسلحة، والربح والخسارة إلخ. تقول دِرِك، مثلاً، إن «الذكورة هي العدوّ؛ فالبطريركية، وإن أساءت إلى الجنسين، فهي قدّمت للذكور امتيازات لا يمكن نكرانها: الإنتاج الإنجابي

(1) لا تنتمي هذه المجلات إلى فئة المجلات العلمية والأكاديمية، لكنها أدرجت، على كلّ حال، في قاعدة المعلومات الأكاديمية التي تتضمّن دراسات حول علم نفس الرجال، الجندر، والذكورة جنباً إلى جنب مع مجلات علمية أخرى كانت مراجع لنا حول الموضوع في هذه الدراسة. ولعلّ ذلك ناجم عن الجدّة النسبية للموضوع.

المجّاني، 37% أجور أكثر (من النساء)، البروز والاستعلاء الثقافي. صحيح أن الرجال سوف يستفيدون من دحر البطركية، لكنهم سيخسرون أيضاً. . .على كلّ حال، إن ما سيربحه كلّ طرف من الجنسين سيكون مختلفاً عمّا سيربحه الآخر»، (Derek, 2002).

الحرب يخوضها الاثنان في «ساحات» متعدّدة، وتستعمل فيها شتّى أنواع «الأسلحة». الساحات هذه، ليست جديدة، بل تكاد تتكرر نفسها: الترتيبات التي تحكم العلاقة بين الرجل والمرأة، البيت بكلّ وظائفه النفسانية والمادية والاقتصادية، القانون والبيئة القانونية، الإعلام وغيرها من الساحات التي تربّع الرجل عليها دون منازع منذ أن وجدت. أما الأسلحة فهي ذاتها، لكنها شُحِذَت لتناسب مستعمليها الحاليين: القوانين الجديدة التي تنظّم العلاقة بين النساء والرجال في كلّ المجالات، حتى الحميمة منها، الطلاق والزواج، تقسيم الأموال والحضانة، تجريم العنف بما في ذلك ضرب الزوجة واغتصابها، التحرش الجنسي و«أمر الابتعاد» (عن منزل المرأة- الزوجة السابقة restraining order)، التمييز الجندري إلخ من قوانين في المجالين العام والخاص كانت ثمرة نضال الحركات النسوية وباتت من مسلّمات النظام القانوني والأمني وممارساته. . . هذا، كما لا يخفى، هو الحال في المجتمعات التي أقرّت المساواة الجندرية في قوانينها.

بغض الرجال

إن نضال النسويات من أجل جذب أنظار المجتمع إلى المعاملة التمييزية التي تقع النساء تحت وطأتها، أدّى إلى حركة ارتجاعية تمّ بموجبها خلع اسم «بُغض الرجال» للتعبير عن استياء النسويات من الرجال ومن النظام البطركي. إن تسليط الضوء على «بغض النساء» جعل بعض الرجال يطلقون على النسويات اللواتي أبرزن ذلك البغض صفة «كارهات الرجال»؛ وترى كريستيان بأن استملاك، أو تأميم، رسالة ما وكأنها ملك لفئة دون غيرها، هو سلاح فعّال في يد المضطهِد. إن وصف النساء بـ«كارهات الرجال» هو من بعض استراتيجية الهيمنة التي تعتمدها إيديولوجية الجماعة المسيطرة من أجل الحفاظ على سلطتها. إنها وسيلة فعّالة في إسكات النساء اللواتي يعبّرن عن غضبهن واستيائهن، لأنها تفترض أن هذا الغضب وذلك الاستياء موجَّهان ضد الرجال، (Christian, 2004).

والرجال، في الحرب الجندرية هذه، واقعون تحت وطأة إرث الرجال السابقين

المثقل بصفة الهيمنة المطلقة. هو إرث يبدو معه الرجال المعاصرون وكأنهم غير صادقين في شكاواهم وتظلّماتهم، ويبدون دفاعيين، بل وخاسرين سلفاً، بمواجهة «الأعداء». خاصّة، وأن لهجتهم، ومضمون كلامهم، يمكن التعرّف على بعضه، أحياناً، بوصفه تعبيراً إضافياً عن «بغض النساء». لكن، كما اتهمت النساء الرجال بكرههن، فإن «الحرب» الدائرة استدعت مصطلح «بغض الرجال» Misandry إلى التداول، على نحو شبيه بتداول «بغض النساء». ووجد نانْز، (Nuns, 2003)، مثلاً، ضرورة لإعادة تعريف «بغض الرجال» ورصد مظاهره. فقام بتعداد ثمانية وعشرين من هذه المظاهر اشتملت على معتقدات وتصوّرات ومنمّطات وإحالات حول الرجال، أدوارهم، وأوجه علاقاتهم بالأطفال والنساء في الدائرة الأسرية أساساً، وليس حصراً. هذه المظاهر تنطوي على اعتبار الرجل، دون المرأة، مسؤولاً عن العنف والقمع الأسريين، وتقوم بتحريف الوقائع لصالح المرأة في الأبحاث والإعلام، وتعبّر عن رغبات ووجوب الفعل المفضي إلى قمع الرجال وعقابهم وإلحاق الأذى بهم، واعتبار سماتهم، واتجاهاتهم وسلوكاتهم، ملحقة جميعها ببيولوجيتهم وهورموناتهم التي تؤدّي بهم، حكماً، إلى اللجوء إلى العنف والانتهاك.

من مظاهر «بغض الرجال»، أيضاً، الإعلاء من قيمة الإناث والتغاضي عن إساءاتهن للرجال والأطفال، وتشجيعهن على إبراز العنف الممارس عليهن، وتسهيل شروط استقبال شكاواهن في المخافر وفي الإعلام، ودعمهن، وبث ثقافة جعل الرجال مسؤولين عن مآسيهن، وإنشاء مؤسسات لحمايتهن، والتغاضي عن حماية الرجال بطريقة مشابهة.

هذا، ويطرح توماس، (Thomas, 2005)، أكثر من خمسين سؤالاً يطعن فيها ادعاءات النساء حول التمييز اللاحق بهن، مبرزاً في كلٍّ واحد منها، «المعايير المزدوجة» التي تعتمدها النساء: هي أسئلة تتناول قضايا لا تختلف كثيراً عن تلك التي أوردها نانْز والتي قمنا باستعراضها، لتوّنا.

ويدعو كاين، (Kane, 2005)، إلى حماية الرجال من التمييز اللاحق بهم في الإعلام، الذي دأب على تقديمهم في صورة مشوّهة كشركاء وكآباء، والتغاضي عن الإساءات التي تحمل الاسم ذاته لكنها تمارس من قبل النساء كالعنف الأسري، مثلاً، بل، أيضاً، الاغتصاب الجنسي. فيما يطالب داريل، (Darryl, 2005)، بضرورة التنبّه إلى كيد النساء المتمثّل بسعيهن، مثلاً، لاستمالة الآخرين، القضاة والقوى الأمنية

خاصّة، بأساليبهن الماكرة، للحصول على مكاسب مادية ومعنوية في مجال النفقة والحضانة وغيرها من جرّاء تجريم الرجال.

وكتب آخرون شهادات شخصية تفصّل مكر النساء، ولجوءهن إلى أساليب استنبطتها بعض النساء للإيقاع بالرجال من أجل تحقيق مآربهن المتعلّقة بإقرار الحضانة لهن، أو تحصيل النفقة، أو غير ذلك، واستخدام القوى الأمنية والقضائية والإعلام من أجل تلفيق تهم الاغتصاب والتحرّش الجنسي، (Brothers, 2001)؛ بل إننا بتنا نشهد دراسات تتناول «العنف ضد الرجل»، على غرار «العنف ضد المرأة» في المجلات العلمية الرصينة، (Sorenson and Taylor, 2005).

ويناصر هايجمان الدكتور وارن فالِر الذي دعا إلى دحر الأساطير الشائعة حول النساء والرجال، معدداً خمساً من أكثرها تدميراً:

الأسطورة القائلة بأن الرجال يعنّفون النساء أكثر مما تعنّف النساء الرجال، (والحال أن أكثر من مائة دراسة حول الموضوع تدحض ذلك)،

الثانية القائلة بأنه يتمّ تجاهل صحّة النساء بالمقارنة مع صحّة الرجال، (والحال أن ميزانية العناية الصحية في الولايات المتحدة توفّر أموالاً للنساء أكثر مما توفّر للرجال)،

الأسطورة الثالثة المتمثّلة باعتبار أن النساء، دون الرجال، يعملن في مهنتين، (على افتراض أن الرجال لا يعملون في المنزل بسبب تعريف مبتسر للعمل المنزلي لا يأخذ بالحسبان أنماطاً من الأعمال يقوم بها الرجال في المنزل)،

والرابعة القائلة بأن أجور النساء أقلّ من أجور الرجال، (والواقع أن ذلك ناجم عن خيارات النساء من جهة، وطبيعة الأعمال التي يقمن بها، من جهة ثانية)،

والأسطورة الخامسة، ودائماً استناداً إلى فالِر، القائلة بأن أطفال الثنائي المطلّقَيْن هم أحسن حالاً إذا بقوا مع أمهاتهم، (مع أن الدراسات تشير إلى أن صحّة هؤلاء النفسية هي أفضل حالاً إذا ما تناوب الاثنان مهمّة العناية بهم)، (Hageman, 2002).

التمييز والتعصب ضد الرجال

ما أوردناه أعلاه، إنما يمثّل عيّنة ممّا كتبته أقلام ذكرية في بعض النشرات والمجلات للتعبير عن واقع التمييز، القائم على الجندر، اللاحق بالرجال المعاصرين والذي يجعل منهم، مواضيع «التعصّب الجنسي». اللافت أن تعبير «التعصّب الجنسي»

هذا استُخدم في الأدبيات العلمية، كما بيّنا سابقاً، للإشارة إلى التمييز ضد النساء. لكنه يُستعار، في هذا السياق، ليعبّر عن التمييز ضد الرجال على نحو شبيه. فيضطر مستخدموه للتأكيد أنه ينبغي إعادة النظر في استعمالاته؛ وذلك لأن التعصّب ضد الرجال بات من وقائع العلاقة القائمة بين الجنسين، فما عاد جائزاً التغاضي عنه، (Darryl, 2004).

ما تتصف به التصريحات التي أوردناها هو كونها غير مسبوقة. والإسنادات، كما يلاحظ القارئ، تعود إلى السنوات الخمس الماضية فقط، فلا يقع المرء على تسمية شعبية، مثلاً، لمشاعر «بغض الرجال». ويرى غيلمور أن التعبير المذكور، وبعكس «بغض النساء»، «لم يرتفع إلى مستوى إلهي، ولم يتمّ تشييؤه في مؤسسات لها مكوّناتها من الميثولوجيا والسحر، ولا وجود لأمثلة صريحة تحيل إلى مناهضة للذكورة بوصفها فوبيا تقليدية أو عقيدة منتظمة يمكن نسبتها إلى النساء»، (Gilmore, 1994). هذا الكلام كتب في العام 1994، لكننا لم نجد المدخل misandry - أي ما ترجمناه بـ«بُغض الرجال»- في أكثر من موسوعة سيكولوجية معاصرة جعلت الجندر، أو حتى الذكورة حصراً، موضوعها الأساسي، (وبعضها من مراجع هذه الدراسة).

لكن الدراسات، لدى تضمينها أسئلة حول العنف الممارس ضد الرجال، قد بدأت «تجده». فالمسح الشامل الذي أُجري في الولايات المتحدة للعام 2000، مثلاً، لرصد العنف الأسري، أشار إلى أن 7% من الرجال قد تمّ تعنيفهم جسدياً أو جنسياً من الشريكة الحالية أو السابقة، في إطار الزواج أو المساكنة أو في علاقة، في وقت ما من حيواتهم. وقد قدّر هذا التقرير أن حوالي 835000 رجل يختبرون عنفاً في السنة، (وذلك مقابل 1,3 مليون امرأة في الظروف نفسها)، وأن الرجال يتجهون للتصريح عن تعرّضهم للعنف بالدرجة ذاتها التي تقوم بها النساء، (Fizpatrick et al., 2004).

النماذج من الكلام المثبت أعلاه ليست معزولة، فهي تندرج في سياق وجهة من ردود الفعل على حركة تحرر المرأة، وتداعياتها، بدءاً من ستينات القرن الماضي. هذه الحركة أطلقت حركة رجالية بتيارات متعددة. وقد قام الذين رصدوا ردود الفعل الرجالية هذه بتصنيفها تبعاً لاتجاهاتها نحو النسوية. والإسنادات التي أثبتناها تعبّر عن المنحى الأكثر تضرراً منها، والأكثر سلبية، ربما، تجاهها.

وقد حددت وِللو غاية الحركات الرجالية المتأثّرة سلباً، أو إيجاباً، بحركة تحرر

المرأة. هذه الغاية تتمثّل ببحث الرجال عن ذواتهم «الحقيقية»، تماماً كما كانت غاية النساء لدى انطلاق حركتهن: إعادة اكتشاف ذواتهن. فالرجال محتاجون إلى مساحة خاصّة بهم من أجل اكتشاف ذواتهم في زمن تقوم فيه النساء بسلبهم أدوارهم السابقة: الحماية والسلطة والقانون. إن المضيّ قدماً في تحقيق المهام المطروحة على حركة تحرر الرجال يتطلّب الكثير من الشجاعة والتفكير من أجل الإبحار إلى مكان حقيقي، ومن أجل تحصيل قوّة باعثة على التحرر، (Willow, 2004).

الحركات الرجالية

هذا، وقام كلاترباو بتصنيف الحركات الرجالية في الولايات المتحدّة، على امتداد عقود أربعة، بدءاً من الستينات، وحتى مقلب القرن الماضي، في مصنّفات أربعة:

الحركة «الموالية للنسوية»، «حركة حقوق الرجال»، «الأسطوريات الشاعرية» Mythopoetics، و «حافظو العهد»، (Clatterbaugh, 2004, 531).

تبنّت المنظمات الرجالية «الموالية للنسوية» مناهضة التعصّب الجنسي، لكنها اختلفت في تحليل أصوله واختلفت، تبعاً لذلك، في تعيين وسائل مناهضته. نشير إلى أن النسوية الراديكالية تعتبر الرجال مسؤولين عن قمع النساء وتعنيفهن، فيما تحيل النسوية الليبرالية التمييز اللاحق بالنساء إلى المنمّطات والممارسات الاجتماعية التي تقمع الرجال والنساء على السواء. والرجال من هذا التيار الأخير يعارضون كون الرجال، دون النساء، المعيلين لعوائلهم، أو المقاتلين في سبيل نصرة أوطانهم، ويطالبون بتخفيف الضغوط الناجمة عن تولّيهم المسؤولية. هؤلاء الرجال النسويون ناصروا قضية تحرر المرأة لأنها متناغمة مع مصالحهم. فـ«المرأة المتحررة يسعها أن تمنح الرجل استقلالية أكبر في حياته الشخصية»، ولن تكون عالة اقتصادية عليه، ولن تفرض عليه علاقة أحادية، (Derek, 2002).

أما «حركة حقوق الرجال» فتجد في النظام الاجتماعي مولّداً وحاضناً للأذى الذي يصيب النساء والرجال من جرّاء التقييدات التي تضعها الأدوار الجندرية عليهم جميعاً. وترى أن الامتيازات التي تعزى إلى الأدوار المفروضة على الرجال، كالإعالة والحماية مثلاً، إنما هي خرافة لأنها سببت لهم أذى يفوق الأذى الذي سببته للنساء الأدوار المفروضة عليهن. ويرى لانسكي أن ارتباط الذكورة بالنجاح في العمل منقوش على

أجساد الرجال؛ وذلك في انتشار الأزمات القلبية بينهم، لكن أيضاً في الوتيرة المرتفعة للعجز الجنسي بين العاطلين عن العمل منهم... وفي الضواحي الفقيرة حيث تزداد البطالة تزاح معاني الذكورة إلى الأداء الجنسي وإلى استعراض القوّة العارية، (Lansky, 2001).

هذا، واتخذت «حركة حقوق الرجال» في العقدين الأخيرَيْن منحى مغايراً قوامه إعادة الاعتبار لأدوار الرجال، فتفرّع منها «حركة حقوق الآباء» التي «غلبت» التيار الليبرالي في الحركة عدداً واستمرارية. وتمحور خطاب هذه الحركة على أهمية دور الأب في الأسرة، واستندت، في حججها، إلى إبراز العاهات الاجتماعية التي نجمت عن غياب الأب في الأسر الأميركية، لائمة الحركة النسوية التي قامت بتقزيم دور الأب في خطابها بل أودت به إلى الإلغاء.

أما حركة «الشاعرية الأسطورية»، فهي نشأت أيضاً في سياق نهوض النسوية، مستوحية تيارها الروحاني؛ لكنها كانت، في هذه الحالة، حيادية تجاهها. في ظلال هذه الحركة تجمّع الرجال في حلقات للكلام والتبادل حول «انجراحاتهم» التي سببتها الحياة المعاصرة التي قمعت التعبيرات الأرختايبية، (بتأثير نظرية كارل يونغ) فيهم.

هناك، أخيراً، «حافظو العهد» من الرجال المسيحيين الذين تعاظم عددهم حتى بلغ في مهرجان أقاموه العام 1995 حوالي 750 ألف رجل؛ ورسالتهم الأساسية تمثّلت بحثّ الرجال على استعادة أدوارهم الأسرية، ومكاناتهم القيادية التي تخلّوا عنها للنساء في المجالات المختلفة: في الوسط المحلّي والدين خاصّة. ومن شعاراتهم المرفوعة احترام النساء، ومحاربة الخلاعة الجنسية، والتزامهم بالوعد الذي قطعوه بأن يكونوا حماة أسرهم ومعيليها. هؤلاء يصرّحون بمعاداتهم للحركة النسوية وإن بدت شعاراتهم التفصيلية ودودة تجاه النساء.

التيارات الأربعة من الحركات الرجالية عبّرت عن مصالح فئات مختلفة من الرجال. وقد تراجع عدد أفرادها وخفت صوتها تدريجياً حتى باتت، في مطلع القرن الحالي، غير منظورة تقريباً. ويجد كِمِلْ وأرونسون أن تراجع هذه الحركات يؤذن، ربما، بتراجع الحاجة إلى مناهضة النسوية أو مناصرتها بفعل تراجع التمييز الجندري في التنشئة الاجتماعية، (Kimmel and Aronson, 2004).

التواصل وانقطاعه

لكن تراجع التيارات المنظورة على الساحة الأميركية لا يعني غياب مظاهر ما دعاه البعض بـ«الحرب الجندرية»، المستعرة دائماً، والتي أوردنا بعض تعبيراتها في بداية هذا الكلام. هذه الحرب تجد وقودها، بالنسبة لراصدي مظاهرها، في ما يدعى بـ«استحالة التواصل» بين الجنسين[2]. ويستند المتشائمون من عدم إمكانية إنهاء هذه «الحرب» إلى مبدأ كوني يعتنقونه ويتمثّل بـ«التقاطب الذي يحكم كلّ شيء، تماماً كانقطاع الليل عن النهار وافتراق الزفير عن الشهيق: كلا القطبين ضروريان للعيش لكنهما لا يلتقيان أبداً». هذه الاستعارة تخدم، برأي هؤلاء، تبيان ضرورة القبول باستحالة فهم الجنسين واحدهما للآخر، بحيث يكون الإقرار بهذه الاستحالة، مفارقة، الجسر الذي يمتد بين الاثنين. «لكن رقّاص الساعة يتنقل بين الجنسين؛ ولعلّنا نشهد الآن، ومع وصول النظام البطركي إلى نهاياته بفعل تبادل موقعَي الضحيّة والجلاد، وعملية بناء النساء لنظامهن الخاص- عالَماً مضاداً للبطريركية يبنى في مواقعها ويجثم على أنقاضها»، (Willow, 2003).

مقابل هذا «التشاؤم» من احتمال التواصل والحوار بين الجنسين، هناك دعوات للتكامل والمصالحة؛ وذلك بجعل حركات التحرر الرجالية حركة اجتماعية شاملة عبر تحليل نقدي لخطابها ومراجعة الاتجاهات التي تجعل «النحن» في ذلك الخطاب مواجهة للآخر، وبتغليب التعاطف الوجداني مع النساء والانفتاح على الحالة التي يعشنها، بدل اتهامهن بالعمل على قهر الرجال والتغلّب عليهن وغشهن في المحاكم إلخ، (Cresson, 2004). ويدعو آخرون النساء إلى مراجعة اتجاهاتهن الشكّاكة من الحركة الرجالية و«التغلّب على تداعيات ومترتبات كونهن كنّ، ولوقت طويل، ضحايا الرجال المعتدين»، (Willow, 2003).

هذه التعبيرات المتناثرة والمتعارضة من مطالعات أو تعليقات كتبت في السنوات الخمس الماضية... إنما هي صياغات، تكاد تكون متكررة، لاتجاهات واكبت مسار الحركة النسوية، وتشير إلى مواقع التجاذب معها على امتداد العقود الخمسة الماضية.

---

(2) من مظاهر التسليم بغياب التواصل بين الجنسين الانتشار الشعبي لكتب من مثل، (Gray, 1990) Women [illegible] from Venus, Men are from Mars, في الولايات المتحدة وتوصّله ليكون واحداً من الكتب الأكثر مبيعاً هناك.

الحركة النسوية هذه، كان لها، كما سبق وذكرنا، موقعاً فكرياً وأكاديمياً عُرف بميدان «الدراسات النسائية». في هذا الموقع تبلور الخطاب النسوي المعاصر عبر تفاعله مع الحركة النسوية موفّراً لذلك الخطاب، في الوقت نفسه، الإطار النظري والفكري الذي يلهمها. بالطريقة عينها، نشأ حقل «الدراسات الرجالية» ليواكب نشوء وتطوّر الحركات الرجالية، عاكساً تنوّع اتجاهاتها وانقساماتها. وهو حقل يهتم بهويات الرجال واختباراتهم الحياتية على خلفية المثالات الافتراضية التي أنشئت في السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية. والباحثون فيه هم، في الأغلب الأعمّ، ناشطون، ولا يخفون أهدافهم المعنية: التغيير لمواجهة المشاكل وتبدّل المعايير وتراجع «الثوابت» ومسوّغات اليقين... وللتعامل مع كلّ ما أحدثته الترتيبات الجندرية المعاصرة في الأفكار والممارسات.

يرى كابرارو أنه، ومع حلول القرن الواحد والعشرين، يزداد التوافق في الدراسات الرجالية على الفكرة التالية: لا «رواية الرجل القوي» ولا «رواية الرجل القليل الحيلة» يسعها تأويل هويات الرجال، أو التقاط جوهر اختباراتهم الحقيقية. وهو يجد ميلاً متزايداً في هذه الدراسات لتبنّي مقولة الطبيعة المفارِقة paradoxical للذكورة. ومفاد هذه المقولة أن الرجال، كجماعة، يملكون، موضوعياً، السلطة على جماعة النساء. لكن كثيراً من الرجال كأفراد لا يشعرون، ذاتياً، بأنهم يملكون أية سلطة على النساء، (Capraro, 2004). بل، على العكس من ذلك، يشكو الرجال من تمييز ضدهم. التمييز المذكور، إما مضمر ومتأصّل في النظام البطركي، أو هو صريح في اختبارات الرجال مع المترتبات الاجتماعية والقانونية والسياسية إلخ، للحركة النسوية... المترتبات التي قدّمنا نموذجاً منها في مطلع هذا الكلام.

كما تطوّرت دراسة التعصّب ضد المرأة لتصبح أكثر تمايزاً، وتفرّعاً إلى مكوّنات ونواح وأبعاد ووضعيات، فإن الاتجاهات نحو الرجال بدأت تشهد، كذلك، تمايزات وتفرّعات شبيهة. من هذه، مثلاً، تفريع التعصّب على شكليْه العدائي والإيجابي، (Glick et al., 2004)، وتخصيصه في مناح معيّنة من مثل المعايير الاجتماعية حول العدوانية الجسدية ضد الرجال في إطار الكوبل، بل والعدوانية الجنسية ضدهم، (Sorenson and Taylor, 2005).

تلخيصاً

مشاعر الاعتراض على العدائية ضد الرجل، وتباشير التعبير عن هذا الاعتراض، رافقت بدايات حركة تحرر المرأة. والدراسات الرجالية في الأوساط الأكاديمية نمت، أيضاً، على ضفاف الدراسات النسائية؛ لكن الحركات الرجالية، تماماً كالدراسات الرجالية، لم تزدهر إلا في العقدين الماضيين. وهو ما يفسّر، بالطبع، اتساع القاعدة البحثية ذات الصلة بالتعصّب ضد النساء وتنوّعها، وضيق القاعدة المماثلة ذات الصلة بالرجال. هكذا، استغرق تقديم الموضوع الأول (التعصب ضد المرأة) فصلاً امتد على أضعاف صفحات الفصل الذي تناول الموضوع الثاني (التعصب ضد الرجل).

في الفصل اللاحق، نستعرض مسار إنشاء أداة البحث التي استخدمناها في دراستنا الميدانية من أجل قياس الاتجاهات الجندرية: قياس الاتجاهات حيال المرأة وحيال الرجل في مجتمعاتنا.

الفصل الثالث

المعتقدات حول الرجل وحول المرأة
(أداة البحث)

«الرجل، بعكس المرأة في مجتمعنا، حاصل على كلّ حقوقه»
«لا يمكن للرجل أن يفكّر في الزواج قبل أن يؤمّن حصوله على دخل ثابت»
«الرجل الرجل لا يبكي!»

. . . هذه أمثلة من معتقدات سائدة حول الرجل: المعتقد الأوّل ينفي حصول أي تمييز ضد الرجل في مجال الحقوق، المعتقد الثاني يوصّف للرجل دور المعيل الثابت في أغلب المجتمعات المعروفة، ومنها مجتمعنا؛ أما الثالث فينطوي على وجوب كبح انفعالاته من أجل استحقاق انتمائه إلى فئة الرجال.

ومن الأمثلة عن المعتقدات حول المرأة:
«على البنت أن تبقى عذراء حتى الزواج»
«طاعة الرجل من عبادة الله»
«العمل السياسي غير متناسب مع طبيعة المرأة»،

يمثّل المعتقد الأوّل قاعدة، شبه مُلزمة، للإناث في مجتمعاتنا العربية[1]، ذات صلة

(1) تدفع ثمن خرق هذه القاعدة غير المعلنة / المعتقد بحياتهن عشرات الفتيات كلّ سنة في عالمنا العربي، ضحايا ما يعرف بـ«جريمة الشرف»؛ فيسلّط سيف الموت على من تخرق هذه القاعدة، ويمنح المجرم امتياز العقاب المخفف، إن لم يكن المحلّ، في أغلب هذه المجتمعات. في الحالات غير الدرامية، تخضع فتيات، لا نعرف عددها بالضبط، لعمليات رتق للبكارة يغشّشن «العريس»، بواسطتها، ليلة الدخلة.

بتقييد سلوكها الجنسي، ويصف الثاني معتقداً سائداً يُحال إلى المقدّس، ويوصّف موقعاً للمرأة طفولياً، إن لم نقل دونياً، بإزاء الرجل. أما الثالث فيحيل سلوكاً عاماً إلى الطبيعة، (البيولوجيا والجينات، ربما)، لإعطائه سمة الحتمية، مانعاً عن المرأة النشاط الأهم في حياتنا المعاصرة.

هذه المعتقدات تنزع، بمجملها، الفردية عن أشخاص الفئتين، وتُحيلهم أسرى منمّطات وأدوار وسمات، وتقيّد سلوكهم بموجبات تمّ توصيفها للفئة البيولوجية التي ينتمون إليها؛ وتلتحق بهذه جميعاً معايير وقيم وأخلاقيات، بل قوانين، داعمة لرسوخها في الذهنيات، ومؤثّرا في «معاقبة» المنحرفين عنها.

التصريحات، المُثبتة أعلاه، نماذج متفرّقة من بنود، تتألّف منها القياسات التي يعتمدها الباحثون في سعيهم لرصد الاتجاهات نحو الرجل والمرأة على التوالي. هي، وأمثالها، تندرج متتالية لتؤلّف، معاً، القياسات المذكورة. وفي الصياغات المختلفة التي تقدّم فيها هذه القياسات، يُطلب إلى الأشخاص/ المبحوثين أن يعلنوا عن موافقتهم، أو عدم موافقتهم، على البنود المذكورة. ويعتبر الباحثون نتائج التحليل الإحصائي لاستجابة هؤلاء المبحوثين بيّنة على درجة قبولهم بالمعتقدات الرائجة حول المرأة والرجل، أو التعصّب ضد المرأة، أو العدائية ضد الرجل، بحسب الحالة.

نستعرض في هذا الفصل الشق الثاني[2] من دراستنا التمهيدية التي نفّذناها في أواخر العام 2004، من أجل إنشاء قياس لـ«الاتجاهات الجندرية» المعتمد في الدراسة الرئيسية.

نذكّر القارئ، بادئ ذي بدء، بتعريف عبارة «الاتجاهات الجندرية» كما جاءت في أحد هوامش مقدّمة هذا الكتاب:

تتمثّل «الاتجاهات الجندرية» بمعتقدات تتناول مكانة المرأة ومكانة الرجل في مجتمعنا، كما تتناول الأدوار التي يلعبها كل منهما بالتناغم مع المكانة المذكورة، وتتضمّن هذه المعتقدات وجوب الالتزام بأنماط من السلوك، دون غيرها. وتنطوي هذه جميعاً (أي، المكانة، الأدوار، السلوكات)، على قيم معيارية، وجهة الصواب والخطأ، وحدودهما.

---

(2) تمثّل الشق الأوّل من الدراسة التمهيدية بعملية البحث عن سمات الذكورة والأنوثة التي شكّلت سلالم «استبيان صورة الذات الجندرية» والتي أثبتنا خلفيتها النظرية، أدواتها، مسار تنفيذها ونتائجها في الفصل الخامس من الجزء الأوّل من هذه الدراسة.

وما ندعوه بـ«الاتجاهات الجندرية» يجاور تعبيرات أخرى، ويتقاطع معها أو هي من مكوّناته؛ نقصد «التعصّب الجنسي»، «العدائية ضد الرجل»، «التعصّب المتجاذب»، إلخ.. وكلّها مادّة المخزون البحثي الذي قدّمنا نماذج من اهتماماته في الفصليْن الأوّل والثاني من هذا الجزء.

قياس التعصب ضد الرجال

كما كان واقع الحال مع التعصّب الجنسي، أصبح التمييز ضد الرجل، ودراسة الاتجاهات نحو الرجل أو مسائل تختص بهم... أصبحت جميعها، كما سبق وذكرنا، موضوعاً للدراسة والبحث في حقل الاتجاهات من ميدان علم النفس الاجتماعي. وتُحصي الباحثة المختصّة بالقياسات النفسانية، بير، في كتابها الذي يجمع بين دفتيه الأدوات المختلفة التي أنشئت لقياس الأدوار الجندرية منذ انطلاقها وحتى العام 1990، ستة استبيانات للاتجاهات نحو الرجل مقابل أربعة وعشرين لقياس الموقف من المرأة، وستة وعشرين لقياس الموقف من النساء والرجال معاً. ويعود القياس الأوّل لـ«الاتجاه نحو الرجل» إلى العام 1978، لكن استبيانات «الموقف من المرأة وقضاياها» كان قد بوشر بإنشائها منذ العام 1972. أي في السنة التي نشر سبِنْس وهلمريتش[3] كتابهما الذي يعرض مسار إنشاء هذا الاستبيان. ومن بين الأدوات التي استخدمت لقياس الاتجاهات نحو الرجل فإن الأكثر استعمالاً، تؤكّد بير، كان سلّم «الاتجاه نحو تجاوز الذكورة». وقد حصّل الباحثان مورلاندو وتونين بنوده عبر تعيين وضعيات ومدارات يستجيب لها الرجال بطريقة تخالف المنحى الذكوري التقليدي. الوضعيات هذه، اشتملت على الإنجاز والمكانة، العمل، العلاقات بين الذكور، الانفعالية، السيطرة في إطار العلاقات مع المرأة، الزواج، المرأة «الجديدة»، الأطفال، الجنسانية، اللعب، السلوكات المنمّطة إلخ؛ ثمّ اختصرت، في صياغات أخرى للقياس، إلى أربعة: الهيمنة، غياب الانفعالية، المكانة والإنجاز، واستبعاد الأمور النسائية. وتمّ بعد ذلك توليد تصريحات تغطي هذه الأبعاد والمدارات الأربعة، بلغ عددها المائة والستين، لكنها اختصرت، بمعالجة

(3) هو سلّم «الاتجاهات نحو المرأة»، وقد أحصت بير أنه استخدم وحتى العام 1990، 400 مرّة في مؤلّفات ودراسات منشورة؛ ولا يتضمّن هذا الإحصاء عدد المرّات التي استخدم فيها هذا السلّم في الرسائل والأطروحات الجامعية، (Beere, 1990, 423). الجدير ذكره أن كاتبة هذه السطور قد استخدمت صيغة معدّلة منه في رسالة الماجستير، (بيضون، 1988).

إحصائية، في سلسلة من الاختبارات على عيّنات من النساء والرجال، (Beere, 1990, 423).

وفي العام 1999، أنشأ غليك وزملاؤه الباحثون في الاتجاهات التعصّبية القائمة على الجندر، استبياناً لقياس التعصّب ضد الرجال، (Glick et al., 2004). وذلك على منوال القياس الذي كان قد أنشأه سابقاً لـ«التعصّب الجنسي المتجاذب»، وبالاستناد إلى مخزون واسع من الدراسات في الاتجاهات التعصّبية ضد النساء، الذي كان قد بدأ مع سِبِنْس وزملائها، منذ أكثر من أربعة عقود.

لكن ما هو، تحديداً، التعصّب ضد الرجال؟

ينطوي التعصّب العدائي ضد الرجال على معتقدات حول كونهم في موقع السيطرة الشاملة والكاملة، وبأنهم يميلون لاستخدام موقعهم هذا من أجل الإساءة للنساء. ويشتمل، أيضاً، على معتقدات تروّج لكونهم طفوليين وغير كفوئين في المجال الأسري والعلائقي. وترتسم لهم، أخيراً، بموجب الاتجاه التعصبي والعدائي، صورة المعتدي جنسياً.

أما الاتجاه التعصبي الإيجابي، على منوال التعصّب الإيجابي نحو المرأة، فينطوي على رؤية إيجابية للعلاقات والأدوار الجندرية، ويشير إلى اعتناق معتقدات داعمة للنظام الذي ينتج هذه العلاقات وتلك الأدوار. من مكوّناته ميل النساء لممارسة «أمومتهم» على الرجال عبر «تطفيلهم» infantalization، في المجال الخاص، مقابل قيام الرجال بتوفير الحماية والإعالة لهن. وذلك بموجب تمايز جنسي حادّ يعزو للرجل أدواراً إيجابية من الحماية والإعالة.

أخيراً، يفترض هذا النمط من التعصّب ضرورة إقامة علاقة غيرية مع الرجل كشريك رومانسي، (Glick et al., 2004).

يتألّف القياس المتجاذب نحو الرجال من سلّمين: واحدٍ لقياس «العدائية ضد الرجل» وثانٍ لقياس «الإيجابية تجاه الرجل». وتشتمل بنود السلّم الأوّل، أي سلّم العدائية ضدّ الرجل، على تصريحات تفترض أن الرجال هم دائماً في موقع السيطرة، وتقدّمهم في هيئة المتكبّرين المتعجرفين، والماضين في سوء استخدام السلطة. ومن هذه التصريحات، مثلاً: «الرجال يقاتلون من أجل الحصول على سيطرة في المجتمع

أكبر بالمقارنة مع النساء». ويوازي ذلك تصريحات أخرى تنطوي على التقليل من قيمتهم ومن قدراتهم في المجالات الشخصية / الذاتية والأسرية، كما هو الحال، مثلاً، في التصريح التالي: «حين يكون الرجال مرضى، فهم يتصرّفون كالأطفال». أخيراً، يحتوي هذا السلّم تصريحات تصوّر الرجال بوصفهم ميالين للاعتداء والانتهاك الجنسيين. ومن البنود الدّالة على ذلك، التصريح: «حين ينجذب رجل إلى امرأة، فهو لا يتوانى عن القيام بأفعال غير أخلاقية من أجل جرّها إلى السرير». هذه البنود، وإن كانت لا تعطي شرعية أخلاقية لسلطة الرجل، لكنها تقدّم هذه السلطة بوصفها واقعاً نهائياً لا يمكن تغييره.

أمّا السلّم الفرعي الذي يعبّر عن «الإيجابية تجاه الرجل» فيتألّف من بنود تعبّر عن قيمة إيجابية للأدوار والعلاقات الجندرية التقليدية، وأخرى تصرّح عن معتقدات تسوّغ لشرعية النظام الجندري الأبوي. من البنود التي تعبّر عن هذا المنحى، مثلاً: «حتى وإن عمل الزوجان في الكوبل، فإنه يتعيّن على المرأة أن تبقى متنبّهة للعناية بزوجها في البيت»؛ وهو بند يعبّر عن فكرة مفادها أن أدوار المرأة والرجل الأسرية متأصّلة في جنسهما، فلا تتغيّر بفعل تغيّر مكانة كل منهما. وللتعبير عن تخصص الرجل بمهام الحماية البند التالي، مثلاً: «الرجل أكثر استعداداً للمخاطرة من أجل حماية الآخرين»؛ أخيراً، يحتوي السلّم على بنود تدلّ على ضرورة حصول المرأة على شريك من أجل تحقيق «اكتمالها» البند التالي، مثلاً: «على كلّ امرأة أن تسعى لتجد لها رجلاً يعبدها»، إلخ، وهي تشير بمجملها إلى شرعية اللامساواة بين الجنسين» (Glick et al., 2004).

نذكّر أن الأبحاث التي أجريت لرصد اتجاهات الرجال نحو النساء بيّنت، على نحو ثابت تقريباً، أن الرجال يبدون تعصباً جنسياً أكثر بكثير من النساء، وأن ذلك التعصّب، في صيغته العدائية خاصّة، يبرز في المجتمعات الهرمية أكثر منه في المجتمعات المساواتية. هذا، والنساء يبدين عدائية ضد الرجل أكثر من الرجال، تماماً كما يبدي الرجال تعصباً ضد النساء أكثر من النساء. هذه نتيجة ثابتة عبر الحضارات في كلّ الدراسات التي تناولت موضوع العدائية ضد الرجل. هذه النتيجة أكثر بروزاً في المجتمعات الهرمية من المجتمعات المساواتية. ففي المجتمعات الأميركية والبريطانية، مثلاً، تصل العدائية ضد الرجل إلى المستويات الأدنى، ويتقلّص التفاوت بين الجنسين بإزائها. على العكس من ذلك، فإن سوريا وتركيا تقعان، مثلاً، على الطرف العدائي الأقصى في المتصل continum: إذ تبدي النساء في هذين البلدين عدائية كبيرة تجاه

الرجال، كما نجد تفاوتاً أوسع بين النساء والرجال بإزاء هذه العدائية، (Glick et al., 2004).

قياس التعصب ضد المرأة

أكثر الباحثين الذين درسوا التعصّب الجنسي (التعصّب ضد المرأة)، أثبتوا في مؤلّفاتهم المنشورة عن تلك الدراسات كيفية، حصولهم على بنود القياسات التي استخدموها، ومسار إنشائها. وقد حذا حذوهم أكثر الباحثين العرب المهتمين بالموضوع.

لكن كيف حصل الباحثون في الدراسات العربية على بنود استبياناتهم؟

أكثر الباحثين ذكروا مصادر بنود الاستبيان المستخدم لقياس الاتجاه نحو المرأة. فهذه كانت، أحياناً، مستعارة دونما تعديل من أدوات استخدمها باحثون عرب أو أميركيون من قبل، (Hitti, 1974؛ Tarazi, 1970؛ الدسوقي، 1991)، وأحياناً تمّت استعارتها من أكثر من استبيان وخضعت لتحكيم من حكّام موثوقين قبل تبنّيها (بيضون، 1988)، وفي أغلب الأحيان اختيرت البنود بوسائل مركّبة من مصادر مختلفة.

من أوائل هذه الاستبيانات، مثلاً، الحافظ (الحافظ، 1965، أ وب)، الذي استلهم «خبراته الخاصّة»، إضافة إلى دراسة «للمظاهر النوعية للحياة الاجتماعية في مصر»، يضاف إليها «البحوث السابقة». والدراسات السابقة والقراءات المنهجية حول قضايا المرأة والمساواة بين الجنسين، كانت قاعدة رئيسية اعتمدها الباحثون لإنشاء استبياناتهم؛ هذه القراءات، وتلك الدراسات، سمحت للباحثين في «التعصّب الجنسي» بتعيين محاور الموضوع وأبعاده، كتابة بنود في كل منها، ومن ثمّ عرضها على محكّمين كانوا، في الغالب، أساتذة جامعيين، (عبد الفتاح، 97؛ الأنصاري ووطفة، 2000، محمّد، 2006).

لكن بعض الباحثين، (خليفة، 1999، مثلاً) ارتأوا البداية من نقطة الصفر، فأجرى بعضهم دراسة استطلاعية طلب فيها، في سؤال مفتوح، إلى أفراد عيّنة من المجتمع- موضوع دراسته، أن يحددوا مواقفهم من مسألة الاختلاط، مستخلصاً بنود استبيان الاتجاه (نحو الاختلاط بين الجنسين) من الأفكار المتجمّعة لديه.

هذا، وبعض الباحثين يثبتون بنود الاستبيان دون الإشارة إلى مصادرهم، من مثل عبدلله، (عبدلله، 1997)، الذي وصف أداة دراسته «الاتجاهات التعصبية بين الذكور والإناث: المفهوم والأبعاد» بـ«مقياس الاتجاهات التعصبية للجنس» دون ذكر المرجع الذي استقاه منه أو الطريقة المتبعة في إنشائه، باستثناء تثبيته للتعريف الذي اعتمده. وكذلك فعل الأمين وفاعور، اللذان جعلا الاتجاه من المرأة واحداً من اتجاهات عديدة قاما بدراسة ارتباطاتها مع متغيّرات ديمغرافية واجتماعية لدى الطلاب الجامعيين؛ ووصف الباحثان الأبعاد المختلفة للاتجاه نحو المرأة والتي تم التعبير عن كلّ واحد منها في بند أو اثنين من استبيان الآراء بشأن المرأة من ضمن الاستمارة الشاملة في دراستهما، (الأمين وفاعور، 1997).

أداة البحث الميداني: «استبيان الاتجاهات الجندرية»

كيف حصّلنا، نحن، بنود استبيان الاتجاهات الجندرية؟

في إطار دراستنا التمهيدية، (أنظر الفصل الخامس من الجزء الأوّل) طلبنا، شفوياً[4]، إلى أفراد عيّنتها أن يكتبوا، بعد انتهائهم من ملء استمارة الرجل أو المرأة المرغوبين اجتماعياً، وبحسب الحالة... طلبنا إليهم أن يكتبوا على قفا الاستمارة جملتين: واحدة تصرّح عن تمييز ضد المرأة، وثانية تصرّح عن تمييز ضد الرجل. وكتبنا على اللوح المعلّق في الصف الذي وزّعنا فيه الاستمارات، مثلاً على ما نقول. هذا المثل هو عبارة عن تصريحين:

الأوّل: «على الفتاة أن تبقى عذراء حتى الزواج»

الثاني: «على الرجل أن يكون معيلاً لأسرته».

هكذا، تجمّع لدينا أكثر من خمسمائة تصريح بالتمييز الجندري، اختزلت بعد تحريرها، وترجمة بعض منها كتبت بالإنكليزية، (في الجامعة الأميركية)، وبعضها الآخر بالفرنسية، (الفرع الثاني من الجامعة اللبنانية). تمّ، بعد ذلك، استبعاد التكرار منها، وجمّعت المتشابهات منها تحت عناوين تضمها معاً في مجال... فاختصرت، في هذه العملية، إلى خمسة وتسعين تصريحاً. ونقدّم، في ما يلي، هذه العناوين، مرفقة بمثلٍ

(4) للتذكير، فإن كاتبة هذه السطور قامت، بنفسها، بتوزيع الاستمارات على أفراد عيّنة الدراسة التمهيدية.

من تصريح تحت كل واحدٍ منها. الجدير ذكره أن بعضاً من هذه التصريحات كتب في صيغة عكسية، أي مساواتية، لأغراض تتعلّق بقواعد كتابة استبيانات الاتجاهات، والتي تتطلّب جعل بعض البنود إيجابية، وأخرى سلبية بإزاء الاتجاه المدروس. هذه العملية لجأنا إليها في سعينا لمداورة أسلوب في الاستجابة لهذا النوع من القياسات يدعى بـ«الميل للموافقة»، وعكسه، المعروف بـ«الميل للمعارضة» (Anastasi, 1982, 525).

أولاً: التميز ضد المرأة

المجال العام، (طبيعة المرأة غير متناسبة مع العمل السياسي)،

المهن والاختصاصات، (لا يُلام الناس إذا لم يثقوا بطبيبة اختصاصية في الجراحة، فالطب الجراحي خلق للرجال)،

العادات والتقاليد، (أن تسعى الفتاة للزواج أجدى لها من السعي للحصول على درجات علمية عالية)،

التعليم، (على الأهل أن يصرفوا على دراسة ابنتهم تماماً كما يصرفون على تعليم ابنهم- تميز إيجابي)،

المجال الأسري الخاص، (أجدى للمرأة أن تبقى في البيت لرعاية أولادها من أن تعمل خارجه)،

القانون الأسري، (لا يمكن تعديل المواد في قوانين الأحوال الشخصية، والتي قد يراها البعض ظالمة بحق المرأة، لأن هذه القوانين صادرة عن إرادة سماوية)،

السمات / الأدوار الاجتماعية، (إن الأمومة بالنسبة للمرأة هي إشباع عاطفي يغنيها عن الجنس)،

العلاقة مع الرجل، (من الطبيعي أن تُلام المرأة على إساءة شريكها لها، فهي مسؤولة عن مداراة مزاجه).

ثانياً: التميز ضد الرجل

عامّة، (لا نجد في مجتمعنا مظاهر- تصرفات، معتقدات، قوانين. . .- تدلّ على التميز ضد الرجل)،

مجال المهن والاختصاصات، (لا يمكن للشاب أن يختار اختصاصاً مناسباً لشغفه وميوله فقط، بل عليه أن يختار اختصاصاً يؤمّن له ولأسرته المستقبلية حياة رغيدة)،

الإعالة / المسؤولية الأسرية والمالية، (إذا لم يكن الرجل المعيل المالي الحصري لأسرته، فإنه يخسر بعضاً من قدره وقيمته في نظر الناس)،

الصفات الشخصية، (الرجل مفطور على الخيانة الزوجية)،

العلاقة الحميمة مع الشريكة، (المبادرة في العلاقة الحميمة بين الزوجين هي من واجبات الرجل)،

المجال المنزلي، (لا يبدو الرجل ناقص الذكورة إذا قام بجلي الصحون- مساواتي)،

القانون الأسري، (في حال الطلاق، يجب أن تُمنح حضانة الطفل للطرف الأكثر أهلية لرعايته من قبل الزوجين، وليس تبعاً لقوانين الأحوال الشخصية- مساواتي).

وحيث تجمّع لدينا تسعة وخمسين تصريحاً تمييزياً ضد المرأة، فإن التصريحات التمييزية ضد الرجل لم تتجاوز الستة والثلاثين. الواقع أن أكثر من أربعين مبحوثاً ومبحوثة من عيّنة البحث التمهيدي البالغ عددها 248 مبحوثاً كتبوا أنهم «لا يعتقدون بوجود تمييز ضد الرجال في مجتمعاتنا». ومن بين هؤلاء، رجال ونساء، من عبّر عن تعجّبه، بل أبدى استنكاره، من طلبنا هذا!

قام باختيار الأنسب من بين هذه التصريحات الخمسة والتسعين، واحد وعشرون أستاذاً جامعياً، (تسعة أساتذة واثنتا عشرة أستاذة)، طلبنا إليهم أن يكونوا محكّمين عليها، فيختاروا من بينها الأكثر تعبيراً عن التمييز الجندري في إطار المجال الذي وضعت من ضمنه. ثمّ اخترنا، من بين خياراتهم، الأربعين تصريحاً الأكثر تفضيلاً. هذه البنود تم اختزال عددها إلى أربعة وثلاثين، بعد تجريب أوّلي، على مجموعة من أربعة وستين طالباً وطالبة، من قسم علم النفس - الجامعة اللبنانية، لفحص وضوحها ومفهوميتها. البنود الأربعة والثلاثون شكّلت معاً «استبيان الاتجاهات الجندرية»، في صيغته الأخيرة.

الجدير ذكره، أن البنود التي طاولت القانون الأسري في لبنان، أي ما يُعرف بـ«قوانين الأحوال الشخصية»، كانت البنود التي حظيت بأكبر عدد من التساؤل والاستفسار حول معناها من أفراد من المجموعة المذكورة أعلاه. وهي من البنود التي نالت العدد الأكبر من التكرارات في خانة «لا رأي لي في المسألة» (20%)؛ وذلك في تحليل الإجابات الأوّلي لاختبار أجريناه من أجل فحص ثبات الاستبيان. ولمّا كانت

«قوانين الأحوال الشخصية» هي الموضوع الأكثر تناولاً من الحركة النسائية اللبنانية اليوم، ولما كان النضال من أجل تعديل المواد التمييزية من بينها هو على رأس أجندتها، لم نجد بدّاً من الإبقاء عليها بعد تعديل بسيط في صياغتها، جاعلين في أسفل الصفحة من صفحات الاستبيان توضيحاً لمعناها. وقد تمّ الطلب إلى المحققين الذين تولّوا توزيع استمارات البحث الرئيسي الإجابة عن أسئلة المبحوثين[5] بشأنها بطريقة موحّدة. (أنظر الملحق رقم (5))

صدق الاستبيان

حصلنا على خزان البنود الأوّلي pool of items للتصريحات التمييزية، ضد الرجال وضد النساء من الطلاب والطالبات الجامعيين، مجتمع هذا البحث الميداني. إن تحصيل هذه البنود من عيّنة من مجتمع البحث يضفي عليها صدقية محبّذة؛ إذ إننا نكون قد تفادينا، بذلك، إملاءات من خارج وعي هذه الفئة ومُعاشها الحياتي (سواء في الزمان أو في المكان)، لما يُعتبر تمييزاً جندرياً في مجتمعاتنا. وذلك بخلاف ما فعل باحثون آخرون في المسألة أنفسهم الذين لجأوا إلى باحثين، أو مراجع ثقة آخرين، من زملائهم الأكاديميين، إما باستشارة مؤلّفاتهم حول الموضوع، أو عبر تحكيمهم في اختيار بنود دون غيرها. فتتفوّق هذه الطريقة، برأينا، على الطرق المذكورة بسبب جعلها عيّنة من المجتمع المدروس مرجعاً رئيسياً في تعيين مجالات وأشكال التمييز الجندري، تماماً كما فعلنا حين جعلنا الفئة الطلابية محكّمة لمركّبات «الذكورة» و«الأنوثة» و«ذكورة- أنوثة».

لكننا لم نستثنِ من التحكيم خبرة الأكاديميين المعنيين. إذ أسهمت خبرة واحد وعشرين أستاذاً جامعياً (ملحق رقم (7)) في العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية في اختزال عدد البنود باختيار الأكثر تعبيراً منها عن التمييز الجندري. ونحن نفترض أن البنود المحصّلة في صيغتها النهائية تتمتّع، بالطريقة التي جمّعت واختزلت بها، بالصدق

(5) قد تبدو هذه الطريقة غير أرثوذكسية في الأبحاث التقليدية، لكن الأمر بات مختلفاً في الأبحاث المنفّذة حالياً. ففي بحث لرَزْبلْت وزملائها، بحثاً عن «الأثمان» و«المكافآت» التي يحصّلها الفرد في علاقته مع الشريك، اضطرت الباحثة إلى «تعليم» المبحوثين معاني بعض المركّبات/ المفاهيم التي استخدمتها، وأيضاً تفسير التعليمات التي تقدّم للمبحوث بل وتعريف المصطلحات المستخدمة، (Rusbult et al., 1986).

الظاهري face validity. إن طريقة الاختزال المتّبعة لجأ إليها، كما سبق وأشرنا، أكثر من باحث عربي وأجنبي من أجل تأمين الصدق الظاهري في سياق بنائه لاستبيان الاتجاهات الجندرية أو أشباهها، (الاتجاه نحو المرأة، الاتجاه نحو المساواة بين الجنسين، نحو مركز المرأة، نحو عمل المرأة، نحو حقوقها السياسية، إلخ).

إن ما قلناه بصدد تحقيق صدق «استبيان صورة لذات الجندرية» يصح تماماً بالنسبة إلى صدق «استبيان الاتجاهات الجندرية»، (انظر الفصل الخامس من الجزء الأول- صدق الاستبيان). نقصد عدم توفّر قياس - محكّ لبناني يسمح بتحقيق الصدق المتعلّق بالمفهوم أو الصدق التلازمي أو غيرهما من أنماط الصدق المتعارف عليها في مجال القياسات النفسانية والنفس اجتماعية. فيمسي الاكتفاء بالصدق الظاهري في مقام الضرورة.

هذا، وقد تراوحت قيمة مستوى الدلالة لمُعامل الارتباط بيرسون بين بنود «استبيان الاتجاهات الجندرية»، بمفردها، وبين الاستبيان ككلّ... تراوحت هذه القيمة بين العددين 0,05 و0,0001؛ ما يشير إلى اتساق داخلي مقبول. ويؤشّر هذا الاتساق، بالتضافر مع الصدق الظاهري، إلى أن الاستبيان ليس «غير صادق»؛ فالاتساق الداخلي، تقول أناستازي، أحد أهم المراجع في القياسات النفسانية، يُحيل من طرف غير مباشر إلى الصدق، وإن كان لا يُثبته، (Anastasi, 1982, 147).

ثبات الاستبيان:

لحساب ثبات استبيان الاتجاهات الجندرية تمّ توظيف وسيلتين:

الأولى: تمّ حساب الثبات وفقاً لطريقة التجزئة النصفية half- split: فتمّ تقسيم بنود الاستبيان إلى مجموعتين متكافئتين منطقياً، (وفق تقدير حكَمين اثنيْن)؛ وبُعثرت، لدى ترتيب البنود، مفردات هاتين المجموعتين على نحو فوضوي. وقد جاءت قيمة معاملات ارتباط بيرسون بين هذين الجزءيْن هكذا:

	قيمة معامل الارتباط بين الجزءين	مستوى الدلالة
لدى عيّنة الذكور	0,615	0,01
لدى عيّنة الإناث	0,395	0,01
لدى العيّنة بمجملها	0,497	0,01

وهي كلها ارتباطات دالّة، (مستوى الدلالة، وكما هو مبيّن، مقبول في أقل تقدير).

الطريقة الثانية: تمّ بموجبها حساب مُعامِل كرونباك ألفا Cronbach Alpha Coefficient، وهي من الطرق «الأفضل والأكثر شيوعاً لحساب الثبات»، (الأنصاري ووطفة، 2000)؛ وجاءت قيمة المُعامِل المذكور تساوي 0,7836.

هذه قيم تشير، بمجملها، إلى ثبات مقبول في الاختبارات النفس اجتماعية.

«استبيان الاتجاهات الجندرية»: مكوّناته

يتألّف استبيان الاتجاهات الجندرية الذي وصفناه، أعلاه، من أربعة وثلاثين بنداً، هي بمثابة تصريحات تعلن عن الاتجاه نحو المرأة أو نحو الرجل، كُتب أكثرها بصيغة تمييزية، لكن بعضها كتب بصيغة مساواتية. وهي طاولت المجالين العام والخاص، إضافة إلى الحيّز العلائقي بين المرأة والرجل، والسمات التي تُعزى لكل منهما. كما تناولت وجوب السلوك الذي يتعيّن على المرء القيام به على نحو متناغم مع هذه المنمّطات واستجابة للقواعد المصوغة من أجل صيانتها، وتعزيز استدامة تأثيرها.

يتألّف هذا الاستبيان من سلالم فرعية سبعة، رتّبت منطقياً وفق المصنّفات التي اندرجت تحتها التصريحات التي كتبها طلاب وطالبات جامعيين في الاختبار التمهيدي، كما سبق وذكرنا. هذه السلالم هي التالية:

- اتجاه نحو المرأة GF؛ وهذا يشتمل، بدوره، على سلّميْن هما:

- اتجاه نحو المرأة في المجال الخاص، وبنوده هي تلك ذات الأرقام

GFF: 3,4,9,13,14,18,19,30

- اتجاه نحو المرأة في المجال العام، وبنوده هي تلك ذات الأرقام:

GPF: 1,7,10,15,21,24,27,29

فيكون سلّم الاتجاه نحو المرأة GF مكوّناً من السلّميْن الفرعيّيْن معاً.

- اتجاه نحو الرجل GM؛ وهذا يشتمل، بدوره، على سلّمين هما:

- اتجاه نحو الرجل في المجال الخاص، وبنوده هي تلك ذات الأرقام:

GFM: 6,12,16,25,26,32

- اتجاه نحو الرجل في المجال العام، وبنوده هي تلك ذات الأرقام:

GPM: 2,5,8,11,28,34

فيكون سلّم الاتجاه نحو الرجل GM مكوّناً من السلّمين الفرعيين معاً.

■ اتجاه نحو العلاقة بين الرجل والمرأة

GR: 17,20,22,23,31,33

■ اتجاه جندري عام G المشتمل على السلالم الفرعية الخمسة، كلّها.

الاستبيان، بأجزائه الموصوفة أعلاه، هو القسم الثالث من أداة البحث الرئيسي، (أنظر ملحق رقم (5)). وقد حصل كل مبحوث، من العيّنة المدروسة، على علامات ثمان[6] هي المجموع البسيط للعلامات التي حصل عليها على كلّ واحد من السلالم المذكورة أعلاه؛ وذلك بعد تحويل العلامات المساواتية إلى عكسها بالطريقة المعهودة المستخدمة في الاستبيانات التي تعتمد طريق ليكرت Likert. أخيراً، تؤشّر العلامة القصوى إلى اتجاه تمييزي أقصى، فيما تؤشّر العلامة الدنيا إلى ليبرالية جندرية قصوى.

في الفصل القادم، نتائج «استبيان الاتجاهات الجندرية»، منفردة، وبالصلة التي تربطها بالمتغيّرات المختلفة، في محاولة منا للإجابة عن السؤال الأخير من تساؤلاتنا:

---

(6) تقع العلامات التي ينالها المبحوث على كل واحد من السلالم المذكورة على متصل continum يحدّه علامتان: العلامة القصوى والعلامة الدنيا؛ ونكتب، في ما يلي، الحدّين لكل سلّم على النحو التالي:

- اتجاه نحو المرأة GF، (بين 21 و105، والنقطة الوسط هي 63)
  - اتجاه نحو المرأة في المجال الخاص GFF (بين 8 و40، والنقطة الوسط هي 24)
  - اتجاه نحو المرأة في المجال العام GPF (بين 8 و40 والنقطة الوسط هي 24)
- ■ اتجاه نحو الرجل GM، (بين 14 و70، والنقطة الوسط هي 42)
  - اتجاه نحو الرجل في المجال الخاص GFM، (بين ■ و30، والنقطة الوسط هي 18)
  - اتجاه نحو الرجل في المجال العام GPM، (بين ■ و30، والنقطة الوسط هي 18)
- ■ اتجاه نحو العلاقة بين الرجل والمرأة GR، (بين 6 و30، والنقطة الوسط هي 18)
- ■ اتجاه جندري عام G المشتمل على البنود كلّها، (بين 34 و170، والنقطة الوسط هي 102)

ما هي مواقف الرجال حيال التمييز اللاحق بالمرأة في مجتمعاتنا؟ وما مدى مناصرتهم لقضاياها؟

وهل هم راضون عن الأدوار الذكرية المصوغة لهم؟ أم أنهم يشعرون بوطأة تقييداتها عليهم؟

هل لاتجاهات هؤلاء صلة بهوياتهم الاجتماعية؟ بأنماطهم وأنماط شركائهم الجندرية؟

الفصل الرابع

المواقف من المرأة والرجل
اعتدال وانقسام

الترتيبات الجندرية: بين الحيرة والرفض

الشباب الجامعي يميل، في الإجمال، نحو عدم الامتثال للمعتقدات الجندرية التقليدية. فالعلامات التي نالها كلٌّ من فئتي الشبّان والشابّات على استبيان الاتجاهات الجندرية، وعلى كل سلالمه الفرعية... هذه العلامات تقع كلّها إلى اليسار من نقطة الوسط: بين العلامة القصوى والعلامة الدنيا الافتراضيين لسلّم الاستبيان الجندري ولسلالمه الفرعية، (أنظر الفقرة الأخيرة من الفصل السابق). لكن لدى إعادة تصنيف المتوسّطات الحسابية للعلامات المحصّلة على الاستبيان، (وهي علامات عشرية)، في أمداء خمسة[1]، (جمع مدى range)، نرى بأن الشبّان يميلون للوقوع في موقع متأرجح، وفي منزلة بين منزلتين: فلا هم رافضون للمنمّطات والعلاقات الجندرية التقليدية، ولا هم قابلون بها. هذا، فيما تُبدي الشابات رفضاً، وإن باعتدال، لسطوة هذه المنمّطات ولتوصيف تلك العلاقات.

ما نقوله يصحّ على الاستبيان بمجمله. والاستبيان بمجمله يقيس القبول، أو الرفض، بالترتيبات الجندرية القائمة gender arrangements، عامّة، وبالمعتقدات

(1) الأمداء هي التالية، وهي تأخذ، على خط متصل، الشكل التالي:

بين 1 و 1,500	بين 1,501 و 2,500	بين 2,501 و 3,500	بين 3,501 و 4,500	بين 4,501 و 5,000
عدم الموافقة بشدّة	عدم الموافقة باعتدال	الامتناع عن إبداء الرأي	الموافقة باعتدال	الموافقة بشدّة

السائدة حول تلك الترتيبات. ويصحّ، أيضاً، على أكثر السلالم الفرعية في الاستبيان:

يصحّ على السلّم الذي يؤشّر إلى التعصّب الجنسي، أي إلى التمييز اللاحق بالمرأة، سواء في المجال العام، (العلم والمهنة والقانون والعمل السياسي)، أو في المجال الخاص، (العادات والتقاليد المرتبطة بالمجال الأسري)،

ولا يختلف الأمر بالنسبة للسلّم الذي تؤشّر بنوده إلى نمط العلاقات الثنائية القائمة بين المرأة والرجل.

يُستثنى من ذلك التذبذب السلّم الذي يؤشّر إلى المنمّطات المرتبطة بالرجل في مجتمعنا؛ فتشير نتائجنا إلى قبول إجمالي بموقع الرجل الحالي في الترتيبات الجندرية؛ إذ وافق الشبّان (والشابات أيضاً)، على أن مجتمعنا خال من مظاهر تمييزية ضد الرجل. ووافقوا أيضاً على أن الرجل، بعكس المرأة، حاصل على كلّ حقوقه، وأن قوانين الأحوال الشخصية متحيّزة، في كل الطوائف، تجاه الرجل.

بكلام آخر، لا يرى الشاب نفسه، في الإجمال، ضحية تمييز بالطريقة التي يراها الرجال الغربيون. فهو يعتقد اعتقاداً راسخاً، مثلاً، بأن عليه أن «يظهر بمظهر يدلّ على قوّة الشخصية». ويتبنّى القاعدة القائلة بوجوب امتناعه عن اختيار «اختصاص دراسي مناسب لشغفه وميوله»، ووجوب التوجه نحو اختصاص يؤمّن «حياة رغيدة لأسرته المستقبلية». . . لا يرى الشاب في هذه المعتقدات تقييداً لشخصه، ولا تمييزاً ضده.

على أن رضى الشاب اللبناني عن موقعه العام في الترتيبات الجندرية، وغفلته عن التمييز الضمني ضده لبعضها، لا يطال تفاصيل هذه الترتيبات كلّها. فهو غير قاطع في مسائل مختلفة. من هذه المسائل، مثلاً، عدم رغبة الشبّان الغامرة في احتكار دور «المحارب»: فالقابلون أن تكون خدمة العلم «حكراً على الرجال» لم يتجاوزوا 42% من الشبّان. ويرى أكثر هؤلاء بأن المهن «الأنثوية» هي أيضاً صالحة للرجال، (65% من المبحوثين)، ولا يجدون بأن جليَ الصحون يشكّل «تشويشاً على رجولة» الرجل (72%)، كما أنهم لا يجدون بأن تفوّق الرجل على شريكته شرط ضروري «للإعلاء من شأنه» (62 %).

على أن اللافت في نتائجنا هو ميل الشبّان للموافقة، وإن باعتدال، على مساواة الرجل بالمرأة في ضرورة إعالة الأسرة مالياً. فالإعالة، كما سبق وبيّنا، وظيفة محورية في تعيين ذكورة الرجال في المجتمعات الأبوية. يسعنا الاستنتاج أن الشاب أصبح قابلاً بمشاركة المرأة دوره ذلك، أو لعلّه بات مضطراً، في أيامنا هذه، للقبول بهذه

المشاركة. لكننا نجد، في مقابل الميل لذلك القبول، انقساماً في ما بينهم حول وقع المشاركة المذكورة عليهم: 47% منهم يجدون كون الرجل معيلاً غير حصري لأسرته يسلبه «بعضاً من قدره وقيمته في نظر الناس»، فيما يخالفهم 44% من الشبّان ذلك الرأي.

قوانين الأحوال الشخصية

التصريحات حول قوانين الأحوال الشخصية في «استبيان الاتجاهات الجندرية» تحيل السامع إلى الأديان وإلى الطوائف الدينية مباشرة. لكن ذلك لم يمنع الشابات من اتخاذ موقف نقدي منها، بحيث مالت أكثريتهن (58%) إلى إعلان مخالفتهن لها، والتصريح عن ضرورة تعديلها برغم أنها «صادرة عن إرادة سماوية». بل تجد أكثريتهن (74%) أنه «من الطبيعي أن تسعى النساء في مجتمعاتنا لتغيير البنود غير العادلة بحقهن في قوانين الأحوال الشخصية الدينية». خاصّة وأنهن يَملْن للاعتقاد بأن «قوانين الأحوال الشخصية هي، لدى كل الطوائف عندنا، متحيّزة لصالح الرجل»، (65% منهن).

الشبّان، من جهتهم، وافقوا الشابات في مسألة منح «حضانة الطفل للطرف الأكثر أهلية من الزوجين، وليس تبعاً لقوانين الأحوال الشخصية الدينية»؛ وذلك برغم تعيين صريح لمصدرها: أحكام الدين. لكنهم أكثر حذراً، وعلى درجة من الانقسام في ما بينهم، بالنسبة للمسائل الأخرى:

صحيح أن 62% منهم وجدوا سعي النساء لتعديل البنود المجحفة بحقّهن في قوانين الأحوال الشخصية الدينية هو أمر طبيعي، لكنهم منقسمون حول إمكانية تعديل هذه القوانين لكونها صادرة عن إرادة سماوية، بحيث لم يوافق 50% على البند 21، (لا يمكن تعديل المواد في قوانين الأحوال الشخصية الدينية، والتي يراها البعض أنها ظالمة بحق المرأة، لأنها صادرة عن إرادة سماوية)، ويبقي 14% منهم بدون رأي حوله. هذا بالرغم من اعتراف أكثريتهم، (58% منهم)، بأن «قوانين الأحوال الشخصية هي، لدى كل الطوائف عندنا، متحيّزة لصالح الرجل».

في هذا المجال، يبدو المسلمون أكثر محافظة من المسيحيين، خاصّة في مسألة تعديل المواد المجحفة بحق المرأة: عارض المسلمون هذا التعديل، فيما أبدى المسيحيون ميلاً للحياد حولها. الأمر عينه ينطبق على بداهة السعي لتعديل تلك المواد.

نشير، في هذا الصدد، إلى دراسة سابقة لنا بحثنا فيها اتجاهات رجال الدين نحو المرأة، من الطائفتين المسلمة والمسيحية. في هذه الدراسة التي أجريت في العام 1995 تبيّن أن رجال الدين المسلمين يعارضون تعديل قوانين الأحوال الشخصية، فيما يوافق رجال الدين المسيحيون على ذلك التعديل، وإن باعتدال، (بيضون، 1998، 369). ولعل ذلك ناجم من أن هذه القوانين ذات صلة مباشرة مع نصوص الإسلام المقدّسة، بل إن بعضها نصّ من آيات قرآنية. فيما الحال هي غير ذلك لدى الطوائف المسيحية.

وفي دراسة مراد المسحية الممثّلة لفئات واسعة من اللبنانيين على امتداد أراضي الجمهورية، صرّح 86,5% منهم (88,5% من النساء و84,2% من الرجال)، أنهم مع الزواج الديني، و4% فقط منهم صرّحوا عن مناصرتهم للزواج المدني! (Murad, en cours). نتائجنا تبتعد كثيراً عن هذه النتائج. هل يسعنا الاستنتاج أن آراء الشبّان والشابات تختلف كثيراً عن آراء «المجتمع» الأعمّ؟ أم أن هؤلاء الشبان والشابات غافلون عن اشتمال قوانين الأحوال الشخصية قوانين الزواج، برغم تذكيرهم بذلك؟

العلاقة بين المرأة والرجل

يرى الشاب أنه «مهما تقدّمت المرأة في السن، فهي تبقى بحاجة إلى حماية الرجل». الشابّة، من جهتها، موافقة باعتدال أيضاً على هذا القول؛ لكن الشاب أكثر حماساً لديمومة تلك الحماية من الشابّة، ($t = 6.7794, p = 0.000$). المسلمون والمسلمات أكثر قبولاً بهذه الفكرة من المسيحيين والمسيحيات على التوالي، وإن كانت درجة الاختلاف بين الجنسين لدى كلّ طائفة أقل، ($p = 0.001$).

لا يبدو أن شعور الشاب بضرورة حماية المرأة المستدامة مرتبط برغبته في الإعلاء من ذاته: فهو يرفض أن تكون المرأة «أقلّ شأناً من زوجها حفاظاً على صورته لذاته»، أو أن يكون خفضها لذاتها ضرورة تُمليها «فحولته الجنسية». بل لعلّها – أي الرغبة بالحماية– تعبير عن الرومانسية النمطية التي تعززها التعبيرات الثقافية السائدة في أفلام الأبطال الأشاوس المدافعين الحماة عن أشياء كثيرة، وحماية الشريكات من أهمّها.

في السياق نفسه، يرى 60% من الشباب المسلمين أن الوفاء للشريك مفروض على المرأة حتى في حالة خيانته لها لكن قلّة من الشباب المسيحيين يوافقونهم الرأي، (33%) والفرق بين درجة الموافقة ذو دلالة، ($t = 6.2880, p = 0.000$). هذا، بالرغم من أن الفئتين لا تختلفان كثيراً في رفضهما لمقولة «إن الرجل مفطور على الخيانة

الزوجية». هل يحيلنا ذلك الفرق إلى إمكانية تعدد الشريكات لدى المسلمين واستحالته لدى المسيحيين؟ لعلّ الفرق بين المسيحيات والمسلمات، في الاتجاه نفسه، يشير إلى ذلك، لكنه لا يؤكّده. فالشابات، مسلمات ومسيحيات مجتمعات، رفضن «فطرة الرجل على الخيانة»، بالدرجة ذاتها.

هذا، واتخاذ «المبادرة في العلاقة الحميمة بين المرأة والرجل» كانت من المواضيع التي أثارها أكثر من شاب في البحث التمهيدي بوصفها مسألة تمييزية ضدهم، لا بوصفها امتيازاً لهم! لكن مواقف الشبّان الإجمالية في عيّنتنا جاءت متجاذبة: انقسم الشبّان بين رافض للفكرة (52%) وقابل بها (40%)، فيما بقي 8% منهم بدون رأي صريح حول المسألة. موقف الشابات جاء شبيهاً، (42%، 45% و12% على التوالي).

ماذا عن إساءة الرجل للمرأة؟

في كلّ مرة تطرح مسألة العنف ضد المرأة في المنتديات واللقاءات المعنية بالمرأة، يبرز موضوع تعيين قسطها من المسؤولية في ذلك العنف. قد يتوقّع المرء أن يتم تَلْويم، (أي إلقاء اللوم على)، المرأة على عنف الشريك من قبل القابلين، بل المروّجين، لسيادة الرجل على المرأة[2]. لكن بعض الناشطين في مجال حقوق الإنسان، عندنا، يترددون في إلقاء اللوم على الجاني حصراً، ويبحثون عن مصادره، في بعض الأحيان، لدى الضحية[3].

لكن الشابات رفضن تَلْويم المرأة في الشأن المتعلّق بإساءة شريكها بحجّة أنها «مسؤولة عن مداراة مزاجه». هو رفْضٌ باعتدال، على كلّ حال، ولم يصل إلى درجة الرفض بشدّة. لكن الشبّان أبدوا انقساماً حول المسألة: رفض 48% منهم تلويم المرأة وقَبِل ذلك التلويم 44% منهم. وإذ توافقت المسيحيات والمسلمات على درجة الرفض، فإن الفرق بين الشبّان المسيحيين والمسلمين جاء ذا دلالة، ($p = 0.002$)، بحيث إن 53,5% من المسيحيين لا يلوّمون المرأة يقابلهم 45% من المسلمين.

---

(2) من هؤلاء، مثلاً، الناشطات في الجمعيات الإسلامية الأصولية. وهو ما وثّقناه في فصل خاص بـ«مناهضة العنف ضد المرأة» في كتابنا نساء وجمعيات، (بيضون، 2002).

(3) انظر، مثلاً، التوصيات الصادرة عن المؤتمر الذي عقدته «الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية»، بعنوان «في الطريق إلى تطبيق اتفاقية سيداو»، الذي عقد في كانون الأوّل من العام 2005، وعن ورشة العمل «لمناهضة العنف والتمييز ضد المرأة». وذلك على موقع «الهيئة» ذي العنوان: www.nclw.org.lb.

الاتجاهات نحو المرأة

حماس للعلم

«على الأهل أن يصرفوا المال على دراسة ابنتهم تماماً كما يصرفون على تعليم ابنهم». . . . هذا الموقف المصوغ في شكل وجوب السلوك هو الوحيد من بين المواقف الذي نال درجة «الموافقة بشدّة» من بين كلّ بنود الاستبيان، من الشبّان والشابات سواء بسواء.

هذا الحماس الشديد بوجوب إقرار المساواة في العلم بين الذكور والإناث من الأبناء لا يختص به شبابنا الجامعي. هو واقعة تتكرّس، تباعاً، في المبيّنات الإحصائية التي ينشرها «المركز التربوي للبحوث والإنماء» سنوياً تحت عناوين مختلفة: الالتحاق المدرسي، التسرّب المدرسي، التخرّج من الجامعات إلخ في مجمل المراحل وأنماط التعليم، حيث تبرز الإناث متعلّمات بامتياز. لكن المساواة في الإنفاق على التعليم هو مسألة ثانية. الأرقام تتكلّم عن زيادة ملموسة للإناث في التعليم الرسمي المجّاني(تقريباً). وزيادة الذكور في التعليم الخاص، غير المجّاني، المرتفع الكلفة، والأفضل نوعاً، (الهيئة الوطنية للمرأة اللبنانية، 2006).

هذا الحماس لتعليم الفتاة، كيف يقارن جدواه بضرورة زواج الفتاة، مثلاً؟

الشبّان والشابّات لا يوافقون إجمالاً، على أن سعي الفتاة «للزواج أجدى لها من السعي للحصول على درجات علمية عالية». والشابّات أكثر رفضاً لهذا المعتقد ($p = 0.000$). ينعكس ذلك الرفض في ارتفاع مطّرد لسن الزواج بين الإناث عندنا، تباعاً ومع تقدّم الزمن، لدرجة باتت تقلق الديمغرافيين عندنا[4].

العمل ضرورة

إذا كان العلم ضرورة كبيرة للفتيات، فلا تتمّ التضحية به في سبيل السعي للزواج، أو هو لا يتعارض معه. . . فهل إن القصد من تحصيله، وبلوغ درجات علمية عالية

---

(4) من هؤلاء الطبيب والباحث في الصحّة العامة، فيصل القاق، انظر:
فيصل القاق، (2004)،«قدرات المرأة كمؤشّر تنموي»، قضايا النهار (الجريدة اليومية البيروتية)، 10 آذار.
وفيصل القاق، (2006)، «اضطرابات المرأة النفسية: مسؤولية من؟»، قضايا النهار، (الجريدة اليومية البيروتية)، 8 آذار.

منه، هو الولوج إلى سوق العمل؟ هل إن ضرورة عمل المرأة تقتصر على تلبية الحاجة المادية؟

لا يرى الشبّان والشابات أن الحاجة المادية هي الدافع الحصري للعمل؛ فقد رفض أكثرهم الموقف القائل بأنه «إذا لم يكن هناك من حاجة مادية، فلا سبب يبرر عمل المرأة خارج المنزل». الشابات، كما هو متوقّع، أبدين تردداً أقلّ من الشبّان في رفضهن ذلك، $(t = 7.09, p = 0.000)$.

ماذا عن المعتقد السائد بأن عمل المرأة «يؤثّر في أمومتها» سلبياً، وبأنه أجدى لها أن «تربي أطفالها في البيت من العمل خارجه»؟

هذان المعتقدان مرفوضان، وإن باعتدال، من الشابات؛ وذلك بنسبة 66% و73% على التوالي. الشبّان، من جهتهم، منقسمون ومتذبذبون حولهما؛ فرفض الأوّل 49%، ورفض الثاني 53% من الشبّان، على التوالي.

هذه النسب هي، على كلّ حال، أعلى من نسبة النساء في سوق العمل، واقعاً، وإن كنا لا نملك رقماً نهائياً، في هذا الصدد، فإن «الدراسة الوطنية للأحوال المعيشية للأسر» الصادرة عن «إدارة الإحصاء المركزي» للعام 2004- 2005 تبيّن أن 23,2% من العاملين المقيمين في لبنان هن من النساء. والدراسات المسحية لبعض القطاعات تشير إلى ازدياد مطرد لهذه النسبة مع تقدّم السنين. وبعضها يشير، أيضاً، إلى أن الولوج إلى سوق العمل لا يحدده «الاتجاه نحو عمل المرأة» بقدر ما تحدده الحاجة المادية للمرأة المعنية به، (شاتيلا، 2006).

ويدّعي الشبّان والشابات أنهم لا يميّزون في المجال المهني بين المرأة والرجل. فهم غير موافقين على أن «الطب الجراحي خُلق للرجال»، وغير موافقين على أن الناس لا يُلامون «إذا لم يثقوا بطبيبة اختصاصية في الجراحة». ويمثّل موقف هؤلاء نقلة نوعية عن الاتجاهات السائدة؛ إذ تؤكّد بعض الطبيبات، وحتى غير الجراحيات منهن، بأن تفضيل النساء والرجال في بلادنا للطبيب الاختصاصي هو مشاهدة يومية تكاد لا تحتاج إلى إثبات، (بيطار، 2003-2004).

الأهلية للسياسة

هذا حال العلم والعمل، فكيف هو حال السياسة، بما هي النشاط «الأرقى» من بين مكوّنات النشاط في المجال العام؟

نذكّر، في هذا السياق، بأن الدراسات العربية بيّنت تردد الرجال، بل والنساء أحياناً، في القبول بانخراط المرأة العربية في العمل السياسي، اقتراعاً وترشيحاً، (انظر الفصل الأوّل من هذا الجزء). ونسبة النساء في النشاط السياسي التشريعي والتنفيذي في بلادنا هي، واقعاً، ضئيلة، بل تقارب ضآلتها تلك القائمة في البلدان الأفقر، والأكثر تدنياً على سلّم مؤشر التنمية الإنسانية، (انظر تقارير «برنامج الأمم المتحدة الإنمائي» UNDP المتتالية). وتعترض بعض المنظمات غير الحكومية النسائية على ضآلة مشاركة المرأة اللبنانية في السياسة برغم تأهّلها في العلم، وبرغم تزايد نسبة مشاركتها في القوى العاملة. هذا الاعتراض من قبيل العارف المتجاهل: الأهلية للعمل السياسي عندنا لا تتضمّن لا «العلم» ولا «العمل»، (بيضون، 2005).

لا تجد الشابات في عينتنا أن «طبيعة المرأة غير متناسبة مع العمل السياسي»؛ وهي ترى بأن المرأة أثبتت «أنه بوسعها أن تنجح في مراكز قيادية». الشبّان يعترفون، من جهتهم، بنجاح المرأة في مراكز قيادية، لكنهم منقسمون حول كون طبيعتها مناسبة أو غير مناسبة للعمل السياسي: 40% منهم و49% على التوالي، والفرق بين الشبّان والشابات ذو دلالة، ($t=9.409, p=0.000$). ودلالة هذه الفروق تتكرر بين الشبّان والشابات لدى كلّ من الطائفتين المسيحية والمسلمة. ما يبدو موقفاً غير متساوق يمكن تعليله هكذا: لعلّ المراكز القيادية التي يرفضها الشبّان للمرأة هي في المجالات العامّة حصراً؛ إذ إن الأقلية- 37% منهم - وافقوا على أن «خراب بعض البيوت سببه جعل النساء اتخاذ القرارات بيد المرأة»، فيما 49% منهم رفضوه.

اللافت أن أكثرية النساء عبّرن عن ميلهن للقبول بأهلية النساء للقيادة، لكن 29% منهن لم يعترضن على هذا التصريح التمييزي الأخير، («خراب بعض البيوت سببه جعل النساء اتخاذ القرارات بيد المرأة»)!

محورية الأمومة

تشير المعتقدات المتضمّنة في البنود 13، 27[5]، و30 إلى محورية وظيفة الأمومة في هوية المرأة، وإلى الإعلاء من شأنها على ما عداها من مكوّنات في تلك الهوية.

يرفض الشبّان، باعتدال، المعتقد القائل بأن «الأمومة بالنسبة للمرأة إشباع عاطفي

(5) ناقشنا دلالة نتائج هذا البند في فقرة سابقة.

يغنيها عن الجنس»، لكن الشابّات منقسمات حوله. اللافت أن 23% من الشابات صرّحن بأن «لا رأي لهن في المسألة». هذا المعتقد نال النسبة الأكبر من «لا رأي لي...» من بين المعتقدات الأخرى، وهو كان، قبل ذلك، من المعتقدات موضوع تساؤل متكرر من قبل بعض الشابات والشبّان في اختبار تجريب الاستبيان. هؤلاء عبّروا عن حيرة بشأن هذا التصريح، مصدرها جهلهن بالأمومة، وبالجنس أحياناً.

أخيراً، وفي ما يشبه الاستنكار، رفضت الشابات بشدّة القول «لا نفع للمرأة إذا لم تتزوّج وتنجب». أما الشبّان فرفضوه باعتدال. اللافت أن 14% من الشابات لم يرفضن هذا القول، ولا نعرف ما إذا كان ذلك مدفوعاً بكُرْه للذات، أم هو تَبَنٍّ لمعتقد سائد؟

الاحتشام في اللباس والسلوك

كان إبراهيم محي قد كتب في أواسط القرن الماضي أن نساء الجيل الجديد يُصرِرْن على استغنائهن عن تهديد الأقرباء من الرجال من أجل تبنّي قواعد الأخلاق التقليدية لمجتمعاتهن، وأن ما يطالبن به هو استلام حماية فضائلهن... مضيفاً أن هؤلاء النساء، وإن كنّ يمثّلن طلائع المرأة المتحررة في العالم العربي، فهن محافظات بشكل مثير للدهشة في مجال العادات والتقاليد والسلوك؛ وذلك بالمقارنة مع المرأة الغربية[6]، (Muhyi, 1959). ويؤكّد الباحثان دياب وبروثرو، من جهتهما، أن المرأة اللبنانية تخلّت عن الحجاب (أو النقاب)، لا لأنها اختارت اللااحتشام، إنما لأنها أعادت، هي وأقرباؤها، تعريف مفهوم الاحتشام والشرف؛ ويتضمّن التعريف الجديد تعديلاً في الأفكار حول كيفية ضبط النزوات، وحول التصرّف حيال التعرّض للإغراء لدى النساء والرجال سواء بسواء، (Prothro and Diab, 1974, 218).

وفي سجال على صفحات الجرائد اشتركت فيه ناشطات لبنانيات في العمل السياسي في أوائل ثمانينات القرن الماضي برز معنى سياسي للحجاب، لبسته النساء «في مواجهة إسرائيل وعملائها» الذين يخشونه تماماً كما يخشون صرخة «الله أكبر»، متراجعاً بذلك معناه الأصلي، أي حجب الفتنة عن أعين الرجال، وحجب النساء عن قطف ثمار التقدّم، (العلم والعمل، بل والنشاط السياسي)؛ وذلك، بسبب عدم ملاءمة معانيه التقليدية مع درجة التقدّم الذي حصّلته المرأة اللبنانية، (بيضون، 1988، 67-69).

(6) تألّفت عيّنة دراسته الميدانية من طلاب وطالبات من الجامعتين الأميركيتين في بيروت والقاهرة.

في الاختبار التمهيدي لهذه الدراسة، برز الشك في سلوك المرأة، وتقييد حرية حركتها، وفرض نمط اللباس عليها من أنماط التمييز المتواترة، في التصريحات التي كتبتها الشابات، خاصّة، بناء على طلبنا. فما هو موقف أفراد عينتنا في البحث الرئيسي؟

الشابات موافقات، لكن باعتدال، على أنه «لم يعد جائزاً، في أيامنا الحاضرة، الشك في سلوك الفتاة ولا مراقبتها»، لكن الشبّان منقسمون حول ذلك الرأي. ونسبة الرافضين لمراقبة الفتاة والشك في سلوكها 49% من الشبّان، وأما القابلون بذلك فهم 43% منهم (الباقون صرّحوا أن لا رأي لهم حول المسالة). هذه النسبة تبقى ثابتة لدى الطائفتين، المسيحية والمسلمة، سواء بسواء.

لما كان الحجاب، أو ضوابط اللباس المفروض على المرأة، من بعض التقييد على سلوكها، فإن مسوّغات فرضه مرفوضة من قبل أكثرية الشابات، ومن المسيحيات منهن، خاصّة. الشبّان المسيحيون، من جهتهم، منقسمون، وإن كانت أكثريتهم تميل إلى الامتناع عن فرض لباس معيّن على المرأة. والمسلمون منقسمون أيضاً: يخالف 41% منهم هذا الرأي، لكن 52% يقبلون به، والنسبة الأكبر منهم اختارت الاعتدال في الموافقة (31%).

إن الموقف غير المتشنّج من مسألة الحجاب لدى شبابنا ناجم، على الأرجح، عن أن الحجاب لدى اللبنانيات ينحو لأن يعبّر عن اتجاه سياسي، بل أحياناً نضالي متضمناً، بذلك، فهماً وقناعة ذاتية لديهن، أكثر من كونه سلوكاً اجتماعياً أو دينياً مفروضاً من قبل الرجال، كما هي الحال في بعض البلدان العربية، أو لدى بعض الجاليات الإسلامية في الشتات. لكن موقف الشبّان المسلمين الذين وافقوا على هذا الرأي قد يكون مدفوعاً بقناعات دينية نراها مرفوعة، أحياناً، في يافطات على الملأ العام تضع الحجاب النسائي في مقام شرف الرجل!

استجابات قصوى

بالعودة إلى التصنيفات التي أثبتناها في مطلع هذا الفصل، (هامش رقم 1)، فإن الشباب الجامعي، أفراد عيّنة البحث من الشبّان والشابات، قلّما بالغوا في إبداء آرائهم: فالعلامة العشرية القصوى نالتها مجموعة الشابات على البند 3 المتعلّق بالمساواة الجندرية في الإنفاق المالي في التعليم، مقتربة، بذلك، من درجة الموافقة على رأي

آخر يتعلّق بعدم ظهور الرجل بـ«ناقص الرجولة إذا قام بجلي الصحون»[7]، وجاء الفرق بين الجنسين ذا دلالة. ونال الشبّان العلامة القصوى على البند 3 المذكور أعلاه، يليه البند المتعلّق بوجوب ظهوره دائماً بمظهر القوّة.

أما الرفض الأقصى للشابات فكان على الرأي القائل بأن «لا نفع للمرأة إذا لم تتزوّج أو لم تنجب»، والرفض الأقصى الذي سجّله الشبّان جاء على الادّعاء بأن «الرجل مفطور على الخيانة الزوجية»؛ وهو ما يشير إلى أن التعميمات النمطية المبخّسة لكلّ واحد من الجنسين تُرفض، بقوّة، من قبل الجنس المعني بها.

في الدين والجنس: لا رأي لي!

الشابات أبدين ميلاً أكبر للإفصاح عن آرائهن، بحيث إن نسبة اللواتي صرّحن بأن «لا رأي لي» حول أكثر المسائل جاءت أقلّ بكثير من الشبّان، والفرق بين الاثنين ذو دلالة ($t = -5.1410$). لعلّ ذلك ناجم عن أن الرجال في مجتمعاتنا لا يجدون، بعد، حاثاً جماعياً، ولا دافعية ملحّة، كما هي الحال في الغرب، للتأمّل في المعتقدات الجندرية بالدرجة ذاتها التي قامت فيها النساء عندنا بإعادة تفحّص اعتباطيتها؛ خاصة وأن هؤلاء أبدوا ميلاً للاعتقاد بأن مكانتهم غير مهددة، وبأن حقوقهم محفوظة، وحيث إنهم عبّروا عن قبولهم ببعض التقييدات الموضوعة عليهم، كما سبق وبيّنا. هذا، فيما تعترض الشابّة في مسارها معيقات تمثّل بعضها في الآراء الواردة في هذا الاستبيان. لذا، فإن هذه المعتقدات كانت، على الأرجح، مواضيع تأمّل أسبق أفضى إلى اتخاذ موقف صريح، وقاطع منها. لعلّ ما قلناه يفسّر تراجع نسبة «لا رأي لي» من بين إجابات الشابّة، بالمقارنة مع زميلها الشاب.

هذا، ويشيع في أوساطنا الثقافية العامة، الشعبية والنخبوية عندنا، (لدى الإعلاميين، مثلاً)، ضربٌ من رقابة ذاتية متضمّنة في كلامهم، كتابة وشفاهة، تتجنّب أو تختصر الكلام في موضوعَي الجنس والدين. واللبنانيون يحتفظون في ذاكرتهم زيارات «مفتي الجمهورية اللبنانية» لـ«رئيس مجلس الوزراء» صبيحة كلّ مرّة، تقريباً، عرض فيها، في الليلة الفائتة، برنامجاً يناقش وجهاً من وجوه الحياة الجنسية. ويعلمون أيضاً

(7) هكذا تهوي، على غير رجعة، فكرة الكاريكاتور الذي كان من أفكار رسّاميه المفضّلة للإشارة إلى نقص رجولة الرجل في المنزل.

أن التعرّض لرجال الدين مثير لأزمات تلامس الصراع الطائفي. أما التساؤل حول القواعد الدينية فهو، بالطبع، من المحرّمات.

لكن ذلك لا ينطبق، تماماً، على الشباب الجامعي: فالشبّان والشابات أبدوا آراءهم حول المعتقدات المتعلّقة بالمرأة والرجل في مجتمعاتنا التي لامست الدين والجنس، دون رقابة كبيرة؛ لكن يبقى أن الموضوعين، الجنس والدين، استأثرا بالنسبة الأعلى من التصنيف «لا رأي لي»؛ هذا التصنيف الذي جعلنا درجته متوسّطة بين الرفض والقبول، في التعليمات التي تصدّرت الاستبيانات. وجاءت نسبة الذين أحجموا عن إبداء الرأي في هذين الموضوعين على الشكل التالي:

جدول يبيّن نسبة الرجال والنساء الذين أحجموا عن إبداء رأيهم، («لا رأي لي») في البند المذكور

رقم البند	مضمونه	النسبة المئوية للرجال	النسبة المئوية للنساء
13	13- إن الأمومة بالنسبة للمرأة هي إشباع عاطفي يغنيها عن الجنس	18,8	22,6
20	20 - فحولة الرجل الجنسية تستدعي أن تكون شريكته أقلّ منه شأناً (في الدرجة العلمية، أو التدرّج المهني، أو المستوى الاجتماعي إلخ)	13,4	14,3
21	21-لا يمكن تعديل المواد المجحفة بحق المرأة في قوانين الأحوال الشخصية لأنها صادرة عن إرادة سماوية	15,5	16,7
24	24- من الطبيعي أن تسعى النساء في مجتمعنا لتغيير البنود غير العادلة بحقهن في قوانين الأحوال الشخصية الدينية	13,9	5,3
28	28- قوانين الأحوال الشخصية هي، ولدى كل الطوائف الدينية عندنا، متحيّزة لصالح الرجل	4,7	13,5

بالنسبة للبندين 13 و20:

تروّج المعرفة المستقاة من المعتقدات الشعبية، ذكرية المصدر غالباً، لغلبة الأمومة على جنسانية المرأة، بل لتعارضها مع الأمومة. من هذه المعتقدات، مثلاً، حاجة الرجل إلى أكثر من شريكة من أجل إطفاء شهوته الجنسية العارمة(8)، وحيث إن الأمومة تسلب المرأة شهوتها الجنسية. هذا، بالرغم من شيوع النتائج التي حصّلتها الأبحاث العلمية حول الموضوع المناقضة تماماً لهذه المعتقدات. (Seaman, 1973؛ السعداوي، 1974)، وهو مضمون البند 13.

من جهة ثانية، كنا قد بيّنا، في القسم الأوّل من هذا الكتاب، أن واحداً من مكوّنات أزمة الذكورة كان صعود المرأة درجات في مكانتها، فلم تعد المكانات العليا حكراً على الرجال. إن مظاهر تلك الأزمات ترشح من الوضعيات العلاجية في دراسة الحالات التي أشارت، أحياناً، إلى إحساس الرجل بتراجع فحولته أمام صعود هؤلاء النساء. وكانت مِيد قد اقترحت فرضية أن إذعان المرأة للرجل يخدم وظيفة إعلاء ذاته واحترامها، لأن هذا الاحترام وذلك الإعلاء يتغذيان من إذعانها، وبأن فحولة الرجال الجنسية تعتمد على ذلك، (Mead, 1949, 46)، وهو بعض ما يقوله البند 20.

تفترض الموافقة (أو غير الموافقة)على البند 3 أعلاه بعض المعرفة، إما الذاتية أو بالواسطة، بجنسانية المرأة؛ ويمكن تكرار القول الشبيه بالنسبة للمادّة 20، لكن المعرفة هنا هي بجنسانية الرجل. وإذا افترضنا أن الإحجام عن إبداء الرأي سببه عدم المعرفة، تكون هذه النتيجة إيجابية، من منظور جندري؛ ذلك لأن بعض الشبّان والشابات فضّلوا الاعتراف بقصور معرفتهم، على إبداء رأي عُرفي وسائد حول المسألة. لكنه قد يشير أيضاً إلى الإحجام عن إبداء الرأي بمسألة تتعلّق بالجنسانية للأسباب التي ذكرناها أعلاه، غير المنفصلة، بالضرورة، عن قصور في نشر المعارف حول جنسانية الرجل والمرأة في مجتمعاتنا.

بالنسبة للمواد 21، 24 و28:

صيغت البنود المتعلّقة بقوانين الأحوال الشخصية، جميعها، بإشارة صريحة، أو

---

(8) وهو ما يسوّغ لمبدأ تعدد الزوجات لدى المسلمين، والقبول بمبدأ الخليلة، بل بمهنة بنات الهوى في كلّ المجتمعات، وحيث إن طالبي خدماتهن ليسوا بالضرورة من العزاب.

تحيل مباشرة إلى الأديان. وقد وافق[9] الشبّان والشابّات، بدرجة كبيرة، على إمكانية تجاهل الاحتكام لهذه الأديان بالنسبة لحضانة الأطفال في حال الطلاق، بحيث تُمنح «للطرف الأكثر أهلية لرعايته من الزوجين، وليس تبعاً لقوانين الأحوال الشخصية الدينية». لكن نسبة تراوحت بين 13% و18% أحجمت عن إبداء رأيها في الآراء الثلاثة المذكورة. هذا الإحجام قد يكون تعبيراً عن تديّن يربأ عن مخالفة أحكام الدين، وإن كنا نرجّح أنه تعبير عن جهل بهذه القوانين. وترجيحنا سببه تجاهل هؤلاء لتلك الأحكام في حال حضانة الأطفال، كما بيّنّا أعلاه. هو ما كنا قد لاحظناه، كما أثبتنا في محلّه، في تواتر الأسئلة حول هذه القوانين لدى الطلاب الجامعيين. وذلك، في البحث التمهيدي الذي أجريناه بغرض فحص مفهومية الاستبيان، في مختلف الكليات، باستثناء كليّة الحقوق!

لكن «الجهل» في حال ثبوته تأويلاً للإحجام عن إبداء الرأي في مقامَي الجنس والدين ليس بدون مغزى: فهو قد يعتبر «فضيلة» بالنسبة للأوّل، وولاء لـ«العارفين» المختصين في الحالة الثانية. ولا نبالغ في قولنا هذا. فـ«الفضيلة»، تماماً كضرورة الولاء لـ«العارفين»، من الأسباب الأهم التي دفعت برجال الدين عندنا للوقوف سدّاً منيعاً وفعالاً في وجه إقرار ما يشبه «التربية الجنسية المدرسية» للتلامذة في سن البلوغ في العام 1998، (بيضون، 2001).

مزيد من التساؤلات

الشباب الجامعي لا يمتثل، في الإجمال، للتمييز بين النساء والرجال القائم على الجندر، ولا يتبنّى المعتقدات المتعلّقة بأدوار النساء والرجال؛ وباستثناء مشاركة الشبّان في قبولهن النسبي بأدوار الرجل في المجال العام، فإن الشابات الجامعيات أبديْن تمايزاً بارزاً عن زملائهن الشبّان في تفاصيل عدم الامتثال المذكور.

اتجاهات الشبّان الجندرية أكثر محافظة، إذاً، من اتجاهات الشابات. لكن هل إن فئة الشباب الذكور هي فئة متجانسة بإزاء الاتجاهات الجندرية؟ ألا يختلفون في ما بينهم بحسب انتماءات وأخرى؟

هل يفرّق الدين، مثلاً، بينهم؟ ما هي تأثيرات انتماءاتهم المذهبية على مواقفهم من المرأة؟ من الرجل؟

---

(9) هو البند 10 من الاستبيان، وهو واحد من بندين فقط حظيا بتوافق الشبّان والشابّات.

هل إن الشباب الذين ينتمون للجامعة اللبنانية هم أكثر ليبرالية، أم هم أقلّ ليبرالية، تجاه المرأة وقضاياها من الشباب الذين يرتادون الجامعات الأخرى الخاصة؟ هل يتأثّر هؤلاء بالاختصاص الذي يدرسون؟

هل لمستوى مهنة الأب علاقة باتجاهاتهم؟ هل إن الطلاب أبناء أمّ عاملة بمهنة خارج منزلية يحملون اتجاهات رافضة للترتيبات الجندرية أكثر من الطلاب أبناء المرأة ربّة المنزل؟

هل إن الشباب الساكنين في المكان نفسه الذي ولدوا فيه هم أكثر محافظة من زملائهم «المتحرّكين» الذين يسكنون في أمكنة غير مسقط رأسهم؟

هل إن الشباب الأكبر سنّاً أكثر ليبرالية أم أقل ليبرالية من الشباب الأصغر سنّاً؟

الطوائف والمذاهب

تشير النتائج الأوّلية إلى أن الشبان المسيحيين هم أكثر رفضاً للمعتقدات والأدوار الجندرية من زملائهم الشبان المسلمين، وحيث إن الفرق بين الفئتين هو ذو دلالة عالية، ($t = 5.996, p = 0001$). هذه النتائج تبدو ثابتة عبر كلّ سلالم الاستبيان الفرعية باستثناء السلّم الذي يؤشّر إلى دور الرجل في المجال الأسري الخاص حيث يَبْرُز لدى الفئتين موقفٌ محافظٌ، ومتوافقٌ على التزام الرجل التقييدات المفروضة على نشاطه فيه.

والمسيحيون منقسمون في ما بينهم: المسيحيون التابعون للكنيسة الكاثوليكية الغربية والإنجيليون معاً هم أقلّ محافظة من نظرائهم المسيحيين الشرقيين؛ ويصحّ هذا القول على الاستبيان بمجمله وعلى كلّ سلالمه تقريباً، (باستثناء السلّم الفرعي الذي يؤشّر إلى أدوار الرجل في المجال العام حيث تتساوى الفئتان).

والمسلمون منقسمون في ما بينهم أيضاً. ويبدي الشبّان السنّة تسامحاً أكبر مع تجاوز المنمّطات الجندرية من الشبّان من المذهب الشيعي. لكن المسافة التي تفصلهما هي أضيق من المسافة التي تفصلهما معاً عن الطلاب من المذهب الدرزي بإزاء هذه المسألة.

ونجد نمط الانقسام نفسه لدى الشابات في الطائفتين المسيحية والمسلمة. صحيح أن الشبّان والشابّات غير متفقين بإزاء اتجاهاتهم الجندرية لكن نمط اختلافهم بعضهم عن بعض يكاد يتكرر في مذاهبهم وطوائفهم كلٌّ على حدة! المسيحيات أقلّ محافظة من المسلمات، والانقسام المذهبي بين كل طائفة دينية يتكرر على نحو موازٍ تماماً للانقسام المذهبي الحاصل في فئة الشبان الجامعيين.

المتحرّكون والثابتون

تشير بعض الدراسات إلى أن النزوح والهجرة من مسقط الرأس يفضيان بالناس إلى تبنّي اتجاهات ليبرالية تجاه أدوار النساء والرجال؛ فقد وجد هاريس وفايرستون، مثلاً، أن النساء الأميركيات المهاجرات من الجيل الأخير أكثر ليبرالية تجاه الأدوار المذكورة من النساء المولودات في الولايات المتحدة، (Harris and Firestone, 1998).

هل إن نزوح الشاب عن المكان أو المحافظة التي ولد فيها إلى مكان/ محافظة أخرى عامل حاثّ على تبنّي اتجاهات جندرية ليبرالية؟

الجواب شبه القاطع لا! فالفروق في اتجاهات الشباب «المتحرّكين» وزملائهم «الثابتين» هو بدون دلالة. وينسحب توافق الفئتَيْن هذا على معظم سلالم الاستبيان الفرعية باستثناء السلّمين المؤشرين إلى أدوار الرجال في العام وفي الخاص، حيث يبدي الشبّان الذين يسكنون في محافظات غير تلك التي ولدوا فيها تمسّكاً أكبر بالتنميطات الجندرية، (مستوى الدلالة = 0,05).

ولـ«الهجرة الداخلية» وقع شبيه على الشابات، فلا يبدو الانسلاخ عن المحيط «الطبيعي» أو الأوّلي لهن ذا أثرٍ يذكر على تعديل اتجاهاتهن الجندرية.

الأكبر والأصغر

قمنا بتقسيم العيّنة بإزاء متغيّرة العمر إلى فئتين: الفئة الواقعة بين 21 و23 سنة، وفئة 20 سنة فما دون. وتبيّن بعض الدراسات تزايداً في الليبرالية الجندرية مع تقدّم سنوات الجامعة، لكن بعضها الآخر، في بلداننا العربية مثلاً، يشير إلى عكس ذلك، (أنظر الفصل الأوّل من هذا الجزء). لكننا افترضنا أن الاختبار الجامعي، المتناسب مع التقدّم في العمر تباعاً، يفضي إلى مراجعة الاتجاهات الجندرية، مثلاً، وإلى إعادة تفحّص المعتقدات النمطية بالتجريب الواقعي، فيسعنا الاستنتاج أن الأكبر سناً من الطلاب في عيّنتنا سوف يختبرون مراجعة كهذه، ويبرزون اتجاهات ليبرالية حيال الجندر.

لكن النتائج تشير إلى أن اتجاهات الشبّان الجامعيين لا تتأثّر بالعمر بتاتاً، فالفئتان متساويتان تماماً في اتجاهاتهم الجندرية. لكن زميلاتهم الشابات، الأكثر تقدّماً في العمر صرّحن عن تعصّب جنسي أقلّ، وعن اتجاهات جندرية أكثر ليبرالية، وخاصّة في ما يطول إلى أدوار النساء والرجال في الحيّز العام.

مهنة الأب

قسّمنا مهنة الأب إلى مستويات ثلاثة: عليا، وسطى ودنيا، في محاولة منا لتعيين أوّلي للانتماء الاجتماعي الثقافي لأفراد عيّنتنا؛ وذلك بحسب التصنيف العالمي المعتمد للمهن[10]. فجاءت قيمة المحك الذي يقيس الفروق بين المجموعات الثلاث ذات دلالة، (F = 12.303, p = 0.01). اللافت أن الشبّان أبناء الآباء ذوي المهن التي صنّفت أعلى أو وسطى هم أكثر محافظة من الطلاب أبناء الآباء ذوي المهن الأدنى في التصنيف المقترح، (لكن الفرق ليس كبيراً impressive). هذه النتيجة معاكسة للنتائج المحصّلة في الدراسات الأجنبية التي حاولت رصد أثر المستوى الاقتصادي الثقافي على الاتجاهات الجندرية. الدراسات هذه بيّنت أن الشبّان في الطبقات الأعلى، المتوسّطة خاصّة، هم أكثر ليبرالية من أقرانهم من الطبقات الأدنى.

أما الطالبات، بنات الآباء من كلّ الفئات، فلا يختلفن في ما بينهن؛ بكلام آخر، إن مستوى مهنة الأب غير مؤثّر في آراء ابنته المعلنة عن المعتقدات حول الجندر.

ومهنة الأم

لا يخفى أن الأم العاملة في مهنة خارج منزلية، (التي تسمّى في أدبيات الدراسات النسوية بـ«ذات الدور المزدوج»)، توفّر لأطفالها نموذجاً يُحتذى به للإناث، وتجسيداً لأدوار أكثر تعدداً يسع المرأة لعبها، بالمقارنة مع المرأة ذات الدور الوحيد. الدراسات الميدانية تشير إلى أثر للأم العاملة على اتجاهات أبنائها الجندرية، يتميّز عن تأثير الأم، ربّة المنزل، على أولادها في هذا المجال.

إذا عملت الأم في مهنة خارج منزلية، فإن أبناءها، من الشبّان والشابات، يصرّحون عن اتجاهات جندرية تتسم بليبرالية أكثر من تلك التي يصرّح عنها أبناء وبنات الأمهات ربّات المنازل. وتتجلّى تلك الليبرالية، خاصّة، في اتجاهاتهم نحو المرأة في المجالين العام والخاص وفي تصوّرهم للعلاقات التي يجب أن تسود بين المرأة والرجل.

والنتيجة التي حصّلنا تكاد تكون ثابتة في الدراسات الغربية، (Bryant, 2003; Begany and Milburn, 2000)، كما في بعض الدراسات في بلدان إسلامية كإيران، مثلاً، (Armaki and Gaffari, 2004).

---

(10) هو التصنيف الذي تعتمده مديرية الإحصاء المركزي في لبنان في مسوحاتها الدورية، (مديرية الإحصاء المركزي، 2001).

أية جامعة؟

تحتل الجامعة اللبنانية موقعاً متميّزاً في خريطة الجامعات اللبنانية. فهي «جامعة الدولة» state university الرسمية وتضم بين فروعها الخمسة الممتدّة على محافظات لبنان الخمس (من أصل ست) أكثر من سبعين بالمائة من الطلّاب الجامعيين في لبنان. وهي الجامعة الوحيدة من بين الجامعات الإحدى عشرة المرخّص لها رسمياً ذات الأقساط المتدنية بحيث لا تتجاوز الرسوم المالية فيها في مرحلة الإجازة، مثلاً، مائتي دولار سنوياً. في دراستنا هذه، قسّمنا الجامعات اللبنانية التي ينتمي إليها المبحوثون في هذه العيّنة إلى فئتين: طلاب الجامعة اللبنانية / طلاب من الجامعات الأخرى. فهل تختلف اتجاهات الشبّان والشابات بحسب الجامعة التي ينتمون إليها؟

باستثناء وصف العلاقات بين المرأة والرجل وتوصيفها، فإن الفروق بين طلاب الجامعة اللبنانية والجامعات الأخرى هي ذات دلالة؛ وبدا طلاب الجامعة اللبنانية محافظين بدرجة أكبر من زملائهم في الجامعات الأخرى، (تراوحت قيمة t بين 2,493 وبين 3,219 و$p < 0,05$)، وتباينت مواقف الفئتين من أدوار المرأة في المجالات الأسرية، ($t= 5.938, p= 0.001$).

من جهتهن، تبدي الطالبات من الفئتين، (جامعة لبنانية/ الجامعات الأخرى)، نمطاً شبيهاً في تمايزهن لتمايز زملائهم الطلاب. أي أنهما متفقتان على طبيعة العلاقات التي يجب أن تسود بين النساء والرجال وإن أبدتا مساواتية أكثر من زملائهن الطلاب؛ لكن طالبات الجامعة اللبنانية، تماماً كطلاب الجامعة اللبنانية، هن أكثر محافظة من طالبات الجامعات الأخرى بالنسبة لاتجاهاتهم نحو المرأة وقضاياها. غير أن طالبات الجامعة اللبنانية رفضن، بحدّة أكبر من رفض زميلاتهن من الجامعات الأخرى، التمييز ضد الرجل، في المجال العام، خاصّة، ($t=7.928, p=0.001$).

الاختصاص وأثره

يُعزى إلى الطلاب والطالبات الجامعيين ذوي الاختصاصات العلمية والتقنية الانغماس والاستغراق، شبه الغامر، في العملية الدراسية على نحوٍ يَحدُّ من اهتمامهم بالشؤون المجتمعية والثقافية والسياسية، بل وأيضاً العلائقية. وهو ما يجعلهم، بالمقارنة مع زملائهم من الاختصاصات الإنسانية والاجتماعية أكثر تشبّثاً بالمعتقدات والاتجاهات المصوغة باكراً في مراحل أسبق من مرحلة بداية النضج التي يُخضِع فيها الشباب

أفكارهم للمراجعة وللتدقيق الضروريْن لملاءمتها مع الواقع المعاش، لتصبح أكثر شخصية، أو أكثر ذاتية.

من جهة ثانية، يؤشّر الاختصاص، بحسب الباحثين في التسلّطية، مثلاً، إلى أن اختيار اختصاص مهني تقني يحيل إلى اتجاهات نفسانية تفضّل الانبناء وتتجنّب الغموض؛ وذلك بعكس اختيار مهن إنسانية واجتماعية على قدر من التشتت لا تفضي، بالضرورة، إلى أفق مهني واضح ومنبنٍ. ولمّا كانت التسلّطية مرتبطة، ارتباطاً إيجابياً، بالتعصّب الجندري وبالاتجاهات التقليدية نحو الأدوار الجندرية، فإن الطلاب في الاختصاصات التقنية، هم على الأرجح، أكثر تعصّباً من الطلاب في الاختصاصات الإنسانية والاجتماعية، (Duncan et al., 2003).

تشير نتائجنا إلى فروق معتدلة، ($p = 0.05$)، بين الفئتين من الطلاب: الطلاب الذين يدرسون العلم الإنسانية هم أكثر ليبرالية تجاه أدوار المرأة وقضاياها من الطلاب من الاختصاصات العلمية والتقنية. لكن الفئتين متساويتان في اتجاهاتهما نحو أدوار الرجل والمعتقدات المنسوجة حوله.

اللافت أن نتائج الطالبات جاءت معكوسة!

فالمتخصصات في المجال العلمي والتقني أبدين رفضاً للتمييز ضدّ المرأة أكثر، (وإن باعتدال)، من اللواتي يدرسن في كليات الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، (لكن الفئتين متساويتان في النظرة إلى الرجل وإلى العلاقات بين الجنسين)، لعلّ ذلك ناجم عن كون الاختيار المهني عندنا لا يخضع للميول الشخصية والقدرات الذهنية، بدرجة أولى، بل يتدخّل في تعيين وجهته المعتقدات والقيم الملحقة بالمرأة وأدوارها، والاتجاهات نحو عمل المرأة تحديداً. هكذا، فنحن نخمّن بأن الطالبات في الاختصاصات المهنية والتقنية قد انخرطن في هذا المجال، لا تبعاً لسمات شخصية، ولا تناغماً مع بنية نفسانية بعينها، كما هي الحال في ثقافات اجتماعية صناعية، إنما تبعاً لاتجاهات غير تقليدية نحو عمل المرأة، ونحو التحضير المهني غير التقليدي لذلك العمل.

الأنماط الجندرية:

التأويل النفس - اجتماعي والتحليلنفسي لظاهرة التعصّب إجمالاً، والتعصّب القائم على الجندر، (التعصب الجنسي أو العدائية نحو الرجل)، اللذان يحيلان هذا التعصب إلى هويّات جندرية منمّطة... هذان- التأويل والتحليل- لا يقدّمان الكثير في محاولة

فهم العوامل المرتبطة بوجهة الاتجاهات الجندرية للشباب الجامعي عندنا. إذ إن تحليل المعطيات الناجمة عن بحثنا الميداني لا تبيّن فروقاً دالّة بين الأنماط الجندرية الأربعة بإزاء ما نبحث عنه.

الشبّان الجامعيون، ولأية فئة انتموا من المنمّطات الأربعة، (الذكرية، الأندروجينية، الأنثوية أو اللاامتمايزة)، كلّهم يقعون، بإزاء الاتجاهات الجندرية، في مجموعة واحدة: جميعهم، وكما ذكرنا سابقاً، منقسمون بين رفض وقبول الترتيبات الجندرية القائمة، فلا نجد اختلافاً بين الأندروجينيين، مثلاً، وبين اللاامتمايزين في اتجاهاتهم نحو المرأة أو نحو الرجل أو نحو العلاقة بينهما؛ الاختلافات في هوياتهم الشبّان الجندرية، لا تستتبع اختلافاً في الاتجاهات نحو المرأة.

في هذا الشأن، تشبه الشابات الشبّان. فهن، برغم وقوعهن في مصنّفات جندرية متباينة، متوافقات في اتجاهاتهن الجندرية: الشابة الأنثوية لا تختلف عن الشابة غير المنمّطة التي تجاوزت، في تصوّرها لذواتها، المنمّط الأنثوي... هاتان الشابتان لا تختلفان في آرائهما حول المعتقدات والترتيبات وتوصيفات السلوك للنساء والرجال في مجتمعنا: يقبلانها ويرفضانها، بالدرجة ذاتها.

الذكورة والأنوثة

حاولنا النظر إلى الموضوع نفسه من زاوية إحصائية ثانية؛ وذلك برصد ارتباط مُحتمل بين سلالم استبيان الهوية الجندرية، وسلالم الاستبيان الجندري. والنتيجة التي حصّلناها لا تقدّم المزيد: فلا ذكورة الشاب ولا أنوثته يرتبطان ارتباطاً ذا دلالة بأي من السلالم المذكورة، أي أن قيم الارتباط (مُعامل ارتباط بيرسون) بين كلّ من ذكورة الشاب واتجاهاته الجندرية، بمختلف أبعادها، من جهة، وبين أنوثة الشاب واتجاهاته الجندرية، بمختلف أبعادها، من جهة ثانية... هذه القيم كانت ضئيلة للغاية: إذ تراوحت، (القيم المذكورة المطلقة) بين 0,002 و0,132 لدى الشباب وبين 0,000 و0,099 لدى الشابات!

لكن المغالاة في الذكورة لدى الشاب الجامعي التي قمنا بقياسها بواسطة سلّم «ذكورة- أنوثة» M-F، ترتبط سلباً، وإن بدرجة متوسّطة، بالاتجاهات الجندرية. هذا يعني أن الشاب الذي يحمل صورة لذاته مشبعة بسمات مرغوبة للرجال- دون النساء- في مجتمعنا، مستبعداً، في الوقت نفسه، السمات االمرغوبة للنساء- دون الرجال-

(وهو تحديداً ما أسميناه المغالاة في الذكورة أو الذكورة الاستبعادية). . . هذا الشاب ينحو لأن يكون أكثر رفضاً للجندر الأبوي ومترتباته، بل وأكثر ليبرالية تجاه المرأة وقضاياها. وقد بيّنت نتائجنا، أيضاً، أن هذا المتغيّر في نمط الشخصية هو الأكثر ثقلاً في التنبؤ (تبعاً لمحك beta) في وجهة الاتجاهات الجندرية لدى الشبّان، وإن كان متواضعاً، (p = 0.004).

هذه النتيجة تخالف نتائج الدراسات الأجنبية على امتداد الفترة الزمنية التي أجريت فيها أبحاث مماثلة. هذه الأبحاث كانت تبيّن التلازم الإحصائي بين الذكورة المرتفعة والاتجاهات التعصبية تجاه المرأة، (Toller et al., 2004)، وكانت، في أحيان أخرى، تشير إلى غياب أية علاقة بين الاثنين، (Martin, 1999).

من جهة ثانية، كانت بعض الأبحاث تشير إلى ارتباط بين أنوثة الشاب وبين اتجاهاته نحو المرأة وقضاياها، وبين أنوثته واتجاهاته نحو العلاقات بين المرأة والرجل، (Spence and Buckner, 2000). وتخمّن الباحثتان سبِنسْ وباكْنِر أن كون الشبّان غير منمّطين جعلهم أكثر رفضاً للتمييز ضد المرأة، وكونهم تعبيريين expressive جعلهم أكثر إيجابية في استجاباتهم للنساء، وأكثر تعاطفاً مع قضاياهن.

وقد يساعد النظر في مكوّنات سلّم ذكورة- أنوثة على فهم هذه النتيجة. فهذا السلّم يتألّف، تذكيراً، من السمات التالية:

- السمات المحبّذة للرجل دون المرأة: استعداد للتنافس مع الآخرين، استعداد للمخاطرة، استعداد للمغامرة، شجاعة في مواجهة الأب (أو ولي الأمر)
- السمات المحبّذة للمرأة دون الرجل: براءة، ميل للغنج، حياء، تأثّر بوجهة نظر الآخرين.

وحيث يتم عكس العلامة التي ينالها المبحوث على السمات المحبّذة للمرأة (1 تصبح 5، 2 تصبح 4، . . .إلخ)، بحيث تستوي العلامة العالية مؤشراً للمغالاة بالذكورة، كما سبق وبيّنا (الفصل السادس من الجزء الأوّل).

إن درجة عالية من «الاستعداد للمغامرة»، و«الاستعداد للمخاطرة»، و«الشجاعة في مواجهة الأب»، مترافقة مع درجة عالية من استبعاد البراءة والحياء والغنج، والتأثّر بوجهة نظر الآخرين- مكوّنات سلّم ذكورة أنوثة-. . . هذه، جميعاً، يسعها أن تكون «محيطاً» نفسانياً حاضناً، بل محرّضاً على تبنّي اتجاهات غير ممتثلة للمعتقدات السائدة عن المرأة والرجل.

فإذا ما تأمّلنا في مكوّنات سلّم ذكورة- أنوثة في «استمارة السمات الشخصية» الأميركية، (انظر الفصل الرابع من الجزء الأوّل)، التي انفردت باحتفاظ سلّم ذكورة- أنوثة، برغم تعارضه مع نظرية الأندروجينية، نجد أنه يتألف من السمات التالية:

غياب العدوانية- العدوانية، التسلّط- الخضوع، التوجّه صوب العالم الخارجي- التوجّه صوب البيت، عدم البكاء- البكاء بسهولة.... إلخ. هذا السلّم يؤشّر، برأي واضعيه، إلى «تراجع الحساسية والتعاطف تجاه الآخرين»، ويفترضون ذلك سبباً لعدم ترابطه مع الاتجاه الداعم للمرأة وقضاياها. إذ أن دعم المرأة يتطلّب، برأي الباحثين في نظرية الأندروجينية، تجاوزاً للمصالح الذكرية الضيّقة يسمح بالتعاطف مع قضية عامّة.

بكلام آخر، إن مفهوم «ذكورة- أنوثة» في بحثنا هذا، لا يحمل المعنى نفسه الذي تحمله القياسات النفسانية الأميركية، وإن تمّ تكوينه بالطريقة نفسها: في القياسات الأميركية يمثّل «ذكورة- أنوثة»، تبعاً لوصف القائمين بإنشائه التمركز على الذات، والتسلّط وانحسار التعاطف مع الآخرين، (Spence and Helmreich, 1978). لكنه ينطوي، عندنا، على المغالاة في الفردية وعلى عدم الامتثال للمحيط، وعدم الركون إلى موقع متلقٍ أو سلبي من مجريات ذلك المحيط.

هكذا، يتبيّن لنا، أن العلائقية والحضن والارتباط والتعاطف مع الآخرين إلخ، (وهي السمات التي تؤلّف سلّم الأنوثة)، غير مناسبة لمناهضة المعتقدات السائدة حول المرأة والرجل في مجتمعاتنا. بل إن الفردية والوسيلية والقدرات الفكرية إلخ، (وهي السمات التي تؤلّف سلّم الذكورة)، غير كافية أيضاً لاتخاذ موقف نقدي غير قابل بالمعتقدات الجندرية. ويبدو أن تجاوز المعتقدات حول أدوار المرأة والرجل والتصريح بدعم المرأة في نضالها لتغييرها يتطلّبان في مجتمعاتنا أكثر من ذلك: هناك ضرورة لاستعدادات نفسانية على درجات عالية من «الهجومية»، من الاستعداد للمخاطرة والمغامرة وعدم الامتثال للسائد، متناسبة مع الدرجة العالية من التعصّب الجندري وتعدد مجالاته، ورسوخ مصادره، (الدين والتقليد إلخ).

الشريك المفضّل

الشاب الذي يفضّل شريكة مستقبلية «أنثوية» - تتصف بسمات مرغوبة للمرأة في مجتمعنا أكثر مما هي مرغوبة للرجل- هو الأكثر قبولاً، على الأرجح، بالترتيبات الجندرية السائدة... أو هكذا تذهب الحجة «المنطقية»، ونتائج بعض البحوث أيضاً.

فالمنمّطات تعلّل وتوفّر المسوّغات الشرعية للنتائج غير المنصفة بين أعضاء ينتمون لجماعات مختلفة. قد لا يعمى الناس المنمّطون عن اللامساواة القائمة بينهم وبين شركائهم، لكنهم يعتبرون أن هذه اللامساواة ناتجة عن الفروق «الطبيعية» بين النساء والرجال، وهي، تبعاً لذلك، لا يمكن تفاديها. المنمّطون في خياراتهم للشريك لا يعطون أهمية للامساواة القائمة بينهم وبين شركائهم، لأنهم يخفقون في ملاحظتها والتنبّه لها، بل هم يعتقدون أنها علاقة مساواتية برغم كون المؤشّرات الموضوعية (تقدير توزيع المكافآت والأثمان في العلاقة) تشير إلى خلاف ذلك، (Donaghue and Fallon, 2003).

نتائجنا تشير، وإن بخفر، إلى ذلك. فالشبّان الذين رسموا لشريكتهم المستقبلية صورة أشبه بالمرأة النموذجية، هم أكثر رضى بالترتيبات الجندرية القائمة؛ وذلك بالمقارنة مع الطلاب الراغبين في شريكة غير منمّطة جندرياً.

لكن الأمر مختلف بالنسبة لزميلاتهم الطالبات. هؤلاء، ومهما كانت تصنيفات شركائهن المفضّلين، متوافقات في اتجاهاتهن الجندرية. هذه الاتجاهات مستقلّة عن التفضيل الذي أبدَيْنه هؤلاء لشريكهن المفضّل وللمصنّف الجندري الذي ينتمين إليه.

هذه النتيجة يعززها الارتباط القائم بين بعض الأبعاد الجندرية لصورة الشريك وبين الاتجاهات الجندرية: فكلّما تشعّبت الصورة التي رسمها الشاب الجامعي لشريكته بسمات ذكرية، (أي كلّما كانت هذه الشريكة المرغوبة غير منمّطة)، أبدى هذا الشاب رفضاً نسبياً للترتيبات الجندرية التقليدية. وهو ما تبيّنه القيم المعتدلة السلبية لمُعاملات ارتباط بيرسون بين كلّ من سلّمي «ذكورة» و«ذكورة- أنوثة» الذي يصف الشريكة من جهة، وبين السلالم الفرعية في الاستبيان الجندري المؤشّرة إلى الموقف من المرأة ومن قضاياها، في العام وفي الخاص، سواء بسواء.

هذه الظاهرة لا نجد لها مقابلاً لدى الشابة الجامعية: نتائجنا لا تشير إلى ترابط بين «أنوثة» الشريك أو «ذكورته» من جهة، وبين اتجاهات الشابة الجندرية من جهة ثانية. والاتجاهات الجندرية للشابة لا ترتبط بدرجة «ذكورة» هذا الشريك، ولا بدرجة «أنوثته». لكننا نجد، في المقابل، ارتباطاً سلبياً بين سلّم «ذكورة- أنوثة» للشريك وبين الاتجاهات الجندرية للشابّة؛ ولعلّ ما قلناه في العلاقة بين صورة الذات بإزاء أبعاد هذا السلّم وبين الاتجاهات الجندرية، ينطبق على العلاقة الشبيهة بين صورة الشريك في المرآة نفسها والاتجاهات الجندرية.

تلخيصاً...

ترتبط الاتجاهات الجندرية بعوامل شبه «طبيعية» (الجندر، الدين، المذهب)؛ وما يجعلنا نقول ذلك هو واقعة انقسام الشباب بإزاء هذه العوامل إلى فئتين مختلفتين. فالمتغيّرات التي افترضنا أنها تشكّل مصفاة للاختبارات الحياتية الفردية، وتقوم، تبعاً لذلك، بفرز هؤلاء الشباب إلى مجموعتين مختلفتين أو أكثر... هذه المتغيّرات جاء أكثرها دون تأثير كبير:

فلا التقدّم النسبي في السن في مرحلة الشباب الحيوية،
ولا الانخراط في اختصاص ذي منحى إنساني واجتماعي (لهذا المتغيّر تأثير محدود)،
ولا الانسلاخ عن المحيط الأوّلي،
ولا صورة الذات الجندرية غير المنمّطة،

... هذه العوامل جاءت غير مؤثّرة في تكوين اتجاهات جندرية ليبرالية.

بل إن الشاب في نهاية المراهقة بدا ليبرالياً (أو محافظاً) بالدرجة نفسها التي اتصف الشاب بها في بداية مرحلة الرشد،

يتساوى، في هذا الصدد، الشاب الذي ما زال يعيش في مسقط رأسه مع الآخر الذي ترك مسقط رأسه وتعرّض لتنوّع نسبي في تفاعلاته الحياتية،

لكن شذّ عن المنحى المذكور عامل وحيد ذو علاقة باختيارات الشاب الفردية هو الانتماء للجامعة الذي قسّم بين الشباب على نحو يحتاج إلى نظرة أقرب من أجل فهمه، وبدرجة ضئيلة بدا الطالب في الاختصاص الإنساني أكثر ليبرالية من الطالب في الاختصاص العلمي والتقني.

ولم تختلف، أخيراً، آراء الشاب الذي تتماثل صورة ذاته بالصورة النمطية لجنسه عن آراء الشاب الذي تجاوز تلك الصورة.

لكن موقف الشبّان من المرأة وقضاياها لم يكن بدون صلة مع اختيار الشريكة، فمن فضّل شريكة ذات ذكورة مرتفعة، كان أكثر ليبرالية من رفاقه ذوي التفضيلات الأخرى.

في الخاتمة، نناقش المسائل، الأكثر بروزاً، في هذه النتائج.

بمثابة خاتمة

أحوال الرجال
الذكورة الطاغية والأنوثة الخافتة

يذهب تحليل المنظرين في الذكورة، بالتضافر مع نتائج الدراسات الميدانية حولها، إلى أن تصالح الرجال مع أنوثتهم يفضي بهم إلى التصالح مع النساء؛ وأن ذلك التصالح يتحقق بالتخلّي عن الصورة البدائية للمرأة، وعن مشاعر البغض الأثري لها. وذلك لأنهما-الصورة والبغض- يؤسسان للشرط النفساني المرافق للتمييز ضد النساء في الواقع. وعلى العكس من ذلك، فإن تمسّك بعض الرجال بذكورة دفاعية، رافضة للأنوثة، ومبخّسة قدْرها في الذات وفي الآخر يجعل هؤلاء غافلين عن تبدّل واقع النساء. فهم عاجزون، إذاً، عن إعادة صياغة تصوّراتهم البدائية تلك لتتلاءم مع الواقع المذكور، فيحتفظون بها درعاً يقيهم من أخطار الداخل، (أنوثتهم)، والخارج، (نهوض النساء). هؤلاء الرجال لا يملكون بنية معرفية مرنة، بدرجة كافية، تسمح لهم باستيعاب خطاب المرأة المعاصرة، وملاءمة اتجاهاتهم مع ذلك الخطاب؛ فتصوّراتهم واتجاهاتهم الجندرية محكومة بهواجسهم ومخاوفهم ورغباتهم الخاصّة، أكثر مما هي مرتبطة بالمرأة في الواقع المعاصر.

هذا ويتوافق الباحثون على أن التحوّلات في الترتيبات الجندرية انعكست على تفاصيل الحياة العامّة في البلدان الصناعية؛ وحين درست آثار تلك التحوّلات على النساء والرجال، شاع التعبير عنها بمفردات نفسانية وفردية، لا اجتماعية وعامّة فقط. تبدو الصورة، مع ذلك، بحاجة إلى مزيد من الجلاء. هناك «مغامرون» منطلقون لتوسيع ذواتهم باتجاه الجندر الآخر، والنظر إلى العالم بعدسته، لكن هناك «المحافظون» على مواقعهم يذودون عنها، غير قابلين بنهائية التحوّلات في الترتيبات الجندرية. وقد يصل

بهم الغلوّ في محافظتهم، أحياناً، إلى حدّ العنف. وقد برز لـ«المغامرين»، أسوة بـ«المحافظين»، تعبيرات سياسية واجتماعية تمثّلت في حركات رجالية متنوّعة عرفتها الساحة الأميركية، مثلاً، عبر تحرّكاتها الجماهيرية.

في مجتمعاتنا العربية، وفي المجتمع اللبناني خاصّة، نقع على جزر ثقافية- اجتماعية تشير إلى بروز فئات من الرجال «المغامرين» على الصعيد الشخصي. ولعلّ أفراد الثقافة النخبوية أكثرهم تمثيلاً لأشخاصها. لكن يبقى المحافظون الأكثر صخباً والأثقل وطأة وتأثيراً على السيرورات الثقافية بمجملها.

هذا وينحو تناول الهويات الرجالية المعاصرة، عامّة، وأزماتها ومحاولات مواجهة هذه الأزمات... هذا التناول ينحو، في بلادنا، لأن يُصاغ بمفردات سياسية وثقافية واجتماعية، وقلّما نقع على معالجة له بمفردات نفسانية. هناك، بالطبع، مقاربات للمسألة من المنظور الشخصي؛ وهو حال بعض النصوص والكتابات التي تحيل، من طرف غير مباشر، إلى العامل النفساني. لكن، في الأعمّ الأغلب، تمتّ إحالة التحوّلات التي تشهدها مجتمعاتنا في الأدوار النسائية والرجالية إلى الحداثة والعولمة التي تدخّلت في النسيج المجتمعي والأسري، محدثة بلبلة في ما كان يبدو، للناظر من الخارج، ترتيباً مستقرّاً من العلاقات والتراتبات بين النساء والرجال؛ فلا نجد كثيراً من المحاولات للبحث في الفروق الفردية بين الرجال بإزاء المواضيع المتعلّقة بإشكاليتنا المعروضة، وباتجاهاتهم الجندرية، من بينها مثلاً، (أي المعتقدات حول أدوار المرأة والرجل، والمعاني والأحكام التي تتضمّنها هذه الأدوار في «العام» «والخاص»). فانشغلت الدراسات العربية، في هذا المجال بالبحث عن صلة بين هذه الاتجاهات، مثلاً، وبين المتغيّرات الديمغرافية والاجتماعية، دون الالتفات إلى النفسانية منها.

الجديد المختلف الذي حاولت دراستنا الميدانية أن تقدّمه، يتمثّل في محاولة البحث عن قاعدة نفسانية لاتجاهات الرجل الجندرية. ونحن افترضنا أن الرجال المنمّطين، أي الملتزمين بالأدوار النمطية التي رسمها لهم المجتمع، هم أكثر ميلاً لتبنّي موقف تقليدي من أدوار النساء ومن قضاياهن من أولئك الذين تجاوزوا هذه المنمّطات. وافترضنا، أيضاً، أنه كلّما تماهى هؤلاء بأدوار الرجال النمطية، واستبعدوا «الأنوثة» من صورتهم لذواتهم، ازداد احتمال البحث عن شريكة لهم أشبه بالمرأة التقليدية، والعكس بالعكس.

نتائجنا جاءت، على خلفية ما قلناه أعلاه، مركّبة:

الذات والجماعة

قام الشبّان والشابات في هذه الدراسة برسم ملامح المرأة والرجل النموذجين. الشبان يتجهون للابتعاد عن الصورة النموذجية الملائمة لجنسهم؛ (وكذلك تفعل الشابات). وكأن الواحد منهم يعلن ما يلي: «أنا أعرف أن الصفة كذا وكذا هي مناسبة لوصفي باعتباري رجلاً (أو بوصفي امرأة)، بحسب الحالة. لكن هذه الصفة لا تتلاءم، على كل حال، مع من أنا، فعلاً». هذا، إذا تفحّصنا الموضوع من منظور يرى إلى الذكورة بوصفها مركّباً غير متناقض مع الأنوثة، بل هو مستقل عنها. لكن، من زاوية ترى الذكورة ناقضة للأنوثة، فإن نتائجنا بيّنت غلبة التنميط على صورة الذات: نسبة عالية من الشباب يعزون لذواتهم ذكورة عالية، ونسبة عالية من النساء يعزين لذواتهن أنوثة مرتفعة.

وقد أشارت نتائجنا إلى أن المؤثّر الوحيد، من بين المؤثّرات المدروسة، على توزّع الأنماط الجندرية بين الشبّان والشابات، كلّ على حدة، كان الطائفة الدينية! فينضمّ الانتماء الطائفي إلى الجندر- إلى الانتماء إلى جنس الذكور أو إلى جنس الإناث- في تأثيره على توزّع الالتزام بالأدوار والسمات النمطية.

لكن ما هو الجامع المشترك بين هذين المؤثّرَيْن؟

يبدو لنا أن الجامع بين هاتين الفئتين هو إملاءات الانتماءات الأوّلية. فالانتماء إلى طائفة، كما الانتماء لواحد من الجنسين، يتم تعيينه لحظة الولادة، لا تبعاً لخيار الطفل، (ولا حتّى لخيار الشخص الراشد في بلادنا!). الطائفية، وبحسب نتائجنا، مؤثّرة في شكل الخريطة الجندرية، كمثل الانتماء الجندري. فالشبّان والشابّات تتوزّعهم الأنماط الجندرية بطريقة مختلفة. وهو توزّع، كما أسلفنا القول، مطابق تماماً للتوقعات. لكن الفئتين تخضعان لمزيد من التفريق في ما بينهما تبعاً لانتماءات أفرادهما الطائفية: المسلمون غير المسيحيين، والمسيحيات غير المسلمات. فيغلب، في كلّ هذه الحالات، الانتماء إلى فئة أوّلية على الانتماءات الأخرى التي تحمل طابع العيش الفردي، أو التفريد individuation؛ هكذا، تستوي درجة الالتزام بالمنمّطات الجندرية، أو تجاوزها، سمة جماعية، أكثر من كون أي منهما سمة فردية، أو سمة

لجماعة متشكّلة تبعاً لاختبارات حياتية راشدة متشابهة. فمجالات الاختبارات الحياتية الفردية ليست ذات تأثير ملموس على توزّع الأنماط الجندرية على الشبّان والشابّات. ويتعيّن علينا البحث، إذاً، عن الطريقة التي يسع أحوال الجماعات الطائفية أن تكون مؤثّرة في إحداث الاختلاف بين درجة تنميط أشخاصها. ينبغي البحث عن الشروط التي جعلت الشبّان المسيحيين أكثر ذكورة من الشبّان المسلمين، وتلك التي جعلت المسلمات أكثر أنثوية من المسيحيات.

ما معنى أن يتجه أشخاص من طائفة بعينها لامتلاك صفة نفسانية بدرجة أكبر من طائفة ثانية؟ هل إن ما اصطلح على تسميته بـ«الشخصية الأساس»[1] basic personality المسيحية تختلف عن «الشخصية الأساس» المسلمة، فيكون تباين صورة الذات الجندرية من تجلّيات اختلاف «الشخصيتين»؟

ينحو اللبنانيون في خطابهم العام للخفض من «طائفيتهم»؛ فهم يتفادون الإعلان عن أهمية انتمائهم لطائفة بعينها في تحديد هوياتهم الشخصية[2]. والباحث الميداني يصطدم، في كلّ مرّة يطلب فيها من المبحوثين، مثلاً، ذكر مذاهبهم في استمارة بحثه، باحتجاج بعضهم على ذلك الطلب؛ هذا احتجاج يتمّ إما صراحة، أو ضمناً، بإغفال ملء الخانة المتعلّقة بالمذهب، أو بملئها، أحياناً، بكلمة «لبناني»! مع ذلك، يتعامل الباحثون مع المجتمع اللبناني بوصفه متعدد الطوائف الدينية، كما هو متعدد الطبقات، وغيرها من المصنّفات المؤثّرة، افتراضاً، في إحداث تمايزات بين اتجاهات أفراد الجماعات وسلوكهم.

في محاولتنا لتأويل الفروق في توزيع الأنماط الجندرية على الشبّان والشابات بين الطائفتين العريضتين المسلمة والمسيحية... هذه الفروق التي بيّنت شيوعاً للذكورة العالية لدى المسيحيين، شبّاناً وشابّات، بدرجة أكبر من شيوعها لدى المسلمين... لتأويلها، نظرنا في مسألتين:

---

(1) الشخصية الأساس، أو الشخصية القاعدية: بحسب كاردنر Kardner، تعرّف بأنها مجموعة السمات السلوكية المشتركة بين أشخاص ترعرعوا في طفولتهم في الثقافة الاجتماعية نفسها وتعرّضوا للنمط نفسه من الممارسات المميّزة للتنشئة الاجتماعية والأسرية لتلك الثقافة الاجتماعية.

(2) فقط 0,9% من الأشخاص اللبنانيين أعلنوا أن «انتماءهم إلى طائفتهم» يأتي على رأس انتماءاتهم الأخرى؛ هؤلاء الـ 0,9% اختاروا هذا الانتماء، بوصفه الأهم من بين مجموعة من الانتماءات المعروضة عليهم، (Murad, [redacted] cours).

- الفروق في التنشئة الاجتماعية بين الطائفتين،
- التثمين الفارقي لأولوية القيم المتعلّقة بتلك التنشئة لدى كل من الطائفتين.
وذلك في بعض الدراسات التي تناولت هاتين المسألتين.

في دراسة لبرُثرُ، مثلاً، تناولت تنشئة الأطفال في لبنان، منذ حوالي نصف قرن، وتألّفت عيناتها من أمهات وأطفال من الطوائف السنية والأرثوذكسية في بيروت والبقاع... في هذه الدراسة تميّز أسلوب الأمهات المسيحيات عن الأمهات المسلمات، بميل المسيحيات لتنمية حس الاستقلالية لدى الأطفال وبِحَثّهم على تعلّم مهارات جديدة، وببثّ قيمة التنافس لدى أطفالهن بدرجة أكثر من المسلمات؛ وقد جاءت الفروق بين الفئتين ذات دلالة إحصائية. المسيحيات رغبن لأطفالهن تعليماً متقدّماً، ومهناً توفّر مكانات أعلى في السلّم الاجتماعي من الأمهات المسلمات. كما اهتمّت الأمهات المسيحيات بدافعية أطفالهن للإنجاز الذي انعكس، وفق قياس عبر- حضاري للذكاء، في قدرة الإنجاز الذهنية لديهم. وتهتم الأمهات اللبنانيات، عامة، بالتربية على إدماج الطفل في محيطه الاجتماعي، لكن الباحث وجد تبايناً في معنى ذلك المحيط: الأمهات المسيحيات، المدينيات منهن خاصّة، يُعلين قيم المجتمع «المجرّد» ليعني الوطن/ المجتمع بمجمله، فيما ينحصر معنى المحيط بالأسرة لدى الأمهات اللبنانيات، عامّة.

على أن العامل الأبرز، برأي برُثرُ، هو «التحديث» الذي طاول أسلوب الأم المتبّع في التنشئة. وهو، إذ يقارن أساليب التنشئة التي تعتمدها الأم اللبنانية وتوقعاتها، بأسلوب الأم الأميركية وتوقعاتها، يجد أن الأم المسيحية، المدينية خاصاً، هي الأقرب إلى التحديث في التنشئة من الأمهات الأخريات. هذا، ولم يجد برُثرُ حيّزاً واسعاً من التمييز الجندري في أساليب التنشئة، وإن لمس في ممارسات واتجاهات أخرى تمييزاً أكيداً، (استقبال الوليد، إرضاع الطفل إلخ). ومن مظاهر التمييز المذكور افتراض اتكالية أكبر لدى الإناث، وتوقعات مختلفة للمستقبل؛ (أن يصبح الذكر مهنياً/ موظفاً ناجحاً، وأن تتزوّج الأنثى زواجاً ناجحاً). لكنه لم يجد تمييزاً جندرياً في مسائل أخرى كمثل الدافعية للإنجاز، استراتيجيات الثواب والعقاب أو غيرها، (Prothro, 1961).

في دراسة ميدانية لفاديا حطيط، مثلاً، تبحث فيها مميزات الشخصية الأنثوية اللبنانية بالمقارنة مع الشخصية الذكرية، بحسب الطائفتين المسلمة (السنية) والمسيحية

(المارونية) . . . في هذه الدراسة تشير النتائج إلى «انجذاب الطائفة المسيحية نحو النموذج الغربي في التنشئة الاجتماعية للذكور والإناث يتضافر مع معتقدات دينية واجتماعية ليهيئ أساساً متيناً لبنائهم النفسي، . . . لفردانية متبلورة»، (حطيط، 1994-1995).

في دراسة ميدانية[3]، قيد الإعداد، لجان مراد تتناول القيم العائلية والدينية والسياسية في لبنان إلخ، جعل المبحوثون، من كلّ الطوائف المدروسة، الاندماج الاجتماعي والامتثال للتقليد conformism في أعلى القيم التي يتعيّن على الأهل تشجيعها لدى أولادهم. وهذه تشتمل على الإحساس بالمسؤولية، الانضباط والإيمان الديني. لكن تفضيلات الأشخاص من بين المراتب التالية تباينت، تبعاً لانتماءاتهم الطائفية: المسلمون جعلوا العلاقات العلائقية،(الانفتاح نحو الآخرين، احترام معتقدات الآخرين، روح التضامن، التحسس بضرورة الحوار، الكرم)، في المرتبة الثانية، يليها السمات المرتبطة بالفعالية، (اجتهاد في العمل، روح اقتصادية، مثابرة وعقد العزم، شجاعة، اهتمام بالصحة وبالرياضة)، ومن ثمّ السمات التي تؤهّل الشخص للعمل التطوّعي، (انخراط في العمل الديني والإنساني، حماس للعمل التطوعي)، لتحتل السمات المرتبطة بالإبداع وبتطوير الكفاءات الفكرية، (القيام بالذات، الإبداع، تطوير الكفاءات الذهنية، قدرة على التخطيط والبرمجة، تعلّق بالحرية). . . هذه السمات جاءت في المرتبة الأخيرة. وعلى العكس من ذلك، فإن السمات المرتبطة بالإبداع وبتطوير الكفاءات الفكرية جاءت في المرتبة الثانية، (بعد تلك التي تحيل للامتثال للتقاليد)، لدى المسيحيين. يليها السمات العلائقية، والفعالية، ومن ثمّ ما يوفّر الدافعية للعمل الإيثاري والتطوّعي، (Murad, en cours). إن تبوؤ الامتثال للتقليد والعلائقية رأس قائمة القيم لدى المسلمين، يفسّر النسبة العالية من الشابات المسلمات ذوات الأنوثة المرتفعة. فتكون هويتهن، بذلك، حاملة لقيم الطائفة التي ينتمين إليها، والجندر الذي ينتمين إليه سواء بسواء. ويفسّر التباين في إعلاء القيم الفكرية الاختلاف في تبنّي قيم الذكورة في صورة الذات لدى الفريقين: الذكورة، كما تمّ تعريفها في هذه الدراسة، تلتقي مع القيم التي جعلها المسيحيون، في دراسة الباحث مراد المذكورة أعلاه، على

(3) عيّنة الدراسة ممثّلة للمجتمع اللبناني بمختلف فئاته « بالطريقة الفوتوغرافية الجغرافية، وتكوّنت من أكثر 1500 مفردة، (Murad, en cours).

درجة عليا في سلّم القيم التي يتعيّن على الأهل تربية أولادهم عليها.

تتضافر نتائج هذه الدراسات المتناثرة في الزمن ، والمختلفة في المقاربات والمنطلقات، لتشير إلى نزوع المسيحيين، في مجال اختلافهم عن المسلمين، لتعزيز الوجهة الفردية من شخصية أولادهم؛ هذا، فيما ينحو المسلمون إلى التوجّه نحو الآخرين بدرجة أولى، والالتفات إلى الحاجات الذاتية بدرجة لاحقة. هذه الاختلافات لا يمكن عزوها، على الأرجح، إلى التعاليم الدينية؛ فالطرفان يشتركان في إبراز «أهمية الانصهار في الجماعة»، (كما جاء في نصوص كتب التعليم للدين المسيحي)، و«ليكونوا يداً واحدة والقضاء على عوامل النزاع، والعمل على بث روح المحبّة والتعاون»، كما جاء في كتب التعليم الديني الإسلامية. ويشترك الدينان، أيضاً، بالوعظ ضد الأنانية والتمركز على الذات والكبرياء إلخ. (عتريسي، 2001).

وقد أشار أكثر من باحث، (Prothro, 1961; Prothro and Diab, 1974)، من هؤلاء، إلى اتجاهات المسيحيين اللبنانيين نحو التغرّب westernization، بدرجة أكبر من المسلمين، ولعلّ النزوع نحو الفردية من بعض علائمه. وحيث إن التنشئة الاجتماعية هي خاصية طائفية، يسعنا فهم وقوع نسبة عالية من الشبّان والشابات من الطائفة المسيحية في مصنّف «الذكورة العالية»؛ أي أن تكون هوية الشاب والشابّة من هذه الطائفة متّسمة بسمات من الوسيلية والفعالية وتلك التي تحيل إلى مهارات فكرية وإبداعية إلخ- أكثر من السمات الأنثوية التي تحيل إلى العلائقية، وإلى الارتباط والتعاطف مع الآخرين.

من منظور ذكورة- أنوثة، أبدى الشبّان المسلمون ذكورة مرتفعة، تماماً كالشبّان المسيحيين. لذا، فهم تبعاً لهذا المؤشر، (ما دعوناه بالذكورة الاستبعادية)، منمطّون بالدرجة نفسها التي تصف زملاءهم من الطائفة المسيحية. لكن المسلمين يعزون لذواتهم درجات أقلّ على سلّم الذكورة المكوّن من السمات التي تشير إلى امتلاك الوسيلية والفعالية والقدرة الفكرية؛ وهم متناغمون، بذلك، مع تراجع أهمية هذه القيم، نسبياً، في الثقافة الفرعية التي ينتمون إليها. لكن أنوثتهم هي أيضاً منخفضة (نسبياً)؛ وذلك برغم أن السمات التي تؤلّف سلّم الأنوثة تنحو إلى الإعلاء من كثير من القيم المرتبطة السمات المثمّنة لدى المسلمين (العلائقية، والارتباطية..).

يجتمع الشبّان المسيحيون والمسلمون في ميلهم إلى رفض الأنوثة في تصوّرهم

لذواتهم. لكن ذكوراتهم ليست متطابقة؛ فتنميط المسيحيين أكثر تناغماً مع متطلّبات ثقافتهم الاجتماعية الفرعية/ طائفتهم لأنه يستدخل قيمها المبثوثة في سمات سلّم «الذكورة». وهو تنميط شديد يأخذ، على كلّ حال، شكلاً غير ملائم لمتطلبات الزمن الحالي. هذا، ويسع نموذج ذكورة- أنوثة الاستبعادي تفسير تلاؤم الشبّان المسلمين مع النموذج النمطي الذكري، لكنه تنميط ينحو لتجاهل القيم المحبّذة في طائفتهم التي تميل لتثمين قيم الارتباط والتوجّه نحو الآخرين. ولما كانت أكثرية الشبّان المسلمين واقعة في مصنّف «اللامتمايزين»، فإن أكثريتهم تختبر، على الأرجح، حالة انتقالية: هم غير متوافقين مع النموذج المحبّذ اجتماعياً للرجل، بالرغم من إسهامهم في رسم ملامحه. وهم لا يتماهون، في الوقت نفسه، مع النموذج المحبّذ لثقافتهم الاجتماعية لكونه، ربّما، أكثر شَبَهاً بالنموذج الأنثوي، كما يستدلّ من وقوع نسبة عالية، نسبياً، منهم في مصنّف «الأنوثة المنخفضة»، ومن استبعادهم، بشدّة، لسمات الأنوثة الاستبعادية، (في سلّم «الذكورة - الأنوثة»).

شريكتي وأنا

في وصفه للشريكة المأمولة، أبدى الشاب اللبناني حساسية متجاذبة؛ فهو ما زال يحبّذ تحلّي هذه الشريكة بسمات مرغوبة لبني جنسها في مجتمعنا، لكنه لا يتبنّاها تماماً. فنسبة غير قليلة منهم ترغب في شريكة غير منمّطة. لكنه يودّ، بشكل خاصّ، ألا تتحلّى شريكته بسمات يستبعدها المجتمع عنها ويعزوها للرجال حصراً. هذا، ويميل الشبان، عامّة، لتفضيل شريكة «أقل» منهم درجة؛ ونسبة الطلب على هذه الشريكة تفوق نسبة تواجدها بين الشابات المعاصرات.

لكن خيار الشاب مرتبط، أيضاً، بـ«شخصيته». فالرجل الأندروجيني، مثلاً، يميل لشريكة أندروجينية. كذلك، فإن الشاب اللامتمايز يرغب في شريكة لامتمايزة، والشاب الأنثوي يرغب في شابة أنثوية، بالدرجة الأولى. المختلف الوحيد من بين المصنّفات الجندرية هو الرجل الذكري الذي يرغب، غالباً، في شريكة لامتمايزة.

والفروق الفردية في التفضيل لا ترتبط، بحسب ما وجدنا، بالانتماءات الاجتماعية لهؤلاء الشبّان. هو تفضيل شخصي محض. فإذا كان الشبّان يميلون لاختيار شريكة أقلّ منهم درجة، فإن تفضيل ذلك ينأى عن انتماءاتهم المختلفة. وباستثناء الشبّان الأصغر

سناً الذين يميلون لطلب شريكة منمّطة أكثر من الشبّان الأكبر سناً، لا يسعنا تعيين طراز من الشريكات المفضّلة لدى المسلمين منهم، مثلاً، ولا لدى المسيحيين، ولا لطراز مفضّل لدى طبقة اجتماعية وسطى غير ما تفضّله الطبقة الدنيا، ولا أخيراً، لدى طلاب الجامعة اللبنانية أو لغيرها من الجامعات إلخ. وباستثناء المنحى العام، فإن التفضيل هو شخصي، بل نفساني؛ وهو تفضيل يميل للارتباط، كما أسلفنا القول، بالنمط النفساني الذي ينتمي إليه الشاب نفسه، فالشاب يميل لاختيار شابة تشبهه في بنيتها الجندرية، هذا الشّبه الذي ينعكس، وفي ما يعني هذه الدراسة، في مرآتَي الذكورة والأنوثة.

الاتجاهات نحو المرأة والرجل

أولاً: الجنس والطائفة ثوابت التفريق

ينقسم الشبّان في ما بينهم: يصرّح أقلّ من نصفهم بقليل عن اتجاهات قابلة بالمعتقدات السائدة حول النساء والرجال في مجتمعنا، وبالتوصيفات المتعلّقة بوجوب السلوك ، لكن نصفهم الآخر يميل لرفضها، وإن باعتدال.

الشابات، وكما هي الحال في كلّ الدراسات الشبيهة، أكثر رفضاً للنظام االجندري التقليدي، وأقلّ قبولاً بمترتباته في ما يطول إلى الأمور المتعلّقة بالمرأة، خاصّة. وهن إذ أبديْن قبولاً بالتنميطات الجندرية المتعلّقة بالرجل في مقامه- المجال العام، فهن يتساويْن مع الرجال في ذلك القبول، ($t=0.076$)؛ الفرق بين الشبّان والشابات هو بدون دلالة في هذا المكوّن، بمفرده، من بين مكوّنات الاتجاهات الجندرية.

نشير، في هذا السياق، إلى دراسة لنا أجريناها في العام 1987، (ذكرت تكراراً في سياق كلامنا)، على عيّنة غير عشوائية تألّفت من 320 شاباً وشابة من الجامعتين الأميركية واللبنانية في غرب بيروت، وكان أحد أهدافها رصد اتجاهات هذه الفئة نحو المرأة، (بيضون، 1988). وبمقدار ما تصحّ المقارنة بين نتائج الدراسة الحالية ونتائج هذه الدراسة، يسعنا القول بأن الفروق بين الفئتين تشير إلى تباطؤ لدى الشبّان في اللحاق بزميلاتهم الشابات، وإلى تعديل جزئي، لكن منظور، في موقفهم من المرأة: ففي حين وقعت اتجاهات الشبّان في دراسة 1987 في المدى «موافق باعتدال»،(على مجموع الترتيبات الجندرية المتعلّقة بالمرأة وبأدوارها وبعلاقتها بالرجل . . .)، فهي تشهد في الدراسة الحالية، وكما ذكرنا أعلاه، انقساماً، يكاد يكون حاداً، بين فئتين: منهم من يتبنّى المعتقدات الشائعة حول المرأة والرجل، ومنهم من هو رافض لها، باعتدال. وهو

ما يشير إلى تخلي قسم من الشبّان عن موقع الامتثال لتوصيفات الإيديولوجية السائدة حول المرأة ومكانتها.

هذا، فيما بقيت فئة الشابات ثابتات في مواقعهن. فهن كن قد رفضن، في الدراسة المذكورة، المواقف التقليدية حول المرأة باعتدال، وما زلن رافضات لها باعتدال، فلم يتجاوزن مواقفهن هذه إلى «الرفض بشدّة» بعد.

هذا، ويشترك الانتماء الطائفي مع الانتماء لواحد من الجنسين بكونه قاطعاً في تفريق الأشخاص بإزاء اتجاهاتهم نحو الرجل، ونحو المرأة وقضاياها؛ فقد جاءت مستويات دلالة الفروق بين الطائفتين الأكثر ثباتاً في كلّ مكوّنات الاتجاهات الجندرية وسلالم الاستبيان الذي يقيسها، ($p = 0.000$). فالمسلمون أكثر قبولاً من المسيحيين بأدوار المرأة التقليدية وبالقيم الملحقة بها، والمسيحيون أكثر ليبرالية تجاه المرأة وأدوارها وقضاياها من المسلمين. اللافت أن نمط التمايز بين الشبّان والشابات جاء نفسه، في الطائفتين؛ فكما أبدت الشابّات رفضاً أكبر من زملائهن الشبّان للمنمّطات والعلاقات والتوصيفات الجندرية القائمة، فإن ذلك الرفض تكرر، بطريقة موازية تماماً، في كلّ واحد من الطائفتين، بل في كلّ الانتماءات المذهبية في الطائفتين.

لكن ما الذي يجعل الشبّان المسلمين أكثر محافظة تجاه المرأة وقضاياها؟

نذكّر، بادئ ذي بدء، بأن نتائجنا هذه تلتقي مع نتائج دراسات سابقة حول المسألة أثبتنا بعضها في حينه، وتلتقي، أيضاً، مع نتائج دراسة سابقة لنا أشارت إلى أن رجال الدين المسلمين هم أقلّ ليبرالية تجاه المرأة وقضاياها من رجال الدين المسيحيين، (بيضون، 1998). وتجتمع عوامل مختلفة لتسوّغ لتلك الفروق:

من جهة أولى، تشير بعض الدراسات في المحافَظَة conservatism إلى وجود ارتباط دالّ وموجب بين المحافَظَة السياسية والاجتماعية والدينية إلخ وبين تراجع قيم الفردية لدى الأشخاص. أي إن الأشخاص المحافظين هم، في الأغلب الأعمّ، «ليسوا أفراداً»، بل ممتثلين لقيم جماعاتهم. وهم لا يُخضِعون قيم جماعاتهم لإعادة فحص أو تأمّل، بل يقبلونها على وجهها الظاهر... وذلك، دائماً، بالمقارنة مع أمثالهم من الليبراليين» (Wilson, 1973, 257).

نذكّر، من جهة ثانية، بما سبق وبيّنا، استناداً إلى بعض الدراسات حول الفروق في التنشئة الاجتماعية بين الطائفتين، بأن الطائفة المسيحية هي أقرب من الطائفة المسلمة

إلى التغرّب، من جهة، وبأن التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها أفرادها هي أقرب إلى «إنتاج أفراد» ، من جهة ثانية.

إن الموقف المحافظ من المرأة، بل التمييز ضدّها في الشؤون الدينية والدنيوية، يسوّغ له، لدى الطائفة الإسلامية، بكونه من أحكام النصوص المقدّسة؛ لكن المشرّع المسيحي لا يسعه ادّعاء ذلك. ومن الدلائل على قولنا هذا «ورشة» إجراء التعديلات في بعض البنود المجحفة بحقوق المرأة في تشريع قوانين الأحوال الشخصية في المحاكم الروحية المسيحية سعياً لتحديثها، ولإلغاء التمييز ضد المرأة، (الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية، 2006). وما يسوّغ ذلك السعي، واقعة أن مصدر التشريع الأسري والشخصي لدى المسيحيين، وبعكس ما عليه الحال في الشرع الإسلامي، ليس مقدّساً.

تتضافر هذه العوامل لتفسّر، معاً، وجهة التباين في الاتجاهات بين شبّان وشابات الطائفتين.

ثانياً: الانتماء «الأوّلي» والاختيار الشخصي

تنقسم العوامل المؤثّرة في الاتجاهات نحو أدوار المرأة والرجل، كما سبق وبينّا، إلى نوعين: تلك المتعلّقة بالانتماء «الأوّلي»، والأخرى المتعلّقة بالاختيارات الحياتية الفردية؛ فالجنس والطائفة، الانتماءان «الأوّليان»، يؤثّران التأثير الأكبر على الاتجاهات الجندرية عامّة، وعلى الموقف من المرأة وتفاصيله خاصّة. وكذلك تفعل طبيعة مهنة الأم، وبدرجة غير باهرة مهنة الأب. وهذه كلّها تقع تحت عنوان واحد وعريض هو، مؤثّرات البيئة الأسرية الأوّلية.

وأما العوامل التي تنتج اختبارات حياتية، ذاتية وفردية، كالتقدّم في السن، (نهاية المراهق/ بداية الرشد)، أو نوع التخصص، (علمي أو تقني/ علوم إنسانية أو اجتماعية)، أو حركة العيش، (في مسقط الرأس/ خارج مسقط الرأس)، . . . هذه العوامل، (باستثناء تأثير ضئيل لنوع الاختصاص)، لم تؤثّر، في ما يبدو، في الاتجاهات الجندرية؛ فلم يتمايز الشبّان في ما بينهم بإزاء تغيّراتها بين الحدّين المذكورين. والمؤثّر الوحيد الذي برز من بين هذه العوامل كان نوع الجامعة التي انتسب إليها هؤلاء؛ فانفرد اختبار العيش في الجامعة، من بين هذه الاختبارات الأخرى التي ذكرناها، التأثير المذكور.

نذكّر بأن النتيجة التي توصّلنا إليها تشير إلى أن الشباب في الجامعة اللبنانية من

الجنسين أكثر محافَظَة من حيث اتجاهاتهم الجندرية من الطلاب والطالبات في الجامعات الأخرى. فإما أن أجواء الجامعة اللبنانية تفضي إلى محافظة جندرية أكبر، أو أن الانتماء الجامعي تقاطع مع انتماءات أخرى أكثر تأثيراً فوقع تحت وطأتها؛ كأن تكون أكثرية الطلاب المنتسبين إلى الجامعة اللبنانية منتمين، أيضاً، إلى الفئات الأكثر محافظة فطغى، بذلك، الانتماء المذكور على الاختبار الجامعي. ولعلّ تشرذم الفروع في الجامعة اللبنانية وتراجع الصلة بين أفرادها وجماعاتها، وافتقار حياتها الطلابية، إجمالاً، إلى الأنشطة الباعثة والمحرّكة على التفاعل، أدّت جميعها إلى سطوة الانتماءات ما قبل الجامعية عليها فحيّدت أثر الحياة الجامعية، بالمقارنة مع الجامعات الأخرى. ويدعم التأويل الأخير تميّز الفرع الثاني من الجامعة اللبنانية عن الفروع الأخرى بكون اتجاهات طلابه نحو قضايا المرأة أكثر انفتاحاً من الفروع الأخرى،(الأمين وفاعور، 1997، 338). ولا ننسَ أن طلاب هذا الفرع ينتمون إلى الطائفة المسيحية، بنسبة غالبة، وأن الشبّان المولودين في هذه الطائفة، المتربّين في بيئتها أبدوا ليبرالية أكبر في اتجاهاتهم الجندرية.

ثالثاً: الهويات الجندرية

قلنا في مطلع هذه الخاتمة، إن ما يميّز هذه الدراسة عن مثيلاتها من الدراسات العربية، هو سعيها للبحث عن قاعدة نفسانية للاتجاهات الجندرية عامّة، وعن الاتجاهات نحو المرأة خاصّة.

النفساني

إن البحث عن أصول نفسانية للاتجاهات عامّة، وللتعصّب خاصّة، قد تطوّر مع أَدُرْنُ وزملائه الذين كانوا البادئين، في خمسينات القرن الماضي، في دراسة ما اصطلح على تسميته في علم النفس الاجتماعي بـ«الشخصية التسلّطية»، كما سبق وذكرنا سابقاً. هؤلاء حاولوا، مستلهمين التحليل النفسي، البحث عن الديناميات النفسانية للشخص المتعصّب في تاريخه الأسري. ويذهب تحليل هؤلاء إلى أن التعصّب هو بمثابة إزاحة لمشاعر العداء تجاه الأب المعاقِب بقسوة، والمبالِغ في تطلّبه من الطفل الانصياع الصارم للمعايير المجتمعية، بحيث يكون موضوع الإزاحة هدفاً سهلاً مستضعفاً/ «كبش فداء» ملائماً لتلقّي مشاعر العداء المذكورة.

إن المنمّطات الجندرية- الأنوثة والذكورة المرغوبتين اجتماعياً- هي من المعايير الاجتماعية التي يتعيّن على الطفل التماهي بها في سيرورة التنشئة الاجتماعية في المحيط

الأسري. من هنا، بدا لنا أن التنميط الجندري، المبالغ فيه، بمثابة انصياع صارم لتلك المعايير؛ فيسعنا الاستنتاج، فرضاً، بأن التنميط الجنسي من بعض ملامح الشخصية التسلّطية. ولمّا كانت الأبحاث المتراكمة منذ الخمسينات قد رجّحت تصنيف هذه الشخصية في خانة المتعصّبين ضد أصناف متعددة من الجماعات والفئات والأعراق والأديان المختلفة عن الجماعة التي ينتمي إليها المتعصّبون، افترضنا، مستلهمين الاستدلال المنطقي، من جهة، وبعض نتائج الباحثين في الاتجاهات الاجتماعية ،من جهة ثانية، أن المنمّطين جنسياً أكثر تعصّباً من الفئات الجندرية الأخرى.

نتائجنا جاءت ، كما سبق وقلنا، مركّبة؛ فالصلة القائمة بين هوية الشباب الجندرية واتجاهاتهم الجندرية تتغيّر بحسب الناحية، قيد الاهتمام، وبحسب المنظور المعتمد للهوية:

تفضيل الشريكة، هذه الناحية من هوية الشاب الجندرية، يرتبط باتجاهاته الجندرية: من يختار شريكة أنثويّة، هو أكثر قبولاً بالمعتقدات التقليدية حول أدوار النساء والرجال، أما من يختار شريكة غير منمّطة فهو أكثر ليبرالية في معتقداته الجندرية. وحيث إن التفضيل الرومانسي من بعض مكوّنات هوية الشاب النفسانية، فإن نتيجتنا هذه، تثبت، جزئياً، فرضيتنا الضمنية: الاتجاهات الجندرية ذات قاعدة نفسانية.

بالمقابل، تشير نتائجنا إلى تراجع الصلة بين الاتجاهات الجندرية وصورة الذات الجندرية للشبّان: فالشبّان الأندروجينيون لا يختلفون عن أي فئة من الشبّان في المصنّفات الجندرية الأخرى لجهة مواقفهم من المرأة، ولا لجهة مواقفهم من الرجل. هم جميعهم متساوون في كونهم محافظين، أو في كونهم ليبراليين، تجاه أدوار المرأة والرجل. هذا المكوّن من الهوية الجندرية غير مؤثّر في الاتجاهات الجندرية.

النتيجة، هذه، تنتمي إلى طائفة النتائج التي حصّلتها بعض الدراسات الغربية الشبيهة؛ إذ إن قسماً من الباحثين في علم نفس الجندر لم يجدوا صلة دالّة بين صورة الذات الجندرية وبين الإيديولوجية الجندرية، (Fitzpatrick et al., 2004; Kroska, 2002). فيسع صورة الذات أن تكون غير منمّطة، وتبقى الاتجاهات مع ذلك محافظة، والعكس بالعكس. وهو ما أدّى بالباحثين لصوغ نظرية في الجندر ترى إلى تعدد أبعاد الجندر، وإلى تعامد مكوّناته؛ هذه النظرية صيغت لتأويل استقلالية صورة الذات الجندرية عن الاتجاهات الجندرية، وعن غيرها من المتغيّرات ذات الصلة. من هؤلاء

سبِنْس وزملاؤها الذين تراكمت نتائج أبحاثهم عبر السنين لتؤكّد عدم أحادية أبعاد الجندر the undimensionality of gender، (Spence and Buckner, 1995; Spence and Buckner, 2000). ذلك بعكس ما كانت قد توصّلت إليه نتائج الدراسات التي رافقت بداية انطلاق نظرية الأندروجينية، والتي أثبتناها في موضعها. هذه النتائج وضعت موضع المراجعة مسالة أهلية، أو عدم أهلية، بُعْدٍ من الأبعاد الجندرية في الشخصية للتنبؤ بوجهة تباين، أو تغيّر، الأبعاد الأخرى.

نتائجنا أشارت، إذاً، إلى ارتباط اتجاهات الشاب الجندرية بعامل نفساني هو تفضيل الشريكة، لكنها أخفقت في إيجاد صلة تلك الاتجاهات بمكوّن ثان من الهوية الجندرية، هو صورة الذات. فانتماء الشبّان لواحد من المصنّفات الأربعة التي أفرزها «استبيان صورة الذات الجندرية» لا يسمح لنا بالتنبؤ بوجهة مواقفه من المعتقدات السائدة حول المرأة والرجل، ولا، تحديداً، من أدوار المرأة وقضاياها. فلا «الذكورة» ولا «الأنوثة»، لا تكاملهما ولا تنافرهما معاً... سمحت بالتمييز بين الأشخاص لجهة اتجاهاتهم الجندرية. أي إن صورة الذات الجندرية لا تصلح لتكون ركناً في القاعدة النفسانية التي حاولنا إرساءها لهذه الاتجاهات.

ما قلناه هو نصف الحقيقية؛ لأن صورة الذات الجندرية رسمت من منظور «الذكورة» و«الأنوثة» المتعامدين- المستقلّتين إحداهما عن الأخرى. لكن معاينة المسألة من منظور «الذكورة- الأنوثة» ، حيث الذكورة والأنوثة مرتبطتان ومتضادتان ، تؤدي بنا إلى نتيجة مخالفة: من هذا المنظور هناك صلة ذات دلالة بين صورة الذات الجندرية وبين الاتجاهات الجندرية. ويؤشّر على تلك الصلة الارتباط الدالّ بين سلّم «ذكورة-أنوثة» وبين الاتجاهات الجندرية. بل إن ذلك السلّم قادر ، دون غيره من بين السلالم كلّها، على التنبؤ بدرجة الليبرالية أو المحافظة تجاه المرأة وقضاياها، خاصّة لدى الشبّان. إن صورة الذات الجندرية، من منظور «الذكورة- الأنوثة» ، وبعكس منظور «الذكورة» و«الأنوثة» المتعامديْن يسعها أن تكون ركناً آخر من أركان القاعدة النفسانية المذكورة أعلاه.

الثقافي - الاجتماعي

إن البحث عن العوامل النفسانية المؤثّرة في الاتجاهات الجندرية ووجهتها لا يتعارض، بالطبع، مع البحث عن تأثير العوامل الاجتماعية الثقافية على تلك

الاتجاهات. خاصّة وأن إبراز أهمية العامل الثقافي والاجتماعي في التأثير على الاتجاهات، بل أيضاً إعلاءه على العامل النفساني تزامن، تقريباً، مع إطلاق مفهوم الشخصية التسلّطية في الخمسينات. وقد لجأ الباحثون إلى دراسة تغيّرات الاتجاهات التعصّبية في مجتمعات مختلفة، وفي ظروف سياسية معيّنة. وحين درست الثقافات الاجتماعية المختلفة، تبيّن أن التعصّب ضد الإثنيات أو الأقليات جاء متناسباً مع المناخ الثقافي والسياسي المهيمن، أكثر من كونه تابعاً لنمط من الشخصية بعينها؛ ففي الدراسات العبر - حضارية التي نفّذها الباحثون في الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا، تبيّن أن التعصّب العرقي ضد الملوّنين كان في جنوب إفريقيا أكثر بكثير منه في الولايات المتحدة. لكن المبحوثين في إفريقيا الجنوبية لم يكونوا أكثر «تسلّطية» من مبحوثي الولايات لمتحدة. فالتعصّب العرقي كان سائداً هناك بين أشخاص «أسوياء»، (من منظور التسلّطية) منهم. وبيّنت أبحاث أخرى الأثر الحرِج للمعايير الوضعية في إحداث التعصّب، بالمقارنة مع السمات الشخصية المستدامة، (Wilson, 1973).

فاستنتج هؤلاء الباحثون أن للاتجاهات وظائف نفس- اجتماعية لا نفسية فحسب. فهي تساعدنا على الشعور بأننا جزء من المحيط الاجتماعي الذي ننتمي إليه، وتؤدّي وظيفة مهمّة في توافقنا الاجتماعي. وهي وظيفة تعزز الانتماء إلى الجماعة التي ينتمي إليها أصدقاؤنا أو أقرباؤنا. ليست طبيعة الاتجاهات هي المهمّة، في هذه الحالة، إنما الروابط الاجتماعية التي توفّرها الاتجاهات المشتركة بين الأشخاص. وكلما كانت هذه الاتجاهات وسيلة لتحقيق التوافق الاجتماعي، كانت قابلة للتعديل بحسب تبدّل المعايير الاجتماعية السائدة. ومن الأمثلة على ذلك تقديم بعض الباحثين في علم النفس الاجتماعي التبدّل الذي حصل في الولايات المتحدة الأميركية خلال الخمسينات حين أُسقط قانون التمييز العنصري بقرار فدرالي: إذ إن استطلاعات الآراء العامة كانت تشير، على الدوام، إلى معارضة المواطنين الأميركيين في الولايات المتحدة الجنوبية، مثلاً، لإلغاء ذلك القانون، وإلى تصريحهم في استطلاعات الرأي، بمواقف سلبية تجاه الأميركيين الملوّنين، الإفريقيين منهم خاصة. لكن اتجاهاتهم هذه تبدّلت، إلى عكسها، بعد تنفيذ القانون المذكور، (Pettigrew, 1969).

هذه النتائج دفعت بالباحثين إلى الاستنتاج أن أصول العنصرية مرتبطة بالمعايير السائدة، وبميل الناس إلى الامتثال إلى اتجاهات الجماعة التي ينتمون إليها، أكثر من كونها ناتجة عن اختلال في الوظائف الشخصية. هذه النتائج جاءت لتناقض نتائج تيّار

أَدُرْنُ ورفاقه. فهي بيّنت أنه من غير الجائز إحالة التعصّب إلى دينامية الشخصية الفردية وحدها، وإهمال العوامل الوضعية والثقافية- الاجتماعية. هذا الكلام يصحّ أيضاً، وفق بعض الباحثين، على الاتجاهات الجندرية. إذ يرى هؤلاء أن نظام المعتقد الفردي قد يكون ضئيل التأثير على المعاني الجندرية التي يسبغها الناس على ذواتهم حتى في حال «الهامشية» والانعزال النسبي عن تيار الثقافة الاجتماعية السائد. ويصعب حتى على فئات معزولة - انفصالية أو أصولية أو نسوية - أن تبقى خارج تأثير الثقافة الاجتماعية السائدة حول الجندر» (Kroska, 2002).

إن التباين في الاتجاهات الجندرية الذي برز في نتائجنا بين المسيحيين والمسلمين، كما بين المسيحيات والمسلمات، ليس غريباً عن التباين في المعايير والقيم السائدة في محيطهم، فجاء الاختلاف بين أفراد الفئتين ليعكس تباين طوائفهم في هذا المضمار، لا الفروق الفردية بين أشخاصها.

الثقافي والنفساني

لدى تأويل التباين في الاتجاهات الجندرية، تشير نتائجنا إلى غلبة العامل الاجتماعي الثقافي على العامل النفساني. أمّا إحالة الاتجاهات إلى النفساني فقد أصابت في مجالين: تفضيل الشريكة وتشبّع الذات بالذكورة التي دعوناها بـ«الاستبعادية»؛ لكنها أخفقت في مجالين آخرين: «صورة الذات الجندرية» واختبارات الحياة.

لماذا؟ وكيف يسعنا تأويل نتائجنا هذه؟

يصرّح الباحثون في نطاق نظرية الأندروجينية، أن أهمية هذه النظرية تكمن في صواب تطبيقاتها. فالمثال الذي اقترحته هذه النظرية للذكورة والأنوثة يستمد شرعيته، كما هي الحال في كلّ نظرية، من قدرته على تأويل المظاهر النفسانية والنفس - اجتماعية، وعلى التنبؤ بالترابطات بين هذه المظاهر» (Spence and Buckner, 2000).

تشير نتائج دراستنا إلى أن هذه النظرية نجحت في موقع، وأخفقت في آخر:

أفرز التصنيف الرباعي لـ«صورة الذات»، (أندروجيني، ذكري، أنثوي، لامتمايز)، علاقة ذات مغزى مع التصنيف الرباعي للشريكة المأمولة. وهو ما سمح لنا برصد ظاهرة الفردية العابرة للجماعات الطائفية في تفضيل الشريكة. نذكّر بأن التصنيف الرباعي لم يفلح في رسم صورة نموذجية لشريكة مرغوبة لطائفة دون غيرها: الشريكة المأمولة جاءت شخصية وفردية. فضلاً عن ذلك، ارتبطت صورة الشابّة المأمولة للشاب

باتجاهاته الجندرية على نحو متوقّع، بل نجح كلّ من سلّمي الذكورة والأنوثة المتعامدين في التنبؤ بوجهة الاتجاهات الجندرية، (من رغب في شريكة غير منمّطة، كان أكثر ليبرالية في اتجاهاته نحو المرأة، والعكس بالعكس). . . في مجال تفضيل الشريكة نجح مثال «الذكورة» و«الأنوثة» المتعامدان في رصد ارتباطات دالّة.

لكن المثال نفسه لم ينجح في رصد الارتباطات نفسها في مسألة الاتجاهات الجندرية: أخفق مثالا «الذكورة» و«الأنوثة» المتعامدان في تأويل ظاهرة التعصّب الجنسي، فيما نجح المركّب «الذكورة- الأنوثة» ، غير المتناسب مع نظرية الأندروجينية، في تأويل تبايناتها.

لماذا؟

كان بْلِكْ قد كتب في العام 1975، (وهو من السيكولوجيين الأوائل الذين ناقشوا راهنية وصواب مركّب «الذكورة- الأنوثة» بعد التحوّلات في الأدوار الجندرية في الغرب)، « إن مفهوم «الذكورة- الأنوثة». . . قد يكون ذا مغزى في ثقافة اجتماعية تتبنّى معايير شاملة وثابتة للأدوار الجنسية، لكن يتعيّن الأخذ به بحذر في ثقافة اجتماعية كثقافتنا، (الأميركية)، حيث تتباين المعايير المتعلّقة بالأدوار الاجتماعية تبعاً للطبقة الاجتماعية، ووفق عوامل أخرى، وحيث تتعرّض (هذه المعايير) لتعديلات أساسية مع الزمن»، (Pleck, 1975). هذا المفهوم لم يعد مناسباً لتأويل سلوكات الأشخاص في الثقافة الاجتماعية الأميركية. لكن ما هي أحوالنا، نحن، مع هذا المركّب/ المفهوم؟

هل إن نجاح مركّب «الذكورة- الأنوثة» في التنبؤ بالاتجاهات الجندرية، مترافقاً مع إخفاق مثالَي «الذكورة» و«الأنوثة» المتعامديْن يضعنا، استناداً إلى ما قاله بلِكْ، في مرتبة بين مرتبتين: في تدبيرنا أمورنا العاطفية، (في تفضيل الشريك)، تنجح نظرية الأندروجينية في تقديم صورة تأويلية، لا بأس بتكامل عناصرها. . . لكن في مسألة اتجاهاتنا الجندرية، يتراجع أثر التنميط الرباعي أمام عامل الانتماء إلى الجماعة ، ويسود الالتزام بالمعايير الخاصّة بالجماعة على الاختبار الشخصي، وعلى بنية الذات الجندرية، كما تتجلّى في صورة الذات؟

الذكورة الاستبعادية

الواقع أن نتائجنا كانت أكثر تعقيداً:

المؤشّر النفساني الذي سمح بالتنبؤ بليبرالية الرجال، وبدعمهم لقضايا المرأة، كان

«الذكورة- الأنوثة»، (والبيّنة عليه تتمثل بالمغالاة بالذكورة hypermasculinity - الذكورة الاستبعادية exclusive masculinity، بدرجة أولى، و«الذكورة» غير الاستبعادية، بدرجة ثانية). فلا تنقُض هذه النتائج فرضيتنا الضمنية فحسب، بل تذهب في الاتجاه المناقض تماماً لتثبت عكسها! (للتذكير، تقول الفرضية الضمنية إن الرجال القابلين بأنوثتهم هم أكثر دعماً للمرأة وقضاياها). وهي تناقض، أيضاً، نتائج الدراسات الأجنبية: إذ بيّن بعضها وجود ترابط بين أنوثة الرجال وبين مواقفهم الإيجابية من قضايا المرأة، ووجود ترابط إيجابي، أيضاً، بين ذكورة الرجال ومواقفهم المتحيّزة ضد قضية المرأة، أي الإيديولوجية الذكرية. هذا فيما أثبت بعضها الآخر غياب الصلة بين المعاني الجندرية التي تسبغ على الذات وبين الإيديولوجية الجندرية، كما سبق وبيّنا في صفحات سابقة.

ونحن كنا قد أحلنا ما بدا تناقضاً إلى المعنى الخاص الذي يختزنه سلّم «الذكورة- الأنوثة»، وتباينه عن تضمينات السلّم الشبيه في القياسات الأميركية، (في الفصل الرابع من الجزء الثالث). نشير، في هذا الصدد، إلى شهادات نساء عربيات، رائدات أو بارزات، ينتمين إلى «النخبة» النسائية الثقافية أو العاملة في الشأن العام. حين سئل هؤلاء النساء عن الشروط التي سهّلت بروزهن صرّحن أن آباءهن دعمنهن بدرجة كبيرة. هن بنات لآباء ذوي سلطة غامرة في مجالات مختلفة؛ فبدا وكأن هؤلاء الآباء وظّفوا بعض سلطتهم لدعم بناتهم في وجه المحيط، وفي وجه أمهاتهن الأكثر امتثالاً لقواعد المحيط، خاصّة. . . هؤلاء الرجال شجّعوا سلوكات بناتهم وخياراتهن غير المألوفة، (نصر، 1994-1995). إن الأوصاف التي قدّمتها هؤلاء النساء تشير بوضوح إلى أن آباءهن كانوا، على الأرجح، مغالين في ذكورتهم، (بالمعنى الذي ينطوي عليه سلّم «الذكورة- الأنوثة»)، وعلى درجة عالية من الهجومية، لكي يتمكّنوا من مناهضة التيار الذكوري الغامر والمعادي للمرأة في مجتمعاتنا.

أحوال الرجال: هوّية جديدة؟

إذا كانت النساء يتغيّرن، فما هي أحوال الرجال؟

السؤال، المطروح في صيغة إنشائية، حاولنا الإجابة عنه في بحثنا الميداني بمعالجة بعض تضميناته لدى فئة من الرجال، هي الشباب الجامعي اللبناني. وقد أشارت نتائجنا إلى إجابات عن ذلك السؤال من مناحٍ ثلاثة: هناك وجهة عامّة لحال الرجال، وهناك

فروق فردية، وهناك فروق بين الجماعات:

هناك، في الإجمال، ثبات في المنمّطات الجندرية: لا تزال الصورة، التي تسكن أذهان الشبّان والشابّات للرجل والمرأة النموذجين، أشبه بالمنمّطين الذكري والأنثوي، السائدين في معظم الثقافات الاجتماعية الأبوية... لكن هناك، أيضاً، نزوعاً عامّاً إلى تجاوز هذه المنمّطات، إما بتبنّي سمات الأنوثة، كما هي حال الأندروجينيين، أو بتجاهل سمات الذكورة والأنوثة معاً، كما هي حال اللاامتمايزين، أو برفض سمات الذكورة وتبنّي سمات الأنوثة.

لا يزال الرجال يتمنّون في شريكاتهم العاطفية الأنثوية التقليدية، ويميلون للرغبة في شريكة «أقلّ» منهم. لكن مَن تجاوز مِنهم التقليد في هويته، يرغب، في الغالب، في شريكة مثله غير ممتثلة لإملاءات الأنوثة التقليدية، متجاوزة إياها إلى دائرة الذكورة. المرأة تتكامل مع هذه الصورة، فهي ترغب في شريك «أكثر» ذكورة منها، لكنها ترغب، أيضاً، في شريك يشبهها.

لا زال الرجل مطمئناً إلى موقعه في المجتمع، ويميل، عامّة، إلى القبول بالتقييدات التي يضعها المجتمع على أدواره. اللافت أن المرأة متوافقة معه في ذلك القبول. لعلّ الرجل اللبناني غير راغب في التغيير لأنه، بعكس الرجل الغربي، غير مدفوع للتغيّر من النساء، وهو لن يربح الكثير من تغيّره ذلك.

وهو إن أبدى بعض الليبرالية تجاه نواحٍ من الترتيبات الجندرية، فهو ما زال متأخّراً عن اللحاق بالوجهة التي اختطتها النساء لذواتهن، وبالدرجة التي وصل إليها رفضهن لتلك الترتيبات . هذا التأخّر يتجلّى في كلّ مجالات الاتجاهات نحو المرأة: في المجال الخاص، في المجال العام، في العلاقات بين الرجال والنساء، وفي تفاصيلها... في هذه كلّها الرجال أقلّ ليبرالية من النساء.

هناك فروق فردية في هذا المجال: كلّما ازدادت درجة التماهي بالذكورة الاستبعادية، ازدادت درجة دعم النساء في قضاياهن، وكلّما مال الشاب لتفضيل شريكة منمّطة، ازداد احتمال قبوله بالترتيبات الجندرية القائمة.

كما برزت فروق بين الجماعات: بالنسبة للاتجاهات الجندرية، الرجال المسيحيون أكثر تماهياً بالذكورة، وأكثر التزاماً بالمنمّط الذكري من المسلمين. المسلمون، من جهتهم، أكثر تبنّياً للمعتقدات السائدة حول أدوار النساء والرجال من المسيحيين،

وطلاب الجامعة اللبنانية أقلّ ليبرالية من زملائهم في الجامعات الأخرى.

هذا، وكان سعينا المضمر في هذه الدراسة إلى البحث عن هويّة رجالية، على منوال الهوية النسائية الجديدة التي رصدناها سابقاً. فهل «وجدنا» ما نبحث عنه؟

هناك فئة من الرجال تجاوزت النموذج الافتراضي المحبّذ اجتماعياً ليعلن أفرادها تبنّيهم لسمات الأنوثة، إضافة إلى سمات الذكورة؛ نقصد الفئة الأندروجينية. وهي فئة أبرزتها نتائجنا عابرة للمصنّفات الاجتماعية والديمغرافية المختلفة. ما يشير إلى أن الأندروجينية الرجالية «سمة» نفسانية، خاصّة بالأفراد لا بالجماعات. وهي، بذلك، غير الأندروجينية النسائية التي بدت لنا، في دراستنا السابقة، فئة طليعية من النساء وفق مؤشرات[4] مختلفة.

والأندروجينية الرجالية، عندنا، لم تشبه المثال الذي أفرزته أكثر الدراسات الأجنبية بوصفه مثالاً إيجابياً للرجال والنساء معاً. فالأندروجينيون من الشبّان لم يتميّزوا عن الشبّان في الفئات الجندرية الأخرى، باستثناء نزوعهم لتفضيل شريكة غير منمّطة، أي بحساسيتهم العامّة لشيوع شخصية نسائية جديدة، وبالميل لتفضيلها على المرأة المنمّطة.

لكن الشخصية الأندروجينية الرجالية، في ما يهمّنا في هذه الدراسة، لم تتميّز بحساسية خاصّة تجاه الترتيبات والتراتبات والعلاقات الجندرية. فجاءت ليبرالية هذه الفئة منهم مساوية لليبرالية الفئات الجندرية الأخرى. ما ميّز الشبّان، في ما بينهم، كان ما دعوناه بـ«الذكورة الاستبعادية» أو «المبالغة بالذكورة» التي تنبّأت بوجهة الاتجاهات الجندرية بكلّ مكوّناتها . هذا، فيما غاب تماماً أي تأثير للأنوثة. فلم يرتبط أي مكوّن من الاتجاهات الجندرية ببُعد الأنوثة في صورة الشاب لذاته، ولا ببُعد الأنوثة في صورة شريكته المأمولة.

نعم للمغالاة بالذكورة!

ما معنى أن يترافق دعم الرجال لقضايا المرأة في الغرب مع ارتفاع الأنوثة، أو

(4) تركّزت فئة الأندروجينيات بين الطبقة الوسطى من الطالبات (في عيّنة غير ممثّلة)، لدى الطائفتين المتحرّكتين سياسياً ومكانياً (بفعل الهجرات الداخلية المتلاحقة إبّان الحرب الأهلية اللبنانية (الشيعة والدروز)، كما اتسمت هذه الفئة بصحّة نفسية أكبر، وباتجاهات معتدلة، (أكثر ليبرالية من الرجال، وأقل تطرّفاً من النساء ذوات الأنوثة المنخفضة)، نحو المرأة وقضاياها، (بيضون، 1988).

انخفاض الذكورة، أو أن يكون ،أحياناً، غير مرتبط بأي منهما... بينما تترافق ليبرالية الرجال عندنا مع ارتفاع الذكورة- المغالاة بالذكورة ، تحديداً، فلا تؤثّر الأنوثة في وجهة تلك الاتجاهات، لا سلباً ولا إيجاباً؟

لتأويل الفروق في النتائج التي حصّلنا مع النتائج المحصّلة في الدراسات الغربية لا نملك سوى التخمين: نخمّن بأن الاختلافات المذكورة ذات مصدرين: مكانة المرأة وقضيتها، أوّلاً ، وموقع الذكورة، ثانياً، في الخطاب السائد في التداول الثقافي- الاجتماعي العام.

أولاً- مكانة المرأة: إن مساءلة المعتقدات المتعلّقة بالأدوار الجندرية استثارت لدى الشبان اللبنانيين مكامن من الذات مختلفة عن تلك التي أثيرت لدى الأميركيين. ومصدر الاختلاف هو، على الأرجح، التباين في المكانة المتحققة للمرأة في كلّ من البلدين. لا ننسَ أن مأسسة ثقافة المساواة الجندرية وقوننتها وانتشار الكلام الشاجب للتمييز الجندري ومناهضته في الثقافة العامة، الشعبية والنخبوية سواء بسواء... هذه جميعاً بلغت درجة متقدّمة، (وإن اعتبرت من قبل النسويات الغربيات غير كافية)، في المجتمعات الصناعية، الغربية منها خاصّة. إن ترسيخ ثقافة المساواة الجندرية سلبت التمييز الجندري مرتكزاته الثقافية العامّة، ودفعت بالموقف من المرأة إلى المستوى الشخصي / الذاتي للرجل: فإذا ما ارتبطت ليبرالية الرجل تجاه قضايا المرأة بأنوثته إيجاباً، استنتج الباحثون أن ذلك ذو صلة، على الأرجح، بسمات الأنوثة الارتباطية والتعبيرية المتمثّلة بالاستعداد للإصغاء للآخر والتعاطف معه والاستعداد لملاقاته. وهذه جميعاً تسهم في استواء الرجل أكثر ميلاً لمراجعة اتجاهاته الجندرية الخاصّة، وشجبه للتمييز اللاحق بالمرأة، وتصريحه الداعم لقضاياها. لكن في حال اتخذ موقفاً سلبياً من المرأة وقضاياها، وكان ذلك مترابطاً مع ذكورة عالية كما بيّنت بعض الدراسات، استنتج الباحثون أن مصدر ذلك الموقف ذكورته التي اتخذت لبوساً دفاعياً وعدوانياً ضد المرأة في الخارج، وضد أنوثته الخاصّة.

أمّا عندنا، فإن مراجعة المعتقدات حول الجندر ما زالت في بداياتها. فالمساواة الجندرية لم تتمأسس بعدُ، ولم يتمّ دمجها، بطريقة مُرْضية، في التعليم المنهجي في لبنان، فلا يسع هذا الأخير أن يقف بوجه شيوع التعبيرات الثقافية، الحرّة تماماً، في بث

الاتجاهات التمييزية ضد المرأة. لا يزال التمييز الجندري قائماً، فتحتاج مناهضته إلى اتجاهات وقيم رافضة بشدّة للسائد. ولعلّ ما سمّيناه أعلاه، بـ«المبالغة بالذكورة» أو «الذكورة الاستبعادية» يؤهّل لتلك المناهضة الناشطة . فلا تستوي الليبرالية تجاه المرأة وقضاياها ميزة فردية إلا في هذه الحالة. فالرجال يلتزمون، عامّة، بمعايير واتجاهات الجماعات التي ينتمون إليها[5].

الثاني- محورية الذكورة: تقول سْمايْلَر إن المناخ السيكولوجي في الولايات المتحدّة شهد، خلال العقود الأخيرة، تطوّراً في الاتجاه نحو الذكورة؛ ففي مرحلة ما قبل 1970، كان يُنظر إلى الذكورة المتدنيّة hypomasculinity بوصفها مؤشّراً لمشكلة نفسانية؛ وهي بقيت كذلك في نطاق نظرية الأندروجينية إذا كانت الذكورة المتدنيّة مترافقة مع أنوثة منخفضة- «اللاتمايز». أما المبالغة في الذكورة فقد بدأت تُطرح كمشكلة في المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية. لكن هذا الطرح لم يكن شاملاً لكلّ أنماط تواجد الذكورة. فإذا تزاوجت الذكورة المرتفعة مع أنوثة مرتفعة - صيغة الأندروجينية، مثلاً- اعتُبرت إيجابية، كما سبق وبيّنّا. لكن، منذ أواسط التسعينات، بدأ الباحثون يتلمّسون اتجاهاً لاعتبار المبالغة في الذكورة إشكالية وغير مرغوب فيها. في الوقت نفسه، بدا المزاج العام متسامحاً مع الذكورة المتدنية. وتحيل سمايلر التوجّه نحو قبول الذكورة المتدنية إلى منحى ملموس نحو القبول بالمثلية الجنسية، وإلى نزع صفة الباثولوجيا pathology عنها، (Smiler, 2004).

هذا ويرى الباحثون أن مسوّغ استعادة ثيمة theme الذكورة / المبالغة في الذكورة إلى بساط البحث في الولايات المتحدة، مثلاً، هو ارتباط الذكورة شبه البدائي بالحرب.

(5) نتساءل، على مشارف نهاية هذا الكلام: هل لدراستنا هذه تضمينات للحركة النسائية عندنا؟
إن استواء الاتجاهات التعصّبية ضد المرأة خاصيّة مرتبطة بالجماعة، أكثر من كونها مرتبطة بالبنية النفسانية، ما يعني أن بروفيل الشخص المتعصّب ضد المرأة بحاجة إلى مزيد من التحديد. لكن المؤكّد أن لدينا جماعات أكثر تعصّباً من غيرها. هذا يعني أن تعديل «النصوص»، (وهو البند الأهمّ على أجندة الحركة النسائية اللبنانية والعربية)، التي تحكم اتجاهات الجماعات سيكون، على الأرجح، فعالاً في تعديل «نفوس» أفرادها.
كما يبدو لنا أن الأنوثة المغيّبة تأثيراتُها عن العوامل التي درسنا، والمتوارية تماماً، بالنسبة للذكورة. . . هذه الأنوثة بحاجة إلى إبراز وتفعيل في المجالات العامّة. وهي مهمّة تولّتها الحركة النسوية في الغرب، لكتنا لا نجد ما يشير إلى سعي شبيه للحركة النسائية عندنا يعمل على بلورة رؤية نسوية سياسية تبيّن تثمين إسهام الأنوثة، في نشاط المجتمع وحياة أفراده.

هناك، من جهة، ميل لشجب المبالغة في الذكورة بسبب استواء هذه الذكورة وقوداً للحرب والعنف والنزوع للسيطرة. يقابل هذا، من جهة ثانية، تسويغ لاستنهاض الذكورة التقليدية من أجل خوض الحروب الأميركية الحالية. وقد كتب أُوكَنْ، في معرض نقده لبعث الذكورة التقليدية في خطاب قارعي طبول الحرب بعد 11 سبتمبر في الولايات المتحدة. . . «قد يكون مفاجئاً للبعض معرفة أن الحروب ليست من «طبيعة الرجال» وهم يتناسون الدليل الملموس على ذلك. ومفاده أننا محتاجون إلى إخضاع الشبّان لتدريب مضن وقاس وقامع من أجل تحويلهم إلى محاربين». هذا، ويعارض أوكَنْ استواء الحروب وسيلة وحيدة للتعبير عن الذكورة، ويؤكّد أن النضال من أجل السلام ومناهضة الحروب كان في السبعينات من القرن الماضي تعبيراً عن الذكورة، أيضاً. فمناهضة الحرب في فيتنام كانت أول اعتراض شمل عدداً كبيراً من الرجال شكّلوا، معاً، ثقافة اجتماعية فرعية. هؤلاء اعتُبروا أبطالاً ولم يُنعتوا بالجبناء كما كانت الحال عليه، سابقاً. ويستنتج أن هناك طريقاً آخر للرجولة: «كنا ننتمي إلى حركة سياسية ترفض العسكرة سبيلاً لتحقيق الرجولة. هذا الرفض وَضَعنا في دائرة المخاطرة بأن ينظر إلينا وكأننا أقلّ من رجال حقيقيين. لكن ما عزز موقفنا ودَعَمه ، كان موقف النساء اللواتي أكّدن فحولتنا برفعهن شعار «النساء يقلن نعم للرجال الذين يقولون لا (للحرب)»». ويرى أوكَنْ أن فهم الذكورة، والعمل على إعادة تعريفها هما، بنظر البعض في المجتمع الأميركي، في خضم الحرب على العراق خاصّة، مسألتان مركزيتان، إذ «فيما تخاض الحرب على بعد آلاف الأميال، فإن الصراع يدور في الوطن حول مستقبل الذكورة. إن المصالح التي تدعم . . .الذكورة التقليدية هي مصالح القيادة الأميركية الحالية»، (Okun, 2002).

هذا، ويشير أُوكَنْ إلى نمط من الذكورة أفرزته تداعيات 11 سبتمبر تمثّل بميول وسيلية وأخرى تعبيرية في الوقت نفسه: «لقد فتحت مأساة 11 أيلول الأميركية كوّة تمكّن عبرها الرجال الأميركيون من مزج ناحيتين من شخصياتهم: السعي لأخذ زمام أمورهم بيدهم والعمل على حلّ المشكلات الناجمة عن تلك المأساة، من جهة، وحضن الآخرين / الضحايا ومواساتهم، والتعبير الشامل عن مشاعرهم تجاه بعضهم بعضاً، من جهة ثانية». ويأسف أُوكَنْ لأنه «بدل أن تكون مأساة 11 سبتمبر مناسبة للتأمّل وللبحث عن صيغة جديدة للذكورة تنهي ثقافة ذكرية عنيفة في جوهرها، وتعمل على تحرير ذواتنا من القيود الجندرية التي تضعنا في قفص المعتقد الذكري القائل بأن «الحرب هي

الحلّ»، وبدل أن نكون رجالاً أكفياء لإشهار رؤية سلمية لذلك الحلّ، بادر القادة الأميركيون إلى تنفيذ مشروعهم : التخطيط لخوض حروب خارجية». هذه الحروب استتبعت حرباً داخلية، تمثّلت في استنهاض الذكورة التقليدية وشعاراتها: «اقتلاع الأشرار»، و«القوّة هي الصواب»، «مطلوب حياً أو ميتاً» إلخ، كانت، برأي الكاتب، «شعارات بدائل لإطلاق نقاش فعلي»، (Okun, 2005).

هذا نموذج من الكلام المتداول، في أيامنا هذه، حول المعاني المتعددة للذكورة بصلتها مع الحروب التي تخوضها الولايات المتحدة. فالجهة المهيمنة على مقدّرات الأمور السياسية حالياً، تقوم، في سياق خوضها للحرب «المفتوحة» التي أعلنتها، باستنهاض الذكورة التقليدية، «الطبيعية» / االعدوانية/ المحاربة. هناك، من جهة ثانية، تيارات فكرية وسياسية ونسوية تناضل ضد هذه الحرب، استكمالاً لتراث مناهضة الحرب الفيتنامية، وانسجاماً مع المزاج الذي ساد في البلدان الصناعية إثر الحرب العالمية الثانية والمتمثّل بمناهضة الذكورة العدوانية. هذان -التراث والمزاج- يلتقيان مع إيديولوجية ما بعد الحداثة التي تدعو إلى تفكيك الأفكار الأصولية حول الذكورة، والمحارب- الأصل ضمناً، وتطوير إيديولوجية أندروجينية متوازنة على قاعدة تاريخية ثقافية واجتماعية للجنسانية.

إن استدعاء النقاش الدائر في الولايات المتحدة حول الذكورة والحرب افترضناه مفيداً لغرض المقارنة مع أحوالنا. وهي مقارنة تسمح بإرساء خلفية لإبراز نتائجنا ومحاولة تأويلها. إن انتماءنا لهذه البقعة المضطربة من العالم جعل من «حتمية خوض الحروب سبيلاً لاستعادة حقوقنا» إيديولوجية مهيمنة، بل إقصائية، (بمعنى أنها ترفض إيديولوجية مناهضة لها)، على مناخنا الثقافي- الاجتماعي والسياسي. ولا تزال هذه الإيديولوجية تتعزز في التداعيات المعقّدة التي أطلقتها أنماط الحروب المتناسلة منذ قرن من الزمن، أو أقلّ بقليل. هذه الإيديولوجية لا يمكن حملها إلا على مبالغة في الذكورة، وعلى هيمنة قيمها وتضميناتها : الهجومية والوسيلية والأداتية، واستبعاد ما يمكن أن يخفف من غلوّها أو يشير إلى بدائل عنها- الأنوثة.

ويعزز ما نقوله، التأويل الذي اعتمده تْزوريِلْ السيكولوجي الإسرائيلي. هذا الباحث توصّل في بحثه عن هوية المراهق الإسرائيلي الجندرية إلى نتائج تشير إلى محورية الذكورة في تحديد مكوّنات تلك الهوية « وإلى إخفاق الأنوثة في ذلك التحديد. . . أي إلى نتائج أكثر شبهاً بنتائجنا من نتائج الأبحاث الأميركية. فاستنتج أن

العوامل السياسية والإيديولوجية والاجتماعية الوضعية، (المتمثّلة بكون المجتمع الإسرائيلي مجتمعاً محارباً)، تجعل الذكورة ركناً أساسياً من مسار تشكّل هوية الذكور الإسرائيليين (Tzuriel, 1984).

التماهي بالذكورة عندنا لا يقتصر على الذكور، بل يتعدّاه إلى الإناث. وهي، إضافة إلى ذلك، عامل تنبثي في نواحٍ مهمّة من هوية الرجال عندنا: هي كشّاف لأفضليات الرجل العاطفية،(تفضيل الشريكة)، وهي في صيغتها الأقصى كشّاف لاتجاهات الرجل الجندرية.

والذكورة، أخيراً، لم توضع موضع المساءلة الجدية، لا من الشباب ولا من الشابات عندنا بالمقارنة بما يحصل في الغرب. وينعكس ذلك في اتجاهات الحركة النسائية. فباستثناء اهتمام هذه الحركة، غير البعيد في الزمن، بموضوع العنف ضد المرأة، لا يزال اهتمامها بالمستوى النفساني والسلوكي للرجال والنساء يحتل درجة متأخّرة في هرم انشغالاتها.

الأنوثة، بالمقابل، لا تشهد «إقبالاً» من الرجال، بالدرجة نفسها التي تشهد الذكورة إقبالاً عليها من النساء. وكأن مكوّناتها لا تملك الجاذبية، أو ربما، «الفائدة» العملية نفسها التي تملكها الذكورة في تدبير أحوالهم ، فلا تضيف إلى هوياتهم الكثير. لكن الأهم من تراجعها أمام الذكورة مثالاً للتماهي، هو كونها غير مؤثّرة في مسارات نفسانية أخرى، لا سلباً ولا إيجاباً. فهي تبدو خلفية باهتة لا صلة لها، لا بالخيارات العاطفية للشباب، ولا باتجاهاتهم الجندرية: فلم نجد ارتباطاً بينها وبين أي من العوامل التي درسناها لدى فئة الشباب الجامعي.

فإذا بدا الشاب اللبناني مطمئناً إلى ذكورته، قابلاً بالتقييدات التي يضعها المجتمع عليه من أجل تحقيقها، فلأن هذه الذكورة لا تزال امتيازاً، عزيزة المنال: هي امتياز لأنها لا تزال، ودائماً بحسب تخميناتنا، محورية في المهام المطروحة على مجتمعاتنا، وفي الحروب التي «ما زلنا بحاجة إلى خوضها».

خاتمة الخاتمة

أخيراً، تناولت دراستنا عوامل محدودة لرصد أحوال الرجال المعاصرين عندنا. هذه حال الباحثين والباحثات في علم النفس الاجتماعي: نجتهد كثيراً لنحصل على

القليل. ويبقى القليل، على كلّ حال، في دائرة الاحتمال، وتعيين الإشارات، وتحديد الوجهات للتأثيرات والعلاقات في الأحوال المرجو رصدها.

هذا، ونحن لم نحصّل يقيناً، لأننا لم نتوصّل لامتلاك «الكلمة الأخيرة» في الموضوع. ولم نستطع، بالطبع، الوصول إلى «إقفال ما» closure بشأنه. وغنيّ عن القول أننا لم نسعَ إلى هذا ولا إلى ذاك. إن تناولنا هذا الموضوع بمثابة دعوة للآخرين، للرجال خاصّة، من أجل تطوير مزيد من الأفكار حوله، تدعم أو تناقض، لا فرق، أفكارنا ونتائجنا.

لم نحصّل يقيناً. لكن أملنا أن نكون قد قدّمنا مثالاً على تمرين في إثارة الشكوك في وجه بعض اليقينيات.

الملاحق

ملحق رقم 1: خزّان السمات الذي اختير منه بنود «استبيان بم للأدوار الجنسية المعدّل» و«استبيان صورة الذات الجندرية»

ملحق رقم 2: اوصاف عينة البحث التمهيدي

ملحق رقم 3: استمارة البحث التمهيدي

ملحق رقم 4: جدول يبيّن توزّع السمات على المصنّفات الجندرية الأربعة

ملحق رقم 5: استمارة البحث الرئيسي باقسامها الثلاثة

ملحق رقم 6: اوصاف عينة البحث الميداني الرئيسي

ملحق رقم 7: اسماء الأساتذة / محكّمي «استبيان الاتجاهات الجندرية»

ملحق رقم 1

جدول يبين خزّان السمات الذي اختيرت منه بنود «استبيان بم للأدوار الجنسية المعدّل» في الاختبار التمهيدي لدراسة 1987، (بالأسود)، (بيضون، 1988)، والسمات الوضعية البديلة (بالرمادي).

1 ☐ شجاعة ■ شجاعة في إبداء الرأي *شجاعة في مواجهة الخصم * شجاعة في مواجهة وليّ الأمر	2 ☐ تضحية * إعلاء مصلحة الآخرين على مصلحة الذات ■ بذل المصلحة الذاتية في سبيل مصلحة الآخرين	3 ☐ تسامح * ميل لمسامحة الآخر على إساءته
4 ☐ حب المنافسة * استعداد للتنافس مع الآخرين	5 ☐ حنان ■ حنوّ على الضعفاء * استعداد لرعاية الضعفاء	6 ☐ استعداد للمساعدة
7 ☐ اعتماد على الذات	8 ☐ قبول بالحظ/ النصيب	9 ☐ فصاحة في التعبير * فصاحة في التعبير الكلامي
10 ☐ ميل إلى تحليل الأمور	11 ☐ أناة (سعة الصدر) * تمهل في معالجة الأمور	12 ☐ ثبات في الطباع ■ تحكّم في المزاجية
13 ☐ طموح	14 ☐ براءة	15 ☐ ضمير حيّ * تحكيم الضمير * إعلاء الضمير على مقتضيات المصلحة الخاصة
16 ☐ قدرة على مواجهة ■ قدرة على مواجهة الصعاب	17 ☐ تحسس لحاجات الآخرين	18 ☐ حب الظهور ■ العمل بصمت
19 ☐ نشاط	20 ☐ التعبير الصريح عن المشاعر الرقيقة * سهولة التعبير عن المشاعر العاطفية (الحب، الحزن إلخ) * سهولة في التعبير عن المشاعر السلبية(الغضب، الكره إلخ)	21 ☐ انسجام مع متطلبات المجتمع * تكيف مع متطلبات المجتمع

22 □ قوة * قوّة الشخصية	23 □ طاعة ■ طاعة أوامر وليّ الأمر * طاعة توجيهات المسؤولين	24 □ حسن التواصل مع الآخرين
25 □ إبداع * معالجة إبداعية للمسائل	26 □ لياقة ■ لياقة في التعامل مع الآخرين	27 □ واقعية ■ واقعية في النظر إلى الأمور * واقعية في معالجة المسائل
28 □ تفهّم * تفهم لوجهة نظر الآخرين * تفهم لظروف الآخرين	29 □ حساسية * تأثّر بأحوال الآخرين * تأثّر بوجهة نظر الآخرين * تأثّر بتقدير الآخرين	30 □ تديّن * ممارسة الشعائر الدينية * التزام بأركان الدين
31 □ تسلّط (سيطرة) * تمكّن من الإمساك بزمام الأمور * القدرة على السيطرة على الوضعية	32 □ محبة الأطفال * الرغبة بإنجاب الأطفال * الرغبة بتنشئة (تربية) الأطفال	33 □ مثابرة * مثابرة في إنجاز المهمّة
34 □ تنظيم في التفكير	35 □ قناعة	36 □ حب المغامرة * الرغبة بالمغامرة * الاستعداد للمغامرة
37 □ دقّة دقّة في إنجاز المهام	38 □ حياء	39 □ هدوء
40 □ ثقة بالنفس	41 □ ميل للّهو ■ استعداد للمشاركة في نشاط ترفيهي ■ استعداد للمبادرة في تنظيم نشاط ترفيهي	42 □ كرم
43 □ تحمّل المسؤولية	44 □ جمال * تألّق في المظهر الخارجي	45 □ صراحة * صراحة مع الآخرين * صراحة مع الذات
46 □ اهتمام رياضي	47 □ صبر * صبر على المصاعب ■ صبر على سوء معاملة الشريك	48 □ ذكاء ■ فعالية في حلّ المشاكل

49 ☐ التفوق * الرغبة بالتفوّق	50 ☐ تهذيب * تصرّف بتهذيب	51 ☐ قدرة اتخاذ القرار ■ إقدام في اتخاذ القرار
52 ☐ استقلالية * ميل للاستقلالية	53 ☐ تواضع * ميل للتواضع	54 ☐ إخلاص ■ ميل للإخلاص لشريك واحد * ميل للإخلاص للأصدقاء
55 ☐ استعداد للمخاطرة	56 ☐ عاطفية ■ تعاطف مع مشاعر الآخرين ■ استجابة لمشاعر الآخرين	57 ☐ محافظة على التقاليد * التزام بالتقاليد
58 ☐ استعداد للنجدة	59 ☐ تمسّك بالمعايير الأخلاقية	60 ☐ ميل للمرح
61 ☐ قدرة على الاحتمال * قدرة على تحمّل الضغوط	62 ☐ لطف	63 ☐ الميل لخدمة الآخرين ■ اتجاه لخدمة الآخرين

ملحق رقم 2

أوصاف عينة البحث التمهيدي

أعداد الاستمارات بحسب الكليات وبحسب الجنس

الاختبار التمهيدي

السمات المرغوبة اجتماعياً للرجل

	ذكور	إناث
الجامعة الأميركية في بيروت	9	15
المدرسة الحربية	22	صفر
كلية التربية- الجامعة اللبنانية	صفر	18
كلية الترجمة - الجامعة اللبنانية	صفر	22
كلية الهندسة- الجامعة اللبنانية	35	4
المجموع	66	59

السمات المرغوبة اجتماعياً للمرأة

	ذكور	إناث
الجامعة الأميركية في بيروت	15	12
المدرسة الحربية	19	صفر
كلية التربية- الجامعة اللبنانية	صفر	22
كلية الترجمة - الجامعة اللبنانية	1	16
كلية الهندسة- الجامعة اللبنانية	34	4
المجموع	69	54

Frequencies

Statistics

		major	age	age1	sex	sect	religion	reside in	fathers profession	mothers work
N	Valid	248	248	248	248	248	248	248	248	248
	Missing	0	0	0	0	0	13	0	0	0

Frequency Table

major

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	military	41	16.5	16.5	16.5
	humanities sciences	97	39.1	39.1	55.6
	sciences	110	44.4	44.4	100.0
	Total	248	100.0	100.0	

age

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	18	9	3.6	3.6	3.6
	19	40	16.1	16.1	19.8
	20	77	31.0	31.0	50.8
	21	73	29.4	29.4	80.2
	22	35	14.1	14.1	94.4
	23	8	3.2	3.2	97.6
	24	2	.8	.8	98.4
	25	2	.8	.8	99.2
	27	1	.4	.4	99.6
	30	1	.4	.4	100.0
	Total	248	100.0	100.0	

age 1

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	20 & -	126	50.8	50.8	50.8
	21 & +	122	49.2	49.2	100.0
	Total	248	100.0	100.0	

sex

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	male	135	54.4	54.4	54.4
	female	113	45.6	45.6	100.0
	Total	248	100.0	100.0	

sect

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid		13	5.2	5.2	5.2
	shiite	73	29.4	29.4	34.7
	sunnite	40	16.1	16.1	50.8
	druz	24	9.7	9.7	60.5
	christ-oriental	19	7.7	7.7	68.1
	christ-occidental	53	21.4	21.4	89.5
	christ-indetem	12	4.8	4.8	94.4
	muslim indeterm	14	5.6	5.6	100.0
	Total	248	100.0	100.0	

religion

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	muslim	151	60.9	64.3	64.3
	christ	84	33.9	35.7	100.0
	Total	235	94.8	100.0	
Missing	System	13	5.2		
Total		248	100.0		

reside in

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid		6	2.4	2.4	2.4
	[redacted] mohafazat	130	52.4	52.4	54.8
	different mohafazat	112	45.2	45.2	100.0
	Total	248	100.0	100.0	

fathers profession

	Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	8	3.2	3.2	3.2
high	[redacted]	16.9	16.9	20.2
middle	139	56.0	56.0	76.2
low	[redacted]	23.8	23.8	100.0
Total	[redacted]	100.0	100.0	

mothers work

	Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	[redacted]	1.6	1.6	1.6
working	[redacted]	31.5	31.5	33.1
housewife	[redacted]	66.9	66.9	100.0
Total	[redacted]	100.0	100.0	

ملحق رقم 3

استمارة الرجل المرغوب اجتماعياً

استمارة المرأة المرغوبة اجتماعياً متطابقة تماماً باستثناء التعليمات في أعلى الصفحة الثانية حيث استبدل «رجل» بـ«امرأة»

الجامعة اللبنانية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الاختصاص: ______________________

العمر: _____ سنة و _____ شهر.

الجنس: ______________________

المذهب: ______________________

المحافظة (بحسب تذكرة الهوية): ______________________

السكن الحالي الثابت (المحافظة): ______________________

مهنة الأب (حالياً أو سابقاً): ______________________

مهنة الأم (حالياً أو سابقاً) : ______________________

في كل مجتمع من المُجتمعات، هناك مجموعة من الصفات يعتبر وجودها عند الرجل شيئاً مرغوباً به. ونحن نقوم بدراسة هذه الصفات في مجتمعنا.

أي، أننا نحاول أن ندرس الصفات التي يرغب المجتمع اللبناني في وجودها في الرجل.

ونحن نتوجّه إليك في هذه الاستمارة لنتعرّف منك، في ضوء خبرتك واطلاعك، على بعض هذه الصفات.

سنعرض عليك، في ما يلي، قائمة بالصفات التي يعتقد أنها مرغوبة لشخصية الرجل.

نرجو منك أن تقرأها، وأن تعيّن الحدّ الذي تعتبر كل واحدة من هذه الصفات مرغوبة للرجل في مجتمعنا؛

وذلك بحسب درجات بين (1) و(5) على الشكل التالي:

ضع في المربّع الذي يسبق كل صفة إحدى هذه العلامات:

العلامة 5 إذا كانت الصفة مرغوبة للرجل في كل الأحوال،

» » 4 إذا كانت الصفة مرغوبة للرجل في أكثر الأحوال،

» » 3 إذا كانت الصفة مرغوبة للرجل في بعض الأحوال،

» » 2 إذا كانت الصفة مرغوبة للرجل في قليل من الأحوال،

» » 1 إذا كانت الصفة ليست مرغوبة للرجل.

مثلاً: لو أخذنا صفة «وفاء»

إذا كانت صفة الوفاء تعتبر، برأيك، مرغوبة للرجل في مجتمعنا في كل الأحوال، تضع في المربّع الذي يسبق صفة «وفاء» علامة 5،

أما إذا كانت صفة الوفاء تعتبر، برأيك، مرغوبة للرجل في بعض الأحوال، تضع في المربّع الذي يسبق صفة «وفاء» علامة 3،

وهكذا... تضع في كلّ مربّع يسبق كل واحدة من الصفات الواردة أدناه علامة واحدة.

3 ☐ ميل لمسامحة الآخر على إساءته	2 ☐ إعلاء مصلحة الشريكة على مصلحة الذات	1 ☐ شجاعة في إبداء الرأي
6 ☐ استعداد للمساعدة	5 ☐ حنوّ على الضعيف	4 ☐ استعداد للتنافس مع الآخرين
9 ☐ فصاحة في التعبير الكلامي	8 ☐ قبول بالحظ/ النصيب	7 ☐ اعتماد على الذات
12 ☐ تحكّم في المزاجية	11 ☐ العمل بصمت	10 ☐ ميل إلى تحليل الأمور
15 ☐ تحكيم الضمير	14 ☐ براءة	13 ☐ طموح
18 ☐ تمهّل في معالجة الأمور	17 ☐ تحسس لحاجات الآخرين	16 ☐ قدرة على مواجهة الصعاب
21 ☐ تكيّف مع متطلبات المجتمع	20 ☐ سهولة التعبير عن العواطف (الحب، الحزن إلخ)	19 ☐ نشاط
24 ☐ حسن التواصل مع الآخرين	23 ☐ طاعة أوامر الأب (أو وليّ الأمر: الأم، الجد... .إلخ)	22 ☐ قوّة الشخصية
27 ☐ واقعية في تقدير الأمور	26 ☐ لياقة في التعامل مع الآخرين	25 ☐ معالجة إبداعية للمسائل
30 ☐ ممارسة الشعائر الدينية	29 ☐ تأثر بأحوال الآخرين	28 ☐ تفهم لوجهة نظر الآخرين
33 ☐ مثابرة في إنجاز المهمّة	32 ☐ الرغبة بإنجاب الأطفال	31 ☐ قدرة على الإمساك بزمام الأمور
36 ☐ الرغبة بالمغامرة	35 ☐ قناعة	34 ☐ تنظيم في التفكير
39 ☐ هدوء	38 ☐ حياء	37 ☐ دقّة في إنجاز المهام
42 ☐ كرم	41 ☐ استعداد للمشاركة في نشاط ترفيهي	40 ☐ ثقة بالنفس
45 ☐ صراحة مع الآخرين	44 ☐ تألّق في المظهر الخارجي	43 ☐ تحمّل المسؤولية
48 ☐ فعالية في حلّ المشاكل	47 ☐ صبر على المصاعب	46 ☐ اهتمام رياضي
51 ☐ إقدام في اتخاذ القرار	50 ☐ تصرّف بتهذيب	49 ☐ رغبة بالتفوّق
54 ☐ ميل للإخلاص لشريك واحد	53 ☐ ميل للتواضع	52 ☐ ميل للاستقلالية
57 ☐ التزام بالتقاليد	56 ☐ تعاطف مع مشاعر الآخرين	55 ☐ استعداد للمخاطرة
60 ☐ ميل للمرح	59 ☐ تمسّك بالمعايير الأخلاقية	58 ☐ استعداد للنجدة

61 ☐ قدرة على تحمّل الضغوط	62 ☐ لطف	63 ☐ اتجاه لخدمة الآخرين
64 ☐ تحدّي المشقات	65 ☐ جاذبية الشخصية	66 ☐ ترتيب
67 ☐ دفاع عن المعتقدات	68 ☐ ميل للغنج	69 ☐ ميل للتفاوض حول الأمور الخلافية
70 ☐ رغبة بتربية الأطفال	9- 71 ☐ فعالية في إنجاز المهام	72 ☐ فعالية في التعامل مع الضغوط
73 ☐ بذل المصلحة الذاتية في سبيل مصلحة الآخرين	74 ☐ شجاعة في مواجهة الخصم	75 ☐ تأثّر بتقدير الآخرين
76 ☐ إمكانات قيادية، (لأن يكون قائداً)	77 ☐ استعداد لرعاية الضعفاء	78 ☐ القدرة على السيطرة على الوضعية
79 ☐ تفهم لظروف الآخرين	80 ☐ الاستعداد للمغامرة	81 ☐ صراحة مع الذات
82 ☐ ميل للإخلاص للأصدقاء	83 ☐ استجابة لمشاعر الآخرين	84 ☐ سهولة في التعبير عن المشاعر السلبية (الغضب، الكره إلخ)
85 ☐ صبر على سوء معاملة الشريكة	86 ☐ استعداد للمبادرة في تنظيم نشاط ترفيهي	87 ☐ تأثّر بوجهة نظر الآخرين
88 ☐ طاعة توجيهات المسؤولين	89 ☐ واقعية في معالجة المسائل	90 ☐ التزام بأركان الدين
91 ☐ شجاعة في مواجهة الأب (أو وليّ الأمر: الأم، الجد...)	92 ☐ إعلاء الضمير على المصلحة الخاصة	93 ☐ انسجام مع متطلبات المجتمع

ملحق رقم ٤

جدول يبيّن توزّع السمات على المصنّفات الأربعة

السمات في المصنّفات الأربعة بتوافق الطلاب والطالبات في الدراسة الحالية وأكثر هذه السمات اعتمدت في الدراسة السابقة. وقد وضعنا بين هلالين صفتها: جديدة، أو كتبت الصيغة التي جاءت فيها في الدراسة السابقة (1988)

سمات الذكورة	سمات الأنوثة	سمات حيادية	سمات ذكورة- أنوثة
1 - شجاعة في إبداء الرأي (شجاعة) 7- اعتماد على الذات 9- فصاحة في التعبير الكلامي (فصاحة) 10- ميل إلى تحليل الأمور 13- طموح 16- قدرة على مواجهة الصعاب (جديدة) 22- قوّة الشخصية (قوّة) 25- معالجة إبداعية للمسائل (إبداع) 27- واقعية تقدير الأمور (واقعية) 31- قدرة على الإمساك بزمام الأمور (جديدة) 34- تنظيم في التفكير 40- ثقة بالنفس 43- تحمّل المسؤولية 48- فعالية في حلّ المشاكل (فعالية)	2-إعلاء مصلحة الشريك على مصلحة الذات (تضحية) 3- ميل لمسامحة الآخر على إساءته (تسامح) 5- حنوّ على الضعيف (حنان) 18- تمهّل في معالجة الأمور (أناة) 20- سهولة التعبير عن العواطف (الحب، الحزن إلخ) (عاطفية) 23- طاعة أوامر الأب (أو وليّ الأمر: الأم، الجد. . . .إلخ) (طاعة) 26- لياقة في التعامل مع الآخرين (لياقة) 28- تفهم لوجهة نظر الآخرين (تفهّم) 29- تأثر بأحوال الآخرين (عاطفية) 30- ممارسة الشعائر الدينية (تديّن) 35- قناعة	6- استعداد للمساعدة 11- العمل بصمت (جديدة) 21- تكيّف مع متطلبات المجتمع 24- حسن التواصل مع الآخرين (جديدة) 37- دقّة في إنجاز المهام (دقّة) 41- استعداد للمشاركة في نشاط ترفيهي (ميل للهو) 42- كرم 45- صراحة مع الآخرين (صراحة) 63- اتجاه لخدمة الآخرين (جديدة) 67- دفاع عن المعتقدات 69- ميل للتفاوض حول الأمور الخلافية (جديدة) 77- استعداد لرعاية الضعفاء (حنان) 81- صراحة مع الذات (صراحة)	I (مرغوبة للرجل- غير مرغوبة للمرأة) 4- استعداد للتنافس مع الآخرين (حب المنافسة) 52- ميل للاستقلالية (استقلالية) 55- استعداد للمخاطرة 76- إمكانات قيادية 80- الاستعداد للمغامرة (حب المغامرة) II (مرغوبة للمرأة - غير مرغوبة للرجل) 8- قبول بالحظ/ النصيب 14- براءة 38- حياء 68- ميل للغنج (غنج) 85- صبر على سوء معاملة الشريك (صبر)

سمات الذكورة	سمات الأنوثة	سمات حيادية	سمات ذكورة- أنوثة
51- إقدام في اتخاذ القرار (جديدة) 58- استعداد للنجدة 61- قدرة على تحمّل الضغوط (جديدة) 64- تحدّي المشقات 71- فعالية في إنجاز المهام (فعالية) 72- فعالية في التعامل مع الضغوط (فعالية) 74- شجاعة في مواجهة الخصم (شجاعة) 78- القدرة على السيطرة على الوضعية (سيطرة) 90- واقعية في معالجة المسائل (واقعية)	39- هدوء 47- صبر على المصاعب (صبر) 50- تصرّف بتهذيب (تهذيب) 53- ميل للتواضع (تواضع) 54- ميل للإخلاص لشريك واحد (إخلاص) 56- تعاطف مع مشاعر الآخرين (عاطفية) 57- التزام بالتقاليد* (محافظة على التقاليد) 59- تمسّك بالمعايير الأخلاقية* (جديدة) 62- لطف 66- ترتيب 70- رغبة بتربية الأطفال (محبّة الأطفال) 73- بذل المصلحة الذاتية في سبيل مصلحة الآخرين (تضحية) 75- تأثر بتقدير الآخرين (جديدة) 79- تفهّم لظروف الآخرين (تفهّم) 83- استجابة لمشاعر الآخرين (حساسية) 89- طاعة توجيهات المسؤولين (طاعة)	84- سهولة في التعبير عن المشاعر السلبية (الغضب الكره..) (جديدة) 86- استعداد للمبادرة في تنظيم نشاط ترفيهي (ميل للهو) 88- انسجام مع متطلبات المجتمع	87- تأثر بوجهة نظر الآخرين (حساسية)

الرقم الذي يسبق كل سمة هو رقمها في الاستمارة

ملحق رقم ٤

استمارة البحث الرئيسي (للشبّان)

(الاستمارة التي توجّهنا بها للشابات كنت مطابقة تماماً باستثناء صيغة المخاطبة)

الجامعة اللبنانية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية | متسلسل

الجامعة : ____________

الاختصاص : ____________ | ________

الجنسية : ____________ | ________

الجنس : ____________ | ________

العمر : ________ سنة | ________

المذهب : ____________ | ________

المحافظة (بحسب تذكرة الهوية): ____________

السكن الحالي الثابت (المحافظة): ____________ | ________

مهنة الأب (حالياً أو سابقاً): ____________ | ________

مهنة الأم (حالياً أو سابقاً): ____________ | ________

عزيزي الطالب،

نفّذ، في إطار فريق بحثي، دراسة ميدانية حول الشباب الجامعي في لبنان.

هذه الدراسة هي بإدارة د. عزّه شرارة بيضون، أستاذة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية

في الجامعة اللبنانية. ونحن نتوجّه إليك راجين منك أن تقوم بملء الاستمارة التي بين يديك.

تتألّف هذه الاستمارة من أقسام ثلاثة:

1- من أجل تعيين ملامح صورة الشاب الجامعي لذاته

2- من أجل تعيين ملامح الصورة التي يحملها الشاب الجامعي لشريكته

3- من أجل رصد آراء الشاب الجامعي حول مكانة الرجل والمرأة في مجتمعنا اللبناني

. . . . نشكرك سلفاً على تعاونك معنا.

ملاحظة: نشير إلى أن اسمك غير مذكور على هذه الاستمارة، وهي ستتلف فور إدخال المعلومات الواردة فيها على الحاسوب.

تجد، في الجدول التالي لائحة ببعض التصريحات عن صفات شخصية يتصف بها الأفراد وإنما بدرجات متفاوتة. إلى أية درجة تصح كل واحدة منها لوصف شخصيتكَ أنت؟ (أبداً؟... قليلاً؟... أحياناً؟... كثيراً؟... دائماً؟)

يرجى وضع علامة ______مقابل الصفة والدرجة، حسب ما تراها مناسبة لوصف شخصيتك كما تبدو لك أنت، (لا كما ترغب أن تكون، ولا كما يراكَ الآخرون).

	1 لا تصف شخصيتي (أبداً)	2 تصف شخصيتي في قليل من الأحوال (قليلاً)	3 تصف شخصيتي في بعض الأحوال (أحياناً)	4 تصف شخصيتي في أكثر الأحوال (غالباً)	5 تصف شخصيتي في كل الأحوال (دائماً)
1-أميل إلى تحليل الأمور					
2-أعبّر عن عواطفي بسهولة					
3- أنا على استعداد للمغامرة					
4- أعالج المشاكل التي تعترضني بإبداعية، لا بالطرق المعروفة ولا السائدة					
5- أتفهّم وجهة نظر الآخرين					
6- أنا قنوع					
7-أثق بنفسي					
[redacted] -أتعاطف مع مشاعر الآخرين					
9- أعتقد أن شخصيتي قوية					
10- لديّ استعداد للتنافس مع الآخرين					
11- لدي رغبة بالتفوّق					
12- أعتقد أنني أتصف بالحياء					
13- أتمهّل في معالجة الأمور					
14- أنا مستعدّ لنجدة الآخرين					
15- أعتقد أنني أتصف بالغنج					
16- أنا شجاع في مواجهة أبي (أو وليّ أمري)					

	1 لا تصف شخصيتي (أبداً)	2 تصف شخصيتي في قليل من الأحوال (قليلاً)	3 تصف شخصيتي في بعض الأحوال (أحياناً)	4 تصف شخصيتي في أكثر الأحوال (غالباً)	5 تصف شخصيتي في كل الأحوال (دائماً)
17- أميل للمرح					
18- أقدّم مصلحة الآخرين على مصلحتي					
19- لديّ استعداد للمخاطرة					
20- أتحدّى الصعوبات التي تعترضني					
21-أميل للتواضع					
22- أعتقد أنني أتصف باللطف					
33- أنجز المهام الموكلة إليّ بفعالية					
24-أنا هادئ، ولا أُثار بسهولة					
25-أتأثر بوجهة نظر الآخرين					
26-أتعامل مع الضغوط الحياتية بفعالية					
27- أميل للتصرّف بتهذيب					
28- أهتم بالرياضة					
29-عندي قدرة على السيطرة على الوضع					
30-أعتقد أنني أتصف بالبراءة					
31-أنا واقعي في تقدير الأمور					
32-أقوم بترتيب أغراضي، (ثيابي، ملفاتي. . .)					
33- أطيع توجيهات المسؤول عني (في الجامعة/ في المؤسسة / في الجمعية)					
34- أميل إلى الإخلاص لشريكتي (الحالية أو المستقبلية)					

نحاول، في هذا الجزء من الاستمارة، تعيين بعض الصفات المميّزة للمرأة التي يرغب الرجل اللبناني في أن تكون شريكة له. لذا، نعرض عليكَ، في ما يلي، قائمة من الصفات.

نرجو منكَ أن تعيّن الدرجة التي تقوم كل واحدة من هذه الصفات بوصف المرأة التي ترغب أن تكون شريكتك أنت؛ (أبداً؟... قليلاً؟... أحياناً؟... كثيراً؟ ... دائماً؟)

يرجى وضع علامة ___ مقابل الصفة والدرجة حسب ما ترغب أن تتصف بها شريكتك...

	1 غير مرغوبة لشريكتي (أبداً)	2 مرغوبة لشريكتي (قليلاً)	3 مرغوبة لشريكتي (أحياناً)	4 مرغوبة لشريكتي (كثيراً)	5 مرغوبة لشريكتي (دائماً)
1- ميل إلى تحليل الأمور					
2- سهولة في التعبير عن العواطف					
3- استعداد للمغامرة					
4 معالجة إبداعية، لا تقليدية، للمسائل					
5- تفهّم لوجهة نظر الآخرين					
6- قناعة					
7- ثقة بالنفس					
8- تعاطف مع مشاعر الآخرين					
9- قوّة الشخصية					
10- استعداد للتنافس مع الآخرين					
11- رغبة بالتفوّق					
12- حياء					
13- تمهّل في معالجة الأمور					
14- استعداد لنجدة الآخرين					
15- غنج					
17- ميل للمرح					

	1 غير مرغوبة لشريكتي (أبداً)	2 مرغوبة لشريكتي (قليلاً)	3 مرغوبة لشريكتي (أحياناً)	4 مرغوبة لشريكتي (كثيراً)	5 مرغوبة لشريكتي (دائماً)
18-إعلاء مصلحة الآخرين على مصلحة الذات					
19-استعداد للمخاطرة					
20- تحدّي الصعوبات					
21-ميل للتواضع					
22- لطف					
23- فعالية في إنجاز المهام					
24- هدوء					
25-تأثر بوجهة نظر الآخرين					
26-تعامل مع الضغوط الحياتية بفعالية					
27- ميل للتصرّف بتهذيب					
28- اهتمام بالرياضة					
29- قدرة على السيطرة على الوضع					
30- براءة					
31- واقعية في تقدير الأمور					
32-ميل للترتيب					
33- طاعة لتوجيهات المسؤولين (في الجامعة، المؤسسة، الجمعية)					
34- إخلاص					

في ما يلي آراء يتداولها الناس في مجتمعنا حول العلاقة بين المرأة والرجل، وحول مكانة كل واحد منهما في الأسرة والمجتمع. الآراء هذه، لا هي «صحيحة» ولا هي «خاطئة». هي مجرد آراء. نرجو منك أن تقرأها، وأن تبدي رأيك أنت فيها، وذلك على سلّم من درجات خمس، وبحسب الشدّة التي توافق فيها على الرأي المذكور، على الشكل التالي:

نرجو منك أن تضع في المربّع الذي يقع في العامود المناسب العلامة ______ هكذا:

في العامود رقم 5 إذا كنت موافقاً بشدة
» » » 4 إذا كنت موافقاً باعتدال
» » » 3 إذا كان لا رأي لك في المسألة
» » » 2 إذا كنت غير موافق باعتدال
» » » 1 إذا كنت غير موافق بشدّة

	1 غير موافق بشدّة	2 غير موافق باعتدال	3 لا رأي لي	4 موافق باعتدال	5 موافق بشدّة
1- أثبتت المرأة أنه بوسعها أن تنجح في مراكز قيادية					
2- لا نجد في مجتمعنا مظاهر (تصرّفات، معتقدات، قوانين..) تدلّ على التمييز ضد الرجل					
3- على الأهل أن يصرفوا المال على دراسة ابنتهم تماماً كما يصرفون على تعليم ابنهم الصبي					
4- إذا لم يكن هناك من حاجة مادية ، فلا يوجد سبب يبرر عمل المرأة خارج المنزل					
5- ليس عدلاً أن تكون خدمة العلم حكراً على الذكور في مجتمعنا					
6- لا يمكن للشاب أن يختار اختصاصاً مناسباً لشغفه أو لميوله فقط، بل عليه أن يختار اختصاصاً يؤمّن له ولأسرته المستقبلية حياة رغيدة					

	1 غير موافق بشدّة	2 غير موافق باعتدال	3 لا رأي لي	4 موافق باعتدال	5 موافق بشدّة
7- لا يُلام الناس إذا لم يثقوا بطبيبة اختصاصية في الجراحة، فالطب الجراحي خلق للرجال					
8- المهن التي تتطلّب مهارات تواصلية، (التمريض، السكريتاريا، ضيافة الطيران...) يمكن أن تكون مناسبة للرجل وللمرأة سواء بسواء					
9- أجدى للمرأة أن تبقى في البيت لرعاية أولادها من أن تعمل خارجه					
10-في حال الطلاق، يجب أن تُمنح حضانة الطفل للطرف الأكثر أهلية لرعايته من الزوجين، وليس تبعاً لقوانين الأحوال الشخصية(*) الدينية					
11- الرجل، وبعكس المرأة، حاصل على كل حقوقه في مجتمعنا					
12- مسؤولية إعالة الأسرة مالياً من واجبات المرأة والرجل سواء بسواء					
13- إن الأمومة بالنسبة للمرأة هي إشباع عاطفي يغنيها عن الجنس					
14-أن تسعى الفتاة للزواج أجدى لها من السعي للحصول على درجات علمية عالية					
15- طبيعة المرأة غير متناسبة مع العمل السياسي					
16- على الرجل أن يحرص دائماً على الظهور بمظهر يدلّ على قوّة الشخصية					
17- المطلوب أن تبقى المرأة وفيّةً لشريكها حتى إذا قام هو بخيانتها					

(*) قوانين الأحوال الشخصية: هي القوانين التي ترعى شؤون الأسرة وأفرادها: الزواج، الطلاق، حضانة الأطفال، النفقة، الإرث، إلخ.

	1 غير موافق بشدّة	2 غير موافق باعتدال	3 لا رأي لي	4 موافق باعتدال	5 موافق بشدّة
18- لم يعد جائزاً، في أيامنا الحاضرة، الشك بسلوك الفتاة ولا مراقبتها					
19-إن خراب بعض البيوت سببه جعل مسؤولية اتخاذ القرارات بيد المرأة					
20 - فحولة الرجل الجنسية تستدعي أن تكون شريكته أقلّ منه شأناً (في الدرجة العلمية، أو التدرّج المهني،أو المستوى الاجتماعي إلخ)					
21-لا يمكن تعديل المواد في قوانين الأحوال الشخصية والتي قد يراها البعض ظالمة بحق المرأة لأن هذه القوانين صادرة عن إرادة سماوية					
22- مهما تقدّمت المرأة في السن فهي تبقى بحاجة لحماية الرجل					
23- المبادرة في العلاقة الحميمة بين الزوجين هي من واجبات الرجل					
24- من الطبيعي أن تسعى النساء في مجتمعنا لتغيير البنود غير العادلة بحقهن في قوانين الأحوال الشخصية الدينية					
25 - لا يحبّذ قيام الصبي بالأعمال المنزلية لأن ذلك يشوّش على تحقيق رجولته في المستقبل					
26- الرجل مفطور على الخيانة الزوجية					
27- إن لعمل المرأة في المجالات العامة تأثير سلبي على أمومتها					
28- قوانين الأحوال الشخصية هي، وفي كل الطوائف عندنا، متحيّزة لصالح الرجل					
29- من غير المقبول أن يُفرض على المرأة أسلوب معيّن في اللباس (كالحجاب، مثلاً) لاعتبارها موضوعاً للإغراء					

	1 غير موافق بشدّة	2 غير موافق باعتدال	3 لا رأي لي	4 موافق باعتدال	5 موافق بشدّة
30- لا نفع للمرأة إذا لم تتزوّج ولم تنجب					
31- على المرأة أن تبقى أقلّ شأناً من زوجها حفاظاً على صورته لذاته					
32- لا يبدو الرجل ناقص الذكورة إذا قام بجلي الصحون					
33- من الطبيعي أن تُلام المرأة على إساءة شريكها لها، فهي مسؤولة عن مداراة مزاجه					
34- إذا لم يكن الرجل المعيل المالي الوحيد والحصري لأسرته فإنه يخسر بعضاً من قَدْرِه وقيمته في نظر الناس					

ملحق رقم 6

جداول تبين توزيع أفراد عيّنة البحث الرئيسي بحسب المتغيرات المختار[redacted]

universite

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Aljinan U.	10	.7	.7	.7
	U. Islamique	23	1.6	1.6	2.4
	U. Balamand	25	1.8	1.8	4.1
	U. Ouzai	31	2.2	2.2	6.4
	N.D.U.	42	3.0	3.0	9.4
	L.A.U.	56	4.0	4.0	13.3
	U. Saint-Esprit Kaslik	75	5.4	5.4	18.7
	A.U.B	81	5.8	5.8	24.5
	USJ	109	7.8	7.8	32.3
	Arabe U.B	100	7.1	7.1	39.4
	U.L	849	60.6	60.6	100.0
	Total	1401	100.0	100.0	

major

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	humanities sciences	759	56.7	56.7	56.7
	sciences	606	43.3	43.3	100.0
	Total	1401	100.0	100.0	

[redacted]

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	male	676	48.3	48.3	48.3
	female	725	51.7	51.7	100.0
	Total	[redacted]	100.0	100.0	

[illegible] 1

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	[illegible] & -	777	55.5	55.5	55.5
	21 & +	624	44.5	44.5	100.0
	Total	248	100.0	100.0	

age

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	17	7	.5	.5	.5
	18	136	9.7	9.7	10.2
	19	269	19.2	19.2	29.4
	[illegible]	365	26.1	26.1	55.5
	21	269	19.2	19.2	74.7
	22	167	11.9	11.9	86.6
	[illegible]	85	6.1	6.1	92.6
	24	38	2.7	2.7	95.4
	[illegible]	28	2.0	2.0	97.4
	26	12	.9	.9	98.2
	27	5	.4	.4	98.6
	28	5	.4	.4	98.9
	29	1	.1	.1	99.0
	30	[illegible]	.1	.1	99.1
	31	4	.3	.3	99.4
	34	2	.1	.1	99.5
	35	2	.1	.1	99.6
	36	1	.1	.1	99.7
	38	[illegible]	.1	.1	99.9
	39	1	.1	.1	99.9
	41	[illegible]	.1	.1	100.0
	Total	1401	100.0	100.0	

religion

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	muslim	834	59.5	62.7	62.7
	christ	496	35.4	37.3	100.0
	Total	1330	94.9	100.0	
Missing	System	71	5.1		
Total		1401	100.0		

[redacted]

	Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	71	5.1	5.1	5.1
shiite	383	27.3	27.3	32.4
sunnite	276	19.7	19.7	52.1
druz	104	7.4	7.4	59.5
alawite	5	.4	.4	59.9
muslim indeterm	66	4.7	4.7	64.6
christ-oriental	110	7.9	7.9	72.4
christ-occidental	290	20.7	20.7	93.1
christ-indetem	96	6.9	6.9	100.0
Total	1401	100.0	100.0	

reside in

	Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	12	.9	.9	.9
same mohafazat	1015	72.4	72.4	73.3
different mohafazat	374	26.7	26.7	100.0
Total	1401	100.0	100.0	

fathers profession

	Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	73	5.2	5.2	5.2
high	311	22.2	22.2	27.4
middle	706	50.4	50.4	77.8
low	311	22.2	22.2	100.0
Total	1401	100.0	100.0	

mothers work

	Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	28	2.0	2.0	2.0
working	428	30.5	30.5	32.5
housewife	945	67.5	67.5	100.0
Total	1401	100.0	100.0	

ملحق رقم 7

ملحق بأسماء الأساتذة الجامعيين والأستاذات الجامعيات المحكّمين والمحكّمات

اسم الأستاذ(ة)	الجامعة/ المنظمة الثقافية
نهوند القادري	الجامعة اللبنانية/ تجمع الباحثات اللبنانيات
رفيف صيداوي	الجامعة اللبنانية/ تجمع الباحثات اللبنانيات
هند الصوفي	الجامعة اللبنانية وجامعة البلمند
نازك سابا يارد	الجامعة اللبنانية الأميركية/ تجمع الباحثات اللبنانيات
نايلة قائدبيه	الجامعة الأميركية في بيروت/ تجمع الباحثات اللبنانيات
إلهام شعراني	الجامعة اللبنانية
منى خلف	الجامعة اللبنانية الأميركية/ تجمع الباحثات اللبنانيات
وطفاء حمادة	جامعة الكويت/ تجمع الباحثات اللبنانيات
فاديا حطيط	الجامعة اللبنانية/ تجمع الباحثات اللبنانيات
نجوى يحفوفي	الجامعة اللبنانية
كمال بكداش	الجامعة اللبنانية
ندى صحناوي	جامعة سيدة اللويزة/ تجمع الباحثات اللبنانيات
سامي سويدان	الجامعة اللبنانية
غلاديس سعادة	الجامعة اللبنانية/ تجمع الباحثات اللبنانيات
بسّام سكريّة	الجامعة اللبنانية
فاروق مجذوب	الجامعة اللبنانية
عدنان الأمين	الجامعة اللبنانية
منذر جابر	الجامعة اللبنانية
فوزي أيّوب	الجامعة اللبنانية
زهير مناصفي	الجامعة اللبنانية
أنيسة الأمين	الجامعة اللبنانية/ تجمع الباحثات اللبنانيات

المراجع

عطيات فتحي أبوالعينين، (1999)، «ديناميات الاختيار الزواجي. . . .»، علم النفس: مجلّة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامّ للكتاب، عدد رقم 250، 176-182.

عدنان الأمين، (2005)، التنشئة الاجتماعية وتكوين الطباع، المركز الثقافي العربي، بيروت.

عدنان الأمين، ومحمد فاعور، (1997)، الطلاب الجامعيون في لبنان واتجاهاتهم: إرث الانقسامات، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت.

قاسم أمين، (1900)، تحرير المرأة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

عيسى محمد الأنصاري وعلي أسعد وطفة، (2000)، « مواقف الطلاب جامعة الكويت من قضايا المساواة بين الرجل والمرأة في ضوء بعض المغيّرات التعليمية والاجتماعية»، مجلّة دراسات الخليج والجزيرة العربية، 26(98)، 181-250.

زكريا البتي، (1998)، صورة الرجل في متخيّل الشابة اللبنانية (كما تراه في الواقع وكما يعرض على شاشة التلفزيون)، رسالة أعدّت لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، الجامعة اللبنانية، (غير منشورة).

عبد الوهاب بوحديبة، (2000)، «الجنس في الإسلام»، في مي غصوب وإمّا سنكلير ويب، (تحرير)، الرجولة المتخيلة: الهوية الذكرية والثقافة في الشرق الأوسط الحديث، دار الساقي، بيروت.

جولي بيتيت، (2002)، «الجندر الذكري وطقوس المقاومة في الانتفاضة الفلسطينية الأولى: السياسات الثقافية للعنف» في مي غصوب وإما سنكلير ويب، الرجولة المتخيلة: الهوية الذكرية والثقافة في الشرق الأوسط الحديث، دار الساقي، بيروت.

أحمد بيضون، (2002)، «هالصبي اللي عند بو أحمد»، في مي غصوب وإما سنكلير ويب، (تحرير)، الرجولة المتخيلة: الهوية الذكرية والثقافة في الشرق الأوسط الحديث، دار الساقي، بيروت.

عزه شرارة بيضون، (1988)، الهوية النسائية الجديدة: دراسة ميدانية في التنميط الرباعي للشابات اللبنانيات، رسالة ماجيستير غير منشورة، قسم علم النفس- كلية الآداب(1)، الجامعة اللبنانية. (متوفّرة في مكتبات علم النفس في فروع الجامعة اللبنانية، وفي مكتبة نعمة يافث- الجامعة الأميركية، وفي مكتبة الجامعة اللبنانية الأميركية).

__________، (1991) «الهوية النسائية الجديدة: دراسة ميدانية في تجاوز التنميط الجنسي لدى فئة من الشابّات اللبنانيّات»، (دراسة ميدانية)، العلوم الاجتماعية، الجامعة اللبنانيّة، العدد الأوّل، ص. 153-186.

__________، (1998)، صحة النساء اللبنانية بين أهل العلم وأهل الدين: دراسة ميدانية في بيروت الكبرى، دار الجديد، بيروت.

__________، (2001)، «التربية الجنسية المدرسية: قراءة في سجال»، العلوم الاجتماعية، الجامعة اللبنانيّة، العدد7، 161-183.

__________، (2002)، نساء وجمعيات: لبنانيات بين إنصاف الذات وخدمة الغير، دار النهار، بيروت.

__________، (2003)، «محكمة النساء العربية: مناقشة مع آراء «منسوبة» لمحمّد حسين فضل الله»، قضايا النهار، النهار، بيروت.

__________، ((أ)2004)، « الشباب الجامعي في لبنان: الهويات والاتجاهات الجندرية (الثوابت والمتحوّلات)»، المستقبل العربي، العدد301 (آذار(مارس)، 2004)، صص. 30-41.

__________، ((ب)2004)، «الشريك المفضّل»، العلوم الاجتماعية، الجامعة اللبنانيّة، 9، تموز، 95-120.

__________، (2005، أ) «الجندر في علم النفس»، في مؤلّف مشترك، الجندر في التعليم العالي: إدماج مسألة النوع الاجتماعي والدراسات النسائية في المناهج الجامعية، تجمّع الباحثات اللبنانيات والمكتب الإقليمي للأنيسكو- بيروت.

__________، (2005، ب)، «المرأة في مراكز السلطة واتخاذ القرار»، حوار العرب، 1، (8)، 48-52.

سهى نصرالدين بيطار، (2003- 2004)، «المرأة في الخطاب الطبّي»، باحثات، (كتاب متخصص يصدر عن تجمع الباحثات اللبنانيات)، العدد التاسع، 671-675.

إبراهيم الحافظ، (1965-أ)، «اتجاهات الراشدين نحو العلاقات بين الجنسين: دراسة تجريبية إحصائية» في كامل لويس مليكية، (1986)، قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية، الجزء الأوّل، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة. (الطبعة الثانية).

إبراهيم الحافظ، (1965-ب)، «الاتجاهات النفسية للشباب نحو مركز المرأة في المجتمع»، في كامل لويس مليكية، (1986)، **قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلادد العربية**، الجزء الأوّل، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة. (الطبعة الثانية).

مصطفى حجازي، (2005) **الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية**، المركز الثقافي العربي، بيروت.

زهير حطب، (2004)، «موقع وقضايا الأسرة في رسائل الطلاب وأبحاثهم...»، (مؤلّف مشترك)، **رؤية الجامعة إلى واقع الأسرة اللبنانية**، وزارة الشؤون الاجتماعية، بيروت.

فاديا حطيط، (1994-1995)، « الشخصية الأنثوية اللبنانية: تمايزات الواقع وتعبيرات التمايز»، **باحثات**، العدد الأوّل، 145-170.

فاديا حطيط،(2001)، **أدب الأطفال في لبنان**، دار الفكر اللبناني، بيروت.

حسان حمدان،(2003)، حقوق الشباب: **الزواج والمعوقات الاجتماعية والاقتصادية- دراسة ميدانية**، مركز حقوق المرأة للدراسات والأبحاث، بيروت.

منى شمالي خلف، (1998)، **المرأة العربية والعمل: الواقع والآفاق**، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، بيروت.

عبد اللطيف محمد خليفة، (2000)، «الاتجاه نحو الاختلاط بين الجنسين لدى طلّاب جامعة الكويت»، في عبد اللطيف محمد خليفة، **دراسات في علم النفس الاجتماعي** (المجلّد الثاني)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة.

حسن داود، (2002)، «جناحا الرجولة الثقيلان»،في مي غصوب وإما سنكلير ويب، (تحرير)، **الرجولة المتخيلة: الهوية الذكرية والثقافة في الشرق الأوسط الحديث**، دار الساقي، بيروت.

مديحة منصور سليم الدسّوقي،(1991)، « أثر النوع والتخصص الأكاديمي على الاتجاهات نحو عمل المرأة»، **علم النفس**: مجلّة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامّ للكتاب، 5 (18-19)، 108-125.

فؤاد دياب، (1962)، «قياس اتجاهات الرأي العام في القاهرة نحو منح المرأة حقوقها السياسية»، في كامل لويس مليكية، (1986)، **قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية**، الجزء الأوّل، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة. (الطبعة الثانية).

نوال السعداوي، (1971)، **المرأة والجنس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

نوال السعداوي، (1974)، **الأنثى هي الأصل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

دانية بدر شاتيلا، (2005-2006)، **أثر الدور الاجتماعي على حالة المرأة الاكتئابية**، رسالة أعدت لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت.

عبد المنعم شحاتة، (1999)، «الاختيار الزواجي: دراسة على العاملات في المجال الأكاديمي والطالبات الجامعيات»، **مجلّة العلوم الاجتماعية**، (تصدر عن مجلس النشر العلمي- جامعة الكويت)، 27(4)، 101- 118.

أمان شعراني وفهمية شرف الدين، (2006)، **التمييز في كتب القراءة والتربية الوطنية والتنشئة المدنية في المرحلة الابتدائي: مقاربة على أساس النوع الاجتماعي**، اللجنة الأهلية لمتابعة قضايا المرأة، بيروت.

غريد الشيخ، (1998)، **قاسم أمين: بين الأدب والقضية**، دار الكتب العلمية، بيروت.

رفيف رضا صيداوي، (2002)، **جواري 2001: دراسة حول العنف ضد المرأة في لبنان**، الهيئة اللبنانية لمناهضة العنف ضد المرأة، بيروت.

يوسف عبد الفتاح، (1997)، « الاتجاهات النفسية نحو مركز المرأة في الأسرة والمجتمع في دولة الإمارات»، **علم النفس**: مجلّة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامّ للكتاب، 11(40-41)، 34054.

معتز سيّد عبد لله، (1997-أ)، **التعصّب: دراسة نفسية اجتماعية**، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

معتز سيّد عبدلله، (1997-ب)، «الاتجاهات التعصبية بين الذكور والإناث: المفهوم والأبعاد»، **علم النفس**: مجلّة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامّ للكتاب، 11(44)، 56-75.

طلال عتريسي،(2001)، «الذات والآخر في كتب التعليم الديني عند الطوائف اللبنانية» في رؤوف غصيني، (تحرير)، **القيم والتعليم**، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية- الكتاب السنوي الثالث، بيروت.

نيللي فورنيية، (1962)، (الاتجاهات نحو اشتغال المرأة بالعمل في مراكش، في كامل لويس مليكة، (1986)، **قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية**، الجزء الأوّل، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة. (الطبعة الثانية).

إلهام كلاب، (1983)، **هي تطبخ هو يقرأ**، معهد الدراسات العربية في العالم العربي، كلية بيروت الجامعية، بيروت.

عقيل نور محمّد، (2006)، «قياس اتجاهات الشباب العربي نحو المرأة: دراسة في أبجديات الوعي التنموي» في عزّة شرارة بيضون وآخرون، **الشباب العربي ورؤى المستقبل**، مركز الوحدة العربية، بيروت.

مكتب الإنماء الاجتماعي، إدارة البحوث والدراسات، (1997)، **البناء القيمي في المجتمع الكويتي**، الكويت.

مارلين نصر، (1994-1995)، «المرأة والسلطة في الدائرة العائلية المنزلية وفي دائرة العمل: طاولة مستديرة»، **باحثات**، الكتاب الأوّل، 101- 121.

علي وطفة ومها زحلوق، (1995)، «نسق العلاقات العاطفية ومستواها عند بعض الطلبة في سوريا»، **مجلّة العلوم الاجتماعية**، (تصدر عن مجلس النشر العملي- جامعة الكويت)، 23(4)، 165-198.

تقارير/ أوراق غير منشورة

جمعية مصارف لبنان، (2001)، «الموارد البشرية في القطاع المصرفي في العام 2000»، **ملفّات الجمعية**، العدد 18.

الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية، (2000)، **التقرير الرسمي الأوّل لاتفاقية إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة**، بيروت.

الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية، (2004)، **التقرير الرسمي الثاني لاتفاقية إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة**، بيروت.

الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية، (2006)، **التقرير الرسمي الثالث لاتفاقية إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة**، بيروت.

مديرية الإحصاء المركزي، لبنان، www.cas.gov.lb، (2001)، **خارطة أحوال المعيشة في لبنان**.

نعمة، رجاء، (2001)، «كتب القراءة العربية والجندر»، ورقة ألقيت في ندوة حول تحليل صورة المرأة في كتب الحلقة الأولى من التعليم الأساسي، المركز التربوي للبحوث والإنماء، بيروت.

المراجع باللغات الأجنبية

Abdel-Malek, A., (2004), "Masculinity as Violence in Arab Women's Fiction", **Al-Raida**, XXI, 104-105, 105-110.

Aghaci, S., (2004), "Lebanese Masculinities", **Al-Raida**, XXI, 104-105, 2-3.

Allport, G.W., (1966), "Traits revisited", **American Psychologist**, 21, 1-10.

Amador, J., Charles, T., Tait, J., Helm, H. W., (2005), "Sex and Generational Differences in Desired Charateristics in Mate Selection", **Psychological Reports,** 96(1), 19.

Anastasi, A., (1982), **Psychlogical Testing,** (5th edition), Macmillan Pub. Co,. N.Y.

Armaki, A.A. and Gaffari,G., (2004), "Generational Attitudes towards Women", **Women's Research**, (University of Tehran), 1(1), 89-97.

Bakan, D., (1966), **The Duality of Human Experience,** Rand McNally, Chicago.

Baker, L.N., (2001), "Prejudice", **Encyclopedia of Women and Gender**, (2) Academic Press, USA.

Baumli, F., (2004), "The Matriarchy's Arsenal: A Pessimistic Appraisal", **Transitions: Jour of Men's Perspectives,** 24(3), 1-4.

Baydoun, A. Ch, (2001), "Femme du Liban: Le fosse' entre la réalité et [illegible] expressions", **Les Cahiers [illegible] L'orient**, 4em trimestre, no 64, pp129-136.

Beer, C.A., (1990), **Gender Roles: A Handbook of Tests and Measures,** Greenwood, N.Y. and London.

Begany, J.J. and Milburn, M.A., (2000), "Psychological Predictors of Sexual Harassment: Authoritarianism, Hostile Sexism and Rape Myths", **Psychology of Men and Masculinity**, 3(2), 119-126.

Bem, S.,L., (1974), "The Measurement of Psychological Androgyny", **Jour. of Consult. and Clinical Psychology**, 42(2): 155-162.

Bem, S.L., (1975), "Sex Role Adaptability: One Consequence of Psychological Androgeny", **Jour. of Personaliy and Social Psychology**, 31(4), 634-643.

Bem, S.L., (1977), "On the Utility of Alternative Proceders for Assessing Psychological Androgeny", **Jour. of Consult. and Clinical Psychology**, 45(2), 196-205.

Bem, S.L., (1993), **The Lenses of Gender**, Yale University Press, New haven, CT, USA.

Bisat, I.K., (1989), "Limage de la Femme dans la Medias", dans **La Femme Libanaise Temoin de la Guerre**, (Actes du Colloque, Mission de la Ligues des Etats Arabes [illegible] Paris), 25-36.

Blazina, C. and Watkins, C.E.(jr), (2000), "Separation/Individuation.....", **Psychology of Men and Masculinity**, 1(2), 126-132.

Boon,K.A., (2005), "Heroes, Metanarrarives and the Paradox of Masculinity in Contemporary Western Culture", **Jour. of Men Studies**, 13(3),301-309.

Brothers, B.J.(ed), (2001), **The Abuse of Men: Trauma Begets Trauma**, Howarth Press, N.Y.

Bruce, R., (2003), "The Masculine Mystique : The Politics of Masculinity", **Everyman: A Man's Journal**, (Ottawa), July, 77 (book review).

Bryant, A.N., (2003), "Changes in Attitudes toward Women's Rights: Predicting Gender- Role Traditionalism Among College Students", **Sex Roles**, 48(3/4), 131-142.

Burke, P.J. and Cast, A.D., (1997), "Stability and Change in the Gender Identities of Newly Married Couples", **Social Psychology Quarterly**, 60(4), 277-290.

Burnisch, M., (1984), "Approaches to Personality Inventory Construction", **American Psychologist**, 19(3), 214-224.

Buss, D.M., (1984), "Evolutionary Bioloy and Personality Psychology...", **American Psychologist**, 40, 147-154.

Buss, D.M. and Barnes, M., (1986), "Preferences in Human Mate Selection", **Jour. of Personal. and Social Psycology** , 56(3), 559-570.

Buss, D.M., (1989), "Sex Differences in Human Mate Preferences: Evolutionary Hypothesis Tested in 37 Cultures", **Behavioral and Brain Sciences**, 12, 1-49.

Buss, D.M., (1995), "Psychological Sex Differences: Origins Through Sexual Selection", **American Psychologist**, 50(3), 164-167.

Cameron,J.E., (2002), "Social identity, Modern Sexism and Perceptions of Personal and Group Discrimination by Women and Men", **Sex Roles**, 45(11/12), 473-766.

Capraro, R.L., (2004), " Men's Studies", in Kimmel,M. and Aronson,A., **Men and masculinities: A Social, Cultural and Historical Encyclopedia** (V2), ABC Clio, USA and UK, 533-535.

Chodorow, N., (1978), **The Reproduction of Mothering,** Univ. of Cal. Press, Berkly (USA).

Christian, S., (2004), "Love in ▪ Mysogynistic Society", **Off Our Backs: a Woman's News Journal,** 34(5/6), 33-36.

Clatterbaugh, K., (1990),**Contemporary Perspectives on Masculinity: Men Women and Politics In Modern Society**, Westview Press,Oxford.

Clatterbaugh, K., (2004), "Men's Movements" in Kimmel, M. and Aronson,A., **Men and masculinities: A Social, Cultural and Historical Encyclopedia** (V2), ABC Clio, USA and UK, 528-533.

Cliff, C., (1999), "Marginalized Masculinities and Hegemonic Masculinity", **Jour of men's studies**, 7(3),295- 313.

Connel, R.W., (1987), **Gender and Power: Society, the Person and Sexual Politics,** Stanford, CA, Stanford University Press.

Connel,R.W., (2004), "Relations Among Masculinities", in Kimmel,M. and Aronson,A., **Men and masculinities: A Social, Cultural and Historical Encyclopedia** (V1), ABC Clio, USA and UK, 507-510.

Constantinople, A., (1973), "Masculinity and Femininity : An Exeption to a Famous Dictum", **Psychological Bulletin**, 80(5), 620-623.

Conway-Long, D., (2004), "An Anthropology of Power and Absence", **Al-Raida**, XXI, 104-105, 12-21.

Cresson, W.C., (2004), "Healing the Gender Wars: The Hidden Subtext to Men's Movement Publications", **Everyman** (Ottawa), Apr/Jun, 64, 21-25.

Daryll, J., (2004), "The Bridge: Sex and Sexism", **Sentinel**(CA), LXX(28), 7-9.

Derek, N., (2002), "The Perils of Masculinity Studies", **Iris**, (Charlottesville), Issue. 44, 41- 45.

Dialmy, A., (2004), "Masculinity in Morocco", **Al-Raida**, XXI, 104-105, 88-98.

Dinnerstein, D., (1976), **The Mermaid and the Minotaure**, Harper and Row, N.J.(USA).

Dodd, H.E., Giuliano, T.A., Boutell,J.M., Moran, B.E., (2001), "Respected or Rejected: Perceptions of Women Who Confronted Sexist Remarks", **Sex Roles**, 45(7/8), 567-577.

Donaghue,N. and Fallon, B.J., (2003), "gender Roles Self Stereotyping and the Relationship Between Equity and Satisfaction in Close Relationship", **Sex Roles**, 48(5/6), 217-230.

Duncan, L.E., Peterson, B.E., Ax, E.E., (2003), "Authoritarianism as an Agent of Dtatus Quo Maintainance Implications for Women's Careers and Family Lives", **Sex Roles**, 49 (11/12), 619-630.

Eagly, A.H., and Wood,W., (1999), "The Origins of Sex Differences in Human Behavior: Evovlved Dispositions Versus Social Roles", **American Psychologist**, 54(6), 408-423.

Eakin, E., (2000), "in a Woman's World, What's a Guy to Do? Sweat!", **New York Times**, 0ct 7 , p9, N.Y.

Easthope, A., (1992), **What a Man Gotta Do: The Masculine Myth in Popular Culture**, Routledge, NY.

Edwards, A.L., (1957), **The Social Desirability Variable in Personality** Assesment **and Research**, Dryden, N.Y.

Enloe, C., (2004), "Weilding Masculinity Inside Abu Graib: Making Feminist Sense of an American Scandal", **Asian Jour of Women Studies**, (Seoul), 10(3), 89-99.

Epstein, S., (1979), "The Stability of behavior...", **Jour of Personality and Social Psychology**, 37(7), 1097-1126.

Erikson, E.H., (1969), **Life History and the Historical Moment**. Norton,N.Y.

Feeny, J. and Noller,P., (1996), **Adult Attachment,** Sage Publications, London.

Feingold, A., (1990), "Gender Diffeences in Effects of Physical Attractivrness on Romantic Attraction: A Comparison Across Five Reseaarch Paradigms", **Jour of Personality and Social Psychology**, 59, 981-993.

Fermandez, M.L., Castro, Y.L., Lorenzo,M.G., (2004), "Evolution of Hostile Sexism and Benevolent Sexism is a Spanish Sample", **Social Indicators Research** (Dortrecht), 66(3), 197- 203.

Fizpatrick, M.K., Dawn, M.S.,, Suvak, M.K., King, L.A., King, D.W., (2004), "Association of Gender Role Ideology with Behavioral and Atittudinal Features of Intimate Partner Aggression", **Psychology of Men and Masculinity,** 5(2), 91-102.

Fogel, G.I., Lane, F.M., Leibert, R.S., (eds), (1996),**The Psychology of Men: Psycho-Analytic Perspective,** Yale University Press, New Haven and London.

Fonda, J., (2003), "Poisoned Previlieg: The Price Men Pay for Patririarch", **Voice Mail**, Fall, 8-10.

Freud, S., (1925), "Some psychical Consequenses of the Anatomical Distinction between the Sexes", in Freud, A., (1960), **(SE)**, V19, tr. by James Strachey, The Hogarth Press and the Institute of Psyco- Analysis, London, pp 241-261.

Freud, S., (1931), "Female Sexuality" in Freud, A., (1960), **(SE)**, V.21, tr. by James Strachey, The Hogarth Press and the Institute of Psyco- Analysis, London, pp 221-247.

Gilmore, D.D., (1990), **Manhood in the Making: Cultural Concepts of Masculinity,** Yale University Press, New Haven and London.

Gilmore, D.D., (2004), "Misogyny", in **Men and Masculinities: A Social, Cultural, and Historical Encyclopedia**, ABC CLIO, Oxford (England).

Glick, P. and Fiske, S.T., (1996), "The Ambivalent Sexism Inventory: Differentiating Hostile and Benevolent Sexism" **Jour. of Personal. and Social Psycology**, 70, 491-512.

Glick, P. et. al., (2002), "Ambivalent Sexism and Attitude towards Wife Abuse in Turkey and Brazil", **Psychology of Women Quarterly**, 26, 292-297.

Glick, P. et. al., (2004), " Bad but Bold: Ambivalent Attitudes Toward Men Predict Gender Inequality in 16 Nations", **Jour of Personality and Social Psychology,** 86(5), 713-728.

Goetz, I.L., (1991, **The Culture of Sexism,** PRAEGER, London

Goodwin, C.J, (1998), **Research in Psychology: Methods and Design,** Wiley and Sons Inc., USA.(2nd edition).

Gray, J., (1990), **Men Are From Mars, Women Are From Venus**, Harper Collins, N.Y.

Greer, G., (1972), **The Female Eunuch,** Bantam Book, USA, (7th printing).

Hage, G., (2006), "Migration, Marginalized Masculinity and Dephallization: A Lebanese Villager's Experience", in Khalaf, S. and Gagnon, J., (eds), **Sexuality in the Arab World**, Saqi Books, Beirut.

Hageman, W., (2002), " Twin Cities Forum Calls for Gender Justice", **Transitions**, 22(6), 8-12.

Haj-Yahia, M.M., (2002), "Beliefs of Jordanian Women about Wife- Beating", **Psychology of Women Quarterly**, 26, 281-291.

Hamdar, A., (2004), "Masculinity, Manhood and Machismo in Radwan El-Kashef's Arak El- Balah" **Al-Raida**, XXI, 104-105,113-115.

Harris R.H. and Firestone J.M., (1998), "Changes in Predictors of Gender Role Ideologies Among Women: A Multivariate Analysis", **Sex Roles**, 38(3/4), 239-25.

Harrison, A.A.,and Saeed, L., (1977), "Let's Make a Deal: An Analysis of Revelations and Stipulations in Lonely Hearts Ads", **Jour of Personality and Social Psychology**, 35(4), 257-264.

Hines, D.A., and Malley- Morrison, K., (2001), "Psychological Effects of Partner Abuse Against Men: A Neglected Research Area", **Psychology of Men and Masculinity**, 2(2), 75-85.

Hitti, G., (1974), **Development of Sex Typing as Related to Modern Attitudes**, AUB, Beirut. (Unpublished M.A. Thesis).

Horrocks, R., (1994), **Masculinity in Crisis: Myths, Fantasies and Realities,** Antony Rowe, G. B.

Huston, T.H., and Geis, G., (1993), "In What Ways Do Gender- Related Attributes and Beliefs Affect Marriage?", **Jour of Social Issues**, 49(3), 87-106.

Ickes, W., (1993), ' Traditional Gender Role: Do They Make, and Then Break, our Relationships?", **Jour of Social Issues**, 49(3), 71-85.

Inhorn, M.C., (2004), "Male Infertility, Masculinity and New Reproductive Technologies in the Arab World" **Al-Raida**, XXI, 104-105, 38-43.

Jakupcak, M., Lisak, D., and Roemer, L., (2002), "The Role of Masculine Ideology and Masculine Gender Role Stress in Men's Perpetration of Relationship Violence", **Psychology of Men and Masculinity**, 3(2(, 97-106.

Jepsen, L.K., and Jepsen, C.A., (2002), "An Emperical Analysis of Same Sex and Opposite Sex Couples", **Demography**, 39(3), 435- 454.

Johannesen- Schmidt, M.C. and Eagly, A.H., (2002), "Another Look at Sex Differences in Prefferred Mate Characteristics..", **Psychology of Women Quarterly**, 26, 322-328.

Johnson, A.J., and Green, Z.D., (2004), "Female Genital Mutilation and Constructions of Masculinity in Twentieth Century Egypt", **Al-Raida**, XXI, 104-105, 52-63.

Jones, A., (2004), "Humiliation and Masculine Crisis in Iraq", **Al-Raida**, XXI, 104-105, 70-73.

Kane, C., (2005), "As Spots Belittling Women Fade Out...", **The New York Times,** Jan 28.

Katawi, M., (2004), "Masculine Identity in Hoda Barakt's Stone of Laughter", **Al-Raida**, XXI, 104-105, 70-73.

Khalaf, S., (2006), "Living in Dissonant Sexual Codes",in Khalaf, S. and Gagnon, J., (eds), **Sexuality in the Arab World**, Saqi Books, Beirut.

Kernick, D.T..and Keefee, R.C., (1992), "Age Preferences in Mates Reflect Sex Differences in Reproductive Strategies", **Behavior and Brain Sciences,** 15, 75-133.

Kilianski, S.E., (2003), "Explaining Heterosexual Men's Attitudes Towards Women and Gay Men: The Theory of Exclusive Masculine Identity", **Psychology of Men and Masculinity,** 4(1), 37-56.

Kimmel, M., (2004), "Masculinities" , in Kimmel, M. and Aronson, A., (eds), **Men and Masculinities: A Social, Cultural, and Historical Encyclopedia**, ABC CLIO, Oxford (England), 503-507.

Kimmel, E.B., and Crawford, M., (2001), "Methods for Studying Gender", **Encyclopedia of Women and Gender,** V2, Academic Press, USA, 749-758.

Kite, M.E., (2001), "Gender Stereotypes", **Encyclopedia of Women and Gender,** V1, 561-570.

Koroska, A., (2002), "Does Gender Ideology Matter? Examinig the Relatioship between Gender Ideology and Self and Partner- Meaning" **Social Psychology Quarterly**, 65(3), 248- 265.

Krahé, B., Waizenhofer, E., Moller, E., (2003), "Women's Sexual Aggression Against Men:Prevalence and Predictors", **Sex Roles**, Vol. 49, Nos. 5/6, September.

Kulik, L., (2004), "Predicting Gender Role Ideologies Among Husbands and Wives in Israel: A Comparative Analysis", **Sex Roles**, 51(9/10), 575-587.

Lacuane, D., (2005), "Real Men are Tough Guys: Hegemonic Masculinity and Safety in the Construction Industry", **Jour of Men's Studies**,13(2), 247-262.

Lambke, L., (1989), "Marital Adjustment Among Rural Couples: the Role of Expressiveness", **Sex Roles**, 21,579-590.

Lance, L.M., (1998), "Gender differences in Heterosexual Mating: ■ Content Analysis of Personal Ads", **Jour of Men's Studies**, 6(3), 297-303.

Lansky M., (2001), "Gender, Women and all the Rest", **International Labour Review**, (Geneva), 140(1), 85-106.

Levant, R., (2001), "Men and Masculinity", **Encyclopedia of Women and Gender,** V2, Academic Press, USA.

Lloyd, C., (2004), "New Constructions of Masculinity: Understanding Dynamics of Conflict.....", **Al-Raida**, XXI, 104-105, 46-51.s

Maccoby, E.E., (1998), **The Two Sexes: Growing Apart, Coming Together**, The Belcap Press, London.

Mahalick, J.R., Locke, B.D., Theodore, H., Cournyer, R.J., Lloyd, B.F., (2001), "A Cross Cultural and Cross- Sectional Comparison of Men's Gender Role Conflict and its Relationship to Social Intimcay and Self Esteem", **Sex Roles**, 45(1/2), 1-14.

Major, B.C., Deaux, P.K., (1981), "A Different Perspective ■■ Androgyny: Evaluations of Masc. and Fem. Personality Characterisitics", **Jour of Personality and Social Psychology**, 41(5), 988-1001.

Makki, R., (1983), **Les Rapport entre Les Sexes dans les Bandes Dessine'es Libanais,** (Unpublished Doctoral Dissertation), Paris 7, Paris.

Manheim, K., (1972), "The Problem of Generations" in P.G. Albatch et al., **The New Pilgrims: Youth Protest in Transition**, David McKay, N.Y., pp276-322. (first published in1928).

Masser, B. and Abrams, D., (1999), "Contemporary Sexism", **Psychology of Women Quarterly**, 23, 503-517.

Mead, M., (1949), **Male and Female**, Dell Pub. Co., N.Y.

Mitchell, J., (1974), **Psycho-Analysis and Feminism**, Penguin Books, London.

Muhyi, I.A., (1959), "Women in the Arab Middle East", **Jour of Social Issues**, no. 15, 45-57.

Murad, J.Y., (en cours), **Les Valeurs des Libanais,** USJ, Fac. des Lettres et des Science Humaines, (OURSE), Beirut.

Murstein, B.I., (1980), "Mate Selection in the 1970's", **Jour of Marriage and the Family**, 1 , 777-803.

Nayak, M.B., Byrne, C.A., Martin, M.K., and Abraham, A.A.G., (2003), "Attitudes Towards Violence Against Women: A Cross- Cultural Study", **Sex Roles**, 49(7/8), 333-342.

Nunes, E.S., (2003), "Misandry : the Hatred of Males ", **Transitions**(Manhasset), 23(4), 5-8.

Okun, R., (2002), "The War to Define Manhood", **Voice Male**, (Amherst), Summer, 2,

Okun, R., (2005), "From Vietnam to Iraq: Manhood in [redacted] Time of War", **Voice Male**, (Amherst), Spring, 8-14.

Oskamp, S., (1977), **Attitudes and Opinions**, prentice hall Inc., N.J., USA.

Peck, J.C.X, and Leong, F.T.L., (2003), "Sex Related Self- Concepts, Cognitive Styles and Cultural Values of Traditionality- Modernity [redacted] Predictors of General and Domain- Specific Sexism", **Asian Jour of Social Psychology**, 6, 31-49.

Peterson, B.E., Doty, R.M., Whitner,D., (1993), "Authoritarianism and Attitudes Toward Contemporary Issues", **Personality and Social Psychology Bulletin**, 19, 174-184, (p136).

Pettigrew, T.F., (1959), "Regional Differences in [redacted] Anti-Negro Prejudice", **Jour of Abnormal and Social Psychology**, 59, 28-36.

Philaretou, A.G., and Allen, K.R., (2001), "Reconstructing Masculinity and Sexuality", **Jour of Men's Studies**, 9(3), 301- 317.

Pleck, J.H., (1981), **The Myth of Masculinity**, MIT press, Cambridge, MA.

Prentice, D.A., and Garranza, E., (2002), "What Women and Men Should Do, Shouldn't Do, Are Allowed to Do, and Don't Have to Be: the Contents of Prescriptive of Gender Stereotypes", **Psychology of Women Quarterly**, 26, 269-281.

Prothro, E.T., (1961), **Child Rearing in the Lebanon,** Harvard University Press, Cambridge, MASS (USA)

Prothro, E.T., and Diab, L.N., (1974), **Changing Family Patterns in the Arab Middle East**, AUB, Beirut.

Rabinowitz, V.C. and Martin, D., (2001), "Choices and Consequences: Methodological Issues in the Study of Gender", in Unger, K.U.(ed), **Handbook of the Psychology of Women and Gender**, Jhon Wiley and Sons, USA.

Reber, A.S., (2000), **Dictionary of Psychology**, PENGUIN, England.

Rhode, D.L., (1997), **Speaking of Sex: The Denial of Gender Inequality,** Harvard University Press, London England.

Roberts, T.A., Goldenberg, J.L., Power, C., Psyzczynski, (2002), "Feminine Protection:...", **Psychology of Women Quarterly,** 26, 131-139.

Robinson, D.T. and Schwartz, J.P., (2004), "Relation between Gender Role Conflict and Attitudes Towards Women and African Americans", **Psychology of Men and Masculinity,** 5(1), 65-71.

Rowbotham, Sheila, (1972), quoted in Piltcher, J. and Whlehan, I., (2005), **Fifty Key Concepts in Gender Studies**, Sage Pub. London.

Ruby, J., (1998), "Like Father Like Son: How Boys Become Boys", **Off Our Backs:** A Woman's News Journal, 28(6) 14-15.

Rudy, M., (2004), "The Gender Journey: War peace, Immortality and Being a Real Man", **Everyman** (Ottawa); A Men's Journal, 64, 26.

Rusbult, C.E., Johnson, D.J., and Morrow, G.D., (1986), "Predicting Satisfaction and Commitment in Adult Romantic Involvements: An Assessment of the Generalizability of the Investment Model", **Social Psychology Quarterly,** 40(1), 81-89.

Safouan, M., (1982), "Feminine Sexuality in Psycho-Analytic Doctrine" in Mitchell, J. and Rose, J., **Feminine Sexuality,** Macmillan Press ltd, London.

Said, W.E., (1999), **Out of a Place: a Memoir**, Alfred Knopf, USA.

Seaman, B., (1973), **Free and Female**, Fawcet pub., Conn., USA.

Shakelton, D., (2002), "Reflections on the Social Evolution of Masculinity..", **Everyman:** A Man's Journal(Ottawa), 57, 7-10.

Shmidt, T., (2002), "Personality Attachment and Sexuality Related to Dating Relationship Outcomes...", **British Jour of Social Psychology**, 41, 589-610.

Singer, J., (1977), **Androgeny: Towards a New Theory of Sexuality**, Routledge and Kegan, London.

Smiler, A.P., (2004), "Thirty Years after the Discovery of Gender: Psycholgical Concepts and Measures of Masculinity", **Sex Roles,** 50(1/2), 15-26.

Sorenson, S.B. and Taylor, C.A., (2005), "Female Aggression Toward Male Partners..", **Psychology of Women Quarterly,** 29, 78-96.

Spence, J.T. and Helmreich, R.L., and Stapp, J., (1975), "Rating of Self and Peers on Sex Role Attitudes and their Relation to Self Esteem and Conceptions of Masculinity and Femininity", **Jour. of personality and Social Psychology,** 32(1), 29-39.

Spence, J.T. and Helmreich, R.L., (1978), **Masculinity and Femininity: Their psychological Dimentions, Correlates and Antecedents**, Uuniversity of Texas Press, Austin and London.

Spence, J.T. and Buckner, C., (1995), "Masculinity and Femininity: Defining the Undefinable" in Kalbtliesch, P.J. and Cody, M.J., **Gender Power and Communication in Human Relations**, Laurence El- Baum Assoc., Pub., UK.

Spence, J.T. and Buckner, C., (2000), "Instrumental and Expressive Traits, Trait Stereotypes, and Sexist Attitudes: What Do they Signify", **Psychology of Women Quarterly**, 24, 44-62.

Sprecher, S. and Toro- Morn, M., (2002), "A study of Men and Women from Different Sides of the Earth to Determine if Men are From Mars and Women are From Venus...", **Sex Roles**, 46(5/6), 131-147.

Stake, E.J., (1997), "Integrating Expressiveness and Instumentality in Real Life Settings: A New Perspectives on the Benefits of Androgyny", **Sex Roles**, 37, (7/8), 541-565.

Stein, A., (2004), "Men and Emotions", **Everyman**(Ottawa): A Men's Journal, 65, 18.

Stewart, A.J. and Healy, J.M.,jr., (1989), "Linking Individual Development and Social Change", **American Psychologist**, 44, 30-42.

Tarazi, M., (1972), **Attitude Toward Feminism Among Arab Women in Relation to their Need for Achievement**, AUB, Beirut, (Unpublished M.A. Thesis).

Thomas, S., (2005), "Double Standards: Ever Wonder Why?", **Transitions**, (Manhasset), Jan/Feb , 25 (1), 4-6.

Toller, P.W., Suter, E.A. amd Trautman, T.C, (2004), "gender Role Identity and Attitudes Toward Feminism", **Sex Roles**, 51, (1/2), 85-90.

Tolson, A., (1970), **The Limits of Masculinity: Male Identity and the Liberated Women**, Harper and Row, N.Y.

Twenge, J.M., (1999), "The Multifactorial Approach and the Organization of Gender- Related Attributes", **Psychology of Women Quarterly**, 23, 485-502.

Tzuriel, D., (1984), "Sex Typing and Ego Identity in Israeli, Oriental, and Western Adolescents", **Jour of Personality and Social Psychology**, 2, 440-457.

Ulrich, M., (2004), "Men and Women: an Eternal Battlefield?", **Everyman**, (Ottawa): A Men's Journal, 64, 6-8.

Vonk, R. and Ashmore, R.D. (1993), "The Multifaceted Self: Androgyny Reassessed by Open Ended Self-Description", **Social Psychology Quarterly**, 56(4), 278-287.

Wade, J.C., (2001), "Professional Men's Attitudes Towards Race and Gender Equity", **Jour of Men's Studies**, 10(1), 73-79.

West, C., and Zimmerman D. H., (1987), "Doing Gender", **Gender and Society**, 1(2), 125-151.

Whitehead, S.M., (2002), **Men and Masculinities: Key Themes and New Directions**, Polity Press, London.

Whitaker, S.P., in Kimmel, M. and Aronson, A., (2004), "Million Man March" in **Men and Masculinities: A Social, Cultural, and Historical Encyclopedia**, ABC CLIO, Oxford (England), 548-550.

Wiggins, J.S., (1973), **Personality and Prediction: Principles of Personality Assessment**, Addison- Wesley Pub. Co., USA.

Williams, J.H., (1992), **The Psychology of Women**, W.W.Norton and co., N.Y. and London, (3d ed.).

Willow, K., (2004), "In Heartfelt Support of the Men's Movement", **Everyman** (Ottawa): A Men's Journal, 12,2,103-105.

Wilson, G.D., (1973), **The Psychology of Conservatism**, Academic Press, London and N.Y.

Woodhill, B.M. and Samuels, C.A., (2003), "Positive and Negative Androgyny and their Relatioship with Psychological Health and Well Being", **Sex Roles,** 48(11/12), 555-565.

Zibani, N. and Brady, M., (2004), "Adolescent Boys' Response to Gender Equitable Programming in Rural Upper Egyptian Villages: Between Ayb and Haram", **Al-Raida**, XXI(104-105) , 64-69.

ثبت بالمصطلحات

agency	كفاءة فعالة
alexythemia	أليكسيثيميا
ambivalent sexism	التعصّب الجنسي المتجاذب
androgyny	أندروجينية
androcentrism	متمركز حول الرجل
archetype	أرختايب- أثري- حفري
autonomy	القيام بالذات
authoritarian personality	الشخصية التسلّطية
basic personality	الشخصية الأساس، الشخصية القاعدية
benevolent sexism	التعصّب الجنسي الإيجابي
biological essentialism	الأصولية البيولوجية
cerebral	دماغي
cognitive	معرفي
Chi- Square	مربّع كاي
concurrent validity	الصدق التلازمي
communion	ارتباطية
construct	مركّب
continum	متصّل
criterion validity	الصدق المتعلّق بالمركّب أو بالمفهوم

مُعامِل الارتباط	correlation coeficient
عبر- حضاري	cross- cultural
عبر - جنسي	cross- sexed
وصف	description
نمائي	developmental
التعاطف الوجداني	empathy
الذكورة الإقصائية، الذكورة الاستبعادية	exclusive masculinity
تعبيرية	expressivity
الصدق الظاهري	face validity
تحليل العوامل (إحصائياً)	factor analysis
هوامات، تخيلات	fantasies
النسوية	feminism
جندر، نوع اجتماعي، جنوسة	gender
الترتيبات الجندرية	gender arrangements
الهوية الجندرية	gender identity
منظور جندري	gender perspective
التقاطب الجندري	gender polarization
علم نفس الجندر	Gender Psychology
المنمّط الجندري	gender stereotype
النمط الجندري	gender type
متعلّق بالوراثة	genotopic
الجنسية الغيرية	heterosexuality
خُواف المثليّة(فوبيا المثلية)	homophobia
الجنسية المثلية	homosexuality

hostile sexism	التعصّب الجنسي العدائي
hypermasculinity	المبالغة بالذكورة
hypomasculinity	الذكورة المتدنية
identification	مماهاة، تماهي
individuation	تفرّد
instrumentality	وسيلية
isomorphic	متشاكل
intimacy	حميمية
inventory	استبيان، استبانة
masculinities	ذكورات
meta- analysis	تحليل إحصائي ما ورائي، مراجعة إحصائية
misandry	بُغض الرجال
misogyny	بُغض (كره) النساء
motivation	الدافعية
neosexism	التعصب الجنسي المتجدد
normative sample	عيّنة معيارية
object relation theory	نظرية العلاقة بالموضوع
two orthogonal scales	سلّمين متعامديْن
paranoia	بارانويا، عُظام
pathology	باثولوجيا
perspectives	منظورات
phallus	الفالوس
phenotopic	متعلّق بالمميّزات الطارئة
pool of items	خزان البنود

population	مجتمع البحث
post modern	مابعد حداثية
postulate	مسلّمة
prejudice	التعصّب
prescription	توصيف
prototype	نموذج أوّلي
role model	مثال قدوة
sample	عيّنة البحث
self defence mechanism	أوالية الدفاع النفسية
self report	التقرير الذاتي، التصريح عن الذات
sexism	التعصّب الجنسي، التمييز ضد المرأة
sexuality	الجنسانية
schema	ترسيمة
significance level	عتبة الدلالة الإحصائية
stiuation	وضعية
Social Exchange Theory	نظرية التبادل الاجتماعي
social desirability	المرغوبية الاجتماعية
status	مكانة
theme	ثيمة
traitilogy	علم السمات
undifferentiated	لامتمايز

تعريف بمصطلحات مختارة

الأندروجينية النفسانية psychological androgyny: هي تكامل الذكورة والأنوثة، الاثنين معاً، في الفرد الواحد، وبمعزل عن جنسه البيولوجي. والأفراد الأندروجينيون يصرّحون، لدى وصفهم لذواتهم، عن مستويات عليا من سمات الذكورة والأنوثة في الوقت نفسه؛ وهو ما يجعلهم قادرين على التأقلم والتصرّف بشكل متوافق مع وضعيات حياتية واسعة الاختلاف وعبر- جنسية cross- sexed.

أرخيتايب archetype: يمثّل الأفكار والصور الموروثة اللاواعية المتراكمة في لاوعي الناس الجماعي المشترك في مسار تطوّر البشرية حول موضوع معيّن (الله، الذكورة والأنوثة، الأم، إلخ). من مكوّنات اللاوعي الجماعي.

ترسيمة schema: بمثابة خطة معرفية وذهنية مجرّدة توفّر دليلاً للسلوك ولتأويل المعلومات، وإطاراً لحل المشكلات. وهي بنية ذهنية تسمح بتسجيل المعطيات، خاصة تلك المعطيات التي تؤثّر بعضها ببعض تأثيراً عاماً أكثر منه تفصيلياً.

ثبات reliability القياس: يكون القياس ثابتاً حين يسعنا الاعتماد على نتائجه. بمعنى أن ينتج القياس النتيجة ذاتها لدى إعادة تطبيقه على الأشخاص أنفسهم في ظروف مماثلة. ويستخدم الباحثون في القياسات طرقاً مختلفة لإثبات ثبات القياس.

الجندر: الجندر، تعريب للمصطلح gender بالإنكليزية، وهو نُقِشَ في بداية السبعينات من القرن الماضي من أجل التمييز بين الجنس البيولوجي للشخص – sex – وبين المستوى النفساني/ الاجتماعي/ الثقافي لهويته الجنسية/ البيولوجية تلك. هذا المصطلح من أكثر المصطلحات شيوعاً في الأدبيات السيكولوجية الأجنبية، لكن الباحث العربي يجد نفسه مضطراً، في كلّ مرّة يلجأ فيها إلى استخدامه، لتقديم

تعريف له. خصوصاً، وأن بعض الباحثين يترجمون المصطلح gender بـ«النوع الاجتماعي»، أو «النوع الجنسي»، أو «الجنوسة» إلخ، فلم يستقرّ في اللغة العربية، بعد، على لفظ واحد وحيد. الجندر، تعريفاً، هو الوجه الاجتماعي والثقافي للانتماء الجنسي البيولوجي. ويتمثّل بالمعاني التي يتضمّنها انتماؤنا لجنس الذكور أو لجنس الإناث، وبالقيم والأحكام الملحقة بهذه المعاني. المخلوق البشري يولد ذكراً أو أنثى، (في أغلب الحالات باستثناء الخُنثى hermaphrodite)، وهذا هو «جنسه». لكن تتم تنشئته ليصبح فتى أو فتاة ومن ثمّ رجلاً أو امرأة، وهذا هو «جندره» his gender. هذا، ويمثّل الجندر واحداً من المبادئ المنظّمة للحياة الاجتماعية، وآلية لتوزيع السلطة والموارد بين الناس.

الحركة النسوية Feminist Movement: نستخدم تعبير «الحركة النسوية» لنصف كتلة واسعة من النساء اللواتي يَعِين التمييز اللاحق بالمرأة في الأنظمة الأبوية، واللواتي يعملن، معاً، في منظمات حكومية أو غير حكومية في نشاطات هادفة ومتفرّقة، هادئة غالباً وصاخبة أحياناً، ساعيات إلى تمكين النساء، وإلى إزالة التمييز اللاحق بهن وإلى إحقاق المساواة بينهن وبين الرجال في مؤسسات المجتمع كافة.

الشخصية الأساس، أو الشخصية القاعدية basic personality: بحسب كاردنر Kardner، تعرّف بأنها مجموعة السمات السلوكية المشتركة بين أشخاص ترعرعوا، في فترة الطفولة، في محيط الثقافة الاجتماعية نفسها، وتعرّضوا للنمط نفسه من الممارسات المميّزة للتنشئة الاجتماعية والأسرية لتلك الثقافة الاجتماعية.

صدق validity القياس: يكون القياس صادقاً حين يقيس فعلاً ما يدّعي قياسه. وقد جزّأ العاملون في القياسات النفسانية مفهوم الصدق إلى مكوّنات عديدة بحسب زاوية اهتماماتهم. هناك الصدق الظاهري، الصدق التلازمي، الصدق المتعلّق بالمركّب، الصدق المتعلّق بالمضمون، الصدق الإمبيريقي، الصدق الفارقي إلخ.

صورة الذات: تعرّف «صورة الذات»، أو الذات المتصوّرة، أو التي تمّ رسمها ذهنياً، بأنها الذات الذي يفترضها الشخص بأنها هي نفسه. أما صورة الذات الجندرية للشخص فهي «صورة ذاته» كما يراها في مرآتَيْ، أو على بُعدَيْ، الذكورة والأنوثة الاجتماعيتين.

الطريقة الترابطية correlational في البحث: تقوم هذه الطريقة على قياس ميزتيْن أو أكثر للأشخاص أنفسهم، وتقوم من ثمّ بحساب الارتباط بين هاتين الميزتين. وذلك لتحديد الصلة القائمة بين التباين في متغيّر لا يقع في مجال سيطرة الباحث والتباين في متغيّر ثان ذي أهمية بالنسبة للباحث.

عينة معيارية normative sample: مجموعة من المبحوثين، بحيث تشكّل المعطيات والنتائج التي تمّ تجميعها لدى إخضاعهم للبحث قاعدة تعتبر معياراً للقياس.

المجموعة الارتكازية، (الهادفة، الاستقصائية) focus group: هي واحدة من الطرق المستخدمة في البحوث الكيفية ، وهي تنتمي لفئة «المقابلة» من هذه البحوث؛ وتصمم خصيصاً من أجل استدراج التماعات insights من مجموعة من الأفراد المعنيين بموضوع البحث. وتتميز المجموعة الهادفة بكونها تتألف من عدد محدود من أفراد متجانسي السمات، يناقشون معاً موضوعاً حُددت عناوينه وأسئلته سلفاً؛ وذلك في إطار/ محيط يتسم بالمرونة والتسامح. ويقوم بإدارة المجموعة مسهّل متخصص، ويتمّ تسجيل مجريات النقاش سمعياً وأحياناً بصرياً أيضاً.

مُعامل الارتباط correlation coefficient: عدد عشري يعبّر عن درجة الصلة القائمة بين متغيّرين ويشير أيضاً إلى وجهة الصلة بينهما. وتتراوح قيمة هذا العدد بين الرقمين +1 (صلة إيجابية تامّة) و–1 (صلة سلبية تامّة)، وكلّما ارتفعت قيمته المطلقة، كانت الصلة بين المتغيّرين أكثر وثوقاً والعكس بالعكس. وتشير القيمة صفر 0,00 لمعامل الارتباط (إحصائياً) إلى استقلال المتغيّرين واحدهما عن الآخر. وهناك وسائل إحصائية ابتكرها الإحصائيون لقياس الارتباط المذكور تبعاً لطبيعة المتغير.

مركّب construct: وحدة افتراضية تفيد في تأويل ظاهرة أو ظواهر نفسانية. والمركّب، تماماً كالمفهوم، لا يقوم في الواقع المادي، إنما تتمّ صياغته ذهنياً. من الأمثلة على المركّب، «الذكاء». فالذكاء غير خاضع للملاحظة المباشرة، لكن طبيعته ودرجته، (عال، متوسّط، منخفض، مثلاً)، يمكن استنتاجها من الأداء على قياسات الذكاء، وغيرها من السلوكات المتساوقة مع تضمينات الذكاء. ويرى رِبِرْ أن الوسيلة الأقلّ التباساً لفهم المصطلح هي بالتعامل معه وكأنه مرادف غير دقيق لـ«مفهوم»، من حيث استواء الاثنيْن تكوينيْن فكريّيْن. لكن ما يميّز المركّب عن المفهوم كون الأوّل متعدد

الأبعاد والمكوّنات بدرجة أكثر تعقيداً من الثاني. ويستنتج السيكولوجي «المركّب» حين يسعه صياغة علاقة بين عدّة مواضيع أو أحداث مرتبطة بالوحدة الافتراضية المذكورة أعلاه، (Reber, 1995).

المنمّط الجندري gender stereotype: ترسيمة schema، أو تمثيل معرفي مجرّد، للسمات والمميزات الفيزيائية والأخلاقية إلخ التي تُعزى للنساء أو للرجال. هذه الترسيمة هي، عادة، مبالغة في التعميم بحيث إننا نفترض أن كلّ امرأة أو كلّ رجل يتصف بهذه الميزة أو تلك السمة التي تمّ إسنادها للمرأة أو للرجل، بحسب الحالة.

نظرية العلاقة بالموضوع Object Relation theory: في إطار هذه النظرية تعتبر خبرات الطفل الاجتماعية، ابتداء من الطفولة المبكرة، عاملاً عظيم التأثير في النمو النفساني وتلعب دوراً محدداً في تشكّل الشخصية.

الهوية الجندرية gender identity: اليقين الثابت الذي يختزنه الشخص بأنه ذكر أو أنثى، بحسب الحالة.

المحتويات

الإهداء 5
شكر 7
المقدّمة: النساء يتغيّرن. . . لكن ما هو حال الرجال؟ 9

الجزء الأوّل

في مرآتي الذكورة والأنوثة
(الثوابت والتحوّلات) 27

الفصل الأوّل: أزمة في الذكورة 29
الفصل الثاني: ذكورة أم ذكورات؟ 51
الفصل الثالث: نظرية الأندروجينية وقياساتها 73
الفصل الرابع: «محنة» الباحث في اختيار القياس 87
الفصل الخامس: الذكورة والأنوثة في التصور (الاختبار التمهيدي) 99
الفصل السادس: هويّة الشاب بين الذكورة والأنوثة (نتائج البحث الميداني) 121

الجزء الثاني

فتاة الأحلام وفارس الأحلام
الشريك في التصور 137

الفصل الأوّل: الثابت والمتحوّل في الشراكة 139
الفصل الثاني: الشريكة والزميلة : التشابه والتباين 157

الجزء الثالث

«هي تطبخ... هو يقرأ»؟

المعتقدات حول المرأة والرجل 177

الفصل الأوّل: التعصّب الجنسي (التمييز ضد المرأة) 179

الفصل الثاني: التعصّب ضد الرجل 209

الفصل الثالث: المعتقدات حول الرجل وحول المرأة (أداة البحث) 219

الفصل الرابع: المواقف من المرأة والرجل: اعتدال وانقسام 257

بمثابة خاتمة: أحوال الرجال: ذكورة طاغية وأنوثة خافتة 257

الملاحق 263

المراجع 311

ثبت بالمصطلحات 327

تعريف بمصطلحات مختارة 331

عزة شرارة بيضون

الرجولة
وتغيّر أحوال النساء

النساء يتغيّرن؛ فهل يتغيّر الرجال؟

هل رافق تبدّل أحوال النساء تعديلاً في هويات الرجال؟

كيف ينعكس ذلك التبدّل، إن وجد، في تصوّرهم لذواتهم؟

هل تشبه الصورة، التي يرسمونها لشريكتهم، صورة المرأة المعاصرة؟

أم أن الرجال ما زالوا يرغبون بشريكة أكثر شبهاً بـ«الأنثى الأصل»؟

ما هي مواقفهم حيال التمييز اللاحق بالمرأة في مجتمعاتنا؟ وما هو مدى مناصرتهم لقضاياها؟

هل هم، أخيراً، راضون عن الأدوار الذكرية التي صاغتها لهم ثقافتنا الاجتماعية، أم أنهم يشعرون، كما تشعر النساء، بوطأة تقييداتها عليهم؟

بين دفتيّ هذا الكتاب محاولة للإجابة هذه التساؤلات.

صورة الغلاف: عبد الله كحيل

المركز الثقافي العربي
ص ب ٥١٥٨/١١٣ بيروت- لبنان
ص.ب 4006 - الدار البيضاء - المغرب
www.ccaedition.com

ISBN 9953-68-180-5
9789953681801